منكر ونكير وقد كثرت الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم باستعاذته من فتنة القبر وفتنة الدجال وفتنة المحيا والممات وغير ذلك ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم «في تفتنون وعني تسألون» أي تمتحنون بي في قبوركم ويتعرف ايمانكم بنبوتي ﴿البرزخ﴾ قال في القاموس البرزخ الحاجز بين الشيئين من وقت الموت الى القيامة من مات دخله وفي النهاية البرزخ ما بين كل شيئين من حاجز ومنه حديث عبد الله وسئل عن الرجل يجد الوسوسة فقال تلك برازخ الايمان يريد ما بين أوله وآخره فأولها الايمان بالله ورسوله وادناها اماطة الاذى عن الطريق وقيل أراد ما بين اليقين والشك. والبرازخ جمع برزخ وفي الآية الكريمة (بينهما برزخ لا يبغيان) أي حاجز يمنعهما من ان يختلط أحدهما بالآخر ووجه تسمية ماهنا برزخا لكونه يحجز بين الدنيا والآخرة ﴿و﴾ فتنة ﴿القبور﴾ جمعه قبر وهو من عطف الخاص على العام لان أحوال البرزخ تشتمل على ذلك فالقبور جمع قبر جمع كثرة وجمع أقبر في القلة و يقال لمدفن الموتى مقبر قال الشاعر

لكل اناس مقبر في فنائهم فهم ينقصون والقبور تزيد

والمقبرة موضع دفن الموتى وتضم باؤها وتفتح قال القرطبي اختلف في أول من سن القبر فقيل الغراب لما قتل قابيل هابيل وقيل إن قابيل كان يعلم الدفن ولكن ترك أخاه استخفافا به فبعث الله الغراب ليبحث في الارض يعني التراب على هابيل ليدفنه كذا في التذكرة فقال عند ذلك (يا ويلتى اعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فاصبح من النادمين) حيث رأى كرامة الله لهابيل بأن قيض الله الغراب حتى واراه ولم يكن ذلك ندم توبة وقيل كان ندمه على عدم معرفة الدفن ولذا قال ابن عباس رضي الله عنهما لو كان ندمه على قتله لكان ندمه توبة وقيل انه لما قتله قعد يبكي على رأسه فاقبل غرابان فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر ثم حفر له حفرة فدفنه ففعل قابيل باخيه كذلك فكان ندمه لعدم هدايته ان يفعل كما فعل الغراب فصار الدفن سنة في بني آدم وفي التنزيل (ثم أماته فاقبره) أي جعل له قبرا يوارى فيه اكراما له ولم يجعل مما يلقى على وجه الارض تأكله الطير والعوافي وقوله ﴿وما﴾ أي وفي الذي أو الاشياء

أي والهول الذي ﴿أنى﴾ عن الصادق المصدوق ﴿في ذا﴾ اسم اشارة يرجع الى ماتقدم من فتنة البرزخ والقبور ﴿من الامور﴾ المهولة المحية والاشياء الصعبة الغريبة فانه حق لا يرد

(منها) سؤال الملكين منكر ونكير فالايمان بذلك واجب شرعا لثبوته عن النبي صلى الله عليه وسلم في عدة أخبار يبلغ مجموعها مبلغ التواتر وقد استنبط ذلك واستدل عليه بقوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء) وأخرج الشيخان من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) نزلت في عذاب القبر زاد مسلم «يقال له من ربك فيقول ربي الله ونبي محمد» فذلك قوله (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) وفي رواية للبخاري «اذا اقعد المؤمن في قبره أوتي ثم شهد ان لا آله الا الله وان محمداً رسول الله فذلك قوله يثبت الله». الآية وفي الطبراني عن البراء أيضاً مرفوعا «يقال للكافر من ربك فيقول لا أدري فهو تلك الساعة أصم أعمى أبكم فيضرب بمرزبة(١) لوضرب بها جبل لصار ترابا» الحديث وعند أبي داود «يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله فيقولان له مادينك فيقول ديني الاسلام فيقولان له ماهذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان له ومايدريك فيقول قرأت كتاب الله تعالى فآمنت به وصدقت فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة وألبسوه من الجنة ويفسح له فيه مد بصره» وقال في الكافر فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لاأدري الى أن قال فينادي مناد من السماء ان كذب عبدي فافرشوه من النار

(١) جاء في هامش الاصل مانصه : في النهاية مانصه في حديث أبي جهل فاذا رجل اسود يضربه بمرزبة فيغيب في الارض المرزبة بالتخفيف المطرقة الكبيرة التي للحداد ومنه حديث الملك وبيده مرزبة ويقال لها أيضا الأرزبة بالهمز والتشديد انتهى وفي القاموس والأرزبة والمرزبة مشددتان أو الاولى فقط عصية من حديد انتهى

وافتحوا له بابا الى النار قال فيأتيه من حرها وسمومها و يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعه وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه انه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد صلى الله عليه وسلم فاما المؤمن فيقول أشهد انه عبد الله ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار وقد أبدلك الله مقعدا من الجنة قال فيراهما جميعا يعني المقعدين قال قتادة ذكر لنا انه يفسح له في قبره واما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال لادريت ولاتليت ويضرب بمطراق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعه من يليه من غير الثقلين زاد أبو داود ان المؤمن يقال له ما كنت تعبد فان هداه الله تعالى قال كنت أعبد الله فيقال ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول هو عبدالله ورسوله قال فما يسئل عن شيء غيرهذا وزاد أيضا فيقول دعوني حتى أبشر أهلي فيقال له اسكن وذكر الكافر انه يسئل عما كان يعبد ثم عن هذا الرجل وفي الصحيحين أيضا عن أسماء بنت الصديق رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبة يوم كسفت الشمس «ولقد أوحي الي انكم تفتنون في قبوركم مثل قريب من فتنة الدجال يؤتى أحدكم فيقال له ما علمك بهذا الرجل فاما المؤمن أو الموقن فيقول محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا وآمنا واتبعنا فيقال له نم صالحا فقد علمنا ان كنت لموقنا واما المنافق والمرتاب فيقول لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته» وأخرجه الامام أحمد بلفظ «ولقد رأيتكم تفتنون في قبوركم يسئل الرجل ما كنت تقول وما كنت تعبد» نحو ما سبق وقد روي أيضا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه الترمذي وابن حبان في صحيحه وأخرجه أيضا الامام أحمد وابن ماجه وأخرجه الطبراني أيضا وفيه «أتاه منكر ونكير أعينهما مثل قدور النحاس وانيابهما مثل صياصي البقر —أي قرونها— وأصواتهما مثل الرعد القاصف» وروي أيضا من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أخرجه الامام أحمد ومن حديث أبي سعيد رضي الله عنه أخرجه

الامام أحمد أيضا ومن حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخرجه أبو بكر الخلال في كتاب السنة وفيه انه صلى الله عليه وسلم قال له « كيف أنت ياعمر اذا كنت من الارض في أربعة أذرع في ذراعين ورأيت منكرا ونكيرا» قلت يارسول الله وما منكر ونكير قال « فتانا القبر يبحثان الارض بأنيابهما و يطآن في أشعارهما أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف ومعهما مرزبة لو اجتمع عليها أهل منى لم يطيقوا رفعها هي أيسر عليهما من عصاي هذه» قلت يارسول الله وأنا على حالي هذه قال نعم قلت اذا أكفيكها وفي رواية « فامتحناك فان التويت ضرباك بها ضربة صرت رمادا » وأخرجه الاسماعيلي من وجه آخر وروي أيضا من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أخرجه الامام أحمد وابن حبان في صحيحه وفيه قال عمر اترد علينا عقولنا يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم « نعم كهيأتكم اليوم فقال» عمر رضي الله عنه بفيه الحجر ومن حديث أبي موسى رضي الله عنه رواه الامام أحمد وغير هؤلاء وروي عن مجاهد ان الموتى يفتنون في قبورهم سبعا فكانوا يستحبون ان يطعم عنهم تلك الايام وقد ذكرنا في كتابنا البحور الزاخرة في علوم الآخرة ماللّه يشفي ويكفي

﴿تنبيهات﴾

(الاول) جاء في رواية سؤال ملكين وفي أخرى سؤال ملك واحد قال القرطبي لاتعارض في ذلك بالنسبة الى الاشخاص فرب شخص يأتيه اثنان معا فيسألانه معا عند انصراف الناس ليكون أهول في حقه وأشد بحسب مااقترف من الآثام وآخر يأتيه قبل انصراف الناس عنه تخفيفا عليه لحصول أنسه بهم وآخر يأتيه ملك واحد فيكون أخف عليه وأقل في المراجعة لما قدمه من العمل الصالح قال ويحتمل ان يأتي اثنان و يكون السائل أحدهما وان اشتركا في الاتيان فتحمل رواية الواحد على هذا وصوبه الحافظ السيوطي في شرح الصدور فان ذكر الملكين هو الموجود في غالب الاحاديث وقد ذكر بعض العلماء ان الملائكة الذين ينزلون على الميت في قبره أربعة منكر ونكير وناكور ورومان وقد أشار الجلال السيوطي الى هذا في أرجوزته التثبيت في التبييت بقوله

وقد أتى في مرسل مضعف ان السؤال من ثلاثة في
أو أربع أولئك الاثنان وألحقوا ناكور مع رومان

وقد أشار الى ان الخبر به علتان الضعف والارسال

﴿ الثاني ﴾

الملكان اسمهما منكر ونكير نص على ذلك الامام أحمد رضي الله عنه قال الحكيم الترمذي وانما سميا فتاني القبر لان في سؤالهما انتهارا وفي خلقهما صعوبة قال وسميا منكرا ونكيرا لأن خلقهما لا يشبه خلق الآدميين ولا خلق الملائكة ولا خلق البهائم ولا خلق الهوام بل هما خلق بديع وليس في خلقهما أنس للناظرين اليهما جعلهما الله تعالى تكرمة للمؤمن لتثبته وتبصره وهتكا لستر المنافق في البرزخ من قبل ان يبعث قال الجلال السيوطي وهذا يدل على ان الاسم منكر بفتح الكاف وهو المجزوم به في القاموس قلت وكذا في نهاية ابن الاثير قال ومنكر ونكير اسما الملكين مفعل وفعيل وذكر ابن يونس من الشافعية ان اسم ملكي المؤمن مبشر وبشير قلت وهذا يحتاج الى دليل مأثور وأنى به فان الاحاديث ليس فيها سوى منكر ونكير وقد أشار الى ذلك السيوطي في أرجوزته بقوله

وضبط منكر بفتح الكاف فلست أدري فيه من خلاف
وذكر ابن يونس من صحبنا ان اللذين يأتيان المؤمنا
اسمهما البشير والمبشر ولم أقف في ذا على ما يؤثر

وقال الامام المحقق ابن القيم في كتاب الروح قال كثير من المعتزلة لا يجوز تسمية ملائكة الله بمنكر ونكير وانما المنكر ما يبدو من تلجلجه اذا سئل والنكير تقريع الملكين له وقال الامام أحمد رضي الله عنه نؤمن بعذاب القبر وبمنكر ونكير وروجع في منكر ونكير فقال هكذا هو يعني أنهما منكر نكير

﴿ الثالث ﴾

قال القرطبي اختلفت الاحاديث في كيفية السؤال والجواب عن ذلك أنه مختلف باختلاف الاشخاص فمنهم من يسئل عن بعض اعتقاداته ومنهم من يسئل

عن كلها ويحتمل ان يكون الاقتصار على بعضها من بعض الرواة وأتى به غيره تاما وصوبه السيوطي لاتفاق أكثر الاحاديث عليه نعم يؤخذ منها خصوصا من رواية أبي داود عن أنس المارة فما يسئل عن شيء بعدها وعند ابن مردويه فما يسئل عن شيء غيرها انه لا يسئل عن شيء من التكليفات غير الاعتقاد خاصة وصرح به في رواية البيهقي من طريق عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) قال الشهادة يسئلون عنها في قبورهم بعد موتهم قيل لعكرمة ماهو قال يسئلون عن الايمان بمحمد وأمر التوحيد وقد ذكر الجلال السيوطي انه ورد في رواية عن أنس رضي الله عنه ان الميت يسئل في المجلس الواحد ثلاث مرات و باقي الروايات ساكتة عن ذلك فتحمل على ذلك أو يختلف الحال بالنسبة الى الاشخاص وعن طاوس ان الموتى يسئلون سبعة أيام قلت وتقدم عن مجاهد أن الموتى يفتنون في قبورهم سبعا وانهم كانوا يستحبون أن يطعم عنهم تلك الايام رواه الامام أحمد في الزهد وكذا أبو نعيم في الحلية باسناد صحيح الا أنه مرسل وروي من وجه متصل أيضا وحكمه الرفع لانه ليس للرأي فيه مجال وقد روى كل ذلك الامام الحافظ ابن رجب في كتابه أهوال القبور وذكر عن مجاهد أيضا أن الارواح تمكث في قبورها سبعة أيام وقد روي عن عبيد ابن عمير فيما أخرجه عنه ابن جريج ان المؤمن يفتن سبعة أيام والمنافق يفتن أربعين يوما

﴿الرابع﴾

من لم يدفن من مصلوب ونحوه يناله نصيبه من فتنة السؤال وضغطة القبر قال الامام المحقق في كتاب الروح مما ينبغي ان يعلم ان عذاب القبر هو عذاب البرزخ فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه قبر أم لم يقبر فلو أكلته السباع أوحرق حتى صار رمادا أونسف في الهواء أو غرق في البحر وصل الى روحه و بدنه من العذاب مايصل من المقبور

﴿الخامس﴾

قال ابن عبد البر لايكون السؤال الا لمؤمن أومنافق كان منسوبا الى دين

الاسلام بظاهر الشهادة بخلاف الكافر كذا قال وخالفه في ذلك الجمهور وقال الامام المحقق ابن القيم رحمه الله تعالى في الروح القرآن والسنة تدل على خلاف هذا القول بل السؤال للكافر والمسلم قال الله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت وقد ثبت) في الصحيحين وغيرهما انها نزلت في عذاب القبر كما تقدم فان في الاحاديث الكافر والفاجر واسم الفاجر في عرف القرآن والسنة يتناول الكافر قطعا ومنه قوله تعالى (كلا ان كتاب الفجار لفي سجين) ونحو هذا في كتاب العاقبة للحافظ عبد الحق الاشبيلي وصوبه القرطبي في التذكرة وانتصر الجلال السيوطي لابن عبد البر وفيما قاله نظر ومثل هذا ما اختاره المحقق ابن القيم والحافظ عبد الحق الاشبيلي وغيرهما من ان سؤال القبر ليس بخاص بهذه الامة بل غيرها تساويها في ذلك وجزم به أيضا القرطبي في التذكرة وقال الحكيم الترمذي انه خاص بهذه الأمة وتوقف ابن عبد البر وانتصر السيوطي في هذا للحكيم الترمذي قال الامام المحقق ابن القيم في الروح بعد ذكره الاقوال الثلاثة والظاهر والله أعلم ان كل نبي مع أمته كذلك يعني يسئل عنه كنبينا صلى الله عليه وسلم مع أمته وانهم يعذبون في قبورهم بعد السؤال لهم واقامة الحجة عليهم كما يعذبون في الآخرة بعد السؤال واقامة الحجة واستدل الحكيم الترمذي على عدم السؤال أن الامم قبل هذه الأمة كانت الرسل تأتيهم بالرسالة فاذا أبو كفت الرسل واعتزلوهم وعوجلوا بالعذاب قال فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالرحمة أمسك عنهم العذاب واعطي السيف حتى يدخل في دين الاسلام من دخل لمهابة السيف ثم يرسخ الايمان في قلبه فمن هنا ظهر النفاق فكانوا يسرون الكفر ويعلنون الايمان وكانوا بين المؤمنين في ستر فلما ماتوا قيض الله لهم فتاني القبر ليستخرج أمرهم بالسؤال وليميز الله الخبيث من الطيب وفيما قاله مقال من عدة أوجه نبهت على بعضها في البحور الزاخرة منها ما ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه في كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ان المعروف عند أهل العلم انه بعد نزول التوراة لم يهلك تعالى مكذبي الأمم بعذاب سماوي يعمهم كما أهلك قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم بل أمر المؤمنين بجهاد الكفار كما أمر بني اسرائيل

على لسان موسى بقتال الجبابرة وقتال يوشع للكفار مشهور وكذا داود وسليمان وغيرهم من الانبياء صلوات وسلامه عليهم أجمعين

﴿ السادس ﴾

ذكر الحافظ جلال الدين السيوطي أنه وقع فى فتاوى شيخه علم الدين البلقيني ان الميت يجيب السؤال باللغة السريانية قال ولم أقف لذلك على مستند انتهى قال فى التذكرة ان قيل كيف يخاطب الملكان جميع الموتى في الاماكن المتباعدة فى الوقت الواحد فالجواب ان عظم خلقهما يقتضي ذلك فيخاطبان الخلق الكثير فى الجهة الواحدة فى المرة الواحدة مخاطبة واحدة بحيث يخيل لكل من المخاطبين أنه المخاطب دون من سواه ويمنعه الله من سماع جواب بقية الموتى وقال السيوطى ويحتمل تعدد الملائكة لذلك كما فى الحفظة ونحوهم وقاله الحليمي من الشافعية ولا يخفى ما في هذا(١) و بالله التوفيق

(تتمة) ورد فى صحيح الاخبار ان بعض الناس من الموتى لا تنالهم فتنة القبر ولا يأتيهم الفتانان وذلك على ثلاثة أنحاء مضاف الى عمل ومضاف الى حال ابتلاء نزل بالميت ومضاف الى زمان كالشهداء ومن لقي العدو فصبر حتى يقتل أو يَغلب. والمرابطين في سبيل الله والمراد ان من مات مرابطا لم يفتن في قبره وروي أن سورة تبارك كل ليلة من قرأها عصم من فتنة القبر ومن مات يوما الجمعة أو ليلة الجمعة كفي فتنة القبر وأخرج أبو نعيم في الحلية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذي مات فيه لم يفتن في قبره وأمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى تجيزه الصراط الى الجنة» ومن لا يسئل الملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام وأما الجن فالادلة تعمهم ويسئلون لانهم مكلفون في الجملة كما نص عليه علماؤنا وغيرهم وبالله التوفيق

(١) قوله ولا يخفى ما فيه أي فى كلام الحليمي و بعده الجلال من النظر لان هذه أمور لا تثبت الا بصحيح السنة والتنزيل وليس في ذلك للاحتمال مجال وكنت سئلت عن ذلك فنقلت ما نقله الجلال عن الحليمى فى ذلك الجواب وتعقبته من غير وقوف على ما هنا والحمد لله اه ع ب اه من هامش الاصل

﴿ومنها﴾ الامور التي يجب الايمان بها وأنه حق لاترد عذاب القبر قال الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه «شرح الصدور في أحوال الموتى والقبور» قد ذكر الله عذاب القبر في القرآن في عدة اماكن كما بينته في الاكليل في أسرار التنزيل انتهى قال الحافظ ابن رجب في كتابه أهوال القبور في قوله تعالى (فلولا اذا بلغت الحلقوم ـ الى قوله ـ ان هذا لهو الحق اليقين) عن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيات قال «اذا كان عند الموت قيل له هذا فان كان من أصحاب اليمين أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وإن كان من أصحاب الشمال كره لقاء الله وكره الله لقاءه» وأخرج الامام أحمد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» فأكب القوم يبكون قال «ما يبكيكم ؟» قالوا انا نكره الموت قال «ليس ذلك ولكنه اذا حضر فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم فاذا بشر بذلك أحب لقاء الله والله للقائه أحب وأما ان كان من المكذبين فنزل من حميم وتصلية جحيم فاذا بشر بذلك كره لقاء الله والله للقائه أكره» وقال الامام المحقق ابن القيم في كتاب الروح قول السائل ما الحكمة في ان عذاب القبر لم يذكر في القرآن صريحا مع شدة الحاجة الى معرفته والايمان به ليحذره الناس ويتقى فأجاب عن ذلك بوجهين مجمل ومفصل أما المجمل فان الله تعالى أنزل على رسوله وحيين فأوجب على عباده الايمان بهما والعمل بما فيهما وهما الكتاب والحكمة قال تعالى (وأنزل عليك الكتاب والحكمة) وقال تعالى (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم ـ الى قوله ـ ويعلمهم الكتاب والحكمة) وقال تعالى (واذكرن مايتلى في بيوتكن) الآية والحكمة هي السنة باتفاق السلف وما أخبر به الرسول عن الله فهو في وجوب تصديقه والايمان به كما أخبر بها الرب على لسان رسوله فهذا أصل متفق عليه بين أهل الاسلام لاينكره الامن ليس منهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم «اني أوتيت الكتاب ومثله معه» قال المحقق واما الجواب المفصل فهو ان نعيم البرزخ وعذابه مذكور في القرآن في مواضع (منها) قوله تعالى (ولوترى اذ الظالمون في غمرات الموت) الآية وهذا خطاب لهم عند الموت قطعا وقد أخبرت الملائكة وهم الصادقون انهم حينئذ يجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله

غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ولو تأخر عنهم ذلك الى انقضاء الدنيا لما صح ان يقال لهم اليوم تجزون عذاب الهون وقوله تعالى (فوقاه الله سيئات ما مكروا ـ الى قوله ـ يعرضون عليها غدوا وعشيا) الآية فذكر عذاب الدارين صريحا لا يحتمل غيره ومنها قوله تعالى (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون، يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون) انتهى كلامه واخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو « اللهم اني أعوذ بك من عذاب القبر » وأخرج الترمذي عن علي رضي الله عنه انه قال مازلنا في شك من عذاب القبر حتى نزلت (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر) وقال ابن مسعود اذا مات الكافر أجلس في قبره فيقال له من ربك وما دينك فيقول لا أدري فيضيق عليه قبره ثم قرأ ابن مسعود (فان له معيشة ضنكا) قال المعيشة الضنك هي عذاب القبر وقال البراء بن عازب رضي الله عنهما في قوله تعالى (عذابا دون ذلك) قال عذاب القبر وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الاكبر) وكذا قال قتادة والربيع بن أنس في قوله تعالى (سنعذبهم مرتين) أحداهما في الدنيا والاخرى عذاب القبر قال الحافظ ابن رجب وقد تواترت الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في عذاب القبر في الصحيحين عن أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما انها قالت سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر قال « نعم عذاب القبر حق » وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن اللهم « اني أعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال » وأخرج أيضا مسلم وابن أبي شيبة عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم في حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه اذ حادت به فكادت أن تلقيه واذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال « من يعرف أصحاب هذه الاقبر ؟ » فقال رجل أنا فقال « متى مات هؤلاء » فقال ماتوا في الاشراك فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ان هذه الامة تبتلى في قبورها فلولا ان لا تدافنوا

لدعوت الله ان يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه» ثم اقبل علينا بوجهه فقال «تعوذوا بالله من عذاب القبر» الحديث وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أهل القبور يعذبون في قبورهم عذابا تسمعه البهائم وفي الباب عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه رواه الامام أحمد وأبو يعلى والآجري وعن أبي هريرة رضي الله عنه رواه أبو يعلى والآجري وعن أنس رضي الله عنه رواه مسلم وعن أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه رواه الشيخان وعن ابن عباس رضي الله عنهما أخرجاه وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه رواه ابن ماجه وفيه أيضا عن ابن عمر وعبد الرحمن ابن حسنة وأبي امامة وميمونة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلى ابن سبابه ويعلى ابن قرة وأم بشير وابن مسعود وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين

ماورد في ضغطة القبر وظلمته لكل واحد أخرج الامام أحمد في المسند والحكيم الترمذي في نوادر الأصول والبيهقي في كتاب عذاب القبر عن حذيفة رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فلما انتهينا الى القبر قعد على شفيره فجعل يردد بصره فيه ثم قال «يضغط فيه المؤمن ضغطة تزول منها حمائله» قال في النهاية الحمائل هنا عروق الانثيين قال ويحتمل ان يكون يراد هنا موضع حمائل السيف أي عواتقه واضلاعه وصدره وأخرج الامام أحمد والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان للقبر ضغطة لو كان أحدا منها ناجيا نجا منها سعد بن معاذ» رضي الله عنه وأخرج الامام أحمد والحكيم الترمذي والبيهقي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال لما دفن سعد بن معاذ رضي الله عنه سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبح الناس معه طويلا ثم كبر وكبر الناس ثم قالوا يارسول الله لم سبحت قال «لقد تضايق عن هذا الرجل الصالح قبره حتى فرج الله عنه» وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يوم دفن سعد بن معاذ وهو قاعد على قبره قال «لو نجا من ظلمة القبر أحد لنجا سعد بن معاذ ولقد ضمه ضمة ثم اروح عنه» رواه سعيد بن منصور والحكيم الترمذي والطبراني والبيهقي

وأخرج النسائي والبيهقي عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «هذا الذي تحرك له العرش وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفا من الملائكة لقد ضم ضمة ثم فرج عنه» يعني سعد بن معاذ قال الحسن البصري تحرك له العرش فرحاً بروحه أخرجه البيهقي في الدلائل وأخرج الحكيم الترمذي والبيهقي من طريق أبي اسحاق حدثني ابن امية وابن عبد الله انه سأل بعض أهل سعد ما بلغكم من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا فقالوا ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك قال «كان يقصر في بعض الطهور من البول» والاحاديث في هذا كثيرة مشهورة قال ابن أبي مليكة ما اجير من ضغطة القبر أحد ولا سعد بن معاذ الذي منديل من مناديله في الجنة خير من الدنيا وما فيها وقال مجاهد أشد حديث سمعناه عن النبي صلى الله عليه وسلم « ماعفي أحد من ضغطة القبر إلا فاطمة بنت أسد» فقيل يارسول الله ولا القاسم ابنك قال «ولا ابراهيم» وكان أصغرهما قال أبو القاسم السعدي في كتاب الروح له لا ينجو من ضغطة القبر صالح ولا طالح والمراد غير من استثناه النبي صلى الله عليه وسلم وهو فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف أم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وذلك لأنها ضمت المصطفى ولما ماتت سكب عليها الماء الذي فيه الكافور وألبسها قميصه واضطجع في قبرها وقال « الحمد لله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها» وكانت وفاتها في المدينة ودفنت شمال قبة عثمان في موضع يقال له الحمام وعليها قبة صغيرة كما في زبدة الاعمال مختصر تاريخ الازرقي قال أبو القاسم السعدي والفرق بين المسلم والكافر في ضمة القبر دوامها للكافر وحصول هذه الحالة للمؤمن في أول نزوله الى قبره ثم يعود الانفساح له فيه قال والمراد بضغطة القبر التقاء حاشيته على جسد الميت قال الحكيم الترمذي سبب هذه الضغطة انه مامن أحد الا وقد ألم بخطيئة ما وان كان صالحاً فجعلت هذه الضغطة جزاء لها ثم تدركه الرحمة ولذلك ضغط سعد بن معاذ رضي الله عنه قال واما الانبياء فلا نعلم ان لهم في القبور ضمة ولا سؤالا لعصمتهم أي لان السؤال عن الانبياء وما جاءوا به

فكيف يسئلون عن أنفسهم وقد ذكر الامام الحافظ ابن الجوزي في مناقب سيدنا الامام أحمد رضي الله عنه انه رآه المروذي رحمه الله بعد موته في منامه فقال له مافعل الله بك فذكر ان الملكين سألاه وقالا له من ربك فقال سبحان الله أو مثلي يسئل عن ربه فقالا لا تؤاخذنا بذا أمرنا ثم انصرفا فكيف بانبياء الله وهم المخبرون عنه الدالون عليه المجتهدون في انقاذ عباده من عقابه وغضبه الى مرضاته باذنه قال محمد التيمي ضمة القبر انما أصلها ان الارض أمهم ومنها خلقوا فغابوا عنها الغيبة الطويلة فلما ردوا اليها وهم أولادها ضمتهم ضمة الوالدة اذا غاب عنها ولدها ثم قدم فمن كان مطيعا ضمته برأفة ورفق ومن كان عاصيا ضمته بعنف سخطا لربها عليه وقد أخرج البيهقي وابن منده والديلمي وابن النجار عن عائشة رضي الله عنها انها قالت يا رسول الله انك منذ حدثتني بصوت منكر ونكير وضغطة القبر ليس ينفعني شيء قال «ياعائشة ان أصوات منكر ونكير في سماع المؤمنين كالاثمد في العين وان ضغطة القبر على المؤمن كالام الشفيقة يشكو اليها ابنها الصداع فتغمز رأسه غمزا رفيقا ولكن ياعائشة ويل للشاكين في الله كيف يضغطون في قبورهم كضغطة الصخرة على البيضة»

﴿ فوائد ﴾

﴿ الاولى ﴾ ذكر الديلمي في الفردوس عن علي رضي الله عنه رفعه «أول عدل الآخرة القبور فلا يعرف شريف من وضيع» وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الله أرحم مايكون لعبده اذا دخل قبره وتفرق عنه الناس وأهله وأخرج الديلمي عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أرحم مايكون الله بالعبد اذا وضع في حفرته» وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي عاصم الحبطي يرفعه «ان أول مايتحف به المؤمن في قبره يقال له ابشر فقد غفر لمن تبع جنازتك» وأخرجه البزار وعبيد في مسنديهما والبيهقي في الشعب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان أول مايجازى به المؤمن بعد موته ان يغفر لجميع من تبعه» وفي الباب عن جابر بن عبد الله أخرجه ابن أبي الدنيا وسلمان الفارسي أخرجه أبو الشيخ في الثواب وأبي هريرة أخرجه الحاكم في

التاريخ والبيهقي في الشعب والديلمي وأنس أخرجه الحكيم الترمذي
(الثانية) قال بعضهم من فعل سيئة فان عقوبتها تدفع عنه باحد عشرة أسباب ان يتوب فيتاب عليه أو يستغفر فيغفر له أو يعمل حسنات فتمحوها فان الحسنات يذهبن السيئات أو يبتلى في الدنيا بمصائب فيكفر عنه أو في البرزخ بالضغطة والفتنة فيكفر عنه أو يبتلى في عرصات القيامة بأهوال تكفر عنه أو تدركه شفاعة نبيه صلى الله عليه وسلم أو رحمة ربه تبارك وتعالى وتقدم في التوبة طرف صالح من هذا و بالله التوفيق
(الثالثة) الاسباب التي يعذب بها أصحاب القبور على قسمين مجمل ومفصل أما المجمل فانهم يعذبون على جهلهم بالله وإضاعتهم لامره وارتكابهم معاصيه فلا يعذب الله روحا عرفته وأحبته وامتثلت أمره واجتنبت نهيه ولا بدنا كانت فيه أبدا فان عذاب القبر بل وعذاب الآخرة اثر غضب الله وسخطه على عبده فمن اغضب الله واسخطه في هذه الدار بارتكاب مناهيه ولم يتب ومات على ذلك كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه فمستقل ومستكثر ومصدق ومكذب واما المفصل فقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجلين الذين رآهما يعذبان في قبورهما أن أحدهما كان يمشي بالنميمة بين الناس والآخر كان لايستتر من البول والحديث في الصحيحين وغيرهما ولفظه مر النبي صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال «انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستتر من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة» ثم أخذ جريدة رطبة فشقها باثنتين ثم غرز على كل قبر منهما واحدة قالوا لم فعلت هذا يارسول الله قال لعله يخفف عنهما مالم ييبسا قال الحافظ ابن رجب في كتابه أهوال القبور وقد روي هذا عن النبي صلى الله عليه بهذا المعنى من وجوه متعددة من حديث أبي بكر وعائشة وأبي هريرة وأنس وابن عمر وأبي أمامة وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين قال المحقق ابن القيم في الروح فهذا ترك الطهارة الواجبة وذلك ارتكب السبب الموقع للعداوة بين الناس بلسانه وان كان صادقا وفيه تنبيه على أن الموقع بينهم العداوة بالكذب والزور والبهتان أعظم عذابا كما ان في ترك الاستبراء من البول تنبيها على ان من ترك الصلاة التي الاستبراء من البول بعض شروطها أشد عذابا وفي شعبة

أما أحدها فكان يأكل لحوم الناس فهذا مغتاب وذاك نمام وفي صحيح البخاري في تعذيب من يكذب الكذبة فتبلغ الآفاق وفى حديث ابن مسعود فى الذي ضرب فى قبره سوطا امتلأ القبر عليه نارا لكونه صلى صلاة واحدة بغير طهور ومر على مظلوم فلم ينصره وتعذيب من يقرأ القرآن ثم ينام عنه بالليل ولا يعمل به فى النهار وتعذيب الزناة والزواني وتعذيب آكل الربا كما شاهدهم النبي صلى عليه وسلم في البرزخ وحديث أبي هريرة وفيه رضخ رؤوس أقوام بالصخر لتثاقل رؤسهم عن الصلاة والذين يأكلون الزقوم والضريع لتركهم الزكاة والذين يأكلون اللحم المنتن الخبيث لزناهم والذين تقرض شفاههم بمقاريض من حديد لقيامهم فى الفتن بالكلام والخطب.

ومن الذين يعذبون فى قبورهم وأخبر عنهم النبي صلى الله عليه وسلم الجبارون والمتكبرون والمراءون والهمازون واللمازون والطعانون على السلف والذين يأتون الكهنة والمنجمين والعرافين فيسألونهم ويصدقونهم وأعوان الظلمة الذين باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم ونحو هؤلاء ممن يشتغل بذنوب الناس عن ذنبه وبعيوبهم عن عيبه فكل هؤلاء وامثالهم يعذبون فى قبورهم بهذه الجرائم بحسب كثرتها وقلتها وصغرها وكبرها ولما كان أكثر الناس كذلك كان أصحاب القبور معذبين والفائز منهم قليل فظواهر القبور تراب وبواطنها حسرات وعذاب فنسأل الله تعالى العافية والرحمة والعفو والغفران وبالله الاعانة والعون

(الرابعة) الاسباب المنجية من عذاب القبر على قسمين أيضاً مجمل ومفصل أما المجمل فهو بحسب تلك الاسباب التي تقتضي العذاب ومن أنفعها ان يجلس عند ما يريد النوم لله ساعة يحاسب نفسه فيها على ماخسره وربحه في يومه ثم يجدد له توبة نصوحاً بينه وبين الله فينام على تلك التوبة ويعزم على أن لا يعود الى الذنب اذا استيقظ ويفعل هذا كل ليلة فان مات من ليلته مات على توبة وان استيقظ استيقظ مستقبلاً للعمل مسروراً بتأخير الاجل وليس للعبد أنفع من هذه التوبة ولا سيما اذا عقب ذلك بذكر الله واستعمال السنن التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند النوم حتى يغلبه النوم فمن أراد الله به

خيرا وفقه لذلك ولا قوة الا بالله واما المفصل فمنها ما رواه مسلم في صحيحه من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه وان مات أجري عليه عمله الذي كان يعمله وأجري عليه رزقه وأمن الفتان» وفي سنن الترمذي من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «كل ميت يختم على عمله الا الذي مات مرابطاً في سبيل الله فانه يجري عليه عمله الى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر» قال الترمذي حديث حسن صحيح وتقدم ذكر الشهداء والذي يقرأ تبارك الملك فمن ابن عباس رضي الله عنهما قال ضرب رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لايحسب انه قبر فاذا قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ضربت خبائي على قبر أنا لاأحسب انه قبر فاذا قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر» قال الترمذي حديث حسن غريب قال الامام المحقق ابن القيم في كتاب الروح رأينا في مسند عبد بن حميد عن ابراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لرجل ألا أتحفك بحديث تفرح به قال الرجل بلى قال اقرأ (تبارك الذي بيده الملك) احفظها وعلمها أهلك وولدك وصبيان بيتك وجيرانك فانها المنجية والمجادلة تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها وتطلب له الى ربها أن ينجيه من عذاب القبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لوددت أنها في قلب كل انسان من أمتي» قال أبو عمر بن عبد البر وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال «ان سورة ثلاثين آية شفعت في صاحبها حتى غفر له — تبارك الذي بيده الملك»

﴿تنبيهات﴾

الاول أنكرت الملاحدة والزنادقة عذاب القبر وسعته وضيقه وكونه حفرة من حفر النار أوروضة من رياض الجنة وانكروا جلوس الميت في قبره قالوا وقد وضعوا على صدر الميت زيبقا فكشفوا عنه فوجدوه بحاله ولم يجدوا فيه ملائكة

يضربون الموتى بمطارق الحديد ولا وجدوا حيات ولا عقارب ولا نيرانا واجيبوا وأجلبوا من مثل هذه الوساوس والترهات وقال اخوانهم من أهل البدع والضلال كل حديث يخالف مقتضى العقول نقطع بتخطئة ناقله قالوا ونحن نرى المصلوب على الخشبة المدة الطويلة لا يسئل ولا يجيب ولا يتحرك ولا يتوقد جسمه ناراً قالوا ومن افترسته السباع ونهشته الطير وتفرقت أجزاؤه في حواصل الطيور واجواف السباع و بطون الحيتان ومدارج الرياح كيف يسئل وكيف يصير القبر على مثل هذا روضة أوحفرة وكيف يتسع قبره أو يضيق وأكثروا من هذا الهذيان

وأجاب عن ذلك أئمة الحق من علماء السنة وأمناء الأمة بما يقمع المفترين ويقلع عن الشاكين منهم الامام المحقق ابن القيم في كتاب الروح فانه أجاب عن ذلك بعدة أجوبة (منها) ان الرسل عليهم الصلاة والسلام لم تخبر بما تحيله العقول بل أخبارهم قسمان أحدهما مايشهد العقل والفطرة السليمة به والثاني مالا تدركه العقول بمجردها كالغيوب التي أخبروا بها عن تفاصيل البرزخ واليوم الآخر والثواب والعقاب فلا يكون خبرهم محالا في العقول أصلا والحاصل ان الانبياء لا تأتي بمحالات العقول بل بمحاراتها فكل خبر يظن ان العقل يحيله فلا يخلو من احد أمرين اما خطأ في النقل أو فساد في العقل فتكون شبهة خيالية ظن صاحبها انها أمر عقلي صريح والحال انه خيال وهمي غير صحيح قال تعالى (ويرى الذين أوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق) واما الذين في قلوبهم زيغ فلا يزدادون الارجسا على رجسهم (ومنها) ان يفهم الى خبر الرسول مراده من غير غلو ولا تقصير ولا يحمل كلامه على مالا يحتمله ولا يقصر به عن مراده وعما قصده من الهدى والبيان وباهمال ذلك حصل ماحصل من الضلال والعدول عن نهج الصواب (ومنها) ان الله سبحانه جعل الدور ثلاثة دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار وجعل لكل دار أحكاما تختص بها وركب هذا الانسان من بدن ونفس وجعل أحكام الدنيا على الابدان والارواح تبع لها ولهذا جعل أحكام الشريعة مرتبة على مايظهر من حركات الانسان والجوارح وان اضمرت النفوس خلافه فالعقوبات الدنيوية تقع على البدن الظاهر وتتألم الروح بالتبعية وجعل أحكام البرزخ على الارواح

والابدان تبع لها فكما تبعت الارواح الابدان في أحكام الدنيا فتألمت بألمها والتذت براحتها ولذتها وكانت هي المباشرة لاسباب النعيم والعذاب فكذلك تبعت الابدان الارواح فى نعيمها وعذابها وكان العذاب والنعيم على الروح ولها بالاصالة والبدن تابع للروح في ذلك عكس دار الدنيا فاذا كان يوم حشر الاجساد وقيام الناس من قبورهم لدار القرار والمعاد صار الحكم من النعيم والعذاب وغيرهما على الارواح والاجساد باديا ظاهرا أصلا وماأخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من عذاب القبر ونعيمه من هـذا القبيل فاذا ظهر للذوق السليم طابق العقل المستقيم (ومنها) ان الله تعالى جعل أمر الآخرة وما كان متصلا بها غيبا وحجبها عن ادراك العقول في هذه الدار وذلك من كمال حكمته وليتميز الذين آمنوا بالغيب من غيرهم فأول ذلك الملائكة تنزل على المحتضر وتجلس قريبا منه ويشاهدهم عيانا و يتحدثون عنده ومعه وربما كلمهم ورد أجوبة لهم وتكون معهم الأكفان والحنوط إما من الجنة واما من النار ويؤمنون على دعاء الحاضرين بالخير والشر وقد يسلمون على المحتضر ويرد عليهم السلام تارة بلفظه وتارة باشارة وتارة بقلبه اذا لم يتمكن من النطق والاشارة وقـد سمع بعض المحتضرين يقول أهلا وسهلا ومرحبا بهذه الوجوه ومن ذلك حكايات كثيرة وقد شاهدنا من ذلك مالم يخطر بالبال ولا يتصوره الخيال (ومنها) ان النار التي في القبر ليست من نار الدنيـا فيشاهدها من شاهـد نار الدنيا وانما هي من نار الآخرة فهي وان كانت أشد من نار الدنيا الا ان شـدتها على من هي له وعليه دون من مسها من أهل الدنيا بل ربما دفن الرجلان في قبر واحد فيكون أحدهما في روضـة ونعيم والآخر في حفرة وعـذاب اليم وقـدرة الرب أعظم وأعجب من ذلك ولكن الكافرون لايشعرون (ومنها) أن الله سبحانه وتعالى يحدث في هذه الدار ماهو أعجب من ذلك فهذا جبريل عليه السلام كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم ويتمثل له رجلا فيكلمه بكلام يسمعه ومن الى جانب النبي صلى الله عليـه وسلم لايراه وكذلك غيره من الانبياء وكانت الملائكة تضرب الكفار بالسياط وتضرب رقابهم وتصيح بهم والمسلمون معهم لايرونهم ولا يسمعون كلامهم والله سبحانه

وتعالى حجب ابن آدم عن كثير مما يحدث الله في الارض وهو بينهم فهذا جبريل كان يدارس النبي صلى الله عليه وسلم القرآن والحاضرون لا يسمعونه وكيف يستنكر من عرف الله وأقر بقدرته أن يحدث حوادث يصرف عنها أبصار خلقه وأسماعهم حكمة منه ورحمة بهم لانهم لا يطيقون رؤيتها وسماعها والعبد أضعف بصراً وسمعا من أن يثبت المشاهدة عذاب القبر وكثيرا ممن أشهده الله ذلك ضعف وغشي عليه ولم ينتفع بالعيش زمنا و بعضهم كشف قناع قلبه فمات وسر المسئلة أن توسعة القبر وضيقه واضاءته وخضرته وناره ليس من جنس المعهود في هذا العالم والله سبحانه انما أشهد عباده هذه الدار وما كان فيها ومنها واما ما كان من أمر الآخرة فقد أسبل عليه الغطاء ليكون الاقرار به والايمان سببا لسعادتهم ولو كشف عنه الغطاء لكان مشاهدا عيانا وفاتته نتيجة الايمان بالغيب وما يترتب على ذلك من الثواب قلت وحاصل ذلك ان ما اخبر به الصادق المصدوق وجب الايمان به وقد تواتر عنه ذلك كما قدمنا ولم تحله العقول وحيث كان ممكنا فمعارضة صحيح الاخبار إلحاد وهو كما انه مقتضى السنة الصحيحة متفق عليه بين أهل السنة قال المروذي قال أبو عبد الله الامام أحمد رضي الله عنه عذاب القبر حق لا ينكره الا ضال مضل وقال حنبل قلت لابي عبد الله في عذاب القبر فقال هذه احاديث صحاح نؤمن بها ونقر بها كلما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم اسناد جيد أقررنا به اذا لم نقر بما جاء به الرسول ودفعناه ورددناه رددنا على الله أمره قال الله تعالى (وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) قلت وعذاب القبر حق قال حق يعذبون في القبور قال وسمعت أبا عبد الله يقول نؤمن بعذاب القبر وبمنكر ونكير وما يروى في عذاب القبر فقال سبحان الله نعم نقر بذلك قلت هذه اللفظة نقول منكر ونكير هكذا أو نقول ملكين قال منكر ونكير قلت يقولون ليس في حديث منكر ونكير قال هو هكذا يعني انهما منكر ونكير. قال الامام ابن القيم في كتابه الروح واما أئمة أهل البدع والضلال فقال أبو الهذيل و بشر المريسي من خرج عن سمة الايمان فانه يعذب بين النفختين قالا والمسئلة في القبر انما تقع في ذلك الوقت قال ابن القيم واثبت الجبائي وابنه والبلخي عذاب القبر لكنهم نفوه عن المؤمنين واثبتوه

لاصحاب التخليد من الكفار والفساق على أصولهم و بالله التوفيق

﴿ التنبيه الثاني ﴾

الحق عند أهل السنة ان عذاب القبر على النفس والبدن قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعا باتفاق أهل السنة والجماعة تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن وتنعم وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصل بها فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين كما يكون على الروح منفردة عن البدن وهل يكون العذاب والنعيم للبدن بدون الروح فيه قولان مشهوران لاهل الحديث والسنة وأهل الكلام قال شيخ الاسلام وفي المسئلة أقوال شاذة ليست من أقوال أهل السنة والحديث أحدها قول من يقول ان النعيم والعذاب لا يكون الا على الروح وان البدن لا ينعم ولا يعذب قال وهذا تقوله الفلاسفة المنكرون لمعاد الابدان وهؤلاء كفار باجماع المسلمين ويقوله كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم الذين يقرون بمعاد الابدان لكن يقولون لا يكون ذلك في البرزخ وانما يكون عند القيام من القبور وهؤلاء ينكرون عذاب البدن في البرزخ فقط ويقولون ان الارواح هي المنعمة والمعذبة في البرزخ فاذا كان يوم القيامة عذبت الروح والبدن معاً قال وهذا قاله طوائف من المسلمين من أهل الكلام والحديث وغيرهم وهو اختيار ابن حزم وابن مرة قال وهذا ليس من الاقوال الشاذة بل هو مضاف الى قول من يقر بعذاب القبر ويقر بالقيامة ويثبت معاد الابدان والارواح ولكن هؤلاء لهم في عذاب القبر ثلاثة أقوال على الروح فقط عليها وعلى البدن بواسطتها على البدن فقط وهل يضم الى ذلك القول الثاني وهو قول من يثبت عذاب القبر ويجعل الروح هي الحياة ويجعل الفساد قول منكر عذاب الابدان مطلقا وقول من ينكر عذاب الروح مطلقا فاذا جعلت الاقوال الشاذة ثلاثة (فالقول الثاني) الشاذ قول من يقول ان الروح بمفردها لا تنعم ولا تعذب وانما الروح هي الحياة وهذا يقوله طوائف من أهل الكلام من المعتزلة والاشعرية كالقاضي أبي بكر الباقلاني وغيره و ينكرون أن الروح تبقى بعد فراق البدن وهو قول باطل وقد خالفه أصحابه أبو المعالي الجويني وغيره بل قد ثبت بالكتاب

والسنة واتفاق الامة أن الروح تبقى بعد فراق البدن وأنها منعمة أو معذبه. قال والفلاسفة الالهيون يقرون بذلك لكن ينكرون معاد الابدان وهؤلاء يقرون بمعاد الابدان لكن ينكرون معاد الأرواح ونعيمها وعذابها بدون الأبدان وكلا القولين خطأ وضلال نعم قول الفلاسفة أبعد عن أقوال أهل الاسلام وان وافقهم عليه من يعتقد أنه يتمسك بدين الاسلام بل يظن انه من أهل المعرفة والتصوف والكلام (القول الثالث) من الشواذ قول من يقول أن البرزخ ليس فيه نعيم ولا عذاب بل يكون ذلك حتى تقوم الساعة الكبرى كما يقول ذلك بعض المعتزلة وغيرهم ممن ينكر عذاب القبر ونعيمه بناء على ان الروح لا تبقى بعد فراق البدن وان البدن لا ينعم ولا يعذب فجميع هؤلاء الطوائف ضلال في أمر البرزخ الا أنهم خير من الفلاسفة لأنهم مقرون بالقيامة الكبرى انتهى فاذا علمت هذه الاقوال وعرفت بطلانها فاعلم أن مذهب سلف الامة وأئمتها أن الانسان اذا مات يكون في نعيم أوعذاب وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه وان الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة وانها تتصل بالبدن احيانا فيحصل له معها النعيم والعذاب ثم اذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الارواح الى الاجساد وقاموا من قبورهم الى رب المعاد قال ابن القيم والذين قالوا إن عذاب القبر يجري على الميت من غير رد الارواح الى الاجساد وان الميت يجوز ان يألم ويحس بالالم ويعلم بلا روح هم جماعة من الكرامية ومن وافقهم وقال جماعة من المعتزلة أن الله سبحانه يعذب الموتى في قبورهم ويحدث فيهم الآلام وهم لا يشعرون فاذا حشروا وجدوا تلك الآلام وأحسوا بها قالوا وسبيل المعذبين من الموتى سبيل السكران والمغمى عليه لو ضربوهم لم يجدوا الآلام فاذا عاد اليهم العقل أحسوا بألم الضرب وأنكر جماعة منهم عذاب القبر رأسا مثل ابن عمر ويحيى بن كامل وهو قول المريسي فهذه أقوال أهل الحيرة والضلال وقد علمت مذهب سلف الامة وأعيان الأئمة والله أعلم

﴿ الثالث ﴾

تقدم ان عذاب القبر هو عذاب البرزخ فكل من مات وهو مستحق للعذاب

ناله نصيبه منه قبرا ولم يقبر وفي صحيح البخاري من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه في ذكر منام النبي صلى الله عليه وسلم الطويل ورويته للمعذبين وكيف يعذب فانه نص في عذاب البرزخ ورؤيا الانبياء وحي مطابق لما في نفس الامر والله التوفيق

﴿الرابع﴾

زعم أبو محمد بن حزم في كتاب الملل والنحل له أن من ظن الميت يحيي في قبره قبل يوم القيامة فقد أخطأ قال لان الآيات تمنع من ذلك يعني قوله تعالى (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) وقوله تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم) قال ولو كان الميت يحيا في قبره لكان الله تعالى قد أماتنا ثلاثا وأحيانا ثلاثا قال وهذا باطل وخلاف القرآن الا من أحياه الله تعالى آية لنبي من الانبياء والذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم والذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها ومن خصه نص وكذلك قوله تعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى) قال فصح بنص القرآن ان أرواح سائر من ذكرنا لا ترجع الى أجسادهم الا الى أجل مسمى وهو يوم القيامة وذكر من مثل هذ التخيلات وهي آيات محكمات حملها على غير محاملها ثم قال ولم يأت قط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خبر صحيح ان أرواح الموتى ترد الى أجسادهم عند المسألة ولو صح ذلك عنه لقلنا به قال وانما تفرد بهذه من رد الارواح الى الاجساد في القبور المنهال ابن عمرو وليس بالقوي تركه سعيد وغيره وقال فيه المغيرة بن مقسم الضبي وهو أحد الأئمة ماجازت للمنهال بن عمرو قط شهادة في الاسلام على ما قد نقل وسائر الاخبار الثابتة على خلاف ذلك قال وهذا الذي قال وهو الذي صح أيضاً عن الصحابة وذكر آثارا يزعم انها تدل على ماقال قال الامام المحقق ابن القيم ان أراد ابن حزم بقوله من ظن أن الميت يحيا في قبره خطأ الحياة المعهودة في الدنيا التي تقوم فيها الروح بالبدن وتصرفه وتدبره ويحتاج معها الى الطعام والشراب واللباس فهذا خطأ كما قال والحس والعقل يكذبه كما يكذبه النص وان أراد به حياة

أخرى غير هذه الحياة بل تعاد الروح اليه اعادة غير الاعادة المألوفة في الدنيا ليسئل و يمتحن في قبره فهذا حق ونفيه خطأ وقد دل عليه النص الصحيح الصريح وهو قوله «فتعاد روحه في جسده» في حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله كأن على رؤسنا الطير وهو يلحد فقال «أعوذ بالله من عذاب القبر» ثلاث مرات ثم قال «ان العبد المؤمن اذا كان في اقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت اليه ملائكة كأن وجوههم الشمس فجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس المطمئنة اخرجي الى مغفرة من الله ورضوان قال فتسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها فاذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كاطيب نفحة مسك وجدت على وجه الارض قال فيصعدون بها الحديث وفيه فيقول الله تعالى ا كتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه الى الارض فاني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله فيقولان له ما دينك فيقول ديني الاسلام فيقولان له ماهذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان له وما علمك فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت الحديث وكذلك في حق الكافر وفيه فتعاد روحه جسده و يأتيه ملكان فيجلسانه الحديث رواه الامام أحمد وأبو داود وروى النسائي وابن ماجه أوله ورواه أبو عوانة الاسفرائني

قال ابن القيم ان قوله « ثم تعاد روحه في جسده» لا يدل على حياة مستقرة وانما يدل على اعادة لها الى البدن وتعلق به والروح لم تزل متعلقة ببدنها وان بلي وتمزق وسر ذلك ان الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الاحكام (أحدها) تعلقها به في بطن الأم جنينا (الثاني) تعلقها به بعد خروجه الى وجه الارض (الثالث) تعلقها به في حال النوم فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه (الرابع) تعلقها به في البرزخ فانها وإن فارقته وتجردت عنه فانها لم تفارقه فراقا كليا بحيث لا يبقى لها اليه التفات البتة وقد ذكرنا من الاحاديث مايدل على ردها اليه وكذلك ثبت

انها ترد اليه عند سلام المسلم وهذا الرد اعادة خاصة لاتوجب حياة البدن قبل يوم القيامة (الخامس) تعلقها به يوم بعث الاجساد وهو أكمل تعلقاتها بالبدن ولا نسبة لماقبله من أنواع التعلق اليه اذهو تعلق لايقبل البدن معه فوتا ولا نوما ولافسادا وقول ابن حزم في المنهال ماقال تحامل منه بارد فالمنهال بن عمرو أحد الثقات العدول قال الامام يحيى بن معين المنهال ثقة وقال العجلي كوفي ثقة وأعظم ماقيل فيه انه سمع من بيته صوت غناء وهذا لايوجب القدح في روايته وتضعيف ابن حزم له غير معتبر فانه لم يذكر موجبا لتضعيفه غير تفرده بقوله فتعاد روحه في جسده وقد استدرك عليه زعمه تفرده بها الامام المحقق ابن القيم و بين انه لم ينفرد بها بل رواها غيره وقد روي ماهو ابلغ منها ونظيرها كقوله فترد اليه روحه وقوله فيستوي جالسا وقوله فيجلسانه وقوله فيجلس في قبره وكلها أحاديث صحاح لامغمز فيها والاحاديث الصحيحة صريحة بخلاف مازعم ابن حزم وأطال ابن القيم في ذلك بما يشفي ويكفي و بالله التوفيق

﴿ فصل ﴾

في ذكر الروح والكلام عليها وقد أشار الى قطرة من بحرلجي من متعلقاتها فقال

﴿وان أرواح الورى لم تعدم مع كونها مخلوقة فاستفهم﴾

﴿و﴾ ممايبنغي العلم به ﴿ان أرواح﴾ بني آدم جمع روح قد اختلف في حقيقتها وهل هي النفس أوغيرها وهل هي جزء من البدن أو عرض من أعراضه أوجسم مساكن له مودع فيه أوجوهر مجرد قد تكلم الناس في هذه المسائل من سائر الطوائف واضطربت فيها أقوالهم وكثر فيها خطاؤهم ومن الناس من أمسك عن الكلام والخوض فيها لقوله تعالى (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) الآية وهدى الله أتباع الرسول وسلف الأمة وأهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . قال الامام ابن القيم بعد ماساق أقوال الناس في حقيقة الروح على اختلاف مذاهبهم وتباين آرائهم وذكر عدة مذاهب وزيفها ثم قال والصحيح ان الروح جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الاعضاء

و يسري فيها سر يان الماء في الورد وسر يان الدهن في الزيتون والنار في الفحم فادامت هذه الاعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي هذا الجسم اللطيف متشابكا بهذه الاعضاء وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة والارادة واذا فسدت هذه الاعضاء بسبب استيلاء الاخلاط الغليظة عليها و خرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن وانفصل الى عالم الارواح قال وهذا القول هو الصواب في المسئلة وهو الذي لا يصح غيره وكل الأقوال سواه باطلة وعليه دل الكتاب والسنة واجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة وذكر له مائة دليل وخمسة عشر دليلا وأجاد وأفاد وزيف كلام ابن سينا وابن حزم وامثالهما ونحوهما

﴿فائدة﴾

ذكر بعض المتكلمين ان محل الروح القلب واستدل له بحديث ابن عساكر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «أما النفس ففي القلب والقلب بالنياط والنياط يسقي العروق فاذا هلك القلب انقطع العرق» وهذا حديث مرسل وقال الحافظ ابن حجر في الاصابة فيه غريب كثير واسانيده ضعيفة جداً والله أعلم واما اختلاف الناس في الروح وهل هي النفس أوغيرها فمن الناس من قال هما اسمان لمسمى واحد وهذا قول الجمهور وقيل بل هما متغايران قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه الروح النفس تطلق على أمور (أحدها) الروح قال الجوهري النفس الروح يقال خرجت نفسه قال أبو خراش

نجا سالما والنفس منه بشدقه ولم ينج الاجفن سيف ومئزر

أي بجفن سيف ومئزر والنفس الدم يقول سالت نفسه وفي الحديث «مالا نفس له سائلة لا ينجس الماء اذا مات فيه» والنفس الجسد قال الشاعر

نبئت ان بني تميم ادخلوا أنيابهم تامور نفس المنذر

والتاموز الدم والنفس العين يقال اصابت فلانا نفس أي عين قال ابن القيم ليس كما قال فالنفس هاهنا الروح ونسبة الاصابة الى العين توسع لأنها تكون بواسطة النظر والذي أصابه انما هو نفس العائن وتطلق النفس على الذات كقوله تعالى (فسلموا على أنفسكم ـ ولا تقتلوا أنفسكم ـ يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها ـ

كل نفس بما كسبت رهينة) وتطلق النفس على الروح وحدها كقوله تعالى (ياأيتها النفس المطمئنة- وأخرجوا أنفسكم- ونهى النفس عن الهوى) وقوله (ان النفس لامارة بالسوء- ولا اقسم بالنفس اللوامة) واما الروح فلا تطلق على البدن لا بانفراده ولا مع النفس وتطلق الروح على القرآن كقوله تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا) وعلى الوحي كقوله تعالى (يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق) وقال (و ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده ان أنذروا انه لا آله الا أنا فاتقون) وانما سمي ذلك روحا لما يحصل به من الحياة النافعة فان الحياة بدونه لاتنفع صاحبها البتة بل حياة الحيوان البهيم خير منها وأسلم عاقبة وسميت الروح روحالان بها حياة البدن وكذلك سميت الريح ريحاً لما يحصل بها من الحياة وهي من ذوات الواو ولهذا تجمع على أرواح قال الشاعر

اذا هبت الارواح من نحو أرضكم وجدت لمسراها على كبدي بردا

ومنها الروح والريحان والاستراحة فسميت النفس روحا لحصول الحياة بها وسميت نفسا اما من الشيء النفيس لنفاستها وشرفها واما من تنفس الشيء اذا خرج فلكثرة خروجها ودخولها في البدن سميت نفسا ومن النفس بالتحريك فان العبد كل ما نام خرجت منه فاذا استيقظ رجعت اليه فاذا مات خرجت خروجاً كليا واذا دفن عادت اليه فاذا سئل خرجت فاذا بعث عادت اليه أي رجعت له قال الامام ابن القيم والفرق بين النفس والروح فرق بالصفات لا فرق بالذات وانما سمى الدم نفسا لان خروجه الذي يكون مع الموت يلازم خروج النفس وأن الحياة لاتتم الا به كما لاتتم الا بالنفس فلهذا المعنى قال السموأل

تسيل على حد الظبات نفوسنا وليست على غير الظبات تسيل

ويقال فاضت نفسه وخرجت نفسه وفارقت كما يقال خرجت روحه وفارقت ولكن الفيض الاندفاع بكثرة وسرعة يقال أفاض اذا دفع باختياره وارادته وفاض اذا دفع قهراً أو قسراً فالله سبحانه هو الذي يفيضها عند الموت فتفيض هي وقالت فرقة من أهل الحديث والفقه والتصوف الروح غير النفس قال مقاتل بن سليمان للانسان حياة وروح ونفس فاذا نام خرجت نفسه التي يعقل بها الاشياء ولم تفارق الجسد بل تخرج في كحبل

ممتد له شعاع فيرى الرؤيا بالنفس التي خرجت منه وتبقى الحياة والروح في الجسد فيه يتقلب ويتنفس فاذا حرك رجعت اليه الروح اسرع من طرفة عين فاذا أراد الله تعالى أن يميته في المنام أمسك تلك النفس التي خرجت وقال أيضا اذا نام خرجت نفسه وصعدت الى فوق فاذا رأت الرؤيا رجعت فاخبرت وتخبر الروح القلب فيصبح ويعلم انه قد رأى كيت وكيت وقال أبو عبدالله بن منده من علمائنا ثم اختلفوا في معرفة الروح والنفس فالنفس طينة نارية والروح نورية روحانية وزعم بعضهم أن الروح لاهوتية والنفس ناسوتية وأن الخلق بها ابتلي . وقال طائفة من أهل الاثر أن الروح غير النفس والنفس غير الروح وقوام النفس بالروح والنفس صورة العبد والهوى والشهوة والبلاء معجون فيها ولا عدو أعدى لابن آدم منها فالنفس لا تريد الا الدنيا ولا تحب الا اياها والروح تدعو الى الآخرة وتؤثرها وجعل الهوى تبعا للنفس والشيطان مع النفس والهوى وجعل الملك مع العقل والروح والله سبحانه وتعالى يمدهما بالهامه وتوفيقه وقال بعضهم الارواح من أمر الله أخفى حقيقتها وعلمها عن الخلق وقال بعضهم الارواح نور من نور الله وحياة من حياة الله وقالت طائفة للمؤمن ثلاث أرواح وللكافر والمنافق روح واحدة وقال بعضهم للانبياء والصديقين خمسة أرواح وقال بعضهم الارواح روحانية خلقت من الملكوت فان صفت رجعت الى الملكوت ذكر هذا كله الامام ابن القيم في كتابه الروح ثم قال قلت الروح التي تتوفى وتقبض روح واحد وهي النفس وأما ما يؤيد الله به أولياءه من الروح فهي روح أخرى غير هذه الروح كما قال تعالى (أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه) وكذا التي أيد بها عيسى بن مريم عليه السلام في قوله تعالى (اذ كرنعمتي عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس) وكذلك الروح التي يلقيها على من يشاء من عباده وهي غير الروح التي في البدن وأما القوى التي في البدن وان أطلق عليها أرواحا(١) كما يقال الروح الباصرة والروح السامعة والروح الشامة فهي قوى مودعة

(١) قوله وان أطلق عليها أرواحا الخ الذي في كتاب الروح « فانها تسمى أيضا أرواحا » الخ ولا يخلو كثير نقله من مثل هذا التصرف ولا تعرض له

في الابدان تموت بموت الابدان وهي غير الروح التي لا تموت بموت البدن ولا تبلى كما يبلى قال وتطلق لروح على أخص من هذا كله وهو قوة المعرفة بالله تعالى والانابة اليه ومحبته وانبعاث الهمة الى طلبه وارادته ونسبة هذا الى الروح كنسبة الروح الى البدن فاذا فقدتها الروح كانت بمنزلة البدن اذا فقد روحه وهي الروح التي يويد بها أهل ولايته ولهذا يقال فلان فيه روح وفلان ما فيه روح وللمحبة روح وللانابة روح وللتوكل والصدق روح والناس متفاوتون في هذه الارواح أعظم تفاوت فمنهم من تغلب عليه هذه الارواح فيصير روحانيا ومنهم من يفقدها أو أكثرها فيصير أرضيا بهيميا والله المستعان ﴿الورى﴾ محله جر بالاضافة الى الارواح أي أرواح الورى قال في القاموس والورى كفتى الخلق والمراد بنو آدم ومثلهم الجن فيما يظن لان التكليف والمعاد والحساب يشملهم ﴿لم تعدم﴾ بموت الابدان التي كانت فيها أولا تموت هي ولا تفنى وزعمت طائفة أنها تموت وتذوق الموت لانها نفس وكل نفس ذائقة الموت قالوا ودلت الادلة على انه لا يبقى الا الله تعالى وحده كما قال تعالى (كل من عليها فان و يبقى وجه ربك ذو الجلال والا كرام) وقال تعالى (كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون) قالوا واذا كانت الملائكة تموت فالنفوس البشرية أولى والدليل على عدمها عدم قدمها ولهذا قال الصواب عدم عدمها ﴿مع كونها﴾ أي الارواح ﴿مخلوقة﴾ لله تعالى ومحدثة ومربوبة اوجدها بعد ان لم تكن ﴿فاستفهم﴾ أي طلب علم ذلك من مظانه واستكشفه من مكانه يقال فهم كفرح فهماً ويحرك وهي أفصح وفهامه وفهامية علم الشيء وعرفه بالقلب وهو فهم ككتف سريع الفهم واستفهمني طلب مني فهم المطلوب فأفهمته وفهمته فالفهم قوة من شأنها ان تعد النفس لاكتساب الآراء والذكاء جودة تلك القوة والذهن قيل يرادف الفهم وقدمه في القاموس فقال الذهن بالكسر الفهم والعقل وحفظ القلب والفطنة وقال غيره الذهن هو نفس القوة والفهم استعمالها وانما حث على طلب الفهم في ذلك وامعان التدقيق لادراك تلك المدارك لاختلاف مقالات الناس في هذا المقام ولانه مزلة أقدام ومظنة أوهام وحاصل ذلك انه ذكر مسئلتين عظيمتين الاولى ان الروح مخلوقة محدثة والثانية ان العدم لا يدركها والفناء لا يلحقها ولنذكر أدلة كل مسئلة

وحكمها ومافيها من الخطأ والصواب على حدتها ولنقدم أولا ما أخره في النظم نظرا للواقع فنقول

اعلم رحمك الله ان هذه المسئلة زل فيها عالم وضل فيها طوائف من بني آدم وهدى الله اتباع رسله فيها للحق المبين والصواب المستبين فاجمعت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم على ان روح الانسان محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبرة وهذا معلوم بالاضطرار من دين الرسل صلوات الله وسلامه عليهم كما يعلم بالاضطرار من دينهم ان العالم حادث وان معاد الابدان واقع وان الله تعالى وحده الخالق وكل ما سواه مخلوق له وقد انطوى عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم وهم القرون المفضلة على ذلك من غير اختلاف بينهم في حدوثها وانها مخلوقة حتى نبغت نابغة (١) ممن قصر فهمه في الكتاب والسنة فزعم انها قديمة غير مخلوقة واحتج لذلك انها من أمر الله وأمر الله غير مخلوق و بان الله اضافها اليه كما أضاف اليه علمه وكتابه وقدرته وسمعه و بصره و يده وتوقف آخرون فقالوا لا نقول مخلوقة ولا غير مخلوقة

وقد سئل عن ذلك حافظ اصبهان أبو عبد الله بن منده من أعيان علمائنا فقال اما بعد فان سائلا يسأل عن الروح التي جعلها الله سبحانه قوام أنفس الخلق وأبدانهم وذكر أقواما تكلموا في الروح وزعموا أنها غير مخلوقة وخص بعضهم منها أرواح القدس وانها من ذات الله قال وانا أذكر أقاويل متقدميهم وأبين مايخالف أقاويلهم من الكتاب والأثر وأقاويل الصحابة والتابعين وأهل العلم وأوضح بخطأ المتكلم في الروح بغير علم وان كلامهم يوافق قول جهم بن صفوان وأصحابه فذكر ان الناس اختلفوا في معرفة الارواح ومحلها من النفس فقال بعضهم الارواح كلها مخلوقة قال وهذا مذهب أهل الجماعة والأثر واحتجت بقول النبي صلى الله عليه وسلم «الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» رواه الامام أحمد ومسلم وأبو داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ورواه البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها ورواه الطبراني من حديث ابن مسعود رضي الله عنه وروي أيضا من حديث سلمان الفارسي وعبد الله بن عباس

(١) لعل الاصل نبتت نابتة اه مصححه

وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عنبسة رضي الله عنهم أجمعين والجنود المجندة لاتكون الامخلوقة. وقال بعضهم الارواح من أمر الله أخفى الله حقيقتها وعلمها عن الخلق واحتجت بقوله تعالى قل الروح من أمر ربي وقال بعضهم الارواح نور من الله تعالى وحياة من حياته واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم «ان الله خلق خلقه من ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره — وتمام الحديث — فمن أصابه من ذلك النور يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل» رواه الامام أحمد والترمذي والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وقال محمد بن نصر المروزي في كتابه تأول صنف من الزنادقة وصنف من الروافض في روح ابن آدم ما تأولته النصارى في روح عيسى وما تأوله قوم من أن الروح انفصل من ذات الله تعالى وتقدست اسماؤه فصار في المؤمن فعبد صنف من النصارى عيسى ومريم جميعا لان عيسى عندهم روح من الله فصار في مريم فهو غير مخلوق عندهم وقال صنف من الزنادقة وصنف من الروافض ان روح آدم عليه السلام مثل ذلك انه غير مخلوق وتأولوا قوله (ونفخت فيه من روحي) وقوله (ثم سواه ونفخ فيه من روحه) فزعموا ان روح آدم ليس بمخلوق كما تأول من قال ان النور من الرب غير مخلوق قالوا ثم صار بعد آدم في الوصي بعده ثم هو في كل نبي ووصي الى ان صار في علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم في ابنيه الحسن والحسين رضي الله عنهما ثم في كل وصي وامام فبه يعلم الامام كل شيء لايحتاج ان يتعلم من أحد قال ولا خلاف بين المسلمين ان الارواح في آدم و بنيه عيسى ومن سواه من بني آدم كلها مخلوقة لله خلقها وانشأها وكونها واخبر بها ثم أضافها الى نفسه كما أضاف اليه سائر خلقه قال تعالى (وسخر لكم مافي السموات ومافي الارض جميعا منه)

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه: روح الآدمي مخلوقة مبتدعة باتفاق الامة وأئمتها وسائر أهل السنة وقد حكى اجماع العلماء على انها مخلوقة غير واحد من أئمة المسلمين مثل محمد بن نصر المروزي الامام المشهور الذي هو من أعلم أهل زمانه بالاجماع والاختلاف وكذلك أبو محمد بن قتيبة وقال الامام أبو اسحق بن شاقلا من أئمة علمائنا وهذا يعني كون الروح مخلوقة مما لايشك فيه من وفق

للصواب ان الروح من الاشياء المخلوقة

قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه الروح قد تكلم في هذه المسئلة طوائف من أكابر العلماء والمشايخ وردوا على من يزعم أنها غير مخلوقة وصنف الحافظ أبو عبدالله بن منده في ذلك كتابا كبيرا وقبله الامام محمد بن نصر المروزي وغيره والشيخ أبو سعيد الخراز وأبو يعقوب النهرجوري والقاضي أبو يعلى وقد نص على ذلك الأئمة الكبار واشتد نكيرهم على من يقول ذلك في روح عيسى بن مريم عليه السلام فكيف بروح غيره كما ذكره الامام أحمد رضي الله عنه في ما كتبه في محبسه في الرد على الزنادقة والجهمية قال ثم ان الجهمي ادعى أمرا فقال انا اجد آية في كتاب الله مما يدل على ان القرآن مخلوق قول الله تعالى (انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه) وعيسى مخلوق: قلنا له ان الله منعك الفهم للقرآن ان عيسى تجري عليه ألفاظ لاتجري على القرآن لانا نسميه مولودا وطفلا وصبيا وغلاما يأكل ويشرب وهو مخاطب بالامر والنهي يجري عليه الخطاب والوعد والوعيد ثم هو من ذرية نوح ومن ذرية ابراهيم فلا يحل لنا ان نقول في القرآن مانقول في عيسى الى ان قال والكلمة التي ألقاها الى مريم حين قال له كن فكان عيسى بكن وليس عيسى هو كن ولكن كان بكن فكن من الله قولا وليس كن مخلوقا وكذبت النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى وذلك ان الجهمية قالوا روح الله وكلمته الا ان كلمته مخلوقة وقالت النصارى عيسى روح الله وكلمته فالكلمة من ذاته كما يقال هذه الخرقة من هذا الثواب قلنا نحن ان عيسى بالكلمة كان وليس هو الكلمة وانما الكلمة قول الله وقوله تعالى وروح منه يقول من أمره كان الروح فيه كقوله (وسخر لكم مافي السموات وما في الارض جميعا) منه يقول من أمره وتفسير روح الله انما معناها بكلمة الله كما يقال عبدالله وسماء الله وأرض الله فقد صرح بأن روح المسيح مخلوقة فكيف بسائر الارواح وقد أضاف الله اليه روح الذي أرسله الى مريم وهو عبده ورسوله ولم يدل ذلك على انه قديم غير مخلوق فقال تعالى (فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ء قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ء قال انما أنا رسول ربك)

فهذا الروح هو روح الله وهو عبده ورسوله

ومما ينبغي ان يعلم ان المضاف الى الله سبحانه نوعان صفات لا تقوم بأنفسها كالعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر وهـذه اضافة صفة الى الموصوف بها فالعلم والقدرة الخ صفات له تعالى غير مخلوقة وكذا وجهه ويده ونحو ذلك من الصفات الخبرية والذاتية وكذا الفعلية من التكوين والمحبة والرضا ونحوها في مذهب السلف كما مر (والثاني) اضافة أعيان منفصلة كبيت الله وناقة الله وعبدالله ورسول الله وكذلك روح الله فهـذه اضافة مخلوق الى خالقه ومصنوع الى صانعه لكنها تقتضي تخصيصا أو تشريفا يتميز به المضاف اليه عن غيره كبيت الله وان كانت كل البيوت لله ملكا له وكذلك ناقة الله والنوق كلها ملكه وخلقه ولكن هـذه اضافة الى الهيته تقتضي محبته لها وتكريمه وتشريفه بخلاف الاضافة العامة الى ربوبيته حيث تقتضي خلقه وايجاده فالاضافة العامة تقتضي الخلق والايجاد والخاصة تقتضي الاختيار (والله يخلق مايشاء ويختار) فاضافة الروح اليه تعالى من هذه الاضافة الخاصة لامن العامة ولا من باب اضافة الصفات فتأمل هذا الموضع فانه نفيس ويخلصك من ضلالات كثيرة وقع فيها من شاء الله من الناس كما أوضحه وبرهن عليه وبينه الامام المحقق ابن القيم في كتابه الروح وقال ان الروح يوصف بالوفاة والقبض والامساك والارسال وهـذا من شأن المحدث المربوب وأطال في الاحتجاج ودفع مقالات أهل البدع والاجاج وثمرة ذلك كون الروح مخلوقة بالاجماع والله تعالى الموفق

المسالة الثانية

مما ذكر في أصل العقيدة بقاء الارواح وانه لا يلحقها عـدم ولا فناء ولا اضمحلال لانها خلقت للبقاء وانما تموت الابدان وقد دلت على هذا الاحاديث الدالة على نعيم الارواح وعذابها بعـد مفارقتها لابدانها الى أن يرجعها الله تعالى اليها ولو ماتت الارواح لانقطع عنها النعيم والعذاب وقد قال الله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) مع القطع بأن أرواحهم

قد فارقت أجسادهم وتذاقت الموت قال المحقق ابن القيم الصواب ان موت النفوس هو مفارقتها لاجسادها وخروجها منها فان أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت وان أريد انها تعدم وتضمحل وتصير عدما محضا فانها لاتموت بهذا الاعتبار بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أوعذاب وقد نظم أحمد بن الحسين الكندي هذا الاختلاف فى قوله

تنازع الناس حتى لا اتفاق لهم الا على شجب والخلق فى الشجب
فقيل تخلص نفس المرء سالمة وقيل تشرك جسم المرء في العطب

الشجب بالشين المعجمة والجيم فموحدة محركا الحزن والعنت يصيب من مرض أو قتال كما في القاموس فان قيل فبعد النفخ في الصور هل تبقى الارواح حية كما هي أو تموت ثم تحيا فالجواب قد قال الله تعالى (ونفخ في الصور فصعق من السموات ومن في الارض الا من شاء الله) فقد استثنى الله تعالى بعض من في السموات ومن في الارض من هذا الصعق فقيل هم الشهداء وهذا قول أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهم وسعيد بن جبير رحمه الله وقيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وهو قول مقاتل وغيره وقيل هم الذين في الجنة من الحور العين وغيرهم ومن في النار من أهل العذاب وخزنتها قال الامام أبو اسحق بن شاقلا من أصحابنا وقد نص امامنا الامام أحمد رضي الله عنه على ان الحور العين والولدان لايموتون عند النفخ فى الصور وقد أخبرنا سبحانه ان أهل الجنة (لايذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى) وهذا نص على انهم لايموتون غير تلك الموتة الاولى فلو ماتوا مرة ثانية لكانت موتتان واما قول أهل النار (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) فتفسر هذه الآية التي في سورة البقرة وهو قوله تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم) فكانوا أمواتا وهم نطف في أصلاب آبائهم وفي ارحام أمهاتهم ثم أحياهم بعد ذلك ثم أماتهم ثم يحييهم يوم النشور وليس في ذلك اماتة أرواحهم قبل يوم القيامة والا كانت ثلاث موتات وصعق الارواح عند النفخ في الصور لا يلزم منه موتها في الحديث الصحيح لان الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فاذا موسى آخذ بقائمة العرش فلا أدري أفاق

قبلي أم جوزي بصعقة يوم الطور » فهذا صعق في موقف القيامة اذا جاء الله لفصل القضاء وأشرقت الارض بنوره فحينئذ يصعق الخلائق كلهم قال تعالى (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون) ولو كان هذا الصعق موتا لكانت موتة أخرى قال الامام المحقق ابن القيم في كتاب الروح وقد تنبه لهذا جماعة من الفضلاء فقال أبو عبد الله القرطبي ظاهر هذا الحديث ان هذه صعقة غشي تكون يوم القيامة لا صعقة الموت الحادثة عند نفخ الصور قال وقد قال شيخنا أحمد بن عمرو ظاهر حديث النبي صلى الله عليه وسلم يدل على ان هذه الصعقة انما هي بعد النفخة الثانية نفخة البعث ونص القرآن يقتضي ان ذلك الاستثناء انما هو بعد نفخة الصعق ولما كان هذا قال بعض العلماء يحتمل ان يكون موسى عليه السلام ممن لم يمت من الانبياء وهذا باطل وقال القاضي عياض يحتمل ان يكون المراد بهذه صعقه فزع بعد النشور حين تنشق السموات والارض قال فتنتسق الاحاديث والآثار ورد عليه أبو العباس القرطبي فقال يرد هذا قوله في الحديث الصحيح انه حين يخرج من قبره يلقى موسى آخذاً بقائمة العرش قال وهذا انما هو عند نفخة الفزع قال أبو عبدالله القرطبي قال شيخنا أحمد بن عمرو والذي يزيح هذا الاشكال ان شاء الله تعالى ان الموت ليس بعدم محض وانما هو انتقال من حال الى حال ويدل على ذلك ان الشهداء بعد موتهم وقتلهم احياء عند ربهم يرزقون فرحين وهذه صفة الاحياء في الدنيا واذا كان هذا في الشهداء كان الانبياء بذلك أحق وأولى مع انه قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الارض لا تأكل أجساد الانبياء وانه صلى الله عليه وسلم اجتمع بالانبياء ليلة الاسراء في بيت المقدس وفي السماء وخصوصا بموسى عليه وعليهم السلام وقد أخبر نبينا صلى الله عليه وسلم انه ما من مسلم يسلم عليه الا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام الى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بأن موت الانبياء انما هو راجع الى انهم غيبوا عنا بحيث لا ندركهم وان كانوا موجودين أحياء وذلك كالحال في الملائكة فانهم أحياء موجودون ولا نراهم واذا تقرر أنهم أحياء فاذا نفخ في الصور نفخة الصعق صعق كل من في السموات والارض الا من شاء الله فاذا صعق غير الانبياء موت واما صعق الانبياء

فالاظهر انه غشية فاذا نفخ في الصور نفخة البعث فمن مات حيي ومن غشي عليه أفاق ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته «فأكون أول من يفيق» فنبينا صلى الله عليه وسلم أول من يخرج من قبره قبل جميع الناس الاموسى فانه حصل فيه تردد هل بعث قبله من غشيته أو بقي على الحالة التي كان عليها قبل نفخة الصعق مفيقا لانه حوسب بصعقة يوم الطور وهذه فضيلة عظيمة لموسى عليه السلام ولايلزم من فضيلة واحدة فضيلة موسى عليه السلام على نبينا مطلقا لان الشيء الجزئي لايوجب أمرا كليا انتهى قال أبوعبدالله القرطبي ان حمل الحديث على صعقة الخلق يوم القيامة فلا اشكال وان حمل على صعقة الموت عند النفخ في الصور فيكون ذكر يوم القيامة مراداً به أوائله فالمعنى اذا نفخ في الصور نفخة البعث كنت أول من يرفع رأسه فاذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري افاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور قال المحقق ابن القيم وحمل الحديث على هذا لايصح لانه صلى الله عليه وسلم تردد هل أفاق موسى قبله أو لم يصعق بل جوزي بصعقة الطور فالمعنى لا أدري أصعق أم لم يصعق وقد قال في الحديث فأكون أول من يفيق وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم يصعق فيمن يصعق ولو كان المراد به الصعقة الاولى وهي صعقة الموت لكان قد جزم بموته وتردد هل مات موسى أو لم يمت وهذا باطل لوجوه كثيرة فعلم انها صعقة فزع لاصعقة موت وحينئذ فلا تدل الآية على ان الارواح تموت عند النفخة الاولى نعم تدل على موت الخلائق عند النفخة الاولى وكل من لم يذق الموت قبلها فانه يذوقه حينئذ واما من ذاق الموت أو لم يكتب عليه الموت فلا تدل الآية على انه يموت موتة ثانية والله أعلم

﴿ تتمة ﴾

﴿ في مسائل مما نحن بصدده من أمر الروح ﴾

(الاولى) اختلف في خلق الارواح هل كان قبل الاجساد أو تأخر عنها فللناس فيها قولان معروفان حكاهما شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه المحقق ابن القيم وغيرهما وممن ذهب الى تقدم خلق الارواح على الاجساد محمد بن نصر

المروزي وأبو محمد بن حزم بل حكاه ابن حزم اجماعا واحتج من قال بذلك بحجج منها قوله تعالى (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا) وثم للترتيب والمهلة فقد تضمنت الآية الكريمة ان خلقنا مقدم على أمر الله الملائكة بالسجود لآدم ومن المعلوم قطعا ان أبداننا حادثة بعد ذلك فعلم انها الارواح قالوا و يدل عليه قوله تعالى (واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) وهذا الاستنطاق والاشهاد انما كان لارواحنا اذ لم تكن الابدان حينئذ موجودة في موطأ الامام مالك ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل عن هذه الآية (واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم) فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسئل عنها فقال «خلق الله آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته فقال خلقت هؤلاء للنار و بعمل أهل النار يعملون وخلقت هؤلاء للجنة و بعمل أهل الجنة يعملون» فقال رجل يارسول الله ففيم العمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان الله اذا خلق الرجل للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار» قال الحاكم هذا حديث على شرط مسلم وروى الحاكم من حديث أبي هريرة مرفوعا «لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة أمثال الذر ثم جعل بين عيني كل انسان منهم و بيصا من نور ثم عرضهم على آدم فقال من هؤلاء يارب فقال هؤلاء ذريتك فرأى رجلا منهم أعجبه و بيص مابين عينيه فقال يارب من هذا فقال هذا ابنك داود يكون في آخر الامم قال كم جعلت له من العمر قال ستين سنة قال يارب زده من عمري أربعين سنة فقال الله اذا يكتب فيختم فلا يبدل فلما انتهى عمر آدم جاءه ملك الموت قال أولم يبق من عمري أربعون سنة فقال أولم تجعلها لابنك داود قال فجحد فجحدت ذريته ونسي فنسيت ذريته وخطئ فخطئت ذريته» قال الحاكم هذا شرط مسلم ورواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح ورواه الامام أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال لما

نزلت آية الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أول من جحد آدم عليه السلام» وزاد ابن سعد ثم أكمل الله لآدم ألف سنة ولداود مائة سنة وفي صحيح الحاكم أيضا عن أبي بن كعب رضي الله عنه في قوله تعالى (واذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم) الآية قال جمعهم له يومئذ جميعا ماهو كائن الى يوم القيامة فجعلهم أرواحا ثم صورهم واستنطقهم فتكلموا وأخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين فاني أشهد عليكم السموات السبع والارضين السبع وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين فلا تشركوا بي شيئا فاني أرسل اليكم رسلا يذكرونكم عهدي وميثاقي وانزل عيكم كتبي فقالوا نانشهد انك ربنا والهنا لارب لنا غيرك ورفع لهم أبوهم آدم فرأى فيهم الغني والفقير وحسن الصورة وغير ذلك فقال رب لوسويت بين عبادك فقال اني أحب ان أشكر ورأى فيهم الانبياء مثل السرج وخصوا بميثاق آخر بالرسالة والنبوة فذلك قوله تعالى (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) وهو قوله (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) وهو قوله (هذا نذير من النذر الاولى) وقوله (وما وجدنا لأكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين) قال وكان روح عيسى من تلك الأرواح التي أخذ عليها الميثاق فأرسل ذلك الروح الى مريم حين انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فدخل من فيها وهذا اسناد صحيح وأخرجه اسحق ابن راهويه ورواه محمد بن نصر المروزي من حديث عبدالله بن سلام وقدروي ذلك من وجوه متعددة عن جماعة من الصحابة متعددة وفيه انه أخرجهم مثل الذر ومثل اللؤلؤ بياضا وروى اسحق ثنا روح بن عبادة ثنا موسى بن عبيدة الزبيدي قال سمعت محمد بن كعب القرظي يقول في هذه الآية اقروا له بالايمان والمعرفة الارواح قبل أن تخلق أجسادها قال وثنا الفضل بن موسى عن عبد الملك عن عطاء في هذه الآية قال أخرجوا من صلب آدم حين أخذ الميثاق ثم ردوا في صلبه وأخرج عن الضحاك قال ان الله أخرج من ظهر آدم يوم خلقه مايكون الى يوم القيامة فأخرجهم مثل الذر فقال ألست بربكم قالوا بلى قالت الملائكة شهدنا ان

يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ثم قبض قبضة بيمينه فقال هؤلاء في الجنة وقبض أخرى وقال هؤلاء في النار واحتجوا أيضاً بما أخرجه الامام عبد الله بن منده من حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه مرفوعا ان الله خلق أرواح العباد قبل العباد بألفي عام فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف

وقال الآخرون بل خلقت الاجساد قبل الارواح واحتجوا بحجج منها قوله تعالى (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى) وهذا خطاب للانسان الذي هو روح وبدن فدل ان جملته مخلوقة بعد خلق الابوين واصرح منه قوله (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) وهذا صريح في ان خلق جملة النوع الانساني بعد خلق أصله وأيضا فخلق أبي البشر وأصلهم كان هكذا فان الله أرسل جبريل فقبض قبضة من الارض ثم خمرها حتى صارت طينا ثم صوره ثم نفخ فيه الروح بعد ان صوره فلما دخلت الروح فيه صار لحما ودما حيا ناطقا ففي تفسير أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن مرة عن ابن مسعود رضي الله عنه وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لما فرغ الله من خلق ما أحب استوى على العرش فجعل ابليس على ملك السماء الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن وانما سموا الجن لانهم خزان الجنة وكان ابليس مع ملكه خازنا فوقع في حذره وقال ما اعطاني الله هذا الا لمزية لي وفي لفظ الا لمزية لي على الملائكة فلما وقع ذلك الكبر في نفسه اطلع الله على ذلك منه فقال الله تعالى للملائكة اني جاعل في الارض خليفة وذكر الأثر الى ان قال فبعث جبريل الى الارض ليأتيه بطين منها فقالت الارض اني أعوذ بالله منك ان تقبض مني فرجع ولم يأخذ وقال رب انها عاذت بك فأعذتها فبعث ميكائيل فأعاذت منه فاعاذها فبعث ملك الموت فعاذت منه فقال وأنا أعوذ بالله ان أرجع ولم أنفذ أمره فأخذ من وجه الارض وخلط فلم يأخذ من مكان واحد فأخذ من تربة حمراء و بيضاء وسوداء فلذلك خرج بنو آدم مختلفين فصعد به قبل الرب حتى عاد طينا لازبا واللازب هو الذي يلزق بعضه ببعض ثم قال للملائكة (اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له

ساجدين) فخلقه الله بيده لكيلا يتكبر ابليس عنه ليقول له تتكبر عما عملت بيدي ولم أتكبر أنا عنه فخلقه بشرا فكان جسدا من طين أربعين سنة فمرت به الملائكة ففزعوا منه لما رأوه وكان أشدهم فزعا منه ابليس فكان يمر به فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار يكون له صلصلة فذلك حين يقول (من صلصال كالفخار) ويقول لأمر ماخلقتَ ودخل من فيه وخرج من دبره فقال للملائكة لاترهبوا من هذا فان ربكم صمد وهذا أجوف لئن سلطت عليه لاهلكنه فلما بلغ الحين الذي يريد الله جل ثناؤه ان ينفخ فيه الروح قال للملائكة اذا نفخت فيه الروح فاسجدوا له فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح في رأسه عطس فقالت الملائكة قل الحمد لله فقال الحمد لله فقال الله يرحمك ربك فلما دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام قبل ان بلغ الروح رجليه فنهض عجلان الى ثمار الجنة فذلك حين يقول الله تعالى (خلق الانسان من عجل) وذكر باقي الحديث فالقرآن والحديث والآثار تدل على انه سبحانه نفخ فيه من روحه بعد خلق جسده فمن تلك النفخة حدثت فيه الروح ولو كانت روحه مخلوقة قبل بدنه مع جملة أرواح ذريته لما عجبت الملائكة من خلقه ولا تعجبت من خلق النار في حديث ابن زيد «ان الله لما خلق النار ذعرت منها الملائكة ذعراً شديدا وقالوا ربنا لم خلقت هذه النار ولأي شيء خلقتها قال لمن عصاني من خلقي ولم يكن لله خلق يومئذ الا الملائكة والارض ليس فيها خلق انما خلق آدم بعد» الحديث فلوكانت الارواح مخلوقة يومئذ لما تعجبت الملائكة من خلق النار وقالت لأي شيء خلقتها وهي ترى أرواح بني آدم فيهم المؤمن والكافر والطيب والخبيث ولان النبي صلى الله عليه وسلم أخبر في الحديث الصحيح الذي في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه «ان خلق ابن آدم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح» فالملك وحده يرسل اليه فينفخ فيه فاذا نفخ فيه كان ذلك سبب حدوث الروح فيه ولم يقل يرسل اليه الملك بالروح فيدخلها في بدنه وانما أرسل اليه الملك فأحدث فيه الروح بنفخته فيه لا انه تعالى أرسل اليه الروح التي كانت موجودة

قبل ذلك بالزمن الطويل مع الملك فنرق بين ان يرسل اليه ملك ينفخ فيه الروح وبين ان يرسل اليه روح مخلوقة قائمة بنفسها مع الملك وتأمل ما دل عليه النص قال ابن القيم في كتابه الروح واختار ان خلق الجسد مقدم على خلق الروح وزيف كلام ابن حزم وغيره بما يطول ذكره وحاصل ما ذكر ان الذي استدلوا به من أخذ الله الميثاق على ذرية آدم والعهد والاشهاد لا يدل على تقدم خلق الأرواح قبل الاجساد خلقا مستقرا وانما غايتها ان تدل على اخراج صورهم وأمثالهم في صور الذر واستنطاقهم ثم ردهم الى أصلابهم ان صح الخبر بذلك والذي صح اثباته القدر السابق وتقسيمهم الى شقي وسعيد واما استدلال أبي محمد بن حزم بقوله تعالى (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) فلا تفي هذا الاستدلال بظاهريته لترتب الأمر بالسجود لآدم على خلقنا وتصويرنا والخطاب للجملة المركبة من البدن والروح وذلك متأخر عن خلق آدم عليه السلام ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما ولقد خلقناكم يعني آدم ثم صورناكم يعني ذريته وقال مجاهد خلقناكم يعني آدم ثم صورناكم في ظهر آدم وانما قال خلقناكم بلفظ الجمع وهو يريد آدم كما يقال ضربناكم وانما ضربت سيدهم قال واما حديث خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام فلا يصح اسناده فان فيه عتبة بن السكن قال الدارقطني متروك وفيه أيضاً ارطاة ابن المنذر بعض أحاديثه غلط والحاصل ان الذي ذهب اليه ابن القيم تبعاً لشيخه وجوع ان خلق الاجساد مقدم على خلق الارواح وذهب محمد ابن نصر المروزي وأبو محمد بن حزم والامام اسحق بن راهويه الى تقدم خلق الارواح و بالله التوفيق

﴿ فائدتان ﴾

(الاولى) روى الامام أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «أخذ الله عزوجل الميثاق من ظهر آدم بنعمان - يعني عرفة - فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا قال ألست بربكم قالوا بلى شهدنا» قال الحافظ ابن الجوزي في كتابه مثير الغرام الساكن الى أشرف

الاماكن هذا الحديث يدل على ان ذلك المكان أول وطن والنفس أبدا تنازع الى الوطن الاول

(الثانية) ذكر الامام أبوالفرج ابن الجوزي في الكتاب المذكور ان الله عز وجل لما أخذ الميثاق كتب كتابا على الذرية فألقمه هذا الحجر يعني الحجر الاسود فهو يشهد للمؤمن بالوفاء وعلى الكافر بالجحود قال وهذا مروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقال العلماء ولهذه العلة يقول لامسه:ايمانا بك ووفاء بعهدك:انتهى

﴿ المسئلة الثانية ﴾

من مسائل متعلقات الروح أين مستقر الارواح ما بين الموت الى يوم القيامة هل في السماء أم في الارض وهل هي في الجنة والنار أم لا وهل تودع في أجساد أم تكون مجردة فهذه من المسائل العظام قد تكلم فيها الناس واختلفوا في ذلك وهي انما تتلقى من السمع فقط ومع ذلك فقد اختلفت فيها أقوال العلماء وتباينت في محالها آراء الفضلاء فقال قوم:أرواح المؤمنين عند الله في الجنة شهداء كانوا أوغير شهداء اذا لم يحبسهم عن الجنة كبيرة ولا دين وتلقاهم ربهم بالقبول والرحمة لهم وهذا مذهب أبي هريرة وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم ومن نحا نحوهم وقالت طائفة هم بفناء الجنة على بابها يأتيهم من روحها ونعيمها ورزقها وقالت طائفة الارواح على أفنية قبورها وقال الامام مالك بلغني ان الروح مرسلة تذهب حيث شاءت وقال الامام أحمد في رواية ابنه عبد الله أرواح الكفار في النار وأرواح المؤمنين في الجنة وقال أبو عبد الله بن منده قالت طائفة من الصحابة والتابعين أرواح المؤمنين عند الله عز وجل ولم يزيدوا على ذلك قال وروي عن جماعة من الصحابة والتابعين ان أرواح المؤمنين بالجابية وأرواح الكفار ببئر برهوت بحضرموت وقال صفوان بن عمرو سألت عامر بن عبد الله أبا اليمان هل لانفس المؤمنين مجتمع فقال ان الارض التي يقول الله (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون) قال هي الارض التي تجتمع اليها أرواح المؤمنين حتى يكون البعث وقالوا هي الارض التي يورثها الله المؤمنين في الدنيا وقال

كب أرواح المؤمنين في عليين في السماء السابعة وأرواح الكفار في سجين في الارض السابعة تحت خدابلس وقالت طائفة أرواح المؤمنين ببئر زمزم وأرواح الكفار ببئر برهوت وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه أرواح المؤمنين في برزخ من الارض تذهب حيث شاءت وهذا مثل قول الامام مالك بل هو مستند له وقالت طائفة أرواح المؤمنين عن يمين آدم وأرواح الكفار عن شماله وقال ابن حزم ومن وافقه مستقرها حيث كانت قبل خلق أجسادها بناء على مذهبه الذي اختاره وهو ان الارواح مخلوقة قبل الاجساد وتقدم ما فيه قال الامام المحقق ابن القيم جمهور الناس على ان الارواح خلقت بعد الاجساد والذين قالوا خلقت قبل الاجساد ليس معهم على ذلك دليل من كتاب ولا سنة ولا اجماع الا ما فهموه من نصوص لا تدل على ذلك والحاصل ان مدار حججهم على أخبار غير صحيحة أو نصوص صحيحة ولكن دلالتها على مازعموه غير صريحة وقوله مستقرها بعد مفارقة أبدانها في البرزخ الذي كانت فيه قبل خلق أجسادها مبني على ما ذكر من اعتقاده وان أرواح السعداء عن يمين آدم عليه السلام وأرواح الاشقياء عن يساره وزعمه ان ذلك عند منقطع العناصر لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولا يشبه أقوال أهل الاسلام والاحاديث الصحيحة تدل على ان الارواح فوق العناصر في الجنة وأدلة القرآن تدل على ذلك وقد وافق ابن حزم الجمهور على أن أرواح الشهداء في الجنة ومعلوم ان الصديقين أفضل منهم فكيف تكون روح أبي بكر الصديق وعبدالله بن مسعود وأبي الدرداء وحذيفة بن اليمان وأشباههم عند منقطع العناصر وذلك تحت هذا العالم الادنى تحت السماء الدنيا وتكون أرواح شهداء زماننا فوق العناصر وفوق السموات. واما زعم أبي محمد بن حزم ان الامام اسحق ابن راهويه ذكر ماقاله وذهب اليه بعينه وقال وعلى هذا جميع أهل الاسلام باطل فان اسحق لم يقل ان مستقر الارواح عند انقطاع العناصر وانما قال محمد بن نصر المروزي في كتابه الرد على ابن قتيبة في تفسير قوله تعالى (واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم) الآية فذكر الآثار التي ذكرها السلف من استخراج ذرية آدم من صلبه ثم أخذ الميثاق

عليهم وردهم في صلبه وأنه أخرجهم مثل الذر وانه قسمهم اذ ذاك الى شقي وسعيد وكتب آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم وما يصيبهم من خير وشر ثم قال قال اسحق أجمع أهل العلم انها الارواح قبل الاجساد استنطقهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم الآية ان يقولوا انا كنا عن هذا غافلين أو يقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل هذا نص كلامه وهو كما ترى لا يدل على ان مستقر الارواح ما ذكرابن حزم حيث منقطع العناصر بوجه من الوجوه بل ولا يدل على ان الارواح كانت قبل الاجساد بل انما يدل على انه سبحانه أخرجها حينئذ فخاطبها ثم ردها الى صلب آدم وهذا وان كان قد قاله جماعة من السلف والخلف كما مر فالذي صححه ابن القيم والجمهور خلافه ولو سلم ان خلق الارواح قبل الاجساد لم يكن فيه دليل على ان مستقر الارواح حيث منقطع العناصر ولا ان ذلك الموضع كان مستقرها أولا

وقالت طائفة مستقر الارواح بعد مفارقة أبدانها العدم المحض وهذا أيضا باطل لا يلتفت اليه فان صاحب هذا القول يزعم ان الروح عرض من أعراض البدن وهو الحياة وبه قال ابن الباقلاني ومن وافقه وكذا قال أبو الهذيل العلاف المعتزلي النفس عرض من الاعراض ولم يعينه انه الحياة كما عينه ابن الباقلاني بل قال الروح عرض كسائر أعراض الجسم وهؤلاء عندهم ان الجسم اذا مات عدمت روحه فلا تعذب ولا تنعم وانما يعذب وينعم الجسد اذا شاء الله تعذيبه وتنعيمه رد اليه الحياة في وقت يريد تنعيمه وتعذيبه والا فلا روح هناك قائمة بنفسها البتة وقال بعض أرباب هذا القول ترد الحياة الى عجب الذنب قال الامام ابن القيم وهذا قول يرده الكتاب والسنة واجماع الصحابة وأدلة المعقول والفطر قال وهو قول من لم يعرف روحه فضلا عن روح غيره والله أعلم

وقالت طائفة أخرى مستقر الارواح بعد الموت ابدان أخر غير هذه الابدان فهذا فيه حق وباطل فحقه ما أخبر به الصادق المصدوق عن أرواح الشهداء انها في حواصل طير خضر تأوي الى قناديل معلقة بالعرش هي لها كالاوكار للطائر وقد صرح بذلك في قوله جعل أرواحهم في أجواف طير خضر واما قوله صلى الله عليه وسلم «نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة» يحتمل ان يكون هذا الطائر مركبا للروح

كالبدن لها ويكون ذلك لبعض المؤمنين والشهداء ويحتمل ان تكون الروح صورة طائر وهذا اختيار ابن حزم وابن عبد البر قال ابن حزم معنى ذلك ان نسمة المؤمن طائر يعلق يعني انها تطير في الجنة لانها تمسخ في صورة الطير قال ابن حزم واما الزيادة التي فيها انها في حواصل طير خضر كانها صفة تلك القناديل التي تأوي بها قال والحديثان معا حديث واحد قال المحقق ابن القيم وهذا الذي قاله في غاية الفساد لفظا ومعنى فان حديث «نسمة المؤمن طائر تعلق في شجر الجنة» غير حديث أرواح الشهداء في حواصل طير خضر والذي ذكره محتمل في الاول واما الثاني فلا يحتمله بوجه فانه صلى الله عليه وسلم اخبران أرواحهم في حواصل طير وفي لفظ آخر في أجواف طير خضر وفي لفظ بيض وان تلك الطير تسرح في الجنة فتأكل من ثمارها وتشرب من انهارها ثم تأوي الى قناديل تحت العرش هي لها كالاوكار للطائر وقوله ان حواصل تلك الطير هي صفة تلك القناديل التي تأوى اليها خطأ قطعا بل تلك القناديل مأوى لتلك الطير فهنا ثلاثة أمور شرح بها الحديث أرواح وطير هي في أجوافها وقناديل مأوى لتلك الطير والقناديل مستقرة تحت العرش لا تسرح والطير تسرح وتذهب وتجيء والارواح في أجوافها فان قيل يحتمل ان تجعل نفسها في صورة طير لانها تركب في بدن طير كما قال تعالى (في أي صورة ماشاء ركبك) ويدل عليه قوله في اللفظ الآخر أرواحهم كطير خضر كما رواه ابن أبي شيبة قال أبو عمر بن عبد البر الاشبه عندي والله أعلم ان يكون القول قول من قال كطير أوصورة طير لمطابقته لحديث نسمة المؤمن وقد أجاب المحقق بأن هذا الحديث قد روي بهذين اللفظين والذي في صحيح مسلم من حديث الاعمش عن مسروق «أرواحهم في جوف طير خضر» وقد رواه ابن عباس وكعب بن مالك فلم يختلف حديثهما في انها في أجواف طير خضر قال المحقق ولا محذور في هذا ولا يبطل قاعدة من قواعد الشرع ولا يخالف نصا من كتاب الله ولا سنة عن رسول الله بل هذا من تمام اكرام الله للشهداء ان أعاضهم من أبدانهم التي مزقوها لله تعالى ابدانا أخر خيرا منها تكون مركبا لارواحهم ليحصل بها كمال تنعمهم فاذا كان يوم القيامة رد أرواحهم الى تلك الابدان التي كانت

فيها في الدنيا فان قيل هذا هو القول بالتناسخ وحلول الارواح في أبدان غير أبدانها التي كانت فيها فالجواب هذا معنى دلت عليه السنة الصحيحة الصريحة حق يجب اعتقاده ولا يبطله تسمية المسمي له تناسخا لنظائره مما دل عليه النقل ولم يحله العقل من صفات الله تعالى وحقائق أسمائه الحسنى حق لا يبطله تسمية المعطلين لها تركيبا وتجسيما قال سيدنا الامام أحمد رضي الله عنه لا نزيل عن الله عز وجل صفة من صفاته لاجل شناعة المشنعين فان هذا شأن أهل البدع يلقبون أهل السنة وأقوالهم بالالقاب التي ينفرون عنها الجهال ويسمونها حشوا وتركيبا وتجسيما ويسمون عرش الرب تبارك وتعالى حيزا وجهة ليتوصلوا بذلك الى نفي استوائه وعلوه على خلقه وكما تسمي الرافضة موالاة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم ومحبتهم والدعاء لهم نصبا وأمثال ذلك والمقصود ان مادلت عليه السنة الصريحة من جعل أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تناسخا لا يبطل هذا المعنى

واما مااشتمل عليه من الباطل فالتناسخ الباطل الذي يقوله اعداء الرسل من الملاحدة وغيرهم الذين ينكرون المعاد ويزعمون ان الارواح تصير بعد مفارقة الابدان الى أجناس الحيوان والحشرات والطيور التي كانت تناسبها وتشاكلها فاذا فارقت هذه الابدان انتقلت الى أبدان تلك الحيوانات فتنعم فيها وتعذب ثم تفارقها وتحل في أبدان أخر تناسب أعمالها واخلاقها وهلم جرا فهذا معادها عندهم ونعيمها وعذابها لا معاد لها عندهم غير ذلك فهذا هو التناسخ الباطل المخالف لما اتفق عليه الرسل والانبياء من أولهم الى آخرهم وهو كفر بالله وباليوم الآخر فهذه الطائفة تقول أن مستقر الارواح بعد مفارقة ابدانها الاصلية أبدان الحيوانات التي تناسبها وهو أبطل قول واخبثه

ويليه قول من يزعم ان الارواح تعدم جملة بالموت ولا يبقى هناك روح تنعم ولا تعذب بل النعيم يقع على اجزاء الجسد أو على جزء منه اما عجب الذنب وغيره فيخلق الله فيه الالم واللذة اما بواسطة رد الحياة كما قاله بعض أرباب هذا القول أو بدون رد الحياة كما قاله آخرون منهم فهؤلاء عندهم لاعذاب في البرزخ الا على الاجساد

و يقابله من يقول ان الروح لا تعاد الى الجسد بوجه ولا تتصل به والعذاب والنعيم على الروح فقط والصحيح خلاف هؤلاء وهؤلاء فالسنة الصحيحة المتواترة تبين ان العذاب على الروح والجسد مجتمعين ومتفرقين

واما قول من قال ان أرواح المؤمنين تجمع ببئر زمزم فلا دليل على هذا من كتاب ولا سنة يجب التسليم لها ولا قول صحابي يجب ان يوثق به واما قول من قال ان أرواح المؤمنين بالجابية وأرواح الكفار ببئر برهوت بحضرموت فقال ابن حزم هذا من قول الرافضة قال الامام المحقق وليس كما قال بل قاله جماعة من أهل السنة قال الحافظ أبو عبدالله ابن منده روي عن جماعة من الصحابة والتابعين ان أرواح المؤمنين بالجابية ثم روى بسنده عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن عمرو انه قال أرواح المؤمنين تجتمع بالجابية وان أرواح الكفار تجتمع في سبخة بحضرموت يقال لها برهوت ثم روي بسنده عن شهر بن حوشب أن كعبا رأى عبد الله بن عمرو وقد تكابّ الناس عليه يسألونه فقال له رجل سله أين أرواح المؤمنين وأرواح الكفار فسأله فقال أرواح المؤمنين بالجابية وأرواح الكفار ببرهوت قال ابن منده ورواه أبو داود وغيره ثم ساق بسنده عن أبي الطفيل عن علي قال خير بئر في الارض زمزم وشر بئر في الارض برهوت بئر في حضرموت وخير واد في الارض وادي مكة والوادي الذي أهبط فيه آدم في الهند منه طيبكم وشر وادي الارض الاحقاف وهو في حضرموت ترده أرواح الكفار وروي عن ابن عباس عن علي رضي الله عنهم قال أبغض بقعة في الارض واد بحضرموت يقال له برهوت فيه أرواح الكفار وفيه بئر ماؤها بالنهار اسود كأنه قيح تأوي اليه الهوام ثم ساق ابن منده من طريق ابن اسحق القاضي حدثنا علي ابن عبد الله ثنا سفيان ثنا أبان بن ثعلب قال قال رجل بت فيه يعني وادي برهوت فكأنما حسرت فيه أصوات الناس وهم يقولون يادومه يادومه قال أبان فحدثنا رجل من أهل الكتاب أن دومه هو الملك الذي على أرواح الكفار قال سفيان وسألنا الحضرميين فقالوا لا يستطيع أحد يبيت فيه بالليل

قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه الروح فهذه جملة ما علمته في هذا القول فان أراد عبدالله بن عمرو بالجابية التمثيل والتشبيه وانها تجتمع في مكان فسيح يشبه الجابية

اسعته وطيب هواه فهذا قريب وان أراد نفس الجابية دون سائر الارض فهذا لا يعلم الا بالتوقيف ولعله مما تلقاه عن بعض أهل الكتاب و بالله التوفيق

وأما قول من قال انها تجتمع في الارض التي قال الله فيها (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون) فهذا ان كان قاله تفسيرا للآية فليس هو تفسيرا لها وقد اختلف الناس في الارض المذكورة في الآية الكريمة فقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما هي أرض الجنة وهذا قول أكثر المفسرين وعن ابن عباس رضي الله عنهما قول آخر انها الدنيا التي فتحها الله على أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال المحقق وهذا القول هو الصحيح ونظيره قوله تعالى في سورة النور (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم) وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «زويت لي الارض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي مازوي لي منها» وقالت طائفة من المفسرين المراد بذلك في الآية أرض بيت المقدس وهي من الارض التي أورثها عباده الصالحين وليست الآية مختصة بها واما قول سلمان الفارسي رضي الله عنه ومن وافقه ان أرواح المؤمنين في برزخ من الارض تذهب حيث شاءت فالبرزخ هو الحاجز بين شيئين وكأن سلمان أراد انها في أرض الدنيا والآخرة مرسلة هناك حيث شاءت قال المحقق هذا قول قوي فانها قد فارقت الدنيا ولم تلج الآخرة بل هي في برزخ بينهما فهي في برزخ واسع فيه الروح والريحان والنعيم وأما أرواح الكفار ففي برزخ ضيق فيه الغم والعذاب قال الله تعالى (ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون)

واما من قال أرواح المؤمنين في عليين فى السماء السابعة وأرواح الكفار في سجين في الارض السابعة فهذا قد قاله جماعة من السلف والخلف و يدل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم عند موته «اللهم الرفيق الأعلى» وحاصل هذا ان أرواح المؤمنين في عليين بحسب منازلهم وأرواح الكفار فى سجين بحسب منازلهم ومآل اليه

وأما قول من قال ان أرواح المؤمنين عن يمين آدم عليه السلام وأرواح الكفار عن يساره قال المحقق ابن القيم هذا قول يؤيده الحديث الصحيح وهو حديث الاسرى فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الحديث «فاذا رجل قاعد على يمينه أسودة وعلى يساره

اسودة اذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى قلت لجبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الاسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه فأهل اليمين منهم أهل الجنة والاسودة التي عن شماله أهل النار » قال القسطلاني في المواهب الاسودة بوزن أزمنة هي الاشخاص والنسم بالنون والسين المهملة المفتوحتين جمع نسمة وهي الروح قال القاضي عياض جاء ان أرواح الكفار في سجين وان أرواح المؤمنين منعمة في الجنة يعني فكيف تكون مجتمعة في سماء الدنيا فأجاب بأنه يحتمل انها تعرض على آدم أحيانا فوافق عرضها مرور النبي صلى الله عليه وسلم و يدل على كون أرواح الكفار في النار في أوقات دون أوقات قوله تعالى (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) واعترض بأن أرواح الكفار لا تفتح لهم أبواب السماء كما هو نص القرآن والجواب ما أبداه احتمالا ان الجنة كانت من جهة يمين آدم والنار في جهة شماله فكان يكشف له عنهما ولا يلزم من رؤية آدم لها وهو في السماء ان تفتح لها أبواب السماء ولا تلجها قال وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البزار » فاذا عن يمينه باب يخرج منه ريح طيبة وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة اذا نظر عن يمينه استبشر واذا نظر عن شماله حزن» قال الحافظ ابن حجر وهذا لو صح لكان المصير اليه أولى من جميع ما تقدم ولكن سنده ضعيف انتهى وقال المحقق ابن القيم في الروح لا تدل رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لهم كذلك على تعادلهم في اليمين والشمال بل يكون هؤلاء عن يمينه في العلو والسعة وهؤلاء عن يساره في السفل والسجن وقال ابن حزم ان ذلك البرزخ الذي رآها فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به عند سماء الدنيا ذلك عند منقطع العناصر قال هذا يدل على أنها عنده تحت السماء حيث تقطع العناصر وهي الماء والهواء والتراب والنار قال ابن القيم وهو يعني ابن حزم دائما يشنع على من قال قولا لا دليل عليه فأي دليل له على هذا القول من كتاب أوسنة

قال المحقق اذا كانت ارواح أهل السعادة عن يمين آدم في سماء الدنيا وقد ثبت ان أرواح الشهداء في ظل العرش فوق السماء السابعة فكيف تكون عن يمينه وكيف يراها النبي صلى الله عليه وسلم فأجاب عن ذلك من وجوه (أحدها) انه لا يمتنع كونها عن

يمينه في جهة العلو كما ان أرواح الاشقياء عن يساره في جهة السفل (الثاني) انه غير ممتنع ان تعرض على النبي صلى الله عليه وسلم في سماء الدنيا وان كان مستقرها فوق ذلك (الثالث) لم يخبر انه رأى أرواح السعداء جميعاً هناك بل قال فاذا عن يمينه اسودة وعن يساره أسودة ومعلوم قطعاً ان روح ابراهيم وموسى فوق ذلك في السماء السادسة والسابعة وكذلك الرفيق الاعلى أرواحهم فوق ذلك وأرواح السعداء بعضها أعلا من بعض بحسب منازلهم كما ان أرواح الاشقياء بعضهم أسفل من بعض بحسب منازلهم والله أعلم

قال الامام المحقق ابن القيم فان قيل قد ذكرتم أقوال الناس في مستقر الارواح ومأخذهم فما هو الراجح من هذه الاقوال حتى يعتقد فأجاب بان الارواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت (فمنها) أرواح في عليين في الملاء الأعلى وهي أرواح الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وهم متفاوتون فى منازلهم كما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء (ومنها) أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت وهم أرواح بعض الشهداء لاجميعهم بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه أو غيره كما في مسند الامام أحمد عن محمد بن عبد الله بن جحش ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله مالي ان قتلت في سبيل الله قال: الجنة: فلما ولى قال «الا الدين سارني به جبريل آنفاً» (ومنهم) من يكون محبوساً على باب الجنة كما في حديث آخر رأيت صاحبكم محبوساً على باب الجنة (ومنهم) من يكون محبوسا في قبره كحديث صاحب الشملة التي غلها ثم استشهد فقال الناس هنيئاً له الجنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم «كلا والذي نفسي بيده ان الشملة التي غلها لتشتعل عليه نارا في قبره» (ومنهم) من يكون مقره باب الجنة كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما «الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية» رواه الامام أحمد وهذا بخلاف جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه حيث أبدله الله من يديه بجناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء (ومنهم) من يكون محبوسا في الارض لم تعل روحه الى الملأ الاعلى فانها كانت روحا سفلية أرضية فان الأنفس

الأرضية لاتجامع الانفس السماوية كما لاتجامعها في الدنيا والنفس التي لم تكتسب في الدنيا معرفة ربها ومحبته وذكره والانس به والتقرب اليه بل هي أرضية سفلية لاتكون بعد المفارقة لبدنها الا هناك كما ان النفس العلوية التي كانت فى الدنيا عاكفة على محبة الله تعالى وذكره والتقرب اليه والانس به تكون بعد المفارقة مع الارواح العلوية المناسبة لها فالمرء مع من أحب في البرزخ ويوم القيامة والله تعالى يزوج النفوس بعضها ببعض فى البرزخ ويوم المعاد كما فى حديث ويجعل روحه يعني المؤمن مع النسم الطيب أي الارواح الطيبة المشاكلة لروحه فالروح بعد المفارقة تلحق باشكالها واخوانها وأصحاب عملها تكون معهم هناك (ومنها) أرواح تكون في تنور الزناة والزواني وأرواح في نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة فليس للارواح شقيها وسعيدها مستقر واحد بل روح فى أعلا عليين وروح أرضية سفلية لاتصعد من الارض

ومن تأمل السنن والآثار فى هذا الباب وكان له فضل اعتناء عرف صحة ذلك فكل الآثار الصحيحة حق وصدق يصدق بعضها بعضا لكن الشأن في فهمها وفهم المقصود منها ومعرفة النفس وأحكامها وأن لها شأنا غير شأن البدن وانها مع كونها في الجنة فهي في السماء وتتصل بفناء القبر وبالبدن فيه وهي أسرع شيء حركة وانتقالا وصعودا وهبوطا وتنقسم الى مرسلة ومحبوسة وعلوية وسفلية ولها بعد المفارقة صحة ومرض ولذة ونعيم والم وعذاب أعظم مما كان لها حال اتصالها بالبدن بكثير فهنالك الحبس والالم والعذاب والمرض والحسرة وهنالك اللذة والراحة والنعيم والاطلاق (ثم قال المحقق ابن القيم) وما أشبه حالها بهذا البدن بحال البدن في بطن أمه وحالها بعد المفارقة بحاله بعد خروجه من البطن الى هذه الدار فلهذه الانفس أربعة دور كل دار أعظم من التي قبلها (الدار الاولى) بطن أمه وذلك الحصر والضيق والغم والظلمات الثلاث (الدار الثانية) هذه الدار التي نشأت فيها وألفتها واكتسبت الخير أو الشر وأسباب السعادة والشقاوة فيها (الدار الثالثة) دار البرزخ وهي أوسع من هذه الدار وأعظم بل نسبتها اليها كنسبة هذه الدار الى الاولى (الدار الرابعة) دار القرار وهي الجنة أو النار

فلا دار بعدها والله تعالى ينقل الروح في هذه الدور طبقا بعد طبق حتى يبلغها الدار التي لايصلح لها غيرها ولا يليق بها سواها وهي التي خلقت لها وهيئت للعمل الموصل اليها ولها في كل دار من هذه الدور شأن غير شأن الدار الاخرى فتبارك الله فاطرها ومنشؤها ومميتها ومسعدها ومشقيها وبالله التوفيق

﴿ المسألة الثالثة ﴾

من المسائل المتعلقة بالروح هل تتلاقى أرواح الموتى وتتزاور وتتذاكر وتتلاقى أرواح الاحياء والأموات أيضا وهذا يعلم مما مر من حيث الجملة لان الارواح قسمان معذبة ومنعمة فالمعذبة فى شغل شاغل لها بما هي فيه من العذاب عن التزاور والتلاقي واما الارواح المنعمة المرسلة غير المحبوسة فهذه تتلاقى وتتزاور وتتذاكر ما كان منها في الدنيا ومايكون من أهل الدنيا فيكون كل روح رفيقها الذي على مثل عملها وروح نبينا صلى الله عليه وسلم في الرفيق الاعلا قال تعالى (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) قال الامام ابن القيم وهذه المعية ثابتة في الدنيا وفي دار البرزخ وفي دار الجزاء والمرء مع من أحب في هذه الدور الثلاثة وقد تواترت المرائي بتلاقي الارواح بعضها مع بعض قال الامام عبد الله بن المبارك رأيت سفيان الثوري في النوم فقلت مافعل الله بك قال لقيت محمدا وحزبه وقد جاءت سنة صحيحة بتلاقي الارواح وتعارفها فروى بن أبي الدنيا قال لما مات بشر بن البراء بن معرور وجدت عليه أم بشر وجدا شديدا فقالت يارسول الله انه لايزال الهالك يهلك من بني سلمة فهل يتعارف الموتى فارسل الى بشر بالسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «نعم والذي نفسي بيده ياأم بشر انهم ليتعارفون كما تتعارف الطير في رؤس الشجر» فكان لايهلك هالك من بني سلمة الا جاءته أم بشر فقالت يافلان عليك السلام فيقول وعليك فتقول اقرأ على بشر السلام: وذكر ابن أبي الدنيا أيضا من حديث سفيان عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال أهل القبور يتوكفون الاخبار فاذا أتاهم الميت قالوا مافعل فلان فيقول صالح مافعل فلان يقول صالح مافعل فلان فيقول ألم يأتكم أما قدم عليكم فيقولون لا فيقول انا لله وانا اليه راجعون

سلك به غير سبيلنا وقال عبيد بن عمير أيضا اذا مات الميت تلقته الارواح يستخبرونه كما يستخبر الركب مافعل فلان مافعل فلان فاذا قال توفي ولم يأتهم قالوا ذهب به الى أمه الهاوية وقال سعيد بن المسيب اذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغائب وقال عبيد بن عمير لو اني آيس من لقاء من مات من أهلي لالفاني قد مت كمدا وذكر معاوية بن يحيى عن عبدالله بن سلمة ان أبارهم السمعي حدثه ان أبا أيوب الانصاري رضي الله عنه حدثه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال ان نفس المؤمن اذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير في الدنيا فيقول أنظروا أخاكم حتى يستريح فانه كان في كرب شديد فيسألونه ماذا فعل فلان وماذا فعلت فلانة وهل تزوجت فلانة واذا سألوه عن رجل مات قبله قال انه قد مات قبلي قالوا انا لله وانا اليه راجعون ذهب به الى أمه الهاوية فبئست الام وبئست المربية» ورواه ابن أبي الدنيا والطبراني في الاوسط وقال ان أعمالكم ترد على أقاربكم وعشائركم من أهل الآخرة فان كان خيرا فرحوا واستبشروا وقالوا اللهم هذا فضلك ورحمتك فأتمم نعمتك عليه وأمته عليها ويعرض عليهم عمل المسيء فيقولون اللهم ألهمه عملا صالحا ترضى به وتقربه اليك وأخرج ابن ماجه عن محمد بن المنكدر قال دخلت على جابر بن عبد الله وهو يموت فقلت اقرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام وأخرج الامام أحمد والحكيم الترمذي في نوادر الاصول عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان روحي المؤمنين لتلتقيان على مسيرة يوم وما رأى أحدهما صاحبه» قط وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب القبور قال حدثنا محمد بن الحسين ثني يحيى بن بسطا(١) ثني مسمع ثني رجل من آل عاصم الجحدري قال رأيت عاصما الجحدري في منامي بعد موته بسنتين فقلت أليس قد مت قال بلى قلت فأين أنت قال انا والله في روضة من رياض الجنة انا ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى أبي بكر(٢) بن عبد الله المزني فنتلقى أخباركم قال

(١) الصواب «بسطام الأصفر» كما في ص ٥ من كتاب الروح (٢) الصواب «بكر» كما في كتاب الروح أيضاً اه مصححه

قلت أجسامكم أم أرواحكم قال هيهات بليت الاجسام وانما تلاقى الارواح
والمرائي وان لم تصلح بمجردها لاثبات أحكام فضلا عن اثبات اعتقاد لكنها على كثرتها وانها لايحصيها الا الله تعالى وتواطئها مما يستأنس بها وقد قال صلى الله عليه وسلم «أرى رؤياكم قد تواطئت على انها — يعني ليلة القدر — في العشر الاخير» فلما تواطأت رؤيا المؤمنين على تلاقي الارواح وتعارفها كان ذلك مما يستأنس به و يصلح للاستشهاد به على انا لم نثبت هذا بمجرد الرؤيا بل بما ذكرناه من الاخبار عن النبي المختار من تلاقي أرواح الموتى بعضهم لبعض وتلاقي أرواح الاحياء لارواح الموتى أيضا ثم ان الحس والواقع من أعدل الشهود وقد قال تعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) روى أبو عبد الله بن منده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية قال بلغني أن أرواح الاحياء والاموات تلتقي في المنام فيتساءلون بينهم فيمسك الله أرواح الموتى ويرسل أرواح الاحياء الى أجسادها وكذا أخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال يتوفاها في منامها فتلتقي روح الحي وروح الميت فيتذاكران ويتعارفان قال فترجع روح الحي الى جسده في الدنيا الى بقية أجلها وتريد روح الميت أن ترجع الى جسده فتحبس وهذا أحد القولين في تفسير الآية وهو ان الممسكة من توفيت وفاة الموت أولا والمرسلة من توفيت وفاة النوم والمعنى على هذا انه يتوفى نفس الميت فيمسكها ولا يرسلها قبل يوم القيامة ويتوفى نفس النائم ثم يرسلها الى جسدها الى بقية أجلها فيتوفاها الوفاة الاخرى والقول الثاني في الآية ان الممسكة والمرسلة كلاهما توفى وفاة النوم فمن استكملت أجلها أمسكها عنده فلا يردها الى جسدها ومن لم تستكمل أجلها ردها الى جسدها لتستكمله وهو الذي اختاره شيخ الاسلام ابن تيمية ومال تلميذه المحقق الى ترجيح الاول ثم قال والتحقيق أن الآية تتناول النوعين فانه تعالى ذكر وفاتين وفاة نوم ووفاة موت وذكر امساك المتوفاة وارسال الاخرى ومعلوم انه تعالى يمسك نفس كل ميت سواء مات في النوم أو في اليقظة ويرسل نفس من لم يمت وقد قال سعيد بن المسيب التقي

عبدالله بن سلام وسلمان الفارسي رضي الله عنهما فقال أحدهما للآخر ان مت قبلي فالقني فاخبرني مالقيت من ربك وان أنا مت قبلك لقيتك فأخبرتك فقال الآخر وهل يلتقي الاموات والاحياء قال نعم أرواحهم في الجنة تذهب حيث شاءت قال فمات فلان فلقيه في المنام فقال له توكل وأبشر فلم ار مثل التوكل قط وقال العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه كنت اشتهي أن أرى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المنام فما رأيته الا عند قريب الحول فرأيته يمسح العرق عن جبينه وهو يقول هذا أوان فراغي ان كان عرشي ليهد لولا أني لقيت رؤفا رحيما ولما حضرت شارح(١) بن عابد اليماني الوفاة دخل عليه عصيف(٢) بن الحارث وهو يجود بنفسه فقال له يا أبا الحجاج ان قدرت على أن تاتي بعد الموت فتخبرني بما ترى فافعل قال وكانت كلمته مقبولة في أهل الفقه فمكث زمانا لايراه ثم رآه في منامه فقال له أليس قدمت قال بلى قال فكيف حالك قال تجاوز ربنا عنا الذنوب فلم يهلك منا الاخواص قلت وما الخواص (٣) قال الذين يشار اليهم بالاصابع(٤) وقال قبيصة بن عقبة رأيت سفيان الثوري في المنام بعد موته فقلت مافعل الله بك فقال:

نظرت الى ربي عيانا فقال لي هنيئا رضائي عنك ياابن سعيد
لقد كنت قواما اذا الليل قد دجا بعبرة محزون وقلب عميد
فدونك فاختر أي قصر تريده وزرني فاني منك غير بعيد

وهذا باب طويل جدا فان لم تسمح نفسك بتصديقه وقلت هذه منامات وهي غير معصومة فتأمل من رأى صاحبا له أو قريبا أو غيره فاخبره بأمر لا يعلمه الا صاحب الرؤيا أوأخبره بمال دفنه هو أو غيره أو حذره من أمر يقع أو بشره بأمر

(١) قوله «شارح» الذي في كتاب الروح «شريح» (٢) عصيف ضبطه في كتاب الروح غضيف بالمعجمتين وهو الصواب وضبطه بعضهم بالطاء وقد اختلفوا في كونه صحابيا أو تابعيا وقيل هما اثنان ولا محل لتحقيق ذلك هنا(٣) قوله الاخواص الخ والعبارة في كتاب الروح هكذا «فلم يهلك منا الا الأحراض قلت وما الاحراض» والحرض من اسماء الجبل فلعله استعارة للشهرة (٤) قوله بالاصابع تتمته في كتاب الروح «في الشيء» اه مصححه

يوجد فوجد كما قال أو أخبره بانه يموت هو أو بعض أهله الى كذا وكذا فيقع كما أخبر أو أخبره بخصب أوجدب أو عدوّ أو نازلة أو مرض له فوقع كما أخبر والواقع من ذلك لايحصيه الا الله تعالى والناس مشتركون فيه وقد رأينا نحن وغيرنا من ذلك عجائب و به يعلم بطلان قول من زعم ان هذه كلها علوم وعقائد في النفس تظهر لصاحبها عند انقطاع نفسه عن الشواغل البدنية بالنوم فهذا عين الباطل والمحال فان النفس لم يكن فيها قط معرفة هذه الامور التي يخبر بها الميت ولا خطر ببالها ولا عندها علامة عليها ولا أمارة بوجه ما كما قاله الامام المحقق ابن القيم في الروح

قال ونحن لاننكر ان الامر قد يقع كذلك وان من الرؤيا ما يكون من حديث النفس وصور الاعتقاد بل أكثر مرائي الناس انما هي من مجرد صور اعتقادهم المطابق وغير المطابق فان الرؤيا على ثلاثة أنواع رؤيا من الله ورؤيا من الشيطان ورؤيا من حديث النفس والرؤيا الصحيحة أقسام (منها) إلهام يلقيه الله سبحانه في قلب العبد وهو كلام يكلم به الرب عبده في المنام كما قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه وغيره (ومنها) مثل يضربه له ملك الرؤيا الموكل بها (ومنها) التقاء روح النائم بأرواح الموتى من أهله وأقاربه وأصحابه وغيرهم كما ذكرنا (ومنها) عروج روحه الى الله سبحانه وخطابها له (ومنها) دخول روحه الى الجنة ومشاهدها وغير ذلك فالتقاء ارواح الاحياء بأرواح الموتى نوع من أنواع الرؤيا الصحيحة التي هي عند الناس من جنس المحسوسات وهذا موضع اضطربت فيه الناس فمن قائل ان العلوم كلها كامنة في النفس وانما اشتغالها بعالم الحس يحجب عنها مطالعتها فاذا تجردت بالنوم رأت منها بحسب استعدادها ولما كان تجردها بالموت اكمل كانت علومها ومعارفها هناك أكمل قال المحقق ابن القيم في كتاب الروح وهذا فيه حق وباطل فلا يرد كله ولا يقبل كله فان تجرد النفس يطلعها على علوم ومعارف لاتحصل بدون التجرد لكن لو تجردت كل التجرد لم تطلع على علم الله الذي بعث فيه رسوله ولا على تفاصيل مما أخبر به عن الرسل الماضية والامم الخالية وتفاصيل المعاد واشراط الساعة وتفاصيل الامر والنهي والاسماء والصفات والافعال وغير ذلك مما لايعلم

الا بالوحي ولكن تجرد النفس عونلها على معرفة ذلك وتلقيه من معدنه أسهل وأقرب وأكثر مما يحصل للنفس المنغمسة في الشواغل البدنية ومن قال من الناس ان هذه المرائي علوم يخلقها الله تعالى في النفس ابتداء بلا سبب فهذا قول منكر الاسباب والحكم والقوى وهو قول مخالف للشرع والعقل والفطرة ومن قال(١) ان الرؤيا أمثال مضروبة يضربها الله للعبد بحسب استعداده والقه على يد ملك الرؤيا فمرة يكون مثلا مضروبا ومرة يكون نفس حارآه الرائي فيطابق الواقع مطابقة العلم لمعلومه وهذا أقرب من القولين قبله ولكن الرؤيا ليست مقصورة عليه بل لها أسباب أخر كما تقدم من ملاقاة الارواح واخبار بعضها بعضا ومن إلقاء الملك الذي في القلب والروع ومن رؤية الروح للاشياء مكافحة بلا واسطة

وقد ذكر الحافظ أبو عبدالله بن منده في كتابه (النفس والروح) بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال لقي عمر بن الخطاب علي بن أبي طالب رضي الله عنهما فقال له يا أبا الحسن ربما شهدت وغبنا وربما شهدنا وغبت ثلاث أسألك عنهن فهل عندك منهن علم فقال علي بن أبي طالب وما هن قال الرجل يحب الرجل ولم يرمنه خيرا والرجل يبغض الرجل ولم يرمنه شرا فقال علي نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «الارواح جنود مجندة تلتقي في الهواء فتشام فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» فقال عمر «واحدة» قال عمر والرجل يحدث الحديث اذ نسيه فبينما هو ومن نسيه(٢) اذ ذكره فقال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ما في القلوب قلب الا وله سحابة كسحابة القمر بينا القمر يضيء اذ تخللته(٣) سحابة فأظلم اذا انجلت(٤) فأضاء وبينا القلب يتحدث اذ تخللته سحابة فنسي اذ انجلت عنه فيذكر» قال عمر «اثنتان» قال والرجل يرى الرؤيا فمنها ما يصدق ومنها ما يكذب فقال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما من عبد ينام يمتلىء نوما الا عرج بروحه الى العرش فالذي لا يستيقظ دون العرش فتلك الرؤيا التي تصدق والذي يستيقظ دون

---

(١) كذا في الاصل والصواب « ومن قائل »(٢) العبارة في كتاب الروح هكذا « فبينما هو وما نسيه »(٣) في كتاب الروح «تجللته»(٤) في كتاب الروح «تجلت» في الموضعين ومعناهما واحد

العرش "هي التي تكذب » فقال عمر رضي الله عنه :ثلاث كنت في طلبهن فالحمد لله الذي أصبتهن قبل الموت:وروي أن عمر بن الخطاب قال عجبت لرؤيا الرجل يرى الشيء لم يخطرله على بال فيكون كاخذ بيد و يرى الشيء فلا يكون شيئا فقال علي رضي الله عنه ياأمير المؤمنين يقول الله تعالى(الله يتوفى الا نفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى) قال والارواح يعرج بها في منامها فما رأت وهي في السماء فهو الحق فاذا ردت الى أجسادها تلقتها الشياطين في الهواء فكذبتها فيما رأت من ذلك فهو الباطل قال فجعل عمر رضي الله عنه يتعجب من قول علي رضي الله عنه قال الحافظ ابن منده هذا خبر مشهور عن صفوان بن عمرو وغيره وروى عن أبي الدرداء وروى ابن منده عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال «إن الارواح جنود مجندة تتلاقى فتشام كما تتشام الخيل فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» قال الامام ابن القيم ولم تزل الناس قديما وحديثا تعرف هذا وتشاهده قال جميل بن معمر العذري

أظل نهاري مستهاما وتلتقي مع الليل روحي في المنام وروحها

فان قيل فالنائم يرى غيره من الاحياء يحدثه ويخاطبه وربما كان بينهما مسافة بعيدة و يكون المرء يقظان روحه لم تفارق جسده فكيف التقت روحهما فالجواب عن هذا إما ان يكون مثلا مضروبا ضربه ملك الرؤيا للنائم أو يكون حديث نفس من الرائي تجرد له في منامه قال حبيب بن أوس

سقيا لطيفك من زور اتاك به حديث نفسك عنه وهو مشغول

والمقصود أن أرواح الاحياء تتلاقى في النوم كما تتلاقى أرواح الاحياء والاموات قال بعض السلف أن الارواح تتلاقى في الهواء فتتعارف وتتذاكر فيأتيها ملك الرؤيا بما هو لاقيها من خير أو شر قل وقد وكل الله تعالى بالرؤيا الصادقة ملكا علمه وألهمه معرفة كل نفس بعينها واسمها ومنقلبها في دينها ودنياها وطبعها ومعارفها لايشتبه عليه منها شيء ولايغلط فيها فيأتيه نسخة من علم غيب الله من أم الكتاب بما هو مصيب لهذا الانسان من خير أو شر في دينه ودنياه و يضرب له فيها الامثال والاشكال على قدر عادته فتارة يبشره بخير قدمه، أو يقدمه و ينذره

من معصية ارتكبها أوهم بها ويحذره من مكروه انعقدت أسبابه ليعارض تلك الاسباب بأسباب تدفعها ولغير ذلك من الحكم والمصالح التي جعلها الله تعالى في الرؤيا نعمة منه ورحمة واحسانا وتذكيرا وتعريفا وجعل أحد طرق ذلك تلاقي الارواح وتذاكرها وتعارفها وكم ممن كانت توبته وصلاحه وزهده واقباله على الآخرة عن منام رآه أوروي له وكم ممن استغنى وأصاب كنزا أودفينا عن منام وهذا عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم دل في المنام على زمزم وأصاب الكنز الذي كان هناك وفي مثل ذلك حكايات كثيرة وبالله التوفيق

﴿ فكل ما عن سيد الخلق ورد من أمر هذا الباب حق لا يرد ﴾

﴿ فكل ما ﴾ أي شيء أو الذي ﴿ عن سيد الخلق ﴾ ورسول الحق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال في المطلع السيد الذي يفوق في الخير قومه قال الزجاج وقيل التقي وقيل الحليم وقيل الذي لا يغلبه غضبه وجميع ذلك في نبينا صلى الله عليه وسلم وقال في القاموس سيد القوم أجلهم وهو صلى الله عليه وسلم أجل خلق الله وأعظم خلق الله وأكرم خلق الله وأكمل خلق الله صلى الله عليه وسلم قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه بدائع الفوائد اختلف الناس في جواز اطلاق السيد على البشر فمنعه قوم ونقل عن الامام مالك واحتجوا بأنه صلى الله عليه وسلم لما قيل له يا سيدنا قال «انما السيد الله» وجوزه قوم واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم للانصار «قوموا الى سيدكم» وهذا أصلح من الحديث الاول قلت وكذا حديث «ان ابني هذا — يعني الحسن — سيد» وحديث «انا سيد ولد آدم ولا فخر» وغير ذلك مما لا يحصى الا بكلفة قال في البدائع السيد أحد ما يضاف اليه فلا يقال التميمي انه سيد كندة ولا يقال الملك انه سيد البشر قيل وعلى هذا لا يجوز ان يطلق على الله هذا الاسم قال في البدائع وفي هذا نظر فان السيد اذا أطلق عليه تعالى فهو بمعنى المالك والمولى والرب لا بمعنى الذي يطلق على المخلوق ﴿ ورد ﴾ بالاسانيد المقبولة ودونه أهل العلم في الكتب المنقولة المشهورة ﴿ من أمر ﴾ أي من أمور ﴿ هذا الباب ﴾ الذي مناطه السمع من الكتاب والسنة واجماع السلف فكل ذلك ﴿ حق ﴾ يجب اعتقاده والايمان به لانه صحت به النقول ولم ترده العقول وان عجزت العقول عن ادراكه

فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام تأتي بمحارات العقول لا بمحالاتها والفرق بينهما بين لا يخفى على ذي تبصر ﴿ولا يرد﴾ من ذلك شيء لثبوته عن المعصوم وصحته عن رسول الحي القيوم فمن تصدى لرد شيء من هذا الباب فقد اخطأ الصواب وضل وخاب وكان من أهل البدع والارتياب فان الرسل صلوات الله وسلامه عليهم جملهم الله وسائط بينه وبين عباده في تعريفهم ماينفعهم وما يضرهم وتكميل مايصلحهم في معاشهم ومعادهم وبعثوا جميعهم بالدعوة الى الله وتعريف الطريق الموصل اليه وبيان حالهم بعد الوصول اليه فالاصل الاول اثبات التوحيد والصفات والقدر وذكر أيام الله في أوليائه وأعدائه وهي القصص التي قصها الله تعالى على عباده والامثال التي ضربها لهم والاصل الثاني يتضمن تفصيل الشرائع والامر والنهي والاباحة وبيان مايحبه ويكرهه والاصل الثالث يتضمن الايمان باليوم الآخر والجنة والنار والثواب والعقاب قال شيخ الاسلام ابن تيمية في قاعدة له في وجوب الاعتصام بالرسالة: على هذه الاصول الثلاثة مدار الخلق والامر والسعادة والفلاح موقوفة عليها ولا سبيل الى معرفتها الا من جهة الرسل فان العقل لا يهتدي الى تفاصيلها ومعرفة حقائقها وان كان قد يدرك وجه الضرورة اليها من حيث الجملة كالمريض الذي يدرك وجه الحاجة الى الطب ومن يداويه ولا يهتدي الى تفاصيل المرض وتنزيل الدواء عليه وحاجة العبد الى الرسالة أعظم بكثير من حاجة المريض الى الطبيب فان آخر مايعذب بعدم الطبيب موت الابدان واما اذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها مات قلبه موتا لا ترجى الحياة معه أبدا وشقي شقاوة لا سعادة معها أبدا فلا فلاح الا باتباع الرسول والايمان بما جاء به صلى الله عليه وسلم ومن جملة ماورد عن سيد الخلق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وانه حق لا يرد اشراط الساعة وعلاماتها ولهذا قال

فصل

في اشراط الساعة وعلاماتها الدالة على اقترابها ومجيئها

قال تعالى (اقتربت الساعة) وقال (فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة فقد جاء اشراطها) أي اماراتها وعلاماتها واحدها شرط قال الامام البغوي وكان النبي صلى الله عليه وسلم من اشراط الساعة قال تعالى (ومايدريك لعل الساعة قريب) وقال (فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون) والآيات في ذلك كثيرة واما الأحاديث فلاتكاد تحصى فان قيل كيف يوصف بالاقتراب ماقدمضى قبل وقوعه ألف ومائة ونيف وسبعون عاما فالجواب أن الاجل اذا مضى أكثره وبقي أقله حسن أن يقال فيه اقترب أجل ولا ريب أن الاجل الدنيا قدمضي أكثره وبقي أقله ولقرب قيام الساعة عنده تعالى جعلها كغد الذي بعديومك فقال (ولتنظر نفس ماقدمت لغد) وقال تعالى (انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا) وروى الترمذي وصححه من حديث أنس مرفوعا «بعثت أنا والساعة كهاتين» وأشار بالسبابة والوسطى فأفضل أحدها على الاخرى وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم قال باصبعيه هكذا بالوسطى والتي تلي الابهام «بعثت والساعة كهاتين» وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا «انما أجلكم فيمن مضى قبلكم من الامم من صلاة العصر الى مغرب الشمس - وفي لفظ - انما بقاؤكم فيماسلف قبلكم من الأمم مابين صلاة العصر الى غروب الشمس »

ولما كان أمر الساعة شديدا وهو لها مز يدا وأمرها بعيدا كان الاهتمام بشأنها أكثر من غيرها ولهذا أكثر النبي صلى الله عليه وسلم من بيان أشراطها واماراتها وأخبر عما بين يديها من الفتن البعيدة والقريبة ونبه أمته وحذرهم ليتأهبوا لتلك العقبة الشديدة

ثم اعلم ان وقت مجيء الساعة مما انفرد الله بعلمه وانما أخفاه تعالى لانه أصلح للعباد لئلا يتباطؤا عن التأهب والاستعداد كما ان اخفاء وقت الموت أصلح لهم وأنفع وقدانتدب جماعة من العلماء على تعيين قربها وزمن كونها ومجيئها واستدلوا باحاديث

غير صحيحة وماصح منها فدلالتهاغير صريحة وذكر الحافظ جلال الدين السيوطي ذلك في جزء له سماه الكشف وذكر هو تقريبا أنها تقوم على رأس الخمسمائة بعد الألف أو أزيد قال الشيخ العلامة مرعي في (بهجة الناظرين وهذا أيضاً مردود لان كل من تكلم بشيء من ذلك فهو ظن وحسبان لا يقوم عليه برهان

ثم أعلم ان أشراط الساعة وأماراتها تنقسم الى ثلاثة أقسام قسم ظهر وانقضى وهي الامارات البعيدة وقسم ظهر ولم ينقض بل لا يزال في زيادة حتى اذا بلغ الغاية ظهر القسم الثالث وهي الامارات القريبة الكبيرة التي تعقبها الساعة وانها تتابع كنظام خرزات انقطع سلكها (فالأولى) أعني التي ظهرت ومضت وانقضت (منها) بعثة النبي صلى الله عليه وسلم اوموته وفتح بيت المقدس (ومنها) قتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه قال حذيفة أول الفتن قتل عثمان (ومنها) وقعة الجمل (ومنها) وقعة صفين فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة (ومنها) واقعة النهروان فأخرج ابن جرير عن مخنف ابن سليم قال أتينا أبا أيوب الانصاري رضي الله عنه فقلت يا أبا أيوب قاتلت المشركين بسيفك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جئت تقاتل المسلمين فقال ان رسول صلى الله عليه وسلم أمرنا بقتال ثلاثة الناكثين والقاسطين والمارقين فقد قاتلت الناكثين والقاسطين وأنا مقاتل ان شاء الله المارقين وفي رواية عنه عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نقاتل مع علي الناكثين فقد قاتلناهم يعني في وقعة الجمل وذلك لان طلحة والزبير رضي الله عنهما نكثا بيعة علي رضي الله عنه وعهد الينا ان نقاتل معه القاسطين يعني الظالمين وأراد بهم أصحاب معاوية لانهم ظلموا عليا ونازعوه أمراً هو أحق الناس به عند كل منصف والقاسطون هم العادلون عن الحق الى الباطل وعهد الينا ان نقاتل معه المارقين وأراد بهم الخوارج فانهم مرقوا من الدين وفي الخوارج أحاديث كثيرة جدا في الصحيحين وغيرهما (ومنها) نزول أمير المؤمنين وخاتمة الخلفاء الراشدين سبط رسول رب العالمين سيدنا الامام أبي محمد الحسن بن علي وأخي الحسين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين

من المسلمين» الحديث شهد جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أنهم سمعوا ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم (ومنها) ملك بني أمية وماجرى على أهل البيت في أيامهم من الأذية كقتل الحسين بعد ماسم الحسن وواقعة الحرة وماجرى فيها من المحن وقتل ابن الزبير ورمي الكعبة بالمنجنيق وماجرى في ذلك ما لايحسن ولا يليق (ومنها) ملك بني العباس وما جرى في أيامهم من المحن والباس (ومنها) نار الحجاز التي أضاءت منها اعناق الابل ببصرى (ومنها) ظهور الرفض واستبداد الرافضة بالملك واظهار الطعن واللعن على السلف الصالح من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وقد أخرج الامام أحمد أبو يعلى والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا «يكون في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون الاسلام فاذا رأيتموهم فاقتلوهم فانهم مشركون» ولفظ الطبراني باسناد حسن عنه كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده علي فقال النبي صلى الله عليه وسلم « سيكون من أمتي قوم ينتحلون حب أهل البيت لهم نبز يسمون الرافضة فاقتلوهم فانهم مشركون» (ومنها) خروج كذابين دجالين كل منهم يدعي انه نبي (ومنها) زوال ملك العرب رواه الترمذي (ومنها) كثرة المال رواه الشيخان وغيرهما (ومنها) كثرة الزلازل والمسخ والقذف وغير ذلك مما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم انه من أمارات الساعة فظهر ومضى وانقضى

﴿ الثانية ﴾

الامارات المتوسطة وهي التي ظهرت ولم تنقض بل تزايد وتكثر وهي كثيرة جدا (منها) قوله صلى الله عليه وسلم «لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع» رواه الامام أحمد والترمذي والضياء المقدسي من حديث حذيفة رضي الله عنه واللكع العبد والأحمق واللئيم والمعنى لا تقوم الساعة حتى يكون اللئام والحمقى ونحوهم رؤساء الناس (ومن الامارات) قوله صلى الله عليه وسلم « يأتي على الناس زمان الصابر على دينه كالقابض على الجمر» رواه الترمذي عن أنس وقوله صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد» رواه الامام أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان عن أنس رضي الله عنه وقوله صلى الله عليه وسلم

يكون في آخر الزمان عباد جهال وقراء فسقة ـ وفي لفظ ـ فساق» رواه أبو نعيم والحاكم عن أنس (ومنها) أن يرى الهلال ساعة يطلع فيقال لليلتين لانتفاخه وكبره روى معناه الطبراني عن ابن مسعود وفي لفظ «من أشراط الساعة انتفاخ الأهلة» بالخاء المعجمة أي عظمها وروى بالجيم (ومنها) اتخاذ المساجد طرقا (ومنها) ما أخرجه أبو نعيم في الحلية عن أنس رضي الله عنه مرفوعا «من اقتراب الساعة اثنان وسبعون خصلة اذا رأيتم الناس اماتوا الصلاة واضاعوا الامانة وأكلوا الربا واستحلوا الكذب واستخفوا بالدماء واستعلوا البناء وباعوا الدين بالدنيا وتقطعت الارحام ويكون الحكم ضعفا والكذب صدقا والحرير لباسا وظهر الجور وكثر الطلاق وموت الفجأة وأتمن الخائن وخون الأمين وصدق الكاذب وكذب الصادق وكثر القذف وكان المطر قيظا والولد غيظا وفاض اللئام فيضا وغاض الكرام غيضا وكان الأمراء والوزراء والأمناء خونه والعرفاء ظلمة والقراء فسقة اذا لبسوا مسوك الضأن قلوبهم انتن من الجيفة وأمر من الصبر يغشيهم الله فتنة يتهاوكون فيها تهاوك اليهود والظلمة وتظهر الصفراء وتطلب البيضاء يعني الذهب والفضة وتكثر الخطباء ويقل الأمر بالمعروف وحليت المصاحف وصورت المساجد وطولت المنابر وخربت القلوب وشربت الخمور وعطلت الحدود وولدت الامة ربتها وترى الحفاة العراة صاروا ملوكا وشاركت المرأة زوجها في التجارة وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال وحلف بغير الله وشهد المرء من غير أن يستشهد وسلم للمعرفة وتفقه لغير الله وطلبت الدنيا بعمل الآخرة واتخذ المغنم دولا ـ وهو بضم الدال المهملة وفتح الواو ما يتداول من المال ومعناه اذا أخص الاغنياء وأرباب المناصب بأموال الفيء ومنعوها مستحقيها كما في النهاية ـ والامانة مغنما والزكاة مغرما وكان زعيم القوم ارذلهم وعق الرجل أباه وجفا أمه وبر صديقه وأطاع امرأته وعلت أصوات الفسقة في المساجد واتخذت القيان والمعازف وشربت الخمور في الطرق واتخذ الظلم فخرا وبيع الحكم وكثرت الشرط واتخذ القرآن مزامير وجلود السباع صفافا ـ أي بأن تجعل على السروج كما يفعله امراء زماننا ـ ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وخسفا ومسخا وقذفا وآيات» (ومنها) ماروا الامام أحمد وعبد بن حميد وابن أبي حاتم

عن سلمان موقوفا والحسن بن سفيان وابن عساكر مرفوعا «اذا ظهر القول وخزن العمل وائتلفت الالسن واختلفت القلوب وقطع كل ذي رحم رحمه فعند ذلك لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم» (ومنها) ما أخرجه الامام أحمد أيضاً والحاكم وابن ماجه عن أنس رضي الله عنه مرفوعا «اذا كانت الفاحشة في كباركم والملك في صغاركم والعلم في مرذاكم والمداهنة في خياركم» يعني فتقرب اقامة الساعة وأخبار من هذه كثيرة جدا ذكرت منها طرفا صالحا في كتابي البحور الزاخرة في علوم الآخرة (منها) ما في صحيح البخاري وغيره من حديث أنس رضي الله عنه انه قال ألا أحدثكم بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحدثكم به أحد غيري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم و يكثر الجهل ويكثر الزنا و يكثر شرب الخمر و يقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد» وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم جاء أعرابي قال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه يحدث وقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم بل لم يسمع حتى اذا قضى حديثه: قال أين السائل عن الساعة؟ فقال ها انا يارسول الله قال «فاذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة» قال كيف اضاعتها قال «اذ وسد الامر الى غير أهله فانتظر الساعة» والله أعلم

﴿ الاشراط والامارات ﴾

(الثالثة) العلامات العظام والاشراط الجسام التي تعقبها الساعة وهي المقصودة في النظم والتي تكلم عليها أهل العلم واليها الاشارة بقوله

﴿ وما أتى في النص من اشراط فكله حق بلا شطاط ﴾

﴿ وما ﴾ أي وما ورد عن سيد الخلق وهو حق يجب اعتقاده ولا يسوغ رده الذي ﴿أتى﴾ أي ورد وجاء ﴿في النص﴾ القرآني أو الحديث النبوي ﴿من اشراط﴾ الساعة باقسامها الثلاثة مما ذكرنا ومما لم نذكر والمراد بالساعة يوم القيامة وسميت

الساعة لقربها أو لانها تاتي بغتة في ساعة أو لان بعث الموتى من قبورهم يكون فى أسرع من اللمحة أو لان فصل القضاء في ذلك اليوم فى قدر ساعة وروى عن علي رضي الله عنه انه سئل عن محاسبة الخلق فقال كما يرزقهم فى غداة واحدة كذلك يحاسبهم فى ساعة واحدة وتقدم ان الاشراط جمع شرط وانها أماراتها وعلاماتها ﴿ فكله ﴾ أي الذي أتى فى النص من اشراط الساعة وفى نسخة كلها أي الاشراط ﴿ حق ﴾ واقع ويقين ليس له مدافع ﴿ بلا شطاط ﴾ كسحاب وكتاب أي من غير طول وبعد يقال رجل شاط بين الشطاط والشطاطة والشطاط وهو البعيد مابين الطرفين وقرىء (ولا تشطط) ولا تشاطط أي لاتبعد عن الحق والمعنى ان الذي جاء فى النص من اشراط الساعة حق كله لابعد فيه ولا عقل ينافيه ثم أخذ فى تعداد تلك الاشراط فقال

﴿ منها الامام الخاتم الفصيح محمد المهدي والمسيح ﴾

﴿ منها ﴾ أي من أشراط الساعة التي وردت بها الاخبار وتواترت فى مضمونها الآثار أي من العلامات العظمى وهي أولها ان يظهر ﴿ الامام ﴾ المقتدى بأقواله وأفعاله ﴿ الخاتم ﴾ للائمة فلا امام بعده كما أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الخاتم للنبوة والرسالة فلا نبي ولا رسول بعده ﴿ الفصيح ﴾ اللسان لانه من صميم العرب أهل الفصاحة والبلاغة والفصاحة في اصطلاح أهل المعاني والبيان خلوص الكلام من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد مع فصاحة مفرداته والفصاحة فى المفرد خلوصه عن تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس والفصاحة في المتكلم ملكة يقتدر معها على التعبير المقصود بلفظ فصيح والبلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته وفي المتكلم ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ وقوله ﴿ محمد المهدي ﴾ هذا اسمه وأشهر أوصافه فأما اسمه فمحمد جاء ذلك في عدة أخبار وفي بعضها أن اسمه أحمد واسم أبيه عبدالله فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي» رواه أبو نعيم من حديث أبي هريرة ولفظه أنه صلى الله عليه وسلم قال « لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم

أبيه اسم أبي يملأها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا» وروى نحوه الترمذي وأبو داود والنسائي والبيهقي وغيرهم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه وفي رواية من حديث ابن مسعود أيضا لا تذهب الدنيا حتى يملك رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي يملأ الارض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما أخرجه الطبراني في معجمه الصغير وأخرجه الترمذي ولفظه حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي وقال حديث حسن صحيح وكذلك أخرجه أبو داود في سننه وروى ابن مسعود أيضا رضي الله عنه رفعه اسم المهدي محمد وفي مرفوع حذيفة محمد بن عبد الله ويكنى أبا عبد الله ومن أسمائه ايضا أحمد بن عبد الله كما في بعض الروايات

وأما زعم الشيعة ان اسمه محمد بن الحسن وانه محمد بن الحسن العسكري فهذيان فان محمد بن الحسن هذا قد مات وأخذ عمه جعفر ميراث أبيه الحسن قلت هو أبو القاسم محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم ومحمد بن الحسن العسكري هذا ثاني عشر الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الامامية ويعرف بالحجة وهو الذي تزعم الشيعة انه المنتظر والقائم والمهدي وهو صاحب السرداب عندهم وأقاويلهم فيه كثيرة وهم ينتظرون ظهوره في آخر الزمان من السرداب بسر من رأى كانت ولادته في منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين والشيعة تزعم انه دخل السرداب في دار أبيه وأمه تنظر اليه فلم يعد يخرج اليها وذلك في سنة خمس وستين ومائتين وعمره يومئذ تسع سنين وقيل غير ذلك وكل ذلك ضرب من الجنون والهذيان واماذاك فقد مات رضوان الله عليه وعلى آبائه

واما تسميته ووصفه بالمهدي فقد ثبتت له هذه الصفة في عدة أخبار وعن كعب الاحبار قال انما سمي المهدي لانه يهدي الى أمر خفي وسيخرج التوراة والانجيل من أرض يقال لها انطاكية أخرجه أبو نعيم في كتاب الفتن وفي بعض رواياته عن كعب قال انما سمي مهديا لانه يهدي الى أسفار التوراة فيستخرجها من جبال الشام يدعو اليها اليهود فيسلم على تلك الكتب جماعة كثيرة وذكر الامام أبو عمرو الداني قال انما سمي المهدي لانه يهدي الى جبل من جبال الشام يستخرج منها أسفار

التوراة يحاج بها اليهود فيسلم على يده جماعة منهم واما لقبه فالجابر لانه يجبر قلوب أمة محمد صلى الله عليه وسلم ولانه يجبر أي يقهر الجبارين والظالمين ويقصمهم واما كنيته فابو عبد الله واما نسبه فانه من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ان الروايات الكثيرة والاخبار الغزيرة ناطقة انه من ولد فاطمة البتول ابنة النبي الرسول صلى الله عليه وسلم ورضي عنها وعن أولادها الطاهرين وجاء في بعض الاحاديث انه من ولد العباس والاول أصح قال ابن حجر في كتابه القول المختصر واما ما روي «ان المهدي من ولد العباس عمي» فقال الدارقطني حديث غريب تفرد به محمد بن الوليد مولى بني هاشم قال ولا ينافيه خبر الرافعي عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا «الا ابشرك ياعم ان من ذريتك الاصفياء ومن عترتك الخلفاء ومنك المهدي في آخر الزمان به ينشر الله الهدى ويطفيء نيران الضلالة ان الله فتح بنا هذا الامر وبذريتك يختم» وخبر هشيم بن كاب وابن عساكر عن ابن عباس ورجاله ثقاة «اللهم انصر العباس وولد العباس ثلاثا ياعم أما علمت ان المهدي من ولدك موفقا راضيا» وخبر أبي نعيم في الحلية عن أبي هريرة رضي الله عنه «الا أبشرك يا أبا الفضل ان الله عزوجل افتتح بي هذا الامر وبذريتك يختم» وخبر الديلمي عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « لن تزال الخلافة في ولد عمي وصنو أبي حتى يسلموها الى الدجال» وخبر الخطيب عن ابن عباس عن أمه أم الفضل رضي الله عنهم «ياعباس أنت عمي وصنو أبي وخير من أخلف بعدي من أهلي اذا كانت خمس وثلاثون ومائة فهي لك ولولدك منهم السفاح ومنهم المنصور ومنهم المهدي» وخبر الخطيب وابن عساكر عن علي رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال للعباس ياعم «الا أخبرك ان الله افتتح هذا الامر بي ويختمه بولدك» فهذه الاخبار كلها لا تنافي ان المهدي من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة الزهراء لان الاحاديث التي ان المهدي من ولدها أكثر وأصح بل قال بعض حفاظ الامة وأعيان الأئمة ان كون المهدي من ذريته صلى الله عليه وسلم مما تواتر عنه ذلك فلا يسوغ العدول ولا الالتفات الى غيره وقال ابن حجر يمكن الجمع بأن يكون من ذريته صلى الله عليه وسلم وللعباس

فيه ولادة من جهة ان في أمهاته عباسية والحاصل ان للحسن في المهدي الولادة العظمى لان أحاديث كونه من ذريته أكثر وللحسين فيه ولادة أيضا وللعباس في ولادة أيضا ولامانع من اجتماع ولادات متعددات في شخص واحد من جهات مختلفة وبالله التوفيق

﴿ فوائد ﴾

(منها) في حليته وصفته قال ابن عباس رضي الله عنهما المهدي اسمه محمد بن عبدالله وهو رجل ربعة مشرب بحمرة يفرج الله به عن هذه الامة كل كرب ويصرف بعدله كل جور وعن حذيفة ابن اليمان رضي عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «المهدي رجل من ولدي وجهه كالكوكب الدري اللون لون عربي والجسم جسم اسرائيلي يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا يرضى في خلافته أهل الارض وأهل السماء والطير في الجو يملك عشرين سنة» أخرجه أبو نعيم في مناقب المهدي والطبراني في معجمه وأخرج أبو داود والبيهقي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «المهدي مني أجلى الجبهة أقنى الانف يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا يملك سبع سنين» واخرج أبو نعيم من حديث عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليبعثن الله في عترتي رجلا أفرق الثنايا أجلى الجبهة يملأ الارض عدلا ويفيض المال فيضا» وفي مرفوع عمران بن حصين انه حين ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يارسول الله كيف لنا بهذا حتى نعرفه قال «هو رجل من ولدي كأنه من رجال بني اسرائيل عليه عباءتان قطوانيتان كأن في وجهه الكوكب الدري في اللون في خده الايمن خال اسود ابن أربعين سنة» اخرجه الامام أبو عمرو الداني في سننه واخرج أبو نعيم من حديث أبي امامة رضي الله عنه مرفوعا «المهدي من ولدي ابن أربعين سنة كأن وجهه كوكب دري في خده الايمن خال اسود عليه عباءتان قطوانيتان كأنه من رجال بني اسرائيل يستخرج الكنوز ويفتح مدائن الترك» وفي حديث أبي وائل عن علي رضي الله عنه قال نظر الى الحسن وقال ان ابني هذا سيد كما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيخرج من صلبه رجل باسم نبيكم يخرج على

حين غفلة من الناس واماتة الحق واظهار الجور يفرح بخروجه أهل السماء وسكانها وهو رجل أجلى الجبين أقنى الانف ضخم البطن أزيل الفخذين بفخذه الايمن شامة أفلج الثنايا يملأ الارض عــدلا كما ملئت ظلما وجورا وعن أبي جعفر محمد الباقر قدس الله سره قال سئل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عن صفة المهدي قال هو شاب مربوع حسن الوجه يسيل شـعره على منكبيه يعلو نور وجهه سواد شعره ولحيته ورأسه وفي رواية أخرى عن علي رضي الله عنه ان المهدي كث اللحية أكحل العينين براق الثنايا في وجهه خال أقنى أجلى في كتفه علامة النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض الروايات المهدى أزج أبلج أعين يجيء من الحجاز حتى يستوي على مسجد دمشق أخرجه أبو نعيم وفي رواية لابي نعيم بكتفه اليمنى خال وفي حديث علي مرفوعا انه كث اللحية أكحل العينين براق الثنايا في وجهه خال وفي كتفه عــلامة وقال كعب الاحبار اني لأجد المهدي مكتوب (١) في أسفار الانبياء مافي حكمه ظلم ولاعيب أخرجه أبو عمرو المقري في سننه ونعيم بن حماد واخرج أبو نعيم عن طاووس قال علامة المهدي انه يكون شديدا على العمال جوادا بالمال رحيما بالمساكين. ورأيتني قد وصفته في كتابي البحور الزاخرة بأنه آدم أي أسمر ضرب من الرجال أي خفيف اللحم ممشوق مستدق ربعة أي لابالطويل ولا بالقصير أجلى الجبهة أي خفيف شعر النزعتين عن الصدغين وهو الذي انحسر الشعر عن جبهته أقنى الانف أي طويله مع دقة أرنبته اشم أي رفيع العرنين أزج أي حاجبه فيه تقويس مع طول في طرفه أوامتداده أبلج أعين أكحل العينين واسع العين (٢) والكحل بفتحتين سواد في أجفان العين خلقة من غير اكتحال براق الثنايا أي لثناياه بريق ولمعان أفرقها أي ليست متلاصقة أزيل الفخذين أي منفرج الفخذين متباعدهما وفي رواية في لسانه ثقل واذا أبطأ عليه ضرب فخذه الايسر بيده اليمنى ابن أربعين سـنة وفي رواية مابين ثلاثين الى أربعين خاشع لله خشوع النسر بجناحية عليه عباءتان قطوانيتان قال في النهاية هي عباءة بيضاء قصيرة الخمل والنون زائدة

(١) كذا في الاصل (٢) لعل الصواب واسع الفم أو الجبهة والاقبال واسعهما

﴿الفائدة الثانية في سيرته﴾

قل أهل العلم يعمل بسنة النبي صلى الله عليه وسلم لا يوقظ نائما ويقاتل على السنة لايترك سنة الا أقامها ولا بدعة الا رفعها يقوم بالدين آخر الزمان كما قام به النبي صلى الله عليه وسلم أوله يملك الدنيا كلها كما ملك ذوالقرنين وسليمان بن داود عليهما السلام يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويرد الى المسلمين الفتهم ونعمتهم يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا يحثو المال حثوا ولايعده عدا يقسم المال صحاحا بالسوية يرضى عنه ساكن السماء وساكن الارض والطير في الجو والوحش في القفر والحيتان في البحر يملأ قلوب أمة محمد صلى الله عليه وسلم غنى حتى انه يأمر مناديا ينادي الامن له حاجة في المال؟ فلا يأتيه الا رجل واحد فيقول انا فيقول ائت السادن أي الخازن فقل له المهدي يأمرك ان تعطيني مالا فيقول له احث حتى اذا جعله في حجره وابرزه ندم فيقول كنت اجشع أي أحرص أمة محمد صلى الله عليه وسلم أعجزعني ماوسعهم قال فيرده فلا يقبل منه فقال له انا لا نأخذ شيئا أعطيناه الامة. تنعم أمة محمد برها وفاجرها في زمانه نعمة لم يسمعوا بمثلها قط وترسل السماء عليهم مدرارا لاتدخر شيئا من قطرها وتؤتي الارض أكلها لاتدخر عنهم شيئا من نذرها يجري على يديه الملاحم يستخرج الكنوز ويفتح المدائن مابين الخافقين يؤتى اليه ملوك الهند مغلاين وتحمل خزائنهم لبيت المقدس حليا يأوي اليه الناس كما يأوي النحل الى يعسوبه حتى يكون الناس على مثل أمرهم الاول يمده الله بثلاثة آلاف من الملائكة يضربون وجوه مخالفيه وأدبارهم جبريل على مقدمته وميكائيل على ساقته ترعى الشاة والذئب في زمانه في مكان واحد وتلعب الصبيان بالحيات والعقارب لاتضرهم شيئا ويزرع لانسان مدا فيخرج له سبعمائة مد ويرتفع الربا والزنا وشرب الخمر وتطول الاعمار وتؤدى الامانة وتهلك الاشرار ولا يبقى من يبغض آل محمد صلى الله عليه وسلم محبوب يعني المهدي في الخلائق يطفئ الله به الفتنة العمياء وتأمن الارض حتى أن المرأة تحج في خمس نسوة مامعهن رجل ولايخفن شيئا الا الله مكتوب في شمائل الانبياء مافي حكمه ظلم ولاعيب

﴿الثالثة في علامات ظهوره﴾

قال العلامة الشيخ مرعي في كتابه (فوائد الفكر في المهدي المنتظر) اعلم ان لظهور المهدي علامات جاءت بها الآثار ودلت عليها الأحاديث والاخبار فمن علامات ظهوره على ما ورد كسوف الشمس والقمر ونجم الذنب والظلمة وسماع الصوت برمضان وتحارب القبائل بذي القعدة وظهور الخسف والفتن معه قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيفه ورايته من مرط مخملة معلمة سوداء فيها حجر لم تنشر منذ توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تنشر حتى يخرج المهدي مكتوب على رأسها «البيعة لله» كذا في الاشاعة للعلامة السيد محمد البرزنجي المدني و يغرس قضيبا يابسا في أرض يابسة فيخضر ويورق و يطلب منه آية فيومي الى طير في الهواء بيده فيسقط على يده و ينادي منادمن السماء: أيها الناس ان الله قطع عنكم الجبارين والمنافقين واشياعهم وولا كم خير أمة محمد صلى الله عليه وسلم فالحقوه بمكة فانه المهدي واسمه محمد بن عبد الله وتخرج الارض افلاذ كبدها مثل الاسطوانات من الذهب و يخرج كنز الكعبة المدفون فيها فيقسمه في سبيل الله رواه أبو نعيم عن علي رضي الله عنه و يستخرج تابوت السكينة من غار انطا كية أو من بحيرة طبرية فيخرج حتى يحمل فيوضع بين يديه ببيت المقدس فاذا نظر اليه يهود اسلموا الا قليلا منهم وتأتيه الرايات السود من خراسان فيرسلون اليه البيعة وتنشف الفراة ٧ فتحسر عن جبل من ذهب وذكروا أنه ينكسف القمر أول ليلة من رمضان والشمس ليلة النصف ونظر في هذا الشيخ مرعي بان العادة انكساف القمر لليالي الابدار والشمس أيام الاسرار ولكن من الممكن ان يكون ذلك آية لظهوره وفيها خرق للعادة وروى أبو نعيم في الفتن قال شريك بلغني ان القمر قبل خروجه ينكسف مرتين برمضان وذكر الكسائي عن كعب الاحبار ان القمر ينكسف ثلاث ليال متواليات وروى عن كعب الأحبار يطلع نجم بالمشرق وله ذنب يضيء كما يضيء القمر ينعطف حتى يلتقي طرفاه أو يكاد وفي الديلمي مرفوعا تكون هذه في رمضان توقظ النائم وتفزع اليقظان ومن وجه آخر يكون صوت في رمضان في نصف الشهر يصعق منه سبعون ألفا و يعمى مثلها

ويخرس مثلها ويصم مثلها ويفتق من الابكار مثلها ومن علامات المهدي أيضاً خسف قرية ببلاد الشام يقال لها حرستا كما في الاشاعة وغيرها

﴿ الرابعة ﴾

« في الاشارة الى بعض الفتن الواقعة قبل خروج المهدي وخروج خوارج قبل ذلك »

(منها) ما ذكره في الاشاعة انه يحسر الفرات عن جبل من ذهب كما تقدم فاذا سمع به الناس ساروا اليه واجتمع عليه ثلاثة كلهم ابن خليفة يقتتلون عنده ثم لا يصير الى أحد منهم فيقول لكل واحد والله لئن تركت الناس يأخذون منه ليذهبن بكله يقتتلون عليه حتى يقتل من كل مائة تسعة وتسعون وفي رواية فيقتل تسعة اعشارهم وفي رواية من كل تسعة سبعة فيقول لكل رجل لعلي أكون انا انجو وقد قال صلى الله عليه وسلم «من حضر فلا يأخذ منه شيئاً» وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تقوم الساعة حتى يخرج المهدي من ولدي ولا يخرج المهدي حتى يخرج ستون كذابا كلهم يقول انا نبي» وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريباً من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله» رواه مسلم في صحيحه ورواه البخاري بمعناه وتمام الحديث في مسلم «وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج» وهو القتل الحديث وهو في صحيح البخاري الا ان قوله وتكثر الزلازل في البخاري دون مسلم وفي مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ان بين يدي الساعة كذابين» زاد في طريق أخرى قال جابر فاحذروهم وقال جعفر الصادق بن محمد الباقر لا يظهر المهدي الا على خوف شديد من الناس وزلزال وفتنة وبلاء يصيب الناس والطاعون قبل ذلك وسيف قاطع بين العرب واختلاف شديد في الناس وتشتت في دينهم وتغيير في حالهم حتى يتمنى المتمني الموت صباحاً ومساء من عظيم ما يرى من كلب الناس وأكل بعضهم بعضاً فحينئذ يخرج فياطوبى لمن أدركه وكان من انصاره والويل كل الويل لمن خالفه وخالف أمره وقال محمد بن الصلت قلت للحسين بن علي رضي الله عنهما أما من علامة بين يدي هذا الامر يعني ظهور المهدي

قال بلى قلت وما هي قال هلاك بني العباس وخروج السفياني والخسف بالبيداء قلت جعلت فداك أخاف ان يطول هذا الامر فقال انما هو كنظام يتبع بعضه بعضا
وعن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال تكون في الشام رجفة يهلك فيها أكثر من مائة ألف يجعلها الله رحمة للمؤمنين وعذابا على المنافقين فاذا كان كذلك فانظروا الى أصحاب البراذين الشهب والرايات الصفر تقبل من المغرب حتى تحل بالشام وذلك عند الجوع الاكبر والموت الاحمر فاذا كان ذلك فانظروا خسف قرية من قرى دمشق يقال لها حرستا فاذا كان ذلك خرج ابن آكلة الاكباد من الوادي اليابس حتى يستوي على منبر دمشق فاذا كان ذلك فانظروا خروج المهدي .

ومن أقوى علامات خروج المهدي خروج من يتقدمه من الخوارج السفياني والابقع والأصهب والاعرج والكندي

أما السفياني فاسمه عروة واسم أبيه محمد وكنيته أبو عتبة قال العلامة الشيخ مرعي في فوائد الفكر وفي عقد الدرر ان السفياني من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان ملعون في السماء والارض وهو أكثر خلق الله ظلما قال علي رضي الله عنه السفياني من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان رجل ضخم الهامة بوجهه أثر جدري بعينه نكتة بياض يخرج من ناحية دمشق وعامة من يتبعه من كلب فيقتل حتى يبقر بطون النساء ويقتل الصبيان ويخرج اليه رجل من أهل بيتي في الحرم فيبلغ السفياني فيبعث اليه جندا من جنده فيهزمهم فيسير اليه السفياني بمن معه حتى اذا جاز بيداء من الارض خسف بهم فلا ينجو الا المخبر عنهم أخرجه الحاكم في مستدركه وقال هذا حديث صحيح الاسناد على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه

والأبقع يخرج من مصر والاصهب يخرج من بلاد الجزيرة ثم يخرج الجرهمي من الشام قال كعب الاحبار أول من يخرج ويغلب على البلاد الأصهب يخرج من بلاد الجزيرة ثم يخرج من بعده الجرهمي من الشام ويخرج القحطاني من بلاد اليمن قال كعب فبينما هؤلاء الثلاثة قد تغلبوا على مواضعهم واذا قد خرج السفياني من دمشق من واد يقال له وادي اليابس يؤتى في مياهه فيقال

له قم فاخرج فيقوم فلا يجد أحدا ثم يوتى الثانية ثم الثالثة و يقال له فيها فانظر الى باب دارك فينحدر في الثالثة الى باب داره فاذا بسبعة أنفار أو تسعه معهم لواء فيقولون . نحن أصحابك ومع رجل منهم لواء معقود لا يرى ذلك اللواء أحد الا انهزم فيخرج اليه صاحب دمشق ليقاتله فاذا نظر الى رايته انهزم فيدخل دمشق الشام في ثلثمائة وستين راكبا وما يمضي عليه شهر حتى يجتمع عليه ثلاثون ألفا من كلب وهم اخواله وعلامة خروجه خسف بقرية حرستا و يسقط جانب مسجدها الغربي ثم يخرج الأبقع والاصهب فيخرج السفياني من الشام والابقع من مصر والاصهب من جزيرة العرب و يخرج الاعرج الكندي بالمغرب ويدوم القتال بينهم سنة ثم يغلب السفياني على الابقع والاصهب ويسير صاحب المرب فيقتل الرجال ويسبي النساء ثم يرجع حتى ينزل الجزيرة في قيس الى السفياني فيظهر السفياني عليه ويحوز ماجمعوا من الاموال و يظهر على الرايات الثلاث ثم يقاتل الترك فيظهر عليهم ثم يفسد في الارض و يدخل الزوراء فيقتل من أهلها

ثم يخرج وراء النهر خارج يقال له الحارث على مقدمته رجل يقال له المنصور يمكن لآل محمد واجب على كل مؤمن نصره وهذا الرجل يحتمل ان يكون هو الهاشمي الآتي ذكره و يلقب بالحارث كما يلقب المهدي بالجابر و يحتمل ان يكون غيره . و يثور أهل خراسان بعساكر السفياني فتكون بينهم وقعات فاذا طال عليهم قتاله بايعوا رجلا من بني هاشم بكفه اليمنى خال سهل الله أمره وطريقه هو أخوه المهدي من أبيه أو ابن عمه وهو حينئذ بآخر المشرق بأهل خراسان وطالقان ومعه الرايات السود الصغار وهي غير رايات بني العباس على مقدمته رجل من بني تميم الموالي ربعة أصفر قليل اللحية كوسج واسمه شعيب ابن صالح التميمي يخرج اليه في خمسة آلاف فاذا بلغه خروجه صيره على مقدمته لو استقبلته الجبال الرواسي لهدها يمهد الارض للمهدي فيلتقي الهاشمي بخيل السفياني فيقتل منهم مقتلة عظيمة بيبضاء اصطخر حتى تطأ الخيل الدماء الى ارساغها ثم تأتيه جنود من قبل سجستان عليهم رجل من بني عدي فيظهر الله انصاره وجنوده ثم يجتمع مع المهدي و يبايعه و بالله التوفيق

﴿الخامسة في مولده وبيعته ومدة ملكه ومتعلقات ذلك﴾

أخرج نعيم بن حماد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال المهدي مولده بالمدينة من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم واسمه اسم نبي ومهاجره بيت المقدس وفي مرفوع عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عند أبي نعيم وأبي بكر بن المقري في معجمه يخرج المهدي من قرية يقال لها كريمة

واما بيعته فيبايع بمكة المشرفة بين الركن والمقام ليلة عاشوراء واذا هاجر المهدي من المدينة الى بيت المقدس تخرب المدينة بعد هجرته وتصير مأوى للوحوش وقد ورد عمران بيت المقدس خراب يثرب وفي حديث قتادة يخرج المهدي من المدينة الى مكة وفي حديث ابن عباس ستخرجوه من بطن مكة من دار عند الصفا وفي خبر أبي جعفر يظهر المهدي بمكة عند العشاء وفي الخبر يبعث السفياني جيشا الى مكة فيأمر بقتل من كان فيها من بني هاشم فيقتلون ويتفرقون هاربين الى البراري والجبال حتى يظهر أمر المهدي بمكة فاذا ظهر اجتمع كل من شذ منهم اليه بمكة ويأتي سبعة علماء من أفق ٧ شتى على غير ميعاد قد بايع لكل منهم ثلاثمائة وبضعة عشر فيجتمعون بمكة ويقول بعضهم لبعض ماجاء بكم فيقولون جئنا في طلب هذا الرجل الذي ينبغي ان تهدأ على يديه الفتن وتفتح له قسطنطينية قد عرفناه باسمه واسم أبيه وأمه : ولم نقف على اسم أم المهدي بعد الفحص والتتبع ولعلهم يعرفون اسم أمه بالكشف كما ذكره في الاشاعة فيقف السبعة على ذلك فيطلبونه فيصيبونه بمكة فيقولون أنت فلان فيقول بل أنا رجل من الأنصار فينفلت منهم فيصفونه لأهل الخبرة والمعرفة به فيقولون هو صاحبكم الذي تطلبونه وقد لحق بالمدينة فيطلبونه بالمدينة فيخالفهم الى مكة وهكذا ثلاث مرات فيصيبونه بمكة في الثالثة عند الركن فيقولون اثمنا عليك ودماؤنا في عنقك انلم تمد يدك نبايعك وقد أقبل عسكر السفياني في طلبنا فيجلس بين الركن والمقام فيمد يده فيبايع له فيلقي الله محبته في قلوب الخلق فيصير مع قوم أسد بالنهار رهبان بالليل أخرجه نعيم بن حماد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وأخرج

أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال يبعث المهدي بعد أياس حتى يقـ
الناس لا مهدي وأنصاره من أهل الشام عددهم ثلاثمائة وخمسة عشر رجلا عـ
أصحاب بدر يسيرون اليه من الشام حتى يستخرجوه من بطن مكة من دار عـ
الصفا فيبايعوه كرها فيصلي بهم ركعتين عند المقام وأخرج عن أبي هريرة ر
الله عنه قال يبايع المهدي بين الركن والمقام لا يوقظ نائما ولا يهريق دما والله
وقد تكاثرت الروايات والآثار بأمر المهدي وقد ذكر العلماء ان أول ظ
يكون شابا ثم يخاف على نفسه من القتل فيفر الى مكة مختفياً ثم يرجع الى
فيرونه بالمطاف عند الركن فيقهرونه على المبايعة بالامامة ثم يتوجه الى المدينة
المؤمنون ثم يسيرون الى جهة الكوفة ثم يعود منهزماً من جيش السفياني فيخ
الله على السفياني من أهل المشرق وزير المهدي فيهزم السفياني الى الشام فيقـ
المهدي فيذبحه عند عتبة بيت المقدس كما تذبح الشاة و يغنمه ومن معه من ا
الذين هم جنده من بني كلب ولا أكثر من تلك الغنيمة وفي رواية انه يخرج رجل
كلب يقال له كنانة بعينه كوكب في رهط من قومه حتى يأتي الصخري يعني السـ
فيبعث اليه المهدي راية وأعظم راية في زمانه مائة رجل فتصف كلب خيلها ور
وابلها وغنمها فاذا تسامتت الخيلان ولت كلب أدبارها فيقتلونهم و يسبونهم
تباع العذراء منهم بثمانية دراهم ويؤخذ الصخري فيؤتي به أسيراً الى المهدي فيـ
على الصخرة المعترضة على وجه الارض عند الكنيسة التي يبطن الوادى على
طور ريتا المقطرة التي على الوادى كما تذبح الشاة وفي رواية ثم يؤخـذ
السفياني على أعلا شجرة على بحيرة طبرية قال صلى الله عليه وسلم « والخائب
من خاب من قتال كلب ولو بكلمة أو بتكبيرة أو بصيحة والخائب من خاب يومئـ
غنيمة كلب ولو بعقال » فقال حذيفة يارسول الله كيف يحل قتلهم وتغنم أمـ
وهم مسلمون فقال صلى الله عليه وسلم « يكفرون باستحلالهم الخمر والزنا » ـ
الحديث لا تحشر أمتي حتى يخرج المهدي يمده الله بثلاثة آلاف من الملا
ويخرج اليه الابدال من الشام والنجباء من مصر وعصائب أهل المشرق
يأتوا مكة فيبايع له بين الركن والمقام ثم يتوجه الى الشام وجبريل على

وميكائيل على يساره ومعه أهل الكهف أعوان له فيفرح به أهل السماء والارض والطير والوحش والحيتان في البحر وتزيد المياه في دولته وتمتد الانهار وتضعف الارض أكلها فيقدم الى الشام فيأخذ السفياني فيذبح تحت الشجرة التي أغصانها الى بحيرة طبرية والذي يظهر في الجمع بين روايات ذبح السفياني انه يذبح تحت الشجرة هو أو وزيره والذي يذبح على العتبة هو نفسه ان كان المذبوح تحت الشجرة وزيره أو وزيره ان كان هو المذبوح ثم تمهد الارض للمهدي ويدخل في طاعته ملوك الارض كلهم ويبعث بعثا الى الهند فتفتح ويؤتى بملوك الهند اليه مقفلين وتنقل خزائنها الى بيت المقدس فتجعل حلية لبيت المقدس ويمكث في ذلك سنين

وقد اختلفت الروايات في مدة ملك المهدي ففي بعضها يملك خمساً و سبعا وتسعا بالترديد وفي بعضها تسعة عشر سنة وأشهرا وفي بعضها عشرين وفي بعضها اثنين وفي بعضها أربعين منها تسع سنين يهادن الروم فيها ويمكن الجمع على تقدير صحة الكل بأن ملكه متفاوت الظهور والقوة فيحمل الا كثر باعتبار جميع مدة الملك منذ البيعة والاقل على غاية الظهور والاوسط على الاوسط قال في الاشاعة وهذا الذي تقتضيه بشارة النبي صلى الله عليه وسلم بالمهدي وان الله تعالى يعوضهم عن الظلم والجور قسطا وعدلا واللائق بكرم الله تعالى أن تكون مدة ذلك بقدر ماينسون فيها الظلم والجور والفتن والسبع والتسع أقل من ذلك مع انه في مدته تفتح الدنيا كلها كما فتحها ذو القرنين وسليمان ويدخل جميع الآفاق كما في بعض الروايات ويبني المساجد والبلدان ويحلي بيت المقدس وهذا يقتضي مدة طويلة مع ماورد ان الأعمار تطول في زمانه فطولها مستلزم لطول مدته والتسع ونحوها ليست من الطول في شيء ولاسيما مهادنته للروم تسع سنين ثم فتح القسطنطينية ورومية المدائن وغيرها وهذا يقتضي طول مدته وبالله التوفيق

﴿ تنبيه ﴾

قد كثرت الأقوال في المهدي حتى قيل لا مهدي إلا عيسى والصواب الذي عليه أهل الحق أن المهدي غير عيسى وانه يخرج قبل نزول عيسى عليه السلام وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي وشاع ذلك

بين علماء السنة حتى عد من معتقداتهم وقد روى الامام الحافظ ابن الاسكا
بسند مرضي(١) الى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى ا
عليه وسلم «من كذب بالدجال فقد كفر ومن كذب بالمهدي فقد كفر» وفي حدي
حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم «ياحذيفة لو لم يبق من الد
الايوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يملك رجل من أهل بيتي تجري الملا
على يديه و يظهر الاسلام ولا يخلف الله وعده وهو سريع الحساب» أخر
الحافظ أبو نعيم الأصفهاني وأخرج نحوه أبو عمرو المقرى من حديث أبي هر
مرفوعاً ومن حديث قيس بن جابر عن أبيه عن جده مرفوعاً وفيه «ثم يخر
المهدي من أهل بيتي يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا» رواه أبو نعيم في فوا
وأخرجه الطبراني في معجمه ومن حديث أبي سعيد الخدري أخرجه أبو نعيم و
حديث ابن عباس أخرجه ابن الجوزي في تاريخه ومن حديث على أخرجه أبو دا
والترمذي والنسائي في سننهم وقد روى عمن ذكر من الصحابة وغير ماذكر م
رضي الله عنهم بروايات متعددة وعن التابعين من بعدهم مايفيد مجموعه العلم القط
فالايمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم ومدون في عقائد أه
السنة والجماعة وكذا عند أهل الشيعة أيضاً لكنهم زعموا انه محمد بن الحسن العسكر
كما تقدم وزعمت الكيسانية أن المهدي هو محمد بن الحنفية وانه حي مقيم بجبل رضو
وانه بين أسدين يحفظانه وعنده عينان نضاختان يجريان بماء وعسل فزعموا انه د
اليه ومعه أربعون من أصحابه ولم يوقف لهم على خبر قالوا وهم أحياء يرزقون و يقول
انه يعود بعد الغيبة و يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا قالوا وانما عوقب بهذا الحب
لخروجه الى عبد الملك بن مروان وقيل الى يزيد بن معاوية والى هذا الاعت
أشار كثير عزة بقوله

وسبط لايذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيب لايرى فيهم زمانا برضوى عنده عسل وماء

وكان السيد الحميري على هذا المذهب وهو القائل

(١) اذا كان هذا السند مرضيا للمصنف فهو لم يكن مرضيا لائمة الحديث قبله

الا قل للامام فدتك نفسي   أطلت بذلك الجبل المقاما

وجبل رضوي بفتح الراء وبعدها ضاد معجمة وبعد الواو ألف كسكرى دو جبل جهينة في عمل الينبع بينهما مسيرة يوم واحد وهو من المدينة على سبع مراحل ميامنه طريق المدينة ومياسره طريق البر لمن كان مصعدا الى مكة وهو على ليلتين الى البحر وكان المختار بن أبي عبيد الثقفي الخبيث المشهور يدعو الى امامه محمد بن الحنفية رضي الله عنه وعن أبيه علي بن أبي طالب وكان المختار يزعم ان محمدا هذا هو المهدي قال الجوهري في الصحاح كيسان لقب المختار المذكور واقتصر عليه في القاموس أيضا وقال غيرهما كيسان مولى علي رضوان الله عليه وقيل ان كيسان تلميذ علي وهؤلاء الكيسانية أحد فرق الضلال كما مر في تعداد الفرق فعلى عقولهم الدمار وعلى أفهامهم البوار ما أضل علوهم وأبلد فهومهم و بالله التوفيق

(تتمة) جاء عن ابن سيرين ان المهدي خير من أبي بكر وعمر قد كاد يفضل الانبياء وجاء عنه أيضا لا يفضل عليه أبو بكر وعمر وهو وان كان أخف من الاول فليس بصحيح فان الامة مجتمعة على أفضليتهما عليه بل وعلى جميع الصحابة خلافا للرافضة خذلهم الله تعالى كما سيأتي بيان ذلك بل غيرهما من الصحابة أفضل من المهدي ثم يستمر سيدنا المهدي حتى يسلم الامر لروح الله عيسى بن مريم عليه السلام ويصلي المهدي بعيسى عليه السلام صلاة واحدة وهي صلاة الفجر ثم يستمر المهدي على الصلاة خلف سيدنا عيسى عليه السلام بعد تسليمه الامر اليه ثم يموت المهدي ويصلي عليه روح الله عيسى ويدفنه في بيت المقدس وبمقتضى ما مر يعلم قدر سنه لانه يخرج ويبايع له وهو ابن أربعين أو خمسة وثلاثين سنة وتقدم الخلاف في مدة ملكه والله تعالى أعلم

(خاتمة) أخرج نعيم عن الوليد بن مسلم قال سمعت رجلا يحدث قوما فقال المهديون ثلاثة مهدي الى الخير عمر بن عبد العزيز ومهدي الدم وهو الذي يسكن على يديه الدماء ومهدي الدين عيسى بن مريم عليه السلام وأخرج أيضا عن كعب قال مهدي الخير بعد السفياني وأخرج أيضا عن ارطاة قال بلغني أن المهدي يعيش أربعين عاما ثم يموت على فراشه ثم يخرج رجل من قحطان مثقوب

الاذنين على سيرة المهدي بقاؤه عشرون سنة ثم يموت قتلا بالسلاح ثم يخرج رجا
من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم مهدي حسن السيرة يغزو مدينة قيصر وهوآ
أمير من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يخرج في زمانه الدجال وينزل عيسى ،
مريم ونقل العلامة الشيخ مرعي في كتابه فوائد الفكر عن أبي الحسن محمد ،
الحسين انه قال قد تواترت الاحاديث واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطف
صلى الله عليه وسلم بمجيء المهدي وانه من أهل بيته صلى الله عليه وسلم وا
يملك سبع سنين وانه يملأ الارض عدلا وانه يخرج مع عيسى فيساعده على ق
الدجال بباب لد بارض فلسطين وانه يؤم هذه الامة وعيسى يصلي خلفه يع
صلاة واحدة وهي الفجر كما مر وبالله التوفيق

﴿ العلامة الثانية خروج الدجال وما يتعلق به ﴾

وما أدراك ما الدجال منبع الكفر والضلال وينبوع الفتن والاوجال ق
أنذرت به الانبياء قومها وحذرت منه أممها ونعتته بالنعوت الظاهرة ووصف
بالاوصاف الباهرة وحذر منه المصطفى وانذر ونعته لأمته نعوتاً لا تخفى على ذي
بصر وقد قيل انه صافي ابن صياد او صائد وان مولده المدينة كما ف
الحديث الوارد وقيل بل هو شيطان موثق في بعض الجزائر أو انه من أولاد شق
الكاهن أوهو شق نفسه وان أمه كانت جنية عشقت أباه فأولدها اياه وكان
الشياطين تعمل له العجائب فحبسه سليمان بن داود عليهما السلام وهذا القول ليس
بصائب وقال كعب الاحبار الدجال تلده أمه بقوص من أرض مصر بين مولد
وخروجه أربعون سنة وفي الترمذي انه يخرج من خراسان وفي صحيح مسلم ع
أنس رضي الله عنه مرفوعا « يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا عليه
الطيالسة » وفي مستدرك الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا « يخرج الدجا
من يهودية أصبهان ثم يحلق له عين والاخرى كأنها كوكب ممزوجة بدم يشو
في الشمس سمكا ويتناول الطير من الجو له ثلاث صيحات يسمعها أهل المشرق
والمغرب » ومن حليته انه شاب وفي رواية شيخ وسندها صحيح جسيم أحمر وف
رواية أبيض أمهق وفي رواية آدم قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري يمكن

الساقين وقيل هو التداني مابين صدور القدمين مع تباعدها وقيل هو الذى في وجليه اعوجاج، جفال الشعر بضم الجيم وتخفيف الفاء أي كثيره هجان بكسر اوله وتخفيف الجيم أبيض أقمر أي شديد البياض ضخم فيلماني بفتح الفاء وسكون التحتية أي عظيم الجثة قال ابن الاثير في نهاية في صفة الدجال أقمر فيلم وفي رواية فيلمانيا الفيلم العظيم الجثة والفيلم الامر العظيم والياء زائدة والفيلماني منسوب اليه بزيادة الألف والنون للمبالغة انتهى، كأن رأسه أغصان شجرة أي شعر رأسه كثير متفرق قائم وفي رواية ان رأسه من ورائه حبك أي شعر منكسر من الجعود كالماء الساكن والرمل اذا هبت عليهما الريح قال في النهاية وهذا معنى ما مر انه جعد قطط مكتوب بين عينيه ك ف ر حروفا مقطعة يقرؤها كل مسلم كاتب وغير كاتب ولا يقرؤها الكافر لا ولد له ولا يدخل المدينة ولا مكة تتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة وسبعون ألفا من يهود أصبهان عليهم التيجان وكلهم ذو سيف محلى ومن صفاته أيضا انه تنام عيناه ولا ينام قلبه وأبوه طوال ضرب اللحم كأن أنفه منقار وأمه امرأة فرضاخية أي كثيرة اللحم طويلة الشفتين وقال في النهاية وفي حديث الدجال وان أمه كانت فرضاخية أي ضخمة عظيمة الثديين يقال رجل فرضاخ وامرأة فرضاخة والياء للمبالغة له أي الدجال حمار اهلب وهو المشعر العليظ يعني كثير الشعر ما بين أذنيه أربعون ذراعا يضع خطوه عند منتهى طرفه وقال أبو الطفيل عن بعض الصحابة رضي الله عنهم يخرج الدجال على حمار وحش رواه ابن أبي شيبة وقال علي رضي الله عنه يخرج الدجال ومعه سبعون ألفا من الحاكة زعم بعضهم ان الحاكة اسم موضع على مقدمته أشعر أي رجل كثير الشعر يقول بدو بدو وهذا لفظ فارسي معناه أسرع أسرع وفي مسند أبي بكر بن أبي شيبة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الدجال عريض المنخر فيه رفاء أي انحناء وفي صحيح مسلم من حديث هشام بن عامر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول ما بين خلق آدم الى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال » وفي رواية أمر اكبر من الدجال

واعلم ان العلماء قد اختلفوا في الدجال فقيل انه ليس بانسان وانما هو شيطان موثق بسبعين حلقة في بعض جزائر اليمن لا يعلم من أوثقه أهو سليمان بن داود عليه السلام أو

غيره فاذا أراد الله ظهوره فك عنه كل عام حلقة واذا أبرزته اتان عرض ما بين اذنيها أربعون ذراعا فيضع على ظهرها منبرا من نحاس فيقعد عليه وتتبعه قبائل الجن يخرجون اليه بخزائن الارض وأول خروجه يدعي الايمان والصلاح و يدعوا الى الدين فيتبع و يظهر فلا يزال حتى يقدم الكوفة فيظهر الدين و يعمل به فيتبع و يحب على ذلك ثم يدعي الالهية فيقول انا الله فتغشى عينه وتقطع اذناه و يكتب بين عينيه كافر فلا يخفى على مسلم فيفارقه كل أحد من الخلق في قلبه مثقال ذرة من الايمان هكذا رواه الطبراني وقال كعب الاحبار يتوجه الدجال فينزل عند باب دمشق الشرقي ابتداء قبل خروجه ثم يلتمس فلا يقدر عليه ثم يرى عند المياه التي عند نهر الكسوة فيطلب فلا يدرى أين توجه ثم يظهر بالمشرق فيعطى الخلافة ثم يظهر السحر ثم يدعي النبوة فينصرف الناس عنه يعني المسلمين فيأتي النهر فيأمره ان يسيل فيسيل ثم يأمره ان يرجع فيرجع ثم يامره ان ييبس فييبس الحديث رواه نعيم بن حماد و يبعث الله له شياطين فيقولون له استعن بنا على ما تريد فيقول لهم نعم اذهبوا للناس فقولوا انا ربهم فيبثهم في الآفاق و يدعي الالهية و يخرج من أرض المشرق من نواحي خراسان ومعه اليهود من أصبهان وغيرها وقيل انه يخرج من يهودية أصبهان كما تقدم وقيل من كوثا بالكوفة وأكثر من يتبعه اليهود والنساء والاعراب وفي الترمذي انه يخرج من خراسان وفى صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم «يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالسة» وفي الطبراني يخرج الدجال من قبل أصبهان المشرق معه قومه وجوههم كالمجان فيفتتن الناس به فتنة عظيمة ففي الحديث ما كانت ولا تكون فتنة حتى تقوم الساعة أعظم من فتنة الدجال وما من نبي الا وحذر قومه الدجال الحديث رواه الحاكم عن جابر رضي الله عنه مرفوعا وفى الحديث ان قبل خروجه بثلاث سنين أول سنة تمسك السماء ثلث قطرها والارض ثلث نباتها والسنة الثانية تمسك ثلثي قطرها والارض ثلث نباتها والسنة الثالثة تمسك السماء ما فيها و يهلك كل ذي ضرس وظلف و يسير ومعه جبلان أحدهما فيه أشجار وأثمار وماء و أحدهما فيه دخان فيقول هذه الجنة وهذه النار رواه الحاكم عن ابن عمر مرفوعا

وعن حذيفة ان معه جنة ونارا ورجالا يقتلهم ثم يحييهم ومعه جبل ثريد ونهر ماء وفي صحيح مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه سلم «الدجال أعور العين اليسرى جفال الشعر معه جنة ونار فناره جنة وجنته نار» وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لأنا أعلم بما مع الدجال منه معه نهران يجريان أحدهما رأي العين ماء أبيض والآخر رأي العين نار تأجج فأما ان أدرك ذلك أحد منكم فليأت النهر الذي يراه نارا وليغمض ثم ليطاطئ رأسه فيشرب منه فانه ماء بارد وان الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب» وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في الدجال ان معه ماء ونارا فناره ماء بارد وماؤه نار فلا تهلكوا قال أبو مسعود وانا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. كل هذه الروايات في صحيح مسلم واتفق البخاري ومسلم من حديث حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الرواية وهي قوله إن الدجال يخرج وإن معه ماء ونارا فأما الذي يراه الناس ماء فنار تحرق وأما الذي يراه الناس نارا فماء بارد عذب فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه نارا فانه ماء عذب طيب قال أبو مسعود وأنا قد سمعته تصديقا لحذيفة وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ألا أخبركم عن الدجال حديثا ماحدثه نبي قومه إنه أعور وانه يجيء معه مثل الجنة والنار فالتي يقول انها الجنة هي النار واني أنذرتكم به كما أنذر به نوح قومه» وأخرج مسلم من حديث النواس بن سمعان الكلابي رضي الله عنه قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا اليه عرف ذلك فينا فقال ماشأنكم قلنا يارسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل فقال غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وانا فيكم فانا حجيجه دونكم وان يخرج ولست فيكم فكل امرئ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم انه شاب قطط عينه طافية كاني أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتيح سورة الكهف انه خارج خلة - أي انه يخرج قصدا وطريقا

والتخلل الدخول في الشيء — بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا ياعباد الله فاثبتوا قلنا يارسول الله فما لبثه في الارض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قلنا يارسول الله فذلك اليوم الذى كسنة تكفينا فيه صلاة يوم قال لااقدروا له قدره قلنا يارسول الله وما إسراعه في الارض قال كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والارض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت درا واسبغه ضروعا وأمده خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول أخرج كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلاشابا (١) فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل يتهلل وجهه يضحك فبيناهو كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر واذا رفع رأسه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلايحل لكافر يجد ريح نفسه الا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه الحديث

وقد ذكر غير واحد من العلماء أن الذي معه من صورة الجنة والنار ونحوهما على طريق التخييل لا الحقيقة منهم ابن حبان في صحيحه واستدل بحديث المغيرة بن شعبة في الصحيحين وغيرهما انه قال كنت أكثر من سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن آية الدجال فقال لي وما يضرك قلت انهم يقولون ان معه جبل خبز قال «هو أهون من ذلك» قال فمعناه انه أهون على الله من ان يكون معه ذلك حقيقة بل يرى ذلك وليس بحقيقة ويدل له أيضا الرواية السابقة أحدهما في رأي العين أبيض الحديث وقال جماعة منهم ابن العربي بل هي على ظاهرها امتحانا من الله تعالى لعباده وحملوا قوله هو أهون الخ أي من أن يخاف منه أو ان يضل الله به من يحبه قال في الاشاعة كالعلامة الشيخ مرعي والتحقيق الاول ويدل له ماتقدم من قوله صلى الله عليه وسلم « فمن أدرك ذلك منكم فليقع بالذي يراه انها نار فانه

(١) كذافى الاصل والصواب ممتلئاشابا

عذب بارد» وعا في رواية «فالنار روضة خضراء» وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما حديثا طويلا عن الدجال فكان فيما حدثنا قال «يأتي وهو محرم عليه ان يدخل نقاب المدينة فينتهي الى بعض السباخ التي تلي المدينة فيخرج اليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول له أشهد انك الدجال الذي حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه فيقول الدجال أرأيتم ان قتلت هذا ثم أحييته أتشكون في الامر فيقولون لا قال فيقتله ثم يحييه فيقول الرجل حين يحييه والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة مني الآن قال فيريد الدجال ان يقتله فلا يسلط عليه» وأخرج مسلم عنه أيضا هذا الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين فيلقاه المسالح مسالح الدجال — أي وهو جمع مسلحة قوم معهم سلاح والمسلحة كالثغر والمرقب وهو الذي يكون فيه قوم يرقبون العدو لئلا يهجم عليهم — فيقولون له أين تعمد فيقول أعمد الى هذا الرجل الذي خرج قال فيقولون له أوما تؤمن بربنا فيقول ما بربنا خفاء فيقولون اقتلوه فيقول بعضهم لبعض أليس قد نهاكم ربكم ان تقتلوا أحدا دونه قال فينطلقون به الى الدجال فاذا رآه المؤمن قال يا أيها الناس هذا الدجال الذي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم قال فيأمر به الدجال فيشبح فيقول خذوه وشجوه فيوسع ظهره وبطنه ضربا قال فيقول أما تؤمن بي قال فيقول أنت المسيح الكذاب قال فيؤمر به فيؤشر بالمئشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه قال ثم يمشي الدجال بين القطعتين ثم يقول له قم فيستوي قائما وفي رواية ثم حيا باذني فيعود حيا قال فيقول له أتؤمن بي فيقول ما ازددت فيك الا بصيرة قال ثم يقول يا أيها الناس انه لا يفعل بعدي بأحد من الناس قال فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته الى ترقوته نحاس فلا يستطيع اليه سبيلا قال فيأخذ يديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس انه قذفه الى النار وانما ألقي في الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين قال القرطبي في تذكرته يقال ان هذا الخضر عليه السلام قال العلامة الشيخ مرعي في بهجته ثبت ان الدجال لا يسلط على أحد

بالقتل الاعلي رجل واحد يخرج اليه وهو شاب حسن فيقول له الدجال أتؤمن بي و بألوهيتي فيقول له انك للعين الكذاب أو الدجال فيقتله ويشقه نصفين ويمشي الدجال بحماره بين الشقين و يقول له قم حيا باذني فيعود حيا ثم يقول له بعد ذلك أتؤمن بي فيقول ما ازددت فيك الا يقينا انك اللعين قال ابراهيم بن محمد بن سفيان يقال إن هذا الرجل هو الخضر عليه السلام وقد توهم القرطبي فزعم ان القائل ذلك ابراهيم أبو اسحق السبيعي وليس كذلك وقال بعضهم ان الرجل المذكور من أصحاب الكهف وقد مر انهم يكونون من أصحاب المهدي

فان قلت كيف يقال انه لايسلط الا على واحد مع ماورد عن حذيفة رضي الله عنه ان مع الدجال رجالا يقتلهم ثم يحييهم فالجواب ان هؤلاء الرجال انما هم شياطين وقتله اياهم واحياؤه لهم انما هو في رأي العين لاعلى الحقيقة واما قتل ذلك الرجل فعلى الحقيقة

(فائدة) ورد انه لم يبق من الناس بلا فتنة من الدجال الا اثنا عشر ألف رجل وسبعة آلاف امرأة والله المستعان واخرج مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين لاأدري أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما فيبعث الله عيسى ابن مريم عليه السلام كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه » الحديث

﴿ و ﴾ منها أي من علامات الساعة العظمى العلامة الثالثة ان ينزل من السماء السيد ﴿ المسيح ﴾ عيسى بن مريم عليه السلام ونزوله ثابت بالكتاب والسنة واجماع الامة اما الكتاب فقوله (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) أي ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند نزوله من السماء آخر الزمان حتى تكون الملة واحدة ملة ابراهيم حنيفا مسلما. ونوزع في الاستدلال بهذه الآية الكريمة وان الضمير في قوله قبل موته ليهود ويؤيده قراءة أبي رضي الله عنه قبل موتهم. واما السنة ففي الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر

الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية» الحديث وفي مسلم عنه «والله لينزلن ابن مريم حكما عدلا فليكسرن الصليب» بنحوه واخرج مسلم أيضا عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم تعال صل بنا فيقول الا ان بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الامة» واما الاجماع فقد أجمعت الامة على نزوله ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة وانما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة مما لا يعتد بخلافه وقد انعقد اجماع الامة على انه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية وليس ينزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء وان كانت النبوة قائمة به وهو متصف بها ويتسلم الامر من المهدي ويكون المهدي من أصحابه واتباعه كسائر أصحاب المهدي حتى أصحاب الكهف الذين هم من أتباع المهدي كما مر وتقدم ان عيسى عليه السلام يصلي وراء المهدي صلاة الفجر ولا يقدح ذلك في نبوته وكذلك يسلم اليه تابوت بني اسرائيل وكل ما معه من آلات الامر

﴿ فوائد في متعلقات السيد المسيح عليه السلام ﴾

(الاولى) في حليته وسيرته أما حليته فمنها البخاري من حديث عقيل بن خالد انه أحمر أجعد عريض الصدر وفي رواية آدم كاحسن ما أنت راء من أدم الرجال سبط ينطف بكسر الطاء المهملة أي يقطر زاد في رواية له لمة أي بكسر اللام وتشديد الميم أحسن ما أنت راء من اللمم قد رجلها بتشديد الجيم أي سرحها وفي رواية لمته بين منكبيه رجل الشعر يقطر رأسه ماء وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا ورأيت عيسى بن مريم عليه السلام مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الرأس زاد في حديث أبي هريرة بنحوه كانما خرج من ديماس يعني الحمام ولا منافاة بين الحمرة والادمة لجواز أن تكون ادمته صافية كما مر لا يجد ريح نفسه كافر الا مات

واما سيرته فيكسر الصليب ويقتل الخنزير كما تقدم ويقتل القرد ويضع الجزية ولا يقبل الا الاسلام ويتحد الدين فلا يعبد الا الله ويترك الصدقة أي الزكاة لعدم من يقبلها وتظهر الكنوز في زمنه ولا يرغب في اقتناء المال ويرفع الشحناء والتباغض وينزع

الله سم كل ذي سم حتى تلعب الأولاد بالحيات والعقارب فلا تضرهم ويرعى الذئب مع الشاة فلا يضرها ويملأ الارض سلما وينعدم القتال وتنبت الارض نبتها كعهد آدم حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم وكذا الرمانة وترخص الخيل لعدم القتال ويغلو الثور لان الأرض تحرث كلها ويكون مقرراً لشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه رسول لهذه الأمة كامر ويكون قدعلم أحكام هذه الشريعة بأمر الله تعالى وهو في السماء قبل ان ينزل وزعم بعض العلماء ان بنزول سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام يرفع التكاليف وهذا مردود للاخبار الواردة انه يكون مقرراً لأحكام هذه الشريعة ومجددا لها اذ هي آخر الشرائع ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم آخر الرسل والدنيا لاتبقى بلا تكاليف فان بقاء الدنيا انما يكون بمقتضى التكاليف الى ان لا يقال في الارض الله الله ذكره القرطبي في تذكرته وفي الحديث انه قال صلى الله عليه وسلم وتسلب قريش ملكها قال الحافظ السخاوي في كتابه القناعة وابن حجر في القول المختصر معنى ذلك لا يبقى لقريش اختصاص بشيء دون مراجعته فلا يعارض ذلك خبر «لايزال هذا الامر في قريش مابقي من الناس اثنان» قال البرزنجي في الاشاعة ويدل لهذا حديث جابر عند مسلم «فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول لاان بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة» وعلى هذا فلا منافاة ان يكون المهدي أميرا حتى في زمن عيسى عليه السلام ويكون مراجعته في الامور لعيسى عليه السلام للتبرك والتيمن به

فإن قلت كيف يصح خبر لا يزال هذا الامر في قريش مع مشاهدتنا انفصال قريش عن الملك منذ أزمان فالجواب استحقاقها لهذا الامر وان ظلها ظالم واما عيسى فيظهر كمال العدل فلا يأخذ حقهم ور بما ان يكون بقاء الامر في قريش ولو مراجعة ولاشك ان قريشا يراجعون على ان ملوك زماننا يزعمون انهم انما يتملكون بالنيابة عن قريش ويعملون صورة نيابة عن نقيب السادة الاشراف على ان لبني هاشم استقلالا بالامر في محلات كالحجاز واليمن والمغرب وغيرها .

ثم انه لايخفى انه لايحسن ان يقال ان الامر في أيام عيسى يكون للمهدي مع كون عيسى رسولا من أولي العزم معصوما والمهدي رجل مجتهد نعم يكون المهدي

من خواص السيد عيسى بل وزيره والاقرب لديه يراجعه فى الامور وتصدر عنه الشورى و بالله التوفيق

﴿ الفائدة الثانية ﴾

في وقت نزوله من السماء ومحله وما يجري على يديه من الملاحم

اما محل نزوله فعند المنارة البيضاء شرقي دمشق واضعا كفيه على أجنحة ملكين ففي صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « فبينما هو أي الدجال كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر واذا رفع رأسه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريحه الامات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه » قوله مهرودتين قال في جامع الاصول رويت هذه اللفظة بالمهملة والمعجمة يقال للثوب اذا صبغ بالورس ثم بالزعفران جاء لونه مثل زهرة الحوزانة فذلك الثوب مهرود وقيل أراد بالمهرود الثوب المصبوغ بالهرد وهو صبغ أصفر قيل انه الكركم وقيل أراد فى شقتين من الهرد وهو القطع انتهى

وقال في النهاية فى حديث عيسى عليه السلام انه ينزل بين مهرودتين أي فى شقتين أو حلتين وقيل الثوب المهرود الثوب الذي يصبغ بالورس ثم بالزعفران فيجيء لونه مثل لون زهرة الحوذانه قال القتيبي هو خطأ من النقلة وأراه مهروتين أي صفراوين يقال هريت العامة اذ لبستها صفراء وكان فعلت منه هروت فان كان محفوظا بالدال فهو من الهرد الشق وخطئ ابن قتيبة في استدراكه واشتقاقه قال ابن الانباري القول عندنا في الحديث بين مهرودتين يروى بالدال والذال أي بين ممصرتين على ماجاء فى الحديث ولم نسمعه الا فيه وكذلك أشياء لم نسمع الا فى الحديث والممصرة من الثياب التي فيها صفرة خفيفة وقيل المهرود الثوب الذي يصبغ بالعروق والعروق يقال لها الهرد وفى حديث ذاب جبريل عليه السلام حتى صار مثل الهردة جاء تفسيره في الحديث انها العدسة انتهى والجمان حب الفضة

ويكون نزول سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام لست ساعات مضت من النهار

حتى يأتي مسجد دمشق يقعد على المنبر فيدخل المسلمون المسجد وكذا النصارى واليهود كلهم يرجونه حتى لو ألقي شيء لم يصب الا رأس انسان من كثرتهم ويأتي موذن المسلمين وصاحب بوق اليهود وناقوس النصارى فيقترعون فلا يخرج الاسهم المسلمين وحينئذ يوذن موذنهم ويخرج اليهود والنصارى من المسجد ويصلي بالمسلمين صلاة العصر ثم يخرج بمن معه من أهل دمشق في طلب الدجال كما سيأتي بيان ذلك

﴿ الفائدة الثانية في مقدار مدته ووفاته ﴾

أما مدته ووفاته فقد ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند الطبراني وابن عساكر انه صلى الله عليه وسلم قال « ينزل عيسى بن مريم فيمكث في الناس أربعين سنة » وعند الامام أحمد وابن أبي شيبة وأبي داود وابن جرير وابن حبان عنه انه يمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه عند نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأخرج الامام أحمد وابن أبي شيبة وابن عساكر وأبو يعلى عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدجال ثم يمكث عيسى في الارض أربعين سنة اماما عادلا حكما مقسطا » وأخرج الامام أحمد أيضا في الزهد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال « يلبث عيسى بن مريم أربعين سنة لو يقول للبطحاء سيلي عسلا لسالت » وفي المنتظم للامام الحافظ ابن الجوزي عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ينزل عيسى ابن مريم فيتزوج ويولد له » ذكر بعضهم ولدين أحدهما يسميه موسى والآخر محمد وان أمهما من اليزد قال ويمكث خمسا وأربعين سنة ثم يموت ويدفن معي في قبري فأقوم أنا وعيسى من قبر واحد بين أبي بكر وعمر » وعلى هذا روايات أربعين وردت بإلغاء الكسر وورد في رواية انه انما يمكث سبع سنين وجمع بعضهم ان سيدنا عيسى حين رفع كان عمره ثلاثا وثلاثين سنة وينزل سبعا فهذه أربعون سنة وهذا والله أعلم ليس بشيء لما مر من حديث عائشة عند الامام أحمد وغيره « فيقتل الدجال ثم يمكث عيسى في الارض أربعين سنة » وقد قال الحافظ جلال الدين السيوطي كنت أفتيت بان ابن مريم

يمكث في الارض بعد نزوله سبع سنين قال واستمريت على ذلك مدة من الزمان حتى رأيت الامام الحافظ البيهقي اعتمد ان مكثه في الارض أربعين سنة معتمدا ما أفاده الامام أحمد في روايته بلفظ ثم يمكث ابن مريم في الارض بعد قتل الدجال أربعين سنة وهذا هو المرجع لان زيادة الثقة يحتج بها ولانهم يأخذون برواية الاكثر ويقدمونها على رواية الاقل لما معها من زيادة العلم ولانه مثبت والمثبت مقدم انتهى والى قتل سيدنا عيسى بن مريم للدجال أشار بقوله

﴿ وانه يقتل للدجال   بباب لدّ خل عن جدال ﴾

﴿وانه﴾ أي المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ﴿ يقتل ﴾ بأمر الله له ومعونته وتأييده ﴿للدجال﴾ أي الكذاب وهو اسم لهذا الشخص المشار اليه في الشرائع وقيل انما سمي دجالا لانه يقطع الارض و يسير في أكثر نواحيها يقال دجل الرجل اذا فعل ذلك وقيل سمي به لتمويهه على الناس وتلبيسه يقال دجل اذا لبس وموّه وقيل مأخوذ من الدجل وهو طلي الجرب بالقطران وتغطيته فكان الرجل يغطي الحق و يستره

﴿ تنبيه ﴾

انما سمي الدجال مسيحا لان أحد عينيه ممسوحة لا يبصر بها والاعور يسمى مسيحا كما في جامع الاصول واما تسمية سيدنا عيسى بن مريم مسيحا فقيل لمسح زكريا عليه السلام اياه وقيل لانه كان يمسح ذا العاهة فيبرأ وقيل لانه كان يمسح الارض أي يقطعها في سياحته وقيل المسيح الصديق فسيدنا عيسى مسيح الهدى واما الدجال فمسيح الضلالة وضبطه فيهما بفتح الميم وكسر السين مخففة و بالحاء المهملة وسمع مسيح بالتشديد على وزن فعيل قاله الازهري فرقا بينه و بين عيسى فيشدد في الدجال ويخفف في سيدنا عيسى قال العيني الشافعي في رسالته « الاجوبة المفيدة على الاسئلة العديدة » مالفظه قال ابن دحية عن شيخه أبي القاسم عن ابي عمران موسى بن عبد الرحمن قال سمعت الحافظ أبا عمر بن عبد البر يقول ومنهم من قال ذلك بالخاء المعجمة وذلك عند أهل العلم خطأ ولذا ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه تعلق به ،

بالحاء المهملة ونقله الصحابة المبلغون عنه وقال الراجز ء اذا المسيح قتل المسيحاه
يعني عيسى عليه السلام يقتل الدجال انتهى وقال في المطلع المسيح اثنان نبي
الله عيسى بن مريم عليه السلام والدجال ولم يختلف في ضبط المسيح عيسى على
ماهو في القرآن وانما اختلف في معناه فقيل سمي مسيحا لمسحه الارض فعيل
بمعنى فاعل وذكر نحو ما تقدم وزاد قيل انما سمي مسيحا لانه كان ممسوح القدمين
لاخمص له وقيل لان الله تعالى مسحه أي خلقه خلقا حسنا وهذا تقدم والمسحة الجمال
والحسن وقيل لانه خرج ممسوحا بالدهن قال وأما الدجال فهو مثل عيسى في
اللفظ عندعامة أهل المعرفة والرواية وعن أبي مروان بن سراج وغيره كسر الميم
وتشديد السين وأنكره المروي وجعله تصحيفا وقال بعضهم كسرت الميم للتفرقة
بينه و بين عيسى عليه السلام وقال الحربي بعضهم يكسرها في الدجال ويفتحها
في عيسى و كل سواء قال أبو الهيثم والمسيح بالحاء المهملة ضد المسيخ بالخاء المعجمة مسحه
الله اذ خلقه خلقا حسنا ومسخ الدجال اذ خلقه ملعونا وقال أبو عبيد المسيح
الممسوح العين وبه سمى الدجال وقيل المسيح الاعور وبه سمي الدجال وقيل أصله
مشيح فيهما معرب وعلى هذا اللفظ ينطق به العبرانيون انتهى وذكر نحوه في النهاية
ثم قال في الدجال وقيل إنه الذي مسخ خلقه أي شوه وليس بشيء انتهى

تقدم ان سيدنا عيسى عليه السلام يصلي بالمسلمين صلاة العصر بمسجد دمشق ثم يخرج
بمن معه من أهلها في طلب الدجال ويمشي وعليه السكينة والارض تقبض له وما
أدرك نفسه من كافر الا وقتله ويدرك حيث ماأدرك بصره حتى يدرك بصره
حصونهم وقرياتهم الى أن يأتي بيت المقدس فيجده مغلقا قد حصره الدجال
فيصادف ذلك صلاة الصبح وفى روايه عند الامام أحمد من حديث جابر مرفوعا
فيفر المسلمون يعني من الدجال الى جبل الدخان بالشام فيأتيهم فيشتد حصارهم
ويجهدهم جهدا شديدا ثم ان الناس يشكون في أمر الدجال حين لم يقدر على قتل ذلك
الرجل ثانيا كما تقدم ويبادر الى بيت المقدس فاذا صعد عقبة فيق رفع ظله على
المسلمين فيوترون قسيهم لقتاله فأقواهم من برك حتى اذا طال الحصار قال رجل
الى متى هذا الحصار أخرجوا الى هذا العدو حتى يحكم الله بيننا اما بالشهادة واما

الفتح هل أنتم الا بين احدى الحسنيين فيتبايعون على القتال بيمة يعلم الله انها الصدق عن أنفسهم وذلك بعد ثلاث سنين شداد يصيب الناس فيها الجوع الشديد وان قوت المؤمن التهليل والتسبيح والتحميد ثم تأخذهم ظلمة لا يبصر أحدهم كفه فينزل ابن مريم عليه السلام فيحسر عن أبصارهم وبين أظهرهم رجل عليه لامة فيقولون من أنت فيقول أنا عبد الله وكلمته عيسى اختاروا احدى ثلاث ان يبعث الله على الدجال وجنوده عذابا جسيما أو يخسف بهم الارض أو يرسل عليهم سلاحكم ويكف سلاحهم فيقولون هذا يارسول الله اشفى لصدورنا فيومئذ ترى اليهودي العظيم الطويل الاكول الشروب لاتقل يده سيفه من الرعب فينزلون اليهم فيسلطون عليهم هكذا في هذه الرواية وفي رواية أخرى فبينما امامهم أي المهدي قد تقدم يصلي بهم الصبح اذ نزل عليهم نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام للصبح فيرجع المهدي فيتقهقر ليتقدم عيسى عليه السلام ليصلي بالناس ويقال له يا روح الله تقدم أي يقول ذلك بعض من لم يحرم بالصلاة أذن فيقول عليه السلام ليتقدم امامكم فيصلي لكم ويضع عيسى عليه السلام يده بين كتفي المهدي فيقول له تقدم فانها لك أقيمت فيصلي بهم امامهم فاذا انصرف قال عيسى افتح فيفتح ووراءه أي وراء الباب الدجال معه سبعون ألف يهودي كلهم ذي سيف محلى وساج فاذا نظر اليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وانطلق هاربا فيقول عليه السلام ان لي فيك ضربة لن تسبقني بها فيدركه عند باب لد ولذا قال {بباب} متعلق بقتل الدجال أي يقتله بباب {لد} بضم اللام فدال مهملة بوزن مد بلد مشهورة بينها و بين رملة فلسطين مقدار فرسخ الى جهة الشمال متصل شجرها بشجرها فيقتله هناك وفي رواية ثم ينزل عيسى عليه السلام فينادي من السحر فيقول يا أيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا الى الكذاب الخبيث ويسمعون النداء جاءكم الغوث فيقولون هذا كلام رجل شبعان وتشرق الارض بنور ربها وينزل عيسى بن مريم فيقول يامعشر المسلمين أحمدوا ربكم وسبحوه أي فان التحميد والتسبيح قوتهم كما مر فيفعلون ويريد أصحاب الدجال الفرار فيضيق الله عليهم الارض فاذا أتوا باب لد في نصف ساعة يوافقون عيسى فاذا نظر الدجال عيسى يقول أقيموا

الصلاة خوفاً منه أي من عيسى و يقول يا نبي الله قد أقيمت الصلاة فيقول عيسى ياعدو الله زعمت انك رب العالمين فلمن تصلي فيضربه بمقرعته وفي رواية بحربته التي نزل بها من السماء وفي رواية يذبحه بالسكين ولا منافاة في ذلك اذ كل ذلك سلاح لسيدنا عيسى عليه السلام فيقتله رواه الامام أحمد عن جابر رضي الله عنه مرفوعا ولفظه ثم ينزل عيسى بن مريم فينادي من السحر يا أيها الناس ما يمنعكم ان تخرجوا الى هذا الكذاب الخبيث فيقولون هذا رجل حي فينطلقون فاذا هم بعيسى عليه السلام فتقام الصلاة فيقال له تقدم ياروح الله فيقول ليتقدم امامكم فليصل بكم فاذا صلوا صلاة الصبح خرجوا اليه فحين براه الكذاب ينماث كما ينماث الملح في الماء فيمشي اليه فيقتله حتى ان الشجر والحجر ينادي يا روح الله هذا يهودي فلا يترك ممن كان تبعه أحدا الا قتله

وحاصل وجه الجمع بين الروايات ان سيدنا عيسى عليه السلام ينزل أولا بدمشق الشام على المنارة البيضاء لست ساعات من النهار ثم يأتي الى بيت المقدس غوثا للمسلمين و يلحقهم في صلاة الصبح وقد أحرم المهدي والناس كلهم أو بعضهم لم يحرم بعد فيخرج اليه من لم يحرم بالصلاة فيأتي المهدي في الصلاة فيتقهقر ويقال لعيسى تقدم أي يقول له ذلك من لم يحرم من المسلمين لما رأى المهدي تقهقر فيضع عيسى يده على كتف المهدي ان تقدم و يقول للقائل امامكم فيجيب المهدي بالفعل والقائل بالقول ليكون جواب كل على طبق قوله ثم اذا أصبحوا شرد أصحاب الدجال فتضيق عليهم الارض فيدركهم بباب لد فيصادف ذلك صلاة الظهر فيتحيل الدجال الى الخلاص من سيدنا عيسى بالصلاة فلما عرف عدم التخلص ذاب خوفا منه كما يذوب الملح بالماء فادركه فقتله أو أن الدجال ينشئ صلاة في غير وقتها وهو أدل على ضلاله وجهالته بالله كما في الاشاعة ثم قال وهنا وجه آخر وهو أقرب الى التحقيق وهو ان الصلاة في الأيام القصار التي هي آخر أيام الدجال تقدر فيحتمل ان يصادف التقدير ذلك الوقت وعلى هذا فلا اشكال بين كونه ينزل بدمشق لست ساعات مضين من النهار و بين كونه يصلي بالناس صلاة العصر

ولي على هذا الجمع استشكال ذكرته في البحور الزاخرة وحاصله ان الروايات ثابتة ان

نزول عيسى عليه السلام مع الفجر على منارة دمشق الشرقية ويكون المهدي قد جمع الناس لقتال الدجال فتعمهم ضبابة من غمام ثم تنكشف عنهم مع الصبح فيرون عيسى عليه السلام قد نزل و يكون نزوله على المنارة البيضاء والناس يريدون صلاة الصبح ثم بعد الصلاة يتبعون الدجال وقد فر فهذا كالصريح ان عيسى ينزل على منارة دمشق الصبح فكيف يقال لست ساعات مضت من النهار وفيه أيضاً أن الناس لم يكونوا أحرموا بالفجر بعد بل يريدون ذلك وأيضاً المعروف عند أهل العلم أن عيسى عليه السلام انما يصلي وراء المهدي صلاة الصبح لا العصر وأول صلاة عيسى بالناس الظهر . وربما يجاب عن هذا بأن يكون قد جمع بين صلاتي الظهر والعصر تأخيرا لاشتغاله في طلب الدجال والأولى التسليم لما ورد على ما ورد والاذعان للاخبار الثابتة فلا تقابل بالمعارضة والرد ولهذا قال ﴿خل﴾ أي اترك وتنح وتفرغ ﴿عن جدال﴾ في ذلك فإنه أمر سمعي أخبر به المعصوم والعقل لا يحيله فوجب اعتقاده والتسليم والانقياد والاذعان لما أخبر به خير العباد ورسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم

والجدل لغة اللدد في الخصومة والقدرة عليها يقال جادل يجادل فهو جدل ككتف ومجدل كنبر ومجدال كمحراب وجدلت الحبل أجدله جدلا مثل فتلته أفتله فتلا أي فتلته فتلا محكما والجدلة الارض يقال طعنه فجدله أي رماه على الارض ومنه حديث « كنت نبيا وآدم منجدل في طينته » والجدال في اصطلاح النظار والفقهاء فتل الخصم عن قصده لطلب صحة قوله وابطال قول غيره وهو وان كان مأموراً به على وجه الانصاف واظهار الحق لأنه لا يستغنى عنه لأن به تتميز صحة الدليل من فساده تحريرا وتقريرا وتتضح الأسئلة الواردة من المردودة اجمالا وتفصيلا الا ان الغالب فيه انما يكون على وجه الغلبة والخصومة والغضب والمراء وهو يعني المراء استخراج غضب المجادل من طريق الحق واليه ينصرف النهي عن قيل وقال . قال البربهاري من علمائنا واسمه الحسن بن علي في كتابه شرح السنة ليس في السنة قياس ولا يضرب لها الأمثال ولا يتبع فيها الأهواء بل هي التصديق بآثار الرسول صلى الله عليه وسلم بلا كيف فلا يقال لم ولا كيف قال الكلام والخصومة

والجدال والمراء محدث يقدح الشك في القلب وان أصاب صاحبه السنة والحق انتهى مختصرا وروى الامام أحمد والترمذي وصححه عن أبي امامة مرفوعا «ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل — ثم تلا - ماضربوه لك الاجدلا» وللامام أحمد عن مكحول عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا «لا يؤمن العبد الايمان كله حتى يترك المراء وان كان محقا» وللترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا «لا تمار أخاك» ولأبي داود باسناد حسن عن أبي امامة رضي الله عنه مرفوعا «انا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وان كان محقا» وعند ابن ماجه والترمذي وحسنه عن أنس مرفوعا «من ترك المراء وهو محق بني له بيت في وسط الجنة» وروى أبو داود والترمذي واللفظ له وابن ماجه والبيهقي وقال الترمذي حديث حسن عن أبي امامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من ترك الجدال وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة ومن تركه وهو محق بني له في وسطها ومن حسن خلقه بني له في اعلاها» والله الموفق

﴿تنبيهات﴾

(الاول) اذا قتل سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام الدجال انهزم جنوده الذين هم اليهود ومن معهم فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به يهودي الا انطق الله ذلك الشيء لاشجر ولاحجر ولاحائط ولادابة الا قال ياعبدالله هذا يهودي وفي لفظ هذا دجالي فتعال اقتله الا المرقد فانها من شجر اليهود لا ينطق في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لاتقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يامسلم هذا يهودي خلفي فاقتله الا الغرقد فانه شجر اليهود» وفي صحيح البخاري نحوه

﴿الثاني في قدر لبثه في الارض وكيفية النجاة منه﴾

اما قدر لبثه في الارض فتقدم في خبر النواس بن سمعان عند مسلم والترمذي انه يمكث أربعين يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر ايامه كايامكم وفي رواية عند الامام

أحمد ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً «يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين فيبعث الله عيسى بن مريم عليه السلام كأنه عروة بن مسعود الثقفي فيطلبه فيهلكه» وفي حديث أبي امامة رضي الله عنه عند ابن ماجة وابن خزيمة والحاكم والضياء «وان أيامه أربعون سنة السنة كنصف السنة والسنة كالشهر والسنة كالجمعة وآخر أيامه كالشررة يصبح أحدكم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسي» وقد اختلف العلماء في تأويل هذا الحديث فمنهم من قال هو كناية عن اشتغال الناس بأنفسهم من الفتن حتى لا يدروا كيف يمضي النهار فيكون مضي النهار عندهم كمضي الساعة والشهر كاليوم والسنة كالشهر ومنهم من قال بل هو على ظاهره فقد ورد من حديث أنس رضي الله عنه عند الامام أحمد والترمذي في اشراط الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر ويكون الشهر كالجمعة وتكون الجمعة كاليوم ويكون اليوم كالساعة وتكون الساعة كالضرمة بالنار (١) وذكر بعض العلماء ان الصلاة تقدر في هذه الايام أيضاً على قياس مامر واختلف الجواب عن اختلاف الحديثين فمنهم من مال الى الترجيح فعلى هذا حديث النواس بن سمعان رواه الامام أحمد في المسند ومسلم في صحيحه والترمذي في سننه فهو أقوى لانه أصح وان كان الثاني أيضاً صحيحا فيقدم عليه ومنهم من مال الى الجمع وطريقه ان أيامه أربعون سنة وتسمى السنين أياما مجازا كما يقال أيام ابن الزبير وأيام أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب وأيام بني أمية ثم ان أول أيام السنة الاولى كسنة وثانيها كشهر وثالثها كجمعة وباقي أيامه كأيامنا ثم تتناقص أيام السنة الثانية حتى تكون السنة كنصف سنة وهكذا الى أن تكون السنة كشهر والشهر كجمعة والجمعة كيوم حتى يكون آخر أيامه بحيث يصبح أحدهم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسي (٢) فتكون

(١) يقول مصحح الكتاب يحتمل ان يكون المراد بتقارب الزمان ماحدث في هذا العصر من مراكب البخار والكهرباء في البحر والبر فيكون هذا من أعلام النبوة التي ظهر صدقها (٢) يحتمل أن المراد بهذا أن المدينة تكبر وتتسع حتى يكون مسافة مابين البابين من الصباح الى المساء ويؤيد هذا أحاديث أخرى وردت في عمران المدينة

السنة الاولى مشتملة على مقدار سنين من سنيننا وسنوه الاخيرة مقدار سنة من سنينا ويقرب هذا الجمع رواية الحاكم ونعيم عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا انه يقول يعني الدجال انا رب العالمين وهذه الشمس تجري بأذني افترون ان أحبسها فيحبس الشمس حتى يجعل اليوم كالشهر وكالجمعة ويقول أترون ان أسيرها فيجعل اليوم كالساعة الحديث (١)

واما كيفية النجاة منه فمعلوم انه مخلوق يأكل الطعام ويشرب الشراب ثم انه لخسته وعجزه أعور وهو جسم مرى وهذه كلها لاتجوز على الباري وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال» وفي رواية من آخر الكهف رواه مسلم في صحيحه عن أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعا وورد عن أبي امامة مرفوعا من لقيه منكم فليتفل في وجهه رواه الطبراني وروى الترمذي من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعا « من حفظ ثلاث آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال» قال الترمذي حديث حسن صحيح ومما ينبغي للمؤمن ان يكثر من ذكر الله تعالى من التهليل والتسبيح والتكبير فانه قوته

﴿ الثالث ﴾

مما ينبغي لكل عالم ان يبث أحاديث الدجال بين الاولاد والنساء والرجال وقد قال ابن ماجه سمعت الطنافسي يقول سمعت المحاربي يقول ينبغي ان يرفع هذا الحديث يعني حديث الدجال الى المؤدب حتى يعلمه الصبيان في الكتاب وقد ورد ان من علامات خروجه نسيان ذكره على المنابر وقد أخرج الامام أحمد وابن خزيمة وأبو يعلى والحاكم عن جابر رضي الله عنه مرفوعا يخرج الدجال في خفة من الدين وادبار من العلم فينبغي لكل عالم ولاسيا في زماننا هذا الذي اشرأبت فيه الفتن وكثرت فيه المحن واندرست فيه معالم السنن وصارت السنة فيه كالبدع والبدعة شرع يتبع ولاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم

(١) هذا غير صحيح

﴿ الرابع ﴾

اختلف الناس الصحابة فمن بعدهم قديما وحديثا في الدجال هل هو صافي ابن صياد أو غيره قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرح البخاري مما يدل على ان ابن صياد هو الدجال ما أخرج مسلم في صحيحه عن محمد بن المنكدر قال رأيت جابر بن عبدالله يحلف بالله ان ابن صياد الدجال فقلت له أتحلف على ذلك قال اني سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينكره النبي صلى الله عليه وسلم وأخرجه أبو داود في سننه وفي تذكرة القرطبي عن نافع قال كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول والله ماأشك ان المسيح الدجال ابن صياد أخرجه أبو داود واسناده صحيح وفي ذلك عدة أحاديث وآثار صحيحة الا انها ليست صريحة ولا نصا في ان ابن صياد هو الدجال وقد أخرج الامام أحمد بسند صحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعا يخرج الدجال من يهودية أصبهان قال أبو نعيم كانت اليهودية من جملة قرى أصبهان وانما سميت اليهودية لانها كانت تختص بسكنى اليهود ولم تزل كذلك الى زمن أيوب بن زياد أمير مصر في زمن المهدي بن منصور العباسي فسكنها المسلمون وبقيت لليهود منها قطعة وحاصل كلام الحافظ ابن حجر ان الاصح ان الدجال غير ابن صياد ووافقه في الاشاعة وان وافقه ابن صياد في كونه أعور ومن اليهود وانه ساكن في يهودية أصبهان ففي خبر ابن عمر رضي الله عنهما قال لقيت ابن صياد مرتين فذكر المرة الاولى ثم قال لقيته لقية أخرى وقد نفرت عينه قال فقلت متى فعلت عينك ما أرى قال لاأدري قال قلت لاتدري وهي في رأسك قال ان شاء الله خلقها في عصاك هذه قال فنخر كأشد نخير حمار سمعت فزعم بعض أصحابي اني ضربته بعصا كانت معي حتى تكسرت وأما أنا فوالله ماشعرت قال وجاء ابن عمر ودخل على أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها فحدثها فقالت ماتريد اليه اما انه قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان أول مايبعثه على الناس غضب يغضبه» وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذرني يارسول الله أضرب عنقه فقال صلى الله عليه وسلم ان يكن هو فلن تسلط عليه وان

لم يكن هو فلا خير لك في قتله ذكره في التذكرة وغيره وأخرج أبو نعيم في تاريخ أصبهان عن حسان بن عبد الرحمن عن أبيه قال لما فتحت أصبهان كان بين عسكرنا و بين عسكر اليهودية فرسخ فكنا نأتيها ونمتار منها فأتيناها يوما فاذا اليهود يضطربون فسألت صديقا لي منهم فقال ملكنا الذي نستفتح به على العرب يدخل فبت عنده على سطح فصليت فلما طلعت الشمس اذا الوهج من قبل العسكر فنظرت فاذا هو ابن صياد فدخل المدينة يعني اليهودية فلم يعد حتى الساعة قال الحافظ ابن حجر: وحسان بن عبد الرحمن ما عرفته و باقي سنده ثقات: وقد أخرج أبو داود عن جابر رضي الله عنه قال فقدنا ابن صياد يوم الحرة وأخرج الترمذي من حديث أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعا «يمكث أبو الدجال وأمه ثلاثين عاما لا يولد لهما ولد ثم يولد لهما أعور أضر شيء وأقله منفعة تنام عينه ولا ينام قلبه» قال أبو بكرة ثم نعت له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه فقال «أبوه طوال ضرب اللحم كأن انفه منقار وأمه امرأة طويلة اليدين» قال أبو بكرة فسمعنا بمولود في اليهود بالمدينة فذهبت أنا والزبير بن العوام حتى دخلنا على أبويه فاذا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما فقلنا هل لكما ولد فقالا مكثنا ثلاثين عاما لا يولد لنا ولد ثم ولدنا غلام أعور أضر شيء وأقله منفعة تنام عينه ولا ينام قلبه قال فخرجنا من عندهما فاذا هو منجدل في الشمس في قطيفة وله جمجمة فكشفت عن رأسه فقال ما قلتما قلنا وهل سمعت ما قلنا قال نعم تنام عيني ولا ينام قلبي قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث حماد بن سلمة وخرجه أبو داود الطيالسي

والحاصل ان كون الدجال هو ابن صياد بعيد بل صعيد وحديث أبي داود الذي رواه عن جابر ان ابن صياد فقد يوم الحرة صحيح السند ورواه غيره بسند حسن فهو يضعف خبر انه مات بالمدينة وانهم صلوا عليه لانه أسلم وانهم كشفوا عن وجهه ولا يلتئم أيضا مع خبر حسان بن عبد الرحمن المار لان فتح أصبهان كان في خلافة عمر كما أخرجه أبو نعيم في تاريخها وبين شهادة سيدنا عمر رضي الله عنه ووقعة الحرة نحو أربعين سنة وخاصل كلام الحافظ ابن حجر في فتح الباري وكلام غيره ان الاصح ان الدجال غير ابن صياد كما تقدم ويؤيده ما أخرجه نعيم بن حماد من طريق جبير

بن نفير وشريح بن عبيد وعمرو الاسود وكثير بن مرة قالوا جميعا الدجال ليس بانسان وانما هو شيطان موثق بسبعين حلقة في بعض جزائر اليمن كما تقدم قال الحافظ بن حجر وهذا لايمكن مع كون الدجال هو ابن صياد وأما ماأخرجه أبو داود في خبر الجساسة من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن قال شهد جابر انه الدجال هو ابن صياد قلت فانه قد مات قال وان مات قلت فانه قد أسلم قال وان أسلم قلت فانه قد دخل المدينة قال وان دخل المدينة وان صح ذلك فهو شهادة على حسب ظنه وما وقر في صدره من اعتقاده انه ابن صياد. وأما ماذكر سيف بن عمر في كتاب الفتوح والردة من انه لما نزل المسلمون على سوس وأحاطوا بها وناشبوها القتال أشرف عليهم يوما الرهبان والقسيسون فقالوا يامعشر العرب ان مما عهد الينا علماؤنا وأولياؤنا انه لايفتح السوس الا الدجال أو قوم فيهم الدجال فان كان الدجال فيكم فتفتحونها والا فلا تعنوا بالحصار قال وصافي ابن صياد يومئذ مع النعمان بن بشير رضي الله عنه في جنده فأتى صافي ابن صياد باب السوس غضبان فدقه برجله وقال انفتح فتقطعت السلاسل وتكسرت الاغلاق وتفتحت الابواب ودخل المسلمون فالصحيح خلافه قال الحافظ ابن حجر وغاية ما يجمع به بين ما تضمنه حديث تميم وخبر الجساسة وبين أحاديث كون الدجال هو ابن صياد أن الدجال هو الذي رآه تميم موثقا بعينه وان ابن صياد شيطانه ظهر في صورة الدجال تلك المدة التي قدر الله خروجه فيها ثم ذهب وهذا ممكن والله أعلم

﴿ الخامس ﴾

في ذكر قصة تميم الداري وحديثه الذي رواه عنه النبي صلى الله عليه وسلم وهو حديث صحيح رواه أبو هريرة أخرجه الامام أحمد وأبو داود وابن ماجه وأبو يعلى وعائشة رضي الله عنها وهو في حديث فاطمة بنت قيس عند الشعبي قال الشعبي ثم لقيت القاسم بن محمد فقال أشهد على عائشة حدثتني كما حدثتني فاطمة بنت قيس وروي أيضا من حديث جابر أخرجه أبو داود بسند صحيح وأما حديث فاطمة الذي هو عمدة الباب وأشهر ما اشتهر من هذا الحديث فأخرجه مسلم في صحيحه وأبو داود بمعناه والترمذي وابن ماجه قال الترمذي حديث حسن صحيح

ولفظ رواية مسلم قالت فاطمة رضي الله عنها سمعت منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي :الصلاة جامعة: فخرجت الى المسجد فصليت مع النبي صلى الله عليه وسلم فلما قضى رسول صلى الله عليه وسلم صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال «ليلزم كل انسان مصلاه — ثم قال — اتدرون لم جمعتكم ؟» قالوا الله ورسوله اعلم قال «اني والله ماجمعتكم لرغبة ولا لرهبة ولكن جمعتكم لان تميا الداري كان رجلا نصرانيا فجاء وبايع وأسلم وانه حدثني حديثا وافق الذي كنت أحدثكم عن المسيح الدجال حدثني انه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام فلعب بهم الموج شهرا في البحر ثم أرفؤا (أي بفتح الهمزة وسكون الراء فهمزة مضمومة أي لجؤا) الى جزيرة في البحر حين مغرب الشمس فجلسوا في أقرب السفينة (وهي بضم الراء جمع قارب بفتح الراء وكسرها سفينة صغيرة مع الكبيرة معدة لقضاء الحوائج) قال — فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب (أي كثير الشعر غليظه وعند أبي داود) فاذا أنا بامرأة تجر شعرها — وفي رواية مسلم — دابة أهلب كثير الشعر لا يدرون ماقبله من دبره من كثر الشعر فقالوا ويلك ماأنت قالت أنا الجساسة قالوا وما الجساسة (وهي بفتح الجيم وتشديد السين المهملة الاولى سميت بذلك لانها تجس الاخبار وقد روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان هذه هي دابة الارض التي تخرج آخر الزمان فتكلم الناس كما يأتي) قالت أيها القوم انطلقوا الى هـذا الرجل في الدير فانه الى خبركم بالاشواق قال فلما سمت لنا رجلا فرقنا منها ان تكون شيطانة قال فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير فاذا فيه أعظم انسان رأيناه قط خلقا وأشده وثاقا مجموعة يده الى عنقه مابين ركبته الى كعبه بالحديد قلنا ويلك ماأنت قال قدرتم على خبري فاخبروني ماأنتم قالوا نحن اناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتلم (أي هاج واضطربت أمواجه) فلعب بنا الموج شهراً ثم أرفينا الى جزيرتك هذه فجلسنا في أقربها فدخلنا الجزيرة فلقينا دابة أهلب كثيرة الشعر لا ندري ماقبله من دبره من كثرة الشعر فقلنا ويلك ماأنت فقالت انا الجساسة قلنا وما الجساسة قالت اعمدوا الى هذا الرجل في الدير فانه الى خبركم بالاشواق فأقبلنا اليك سراعا وفزعنا منها ولم نأمن ان تكون شيطانة

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أدرك عيسى منكم فليقرئه مني السلام» وأخرج البخاري في تاريخه والطبراني يدفن ابن مريم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه رضي الله عنهما فيكون قبره رابعا وفي المواهب اللدنية للقسطلاني رحمه الله بقي من البيت موضع قبر يدفن فيه عيسى بن مريم عليه السلام ويكون قبره الرابع ومن حديث ابن عمر عند ابن الجوزي في المنتظم قال العلامة الشيخ مرعي في بهجته قال بعض مشايخنا وذكر رابع القبور لا ينافي قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المار معي في قبري فانه صلى الله عليه وسلم عبر بذلك لشدة القرب اذ هو اقربه كأنه معه أو بتقدير مضاف أي في جانب قبري لينطبق الكلام ويتسق فدل مجموع ماذكرنا ان المسيح عيسى بن مريم عليه السلام يموت بالمدينة المنورة قال بعضهم ولعل موته عند حجه وزيارته النبي صلى الله عليه وسلم واعلم ان الكلام على المهدي والدجال وعيسى بن مريم عليه السلام طويل شهير أفردت في ذلك الكتب المبسوطة والمختصرة وذكرنا في كتابنا البحور الزاخرة من ذلك طرفا صالحا يغني من أحصاه علما عن مراجعة أكثر كتب هذا الباب والله أعلم بالصواب

﴿ العلامة الرابعة ﴾

خروج يأجوج ومأجوج واليها أشار بقوله

﴿ وأمر يأجوج ومأجوج اثبت فانه حق كهدم الكعبة ﴾

﴿ وأمر يأجوج ومأجوج ﴾ يهمزان ولا يهمزان لغتان وقرئ بهما فمن همزهما جعلها من أجيج النار وهو ضوءها وحرارتها وسموا بذلك لكثرتهم وشدتهم وقيل من الاجاج وهو الماء الشديد الملوحة وقيل هما اسمان اعجميان غير مشتقين قال مقاتل هم من ولد يافث بن نوح عليه السلام وقال الضحاك هم من الترك وقال كعب احتلم آدم عليه السلام فاختلط ماؤه بالتراب فأسف فخلقوا من ذلك وفيه نظر لان الانبياء لا يحتلمون على ان الماء الدائم لا يتوقف على الحلم الذي يقتضي أن يتراءى له في منامه مايكون سببا لانزاله كما لا يخفى وقد روى الطبراني من حديث حذيفة رضي الله

عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «يأجوج أمة لها أربعمائة أمير وكذلك مأجوج ولا يموت أحدهم حتى ينظر الى ألف فارس من ولده» قال أهل التاريخ أولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب والعجم والروم وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة ويافث أبو الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج وقال الكسائي في العرائس ان يافث سار الى المشرق فولد له هناك جوهر ونبرش واشار واسقو يل ومياشح وهي اسماء أعجمية فمن جوهر جميع الصقالبة والروم وأجناسهم ومن مياشح جميع أصناف العجم ومن أشار يأجوج ومأجوج وأجناسهم قال ابن عباس رضي الله عنهما عشرة اجزاء وولد آدم كلهم جزء لانهم لا يموت أحدهم حتى ينظر الى ألف ذكر من صلبه يحملون السلاح فمنهم من طوله مائة وعشرون ذراعا أو خمسون ومنهم من طوله وعرضه كذلك ومنهم من يلتحف باحدى أذنيه ويفترش الاخرى وقال علي رضي الله عنه منهم من طوله شبر ومنهم من هو مفرط في الطول لهم مخالب في موضع الاظفار من أيدينا وأنياب وأضراس كأضراس السباع ولهم شعر في أجسادهم والمراد بأمرهم خروجهم وهو ثابت بالكتاب والسنة واجماع الأمة فلهذا قال ﴿أثبت﴾ أي اعتقد ثبوته

أما الكتاب فقوله تعالى (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون) واما السنة ففي صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «ان الله تعالى يوحي الى عيسى بن مريم عليه السلام بعد قتله الدجال اني قد أخرجت عبادا لي لا يدان لاحد بقتالهم فحرز عبادي الى الطور و يبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أولهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها و يمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه ماء ويحصرون عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار » الحديث وقال صلى الله عليه وسلم «لا تقوم الساعة حتى يكون عشر آيات طلوع الشمس من مغربها والدخان والدابة و يأجوج ومأجوج ونزول عيسى ابن مريم وثلاث خسوفات ونار تخرج من قعر عدن ابين» الحديث رواه ابن ماجه من حديث حذيفة بن أسيد قلت وهو في مسلم من حديث أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد

الغفاري ولفظه قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذاكرون قالوا نذكر الساعة قال «انها لن تقوم حتى ترى قبلها عشر آيات» فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم عليه السلام ويأجوج ومأجوج وثلاث خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم ورواه من وجه آخر وكنى حذيفة بأبي سريحة وقال فيه ونار تخرج من قعر عدن ترحل الناس وفي حديث حذيفة عند الطبراني ويمنعهم الله من مكة والمدينة وبيت المقدس وفي خبر علي رضي الله عنه لهم مخاليب وأنياب السباع وتداعي الحمام وتسافد البهائم وعواء الذئب وشعور تقيهم الحر والبرد وآذان عظام احداها وبرة يشتون فيها والآخرة جلدة يصيفون فيها ..

سئل الامام النووي هل يأجوج ومأجوج من ولد حواء وكم ثبت انه يعيش كل واحد منهم فأجاب هم من ولد آدم وحواء عليهما السلام عند أكثر العلماء وقيل انهم من آدم دون حواء قال النووي كما حكاه عنه الحافظ ابن حجر عند جماهير العلماء قال النووي فيكونون اخوتنا من الأب قال الحافظ ابن حجر لم يرد هذا عن أحد من السلف الا عن كعب الاحبار ويرده الحديث المرفوع انهم من ذرية نوح ونوح من ذرية حواء قطعا والا فأين كانوا حين الطوفان ولم يثبت في قدر اعمارهم شيء انتهى وقد ذكر الامام ابن عبد البر الاجماع على انهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام وان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن يأجوج ومأجوج هل بلغتهم دعوتك فقال «جزت ليلة اسري بي فدعوتهم فلم يجيبوا» فالنص القرآني والاحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم ما ذكرنا ومالم نذكر قال ﴿فانه﴾ أي أمر يأجوج ومأجوج يعني خروجهم من وراء السد على الناس ﴿حق﴾ ثابت لوروده في الذكر وثبوته عن سيد البشر ولم يحله عقل فوجب اعتقاده فقد روى الجماعة الا أبا داود من حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فزعا محمرا وجهه يقول «لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه» وحلق بأصبعيه الابهام والتي تليها قالت قلت يارسول الله أنهلك وفينا

الصالحون؟قال « نعم اذا كثر الخبث » اشارة بذلك الى ان الذي فتحوا من السد قليلا وهم مع ذلك لم يلهمهم الله تعالى ان يقولوا عند نقبه وحفره غدا نفتحه ان شاء الله فاذا قالوها خرجوا وقد روى عبد الرزاق عن أبي قتادة قال يأجوج ومأجوج ثنتان وعشرون قبيلة بنى ذو القرنين السد على احدى وعشرين وكانت قبيلة منهم غائبة في الغزو وهم الترك فبقوا دون السد وأخرج ابن جرير وابن مردويه من طريق السدي من أثر قوي: الترك سرية من سرايا يأجوج ومأجوج خرجت فجاء ذو القرنين فبنى السد فبقوا خارجا عنه وسئل علي رضوان الله عليه عن الترك فقال هم سيارة ليس لهم أصل هم من يأجوج ومأجوج خرجوا يغيرون على الناس فجاء ذو القرنين فسد بينهم وبين قومهم فذهبوا سيارة في الارض رواه ابن المنذر وأخرج الامام أحمد والطبراني عن خالد بن عبد الله بن حرملة عن خالته مرفوعا « انكم لتقولون لاعدو وانكم لاتزالون تقاتلون عدوا حتى تقاتلوا يأجوج ومأجوج عراض الوجوه صغار العيون صهب الشعور من كل حدب ينسلون كأن وجوههم المجانُّ المطرقة» قوله صهب الشعور اي شعرهم بين الحمار والسواد وقال الزهري يأجوج ومأجوج ثلاث أمم مُنسك وتأويل وتاريس وأخرج الطبراني وابن مردويه والبيهقي وعبد ابن حميد عن ابن عمر رضي الله عنهما أن يأجوج ومأجوج من ذرية آدم ووراءهم ثلاث أمم تأويل وتاريس ومنسك وأخرج عبد بن حميد بسند صحيح عن عبد الله بن سلام نحوه وفي حديث حذيفة لايمرون بفيل ولا وحش ولاطير ولا جمل ولاخنزير الا أكلوه ومن مات منهم أكلوه وذكر بعضهم في صفتهم ان فيهم من له قرن وذنب وانياب بارزة يأكلون اللحوم نيئة وأخرج ابن حبان في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه رفعه ان يأجوج ومأجوج أقل مايترك أحدهم من صلبه ألفا من الذرية وعند النسائي من رواية عمر بن أوس عن أبيه رضي الله عنه رفعه ان يأجوج ومأجوج يجامعون ماشاؤا ولا يموت رجل منهم الا ترك من ذريته ألفا فصاعدا وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه أن يأجوج ومأجوج لهم نساء يجامعونهن ماشاؤا وأخرج ابن أبي حاتم عن عبد الله بن عمرو انه قال الجن والانس عشرة اجزاء فتسعة اجزاء يأجوج ومأجوج وجزء سائر الناس وقال مكحول الارض

مسيرة مائة عام ثمانون منها يأجوج ومأجوج وهي أمتان كل أمة اربعمائة ألف أمة لاتشبه الامة الاخرى وعند أبي الشيخ عن أبي أمامة الدنيا سبعة أقاليم فيأجوج ومأجوج ستة والباقي أقليم واحد وقال خالد الاشج ان بني آدم وبني ابليس ثلاثة اثلاث فثلثان منو ابليس وثلث بنو آدم وبنو آدم ثلاثة أثلاث ثلثان يأجوج ومأجوج وثلث سائر الناس والناس بعد ذلك ثلاثة اثلاث ثلث الاندلس وثلث الحبشة وثلث سائر الناس العرب والعجم وعند الحاكم وعبد الرزاق من قول ابن عمر رضي الله عنهما ان الله تعالى جزأ الملائكة والجن والانس عشرة اجزاء تسعة منهم الكروبيون والذين يسبحون الليل والنهار لايفترون وجزء الانس والجن عشرة اجزاء فتسعة من الجن لايولد من الانس ولد الاولد من الجن تسعة وجزء الانس عشرة فتسعة منه يأجوج ومأجوج الحديث

﴿ تتمة في سبب خروجهم وافسادهم واهلاكهم ﴾

اعلم أولا ان الاسكندر بنى الردم الذى سد به على يأجوج ومأجوج كما ذكر الله تعالى ذلك في محكم الذكر في قوله سبحانه (قالوا ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض) بالقتل والتخويف واهلاك الزرع وفصل الخبيث (فهل نجعل لك خرجا) أي جعلا نخرجه لك من أموالنا وقرأ حمزة والكسائي وخلف (خراجا) بفتح الراء وألف بعدها وهو المال المضروب على الارض يؤدى في كل عام (على ان تجعل بيننا و بينهم سدا) أي حاجزا فلا يصلون الينا (قال) ذو القرنين (مامكني فيه ربي) من القوة والعلم وطاب ثرائه والمال ونفوذ المقال (خير) أي أفضل مماتعطوني أنتم (فأعينوني بقوة) أي آلة اتقوى بها وفعل منكم (اجعل بينكم وبينهم ردما) هو أكبر وأعظم من السد فجاؤه بذلك فحفر مابين الصدفين بمعنى الناحيتين من الجبلين لانهما يتصادفان أي يتقابلان حتى بلغوا الماء ثم قال (آتوني زبر الحديد) أي القطع التي أعدها لذلك فجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بعضها فوق بعض وجعل بينهما الحطب والفحم (حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا) فنفخوا النار (حتى اذا جعله) أي الحديد (نارا) أي كالنار (قال آتوني أفرغ عليه قطرا) أي أصب عليه نحاسا مذابا فجعلت النار تأكل الحطب

وتصير النحاس مكان الحطب حتى لزم الحديد النحاس وكان طوله مائة فرسخ وعرضه خمسون ذراعا وارتفاعه مائتي ذراع وطول الجبلين اللذين بني بينهما مائة فرسخ (فما اسطاعوا ان يظهروه) أي يعلوه من فوقه لملاسته ورفعته (وما استطاعوا له نقبا) أي خرقا لصلابته وسمكه ثم قال (هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكا وكان وعد ربي حقا) وقد روى البزار من حديث يوسف بن مريم الحنفي قال بينا أنا قاعد مع أبي بكرة رضي الله عنه اذ جاء رجل فسلم عليه فقال أما تعرفني فقال له أبو بكرة أنت هو قال نعم فقال اجلس حدثنا فقال انطلقت الى أرض ليس لأهلها الا الحديد يعملونه فدخلت بيتا فاستلقيت على ظهري وجعلت رجلي على جداره فلما كان عند غروب الشمس سمعت صوتا لم اسمع مثله فرعبت فقال لي رب البيت لاتذعرن فان هذا لايضرك هذا صوت قوم ينصرفون هذه الساعة من عند هذا السد أفيسرك ان تراه قلت نعم قال فغدوت فاذا لبنه من حديد كل واحدة مثل الصخرة واذا كأنه البرد المحبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سره ان ينظر الى رجل قد أتى الردم فلينظر الى هذا» قال ابو بكرة صدقت وذكر أهل التاريخ ان الاسكندر وجد هناك معدنين فاستخرج منهما ما كفاه من الحديد والنحاس وكان مكان السد جبلان منقابلان املسان كالحائط يزلق عنهما كل شيء لايرتقي فيهما لعلوهما وملاستهما فأمر الاسكندر الصناع فضربوا لبن الحديد طول كل لبنة ذراع ونصف وسمكها شبر وقد ذكر سلام الترجمان قال بعثني الواثق العباسي الى السد وضم الي خمسين رجلا وأعطانا ما لا فازلنا ننتقل في البلاد وتبعث الملوك معنا الادلة الى ان صرنا الى أرض سوداء منتنة الريح فسرنا فيها عشرة أيام ثم صرنا الى مدن خراب فسرنا فيها سبعا وعشرين يوما وهي التي كانت يأجوج ومأجوج يطرقونها ثم صرنا الى حصون بالقرب من السد وفيها قوم يتكلمون بالعربية والفارسية مسلمون يقرؤن القرآن فسألونا من أين أقبلتم قلنا نحن رسل أمير المؤمنين قالوا ماسمعنا بهذا قط ثم صرنا الى جبل أملس وفيه السد وهناك باب حديد مصراعان مغلقان عرض كل مصراع خمسون ذراعا في ارتفاع خمسين في ثخن خمسة أذرع وقائمتاها في دوارة على الباب قفل طوله سبعة أذرع في غلظ ذراع وارتفاع

القفل من الارض خمسة وعشرون ذراعا وفوق القفل بقدر خمسة أذرع غلق طوله أكثر من طول القفل وقفيز وعلى الماق مفتاح معاق في سلسلة طولها ثمانية أذرع في استدارة أربعة أشبار وعتبة الباب عشرة أذرع ورئيس تلك الحصون يركب في كل جمعة في عشر فوارس مع كل فارس مرزبة من حديد فيضربون القفل بتلك المزربات مرات ليسمعوا الصوت فيعلموا ان هناك حفظة

وقد أخرج الامام أحمد والترمذي وحسنه وابن حبان والحاكم وصححاه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «ان يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم حتى اذا كادوا يخرقونه قال الذي عليهم ارجعوا فتخرقونه غدا فيعيده الله أشد ما كان حتى اذا بلغ مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس قال الذي عليهم ارجعوا فتخرقونه غدا ان شاء الله تعالى واستثنى قال فيرجعون فيجدونه كهيئته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون على الناس» قال الحافظ ابن حجر أخرجه الترمذي وابن ماجه والحاكم وعبد بن حميد وابن حبان كلهم عن قتادة ورجال بعضهم رجال الصحيح قال ابن العربي في هذا الحديث ثلاث آيات الاولى ان الله تعالى منعهم ان يوالوا الحفر ليلا ونهارا الثانية منعهم ان يحتالوا للرقي على السد بنحو السلم والآلة فلم يلهمهم ذلك ولا علمهم اياه مع انه ورد ان لهم أشجارا وزروعا الثالثة ان صدهم ان يقولوا ان شاء الله حتى يجيء الوقت المحدود. قلت وأخل بالآية الرابعة وهي أعظمها وهي عود السد بعد الحفر حتى اذا كادوا ان يروا شعاع الشمس الى أشد ما كان الى ان يبلغ الكتاب أجله وقد يقال ان فيهم من يعرف الله تعالى ويقر بقدرته ومشيئته ويحتمل أن تكون كلمة المشيئة جرت على لسان ذلك الوالي من غير ان يعرف معناها فيحصل المقصود ببركتها ويدل لهذا ما روى عبد بن حميد من طريق كعب الاحبار نحو حديث أبي هريرة وفيه فاذا جاء الامر ألقى الله على بعض ألسنتهم نأتي غدا ان شاء الله فيفرغ منه وروى ابن مردويه من حديث حذيفة نحو حديث أبي هريرة وفيه يغدون فيجيئون عليه فيفتح الحديث وسنده ضعيف والحاصل انه يحتمل ان تأتي كلمة المشيئة على لسان أحدهم وهو أقوى ويحتمل ان يسلم واحد منهم بالهام من الله فيقول ان شاء الله تعالى

وفي صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه مرفوعا بعد ذكر الدجال وقتل عيسى عليه السلام له قال ثم يأتيه يعني عيسى قوم وقد عصمهم الله من الدجال فيمسح وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هم كذلك اذ أوحى الله الى عيسى ان قد أخرجت عباداً لي لا يدان لاحد بقتالهم فحرز عبادي الى الطور و يبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون الحديث وفي رواية لمسلم ثم يسيرون حتى ينتهوا الى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون لقد قتلنا من في الارض هلم فنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم الى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دما فيرغب نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه الى الله تعالى فيرسل الله تعالى عليهم النغف بفتح النون والغين المعجمة ففاء وفي رواية دودا كالنغف في أعناقهم وهو دود يكون في أنوف الابل والغنم الواحدة نغفة عن الاصمعي وعن أبي عبيدة هو الدود الابيض يكون في النوى وما سوى ذلك من الدود فليس بنغف وقيل هو دود طوال سود وخضر وغبر يقطع الحوت في بطن الارض فيصبحون موتى كموت نفس واحدة معناه قتلى لا يسمع لهم حس فيقول المسلمون الارجل يشري لنا نفسه فينظر ما فعل هذا العدو فيتجرد رجل منهم محتسبا نفسه قد وطنها على انه مقتول فينزل فيجدهم موتى بعضهم على بعض فينادي يامعشر المسلمين الا أبشروا ان الله عز وجل قد كفاكم عدوكم فيخرجون من مداينهم وحصونهم و يسرحون مواشيهم فما يكون لها مرعى الا لحومهم فتشكر منه بفتح الكاف أي تسمن أحسن ماشكرت عن شيء وحتى ان دواب البحر تسمن وتشكر شكرا من لحومهم ودمائهم ويهبط نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه الى الارض فلا يجدون في الارض موضع شبر الاملأه زهمهم ونتنهم أي ريحهم من الجيف فيؤذون الناس بنتنهم أشد من حياتهم فيستغيثون بالله فيبعث الله ريحا يمانية غبراء فتصير على الناس غما ودخانا و يقع عليهم الزكمة و يكشف ما بهم بعد ثلاثة أيام وقد قذفت الارض جيفهم في البحر ولفظ صحيح مسلم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله تعالى طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لايكن معه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة

ثم يقال للارض أنبتي ثمرك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل يعني اللبن حتى ان اللقحة من الابل لتكفي الفئام من الناس أي الجماعة منهم واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس الحديث وفي رواية فيرسل طيرا كاعناق البخت فتحملهم فترميهم الى البحر وفي رواية في النار ويوقد المسلمون من قسي يأجوج ومأجوج ونشابهم وأترستهم سبع سنين . قوله في الحديث كالزلفة يروى بالفاء وبالقاف قال القاضي عياض في مشارق الانوار ضبطناه بالوجهين عن متقني شيوخنا وبهما ذكره أهل اللغة وفسرها ابن عباس رضي الله عنهما بالمرآة وقاله ثعلب وأبو زيد وقال بعضهم هو بالفاء الاجانة الخضراء وقيل الصحفة وتفسير ابن عباس رضي الله عنهما أظهر وبالله التوفيق قال النواس بن سمعان رضي الله عنه كما في صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هم يعني عيسى بن مريم وأصحابه كذلك أي في ذلك العيش الرغد وقد هلك عدوهم اذ بعث الله تعالى ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة والله أعلم

﴿ العلامة الخامسة ﴾

من العلامات العظمى هدم الكعبة المشرفة والقبلة المعظمة واليها أشار بقوله ﴿ كـ ﴾ مال أمر يأجوج ومأجوج حق ثابت يجب اعتقاده ووقوعه فكذا يجب اعتقاد وقوع ﴿هدم الكعبة﴾ المعظمة والقبلة المكرمة وسلب حليها واخراج كنزها لما اخرج البخاري ومسلم والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة وفي لفظ ذو السويقتين من الحبشة يخرب بيت الله» وأخرج الامام أحمد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما نحوه وزاد «ويسلبها حليها ويجردها من كسوتها فلكأني انظر اليه أصيلع أفيدع يضرب عليها بمسحاته أو بمعوله» وأخرج الازرقي عنه «يجيش البحر عن فئة من السودان ثم يسيلون سيل النمل حتى ينتهي الى الكعبة فيخربونها والذي نفسي بيده اني لكأني انظر الى صفته في كتاب الله تعالى افيحج أصيلع أفيدع قائما يهدمها بمسحاته

أو معوله» وفي الصحيحين كأنه به اسود أفحج يهدمها حجرا حجرا أي و يتداولها أصحابه بينهم حتى يطرحوها في البحر كما ورد في حديث حذيفة مرفوعا « كأني انظر الى حبشي أحمر الساقين أزرق العينين أفطس الانف كبير البطن وقد صف قدميه على الكعبة هو وأصحاب له ينقضونها حجرا حجرا ويتداولونها حتى يطرحوها في البحر» الحديث قوله ذوالسويقتين أي صاحبهما وهما تصغير ساقين أي دقيق الساقين وقوله أصيلع تصغير الاصلع وهو من ذهب شعر مقدم رأسه والافيدع تصغير أفدع وهو من في يده اعوجاج وفي القاموس الفدع محركة اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل حتى ينقلب الكف أو القدم أو هو المشي على ظهر القدم أو ارتفاع أخمص القدم حتى لو وطىء الافدع عصفورا ما آذاه أوهو عوج في المفاصل لانها قد زالت عن موضعها وأكثر ما يكون في الارساغ خلقة وجاء في بعض روايات الحديث أصعل أي صغير الرأس وفي بعضها أصمع أي صغير الاذنين وقيل كبير الاذن والافيحج تصغير أفحج المتباعد الفخذين وأخرج الامام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا يبايع الرجل بين الركن والمقام ولن يستحل هذا البيت الا أهله فاذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة العرب ثم تجيء الحبشة فيخربونه خرابا لا يعمر بعده أبدا وهم الذين يستخرجون كنزه رواه بهذا اللفظ أيضا الازرقي في تاريخ مكة والحاكم وصححه

فان قلت قد ورد وتقدم ان المهدي هو الذي يخرج كنز الكعبة وفي هذا الحديث ان ذا السويقتين هو الذي يخرج كنزها ولعمري انه لسؤال وارد واستشكال مضادد ولم أر من تقدمني من نقب عن هذا السؤال وفي عمه خاض ولا من أجاب هذا السؤال ولا من تعرض لهذا الاعتراض ولعل الجواب أن المهدي يستخرج الكنز المذكور ثم بعد ذلك يجتمع في خزانة الكعبة في مدة المهدي ومدة سيدنا عيسى الى ان يخرجها ذو السوقتين مال كثير سيما مع كثرة المال وانكباب أهل ذلك الوقت على أنواع القربات مع كثرة الحجاج وهذا ممكن أو يكون المهدي كشفه وظهر عليه وأخذ منه عوزه وترك باقيه والله أعلم

فان قلت تسلط هذا العدو الخبيث على هدم بيت الله المعظم ينافي قوله تعالى

(أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا) الآية (ومن يرد فيه بالحاد بظلم) الآية وقد حماه سبحانه من أصحاب الفيل وجيرانه حينئذ كفار مشركون فكيف يسلط عليه الحبشة وهو قبلة المسلمين وهم جيرانه (فالجواب) ماذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري وهو ان يقال قد أشار النبي صلى الله عليه وسلم للجواب في الحديث بقوله وان يستحل هذا البيت الا أهله في زمن الفيل ماكانوا قد استحلوه فنعه منهم وأما الحبشة فلا يهدمونه الا بعد استحلال أهله له مرارا وقد استحله جيش يزيد بن معاوية بأمره ثم الحجاج زمن عبد الملك بن مروان بأمره فسلط الله عليه القرامطة فقتلوا من المسلمين في المطاف مالا يحصى وقلعوا الحجر ونقلوه لبلادهم فلما وقع استحلاله من أهله مرارا مكن غيرهم من ذلك عقوبة لهم على انه ليس في الآية استمرار الامن المذكور فيه انتهى ملخصا (قلت) والذي يظهر لي ان هذا العالم مشعر بالاضمحلال وكما ورد الشرع بالامن ورد باضمحلال هذا العالم ودماره فاشعر ان الامن مغيا الى غاية أشار الشارع اليها فوجب تصديق الامرين كل واحد في زمنه حسبما هو مقتضى الشرع وبالله التوفيق

فان قلت هل هدم الكعبة من ذي السويقتين المذكور زمن سيدنا المسيح عيسى بن مريم عليه السلام او بعده عند قيام الساعة حيث لا يبقى في الارض أحد يقول الله (فالجواب) ان هذا مما اختلف فيه العلماء فمن كعب الاحبار انه زمن عيسى عليه السلام وقيل زمنه وبعد هلاك يأجوج ومأجوج فيحج الناس ويعتمرون كما ثبت ذلك وان عيسى عليه السلام يحج أو يعتمر أو يجمع بينهما كما تقدم فالظاهر ان هدم البيت بعد موت سيدنا المسيح وهبوب الريح التي يموت بها من في قلبه ذرة من ايمان وذكر الحافظ ابن حجر انه وجد في كتاب التيجان لابن هشام ان عمرو بن عامر كان ملكا متوجا وكان كاهنا معمرا وانه قال لأخيه عمرو بن عامر المعروف بمزيقيا لما حضرته الوفاة ان بلادكم ستخرب وان لله في أهل اليمن سخطتين ورحمتين فالسخطة الاولى هدم سد مارب وخراب البلاد بسببه والثانية غلبة الحبشة على اليمن والرحمة الاولى بعثة نبي من تهامة اسمه محمد يرسل بالرحمة ويغلب أهل الشرك والثانية اذا خرب بيت الله يبعث الله رجلا يقال له شعيب بن صالح فيهلك من خربه

ويخرجهم حتى لا يكون بالدنيا ايمان الا بأرض اليمن قال الحافظ ابن حجر ان ثبت هذا علم منه اسم القحطاني وسيرته وزمانه واعترضه البرزنجي في الاشاعة بأن ليس فيا ذكر مايقتضي ان ذلك هو القحطاني ولم لايجوز ان يكون شعيب بن صالح هو التميمي القادم بالرايات السود الى المهدي وانه يرسل عيسى عليه السلام اليه حين يأتيه الصريخ ويؤيده كونه لقبه المنصور و بتقدير ان يكون هو إياه فجائز ان يكون قبل خلافته و يكون في من أرسله عيسى عليه السلام أميرا عليهم فانه ورد أن الصريخ يأتي عيسى بذلك فيبعث اليه طائفة مابين الثمانية الى التسعة فيكون هو أميرهم وليس في كونه رحمة لاهل اليمن مايقتضي انه منهم و يكفي من كونه رحمة لهم انه يدفع الحبشة عنهم بحيث لايبقى ايمان الا في أرض اليمن ثم ان الحجاز من اليمن ولذا يقال الكعبة يمانية ولعل زمن اختصاص اليمن ببقاء الايمان بعد قبض المسيح وهبوب الريح ولا ينافي ماذكر حديث «آخر مايوجد الايمان في المدينة» لانها من اليمن والله أعلم

وقيل ان هدم الكعبة بعد خروج الدابة وقيل بعد الآيات كلها قرب قيام الساعة حين ينقطع الحاج ولايبقى في الارض من يقول الله ويؤيد هذا ان زمن عيسى عليه السلام كله زمن سلم و بركة وأمان وخير وهذا أليق بكرم الله والذي تقتضيه الحكمة فان البيت قبلة الاسلام والحج اليه أحد اركان الدين ومبانيه فالحكمة تقتضي بقاءه ببقاء الدين فاذا جاءت الريح الباردة الطيبة وقبضت المؤمنين فبعد ذلك يهدم البيت ويرتفع القرآن قال العلامة الشيخ مرعي في بهجته جاء عن الثقات الحفاظ يمكث الناس ماشاء الله تعالى في الخصب والدعة بعد هلاك يأجوج ومأجوج وطلوع الشمس وخروج الدابة ذلك ثم يخرج الحبشة وعليهم ذو السويقتين فيخربون مكة و يهدمون الكعبة ثم لا تعمر بعدها أبدا وهم الذين يستخرجون كنوز مصر قال ثم يجتمع بقايا المسلمين فيقاتلونهم فيقتلونهم ويسبونهم حتى يباع الحبشي بعباءة . فبين ان هدم الكعبة بعد الآيات كلها وان كان لا يخلو من تأمل والله أعلم

﴿ فوائد ﴾

(احداها) تقدم ان عمران بيت المقدس خراب يثرب رواه أبو داود من حديث معاذ مرفوعا وروى الطبراني انه صلى الله عليه وسلم قال «سيبلغ البناء سلعا ثم يأتي على المدينة زمان يمر السفر على بعض أقطارها فيقول قد كانت هذه مرة عامرة من طول الزمان وعفو الاثر» وأخرج الامام أحمد نحوه باسناد حسن وفي الصحيحين «لتتركن المدينة على خير ما كانت مذللة ثمارها لا يغشاها الا العوافي الطير والسباع» الحديث وسبب خرابها والله أعلم ان خيار أهلها يخرجون مع المهدي الى الجهاد ثم ترجف بعد ذلك بمنافقيها وترميهم الى الدجال ولم يبق الا المؤمنون المخلصون فيهاجرون الى بيت المقدس عند امامهم وقد ورد ستكون هجرة وخيار الناس يومئذ ألزمهم مهاجر ابرهيم ومن بقي منهم تقبض روحه الريح الطيبة وقد روى المرجاني في أخبار المدينة عن جابر مرفوعا «ليعودن هذا الأمر الى المدينة كما بدأ منها حتى لا يكون ايمان الا بها» وأخرج النسائي من حديث أبي هريرة مرفوعا «آخر قرية من قرى الاسلام خرابا المدينة» ورواه الترمذي بنحوه وقال حسن غريب ورواه ابن حبان بلفظ «آخر قرية في الاسلام خرابا المدينة» وصح «ان الدين ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها» فظاهر هذه الاخبار التعارض ووجه الجمع ان الفتن تعم الدنيا كلها كما مر في خروج المهدي ويبقى أهل المدينة مع المهدي فيأرز الدين أي ينحشر ويدخل الى المدينة حينئذ لأنهم المؤمنون الكاملون التابعون للخليفة الحق ثم انها تنفي خبثها زمن الدجال ويبقى فيها الايمان الخالص بخلاف غيرها من بيت المقدس وغيرها من البلدان فيبقى فيهم أهل ذمة ومنافقون لأنهم انما يؤمنون بعد نزول عيسى عليه السلام وكذلك مكة تقذف بمنافقيها الى الدجال أيضا وقد قيل ان الريح الطيبة تأتي من الشام فيكون أهل الشام يقبضون قبل ان تصل المدينة أومن اليمن فكذلك أومن كليهما كما جمع به والامر ظاهر فيصدق انه آخر من يقبض من المؤمنين أهل المدينة وهذا محط حديث أبي هريرة فبمجرد موتهم تخرب المدينة لانه ليس فيها سوى المؤمنين بخلاف غيرها فانها تبقى عامرة بشرار الناس كما أشار اليه في الاشاعة وهو حسن وبالله التوفيق

﴿ الثانية ﴾

(في ذكر خروج القحطاني والجهجاه والهيثم والمقعد وهؤلاء بعد موت المهدي)

أخرج أبو الشيخ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا «ينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيقتل الدجال و يموت فيستخلفون يعني بعد وفاة سيدنا عيسى عليه السلام بأمره رجلا من بني تميم يقال له المقعد فاذا مات المقعد لم يأت على الناس ثلاث سنين حتى يرفع القرآن من صدور الرجال و يبدأ النقص ليوافق ما يأتي من بقاء الدين مدة مديدة بعد سيدنا عيسى عليه السلام» والظاهر والله أعلم ان هذا التميمي الملقب بالمقعد هو شعيب بن صالح أحد الامراء والوزراء للمهدي بل هو أحد المهديين والظاهر انه يبقى أميرا في نواحي الشرق ثم يستدعيه عيسى عليه السلام بعد وفاة المهدي عند خروج ذي السويقتين على مكة ونواحيها فيقتلهم و يسبيهم حتى يباع الحبشي بالعباءة ثم عند وفاة سيدنا المسيح يوصي له بالامر لما يرى فيه من الكفاءة لذلك والقيام باعباء الدين ولم أر هذا التحرير لغيري فان لم يكن هو شعيب بن صالح والا فهو أحد الامراء الذين كان يلقي عليهم اعباء الامر أو الذي يلي امارة الشرق من بعد شعيب ان كان هو قد مات و يكون هذا يلقب بالمقعد واخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا «لا تذهب الايام والليالي حتى يملك الناس رجل يقال له الجهجاه» وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عنه مرفوعا «لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه» وأخرج الطبراني في معجمه الكبير وابن منده وأبو نعيم وابن عساكر عن قيس ابن جابر عن أبيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «ستكون من بعدي خلفاء ومن بعد الخلفاء أمراء ومن بعد الامراء ملوك جبابرة ثم يخرج من أهل بيتي المهدي يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا ثم يؤمر القحطاني فوالذي بعثني بالحق ماهو دونه» وأخرج نعيم بن حماد عن سليمان بن عيسى قال بلغني ان المهدي يملك أربعة عشر سنة ببيت المقدس ثم يموت ثم يكون من بعده رجل من قوم تبع يقال له المنصور يعني القحطاني يمكث ببيت المقدس احدى وعشرين سنة قلت هذا لا يلتئم ان يكون هو شعيب بن صالح التميمي لان بني تميم ليسوا من اليمن ولا من قحطان وان وافقه

في تلقيبه بالمنصور ثم يقتل هذا القحطاني ثم يملك المولى يعني الجهجاه و يمكث ثلاث سنين ثم يقتل ثم يملك بعده المبهم المهدي ثلاث سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام وهذا المهدي غير الاول وكأنه لقب بذلك لحسن سيرته وصفاء سريرته والحاصل ان الواجب اعتقاده من ذلك مادلت عليه الاخبار الصحيحة والآثار الصريحة من وجود المهدي المنتظر الذي يخرج الدجال وسيدنا عيسى بن مريم في زمنه و يصلي عيسى عليه السلام خلفه صلاة الفجر وهو المراد حيث أطلق المهدي واما المذكورون قبله فلم يصح فيهم شيء والذين من بعده فأمراء صالحون لكن ليسوا مثله فهو آخرهم في الوجود وامامهم وخيرهم وافضلهم في الحقيقة والمراد غير سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام فانه رسول كريم من أولي العزم وهو آية وعلامة وحده فيجب الايمان بنزوله و يجب الايمان أيضا بخروج الدجال اللعين وان سيدنا عيسى عليه السلام يقتله بباب لد عند بئر الزئبق ويجب الايمان أيضا بخروج يأجوج ومأجوج و بان الكعبة يهدمها ذو السويقتين في آخر الزمان والله تعالى المستعان

﴿ الثالثة ﴾

جاء في الحديث الشريف أنه صلى الله عليه وسلم قال «حجوا قبل ان لا تحجوا فوالذي فلق الحبة و برأ النسمة ليرفعن هذا البيت من بين أظهركم حتى لا يدري أحدكم أين مكانه بالامس» وقد روى الحاكم والبيهقي من حديث علي رضي الله عنه مرفوعا «حجوا قبل أن لا تحجوا فكأني أنظر الى حبشي أصمع أفدع بيده معول يهدمها حجرا حجرا» قوله أفدع هو بفاء ودال مهملة بوزن أفعل يمشي على ظهور قدميه وتقدم ان الاصمع بالصاد المهملة صغير الأذن وأخرج البيهقي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا «حجوا قبل ان لا تحجوا تقعد اعرابها على أذناب أوديتها فلا يصل الى الحج أحد» وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «استمتعوا بهذا البيت فقد هدم مرتين و يرفع في الثالثة» رواه البزار والطبراني في الكبير وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والحاكم وقال صحيح الاسناد قال ابن خزيمة قوله يرفع في الثالثة يريد بعد الثالثة وروى

أبو القاسم الاصبهاني عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً «تعجلوا الى الحج — يعني الفريضة — فان أحدكم لا يدري ما يعرض له» والله تعالى اعلم

﴿العلامة السادسة﴾

من علامات الساعة واشراطها العظمى ما اشار اليه بقوله

﴿ وان منها آية الدخان

﴿وان منها﴾ أي من اشراط الساعة التي ورد النص بها وانها حق يجب الايمان به ﴿آية﴾ أي علامة وأصلها أوية بفتح الواو وموضع العين واو والنسبة اليه أووي وقيل أصلها فاعلة فذهبت منها اللام أو العين تخفيفاً ولو جاءت تامة لكانت آيية ومعنى الآي من كتاب الله تعالى جماعة حروف وكلمات من قولهم خرج القوم بآيتهم أي بجماعتهم لم يدعوا وراءهم شيئاً واما في غيره فهي العلامة أي من اشراط الساعة علامة ﴿الدخان﴾ كرمان وغراب لغتان والجمع أدخنة وداخن ودواخين قال العلماء آية الدخان ثابتة بالكتاب والسنة اما الكتاب فقوله سبحانه وتعالى (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين) قال ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم والحسن وزيد بن علي رحمهم الله تعالى هو دخان قبل قيام الساعة يدخل في اسماع الكفار والمنافقين ويعتري المؤمن كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت أوقد فيه ولم يأت بعد وهو آت واما السنة فاخرج مسلم من حديث حذيفة بن اسيد رضي الله عنه قال طلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر فقال «ما تذاكرون» قالوا الساعة يارسول الله قال «انها ان تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات» فذكر منها الدخان ورواه الترمذي وابن ماجه وانه يمكث في الارض أربعين يوما وفي حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ان من أشراط الساعة دخاناً يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث في الارض أربعين يوماً فأما المؤمن فيصيبه منه شبه الزكام واما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج الدخان من فيه ومنخريه وعينيه وأذنيه ودبره رواه الطبراني ورواه البغوي ولفظه قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار

تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس الى المحشر تقيل معهم اذا قالوا قال حذيفة يارسول الله وما الدخان فتلا هذه الآية يوم (تأتي السماء بدخان مبين) يملأ ما بين المشرق والمغرب الحديث وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «بادروا بالاعمال ستة طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة أوخاصة أحدكم(١) أوامر العامة» وفي رواية وأمر العامة وخويصة أحدكم

وقيل ان الدخان مرواته الجوع الذي كان حال بين أبصار قريش و بين السماء في الصحيحين والترمذي عن مسروق قال كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود وهو مضطجع بيننا فاتاه رجل فقال ياأبا عبد الرحمن ان قاصا عند أبواب كندة يقص و يزعم ان آية الدخان تجيء فتأخذ بأنفاس الكفار ويأخذ المؤمن منها كهيئة الزكام فقال عبد الله وجلس وهوغضبان ياأيها الناس اتقوا الله من علم منكم شيأ فليقل بما يعلم ومن لايعلم فليقل الله أعلم فانه أعلم لاحدكم ان يقول لما لايعلم الله أعلم فان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل لاأسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لمارأى من الناس ادبارا قال «اللهم سبع كسبع يوسف» وفي رواية لما دعا قريشا كذبوه واستعصوا عليه فقال اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف فأخذتهم سنة حصت كل شيء حتى أكلوا الجلود والميتة من الجوع وينظر أحدهم الى السماء فيرى كهيئة الدخان فأتاه أبوسفيان فقال يامحمد انك جئت تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله عز وجل لهم قال الله عز وجل (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين) الى قوله (انكم عائدون) قال عبد الله أفيكشف عذاب الآخرة (يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون) فالبطشة يوم بدر وفي رواية قال قال عبد الله انما كان هذا لأن قريشا لما استعصوا على النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسني يوسف فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام فجعل الرجل ينظر الى السماء فيرى ما بينه و بينها كهيئة الدخان من الجهد فأنزل الله عز وجل (فارتقب يوم تأتي

(١) قوله أو خاصة أحدكم أي موته كما في الطالع . اه مؤلفه

السماء بدخان مبين * يغشى الناس هذا عذاب أليم) قال فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل يارسول الله استسق لمضر فانها قد هلكت قال لمضر انك لجريء واستسقى لهم فسقوا فنزلت (انكم عائدون) فلما أصابهم الرفاهية عادوا الى حالهم حين أصابتهم الرفاهية فأنزل الله تعالى (يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون) يعني يوم بدر وفي رواية فقيل له انا ان كشفنا عنهم عادوا فدعا ربه فكشف عنهم فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر فذلك قوله (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين) الى قوله (انا منتقمون) وفي رواية الترمذي كقوله ربنا اكشف عنا العذاب فهل يكشف عذاب الآخرة قد مضى البطشة واللزام والدخان واللزام يوم بدر وفي البخاري ومسلم قال عبد الله يعني ابن مسعود رضي الله عنه خمس قدمضين الدخان واللزام والروم والبطشة والقمر قال في النهاية في حديث اشراط الساعة ذكر اللزام وفسر بأنه يوم بدر انتهى وكذا البطشة يوم بدر والروم اشارة الى قوله غلبت الروم والقمر اشارة الى قوله اقتربت الساعة وانشق القمر قال العلامة الشيخ مرعي في بهجته كغيره كلام ابن مسعود رضي الله عنه موافق لظاهر الآية فلا دليل فيها لمذهب الجمهور وانما دليلهم السنة وكان ذلك لم يبلغ ابن مسعود رضي الله عنه حين أنكر ذلك مع انه وردعنه أيضا انه كان يقول هادخانان مضى واحد والذي بقي يملأ مابين السماء والارض ولايجد المؤمن منه الا كالزكمة وأما الكافر فيشق مسامعه فيبعث الله عند ذلك الريح الجنوب من اليمن فتقبض روح كل مؤمن ويبقى شرار الناس والذي أنكره ابن مسعود. وقد جاء عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فاخرج عبد الرزاق وابن أبي حاتم من طريق الحارث عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال آية الدخان لم تمض بعد يأخذ المؤمن منها كهيئة الزكام وينفخ الكافر حتى ينفذ وقد أخرج الطبراني من حديث أبي مالك الاشعري رضي الله عنه ان ربكم انذركم ثلاثا الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة الحديث وورد ذلك من عدة طرق عن جماعة من الصحابة مرفوعا وموقوفا قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري وتضافر هذه الأحاديث يدل على ان لذلك أصلا وقد قيل ان القاص الذي أنكر عليه ابن مسعود هو حذيفة بن

البيان رضي الله عنه وهذا ليس بشيء فلا ينظر اليه ولا يعول عليه و بالله التوفيق

﴿ العلامة السابعة ﴾

من علامات الساعة واشراطها رفع القرآن العظيم والذكر الحكيم من الصدور ومن السطور واليه الاشارة بقوله

﴿ وانه يذهب بالقرآن ﴾

﴿وانه﴾ أي الشأن والأمر ﴿يذهب﴾ بضم التحتية مبنيا لما لم يسم فاعله أي يذهب الله تعالى ﴿ بالقرآن ﴾ العظيم وكلام الله المنزل على النبي الكريم من المصاحف والصدور وهي من أشد معضلات الامور فاخرج الديلمي من حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما مرفوعا «يسرى على كتاب الله ليلا فيصبح الناس وليس منه آية ولا حرف في جوف الانسخت» قال في البهجة قرر الائمة انه يرفع أولا من المصاحف وذلك أنهم يبيتون فيصبحون وليس فيها حرف مكتوب ثم يرفع من الصدور عقب ذلك لاعجل زمن حتى لا يكون شيء منه محفوظا حتى يقول الحافظ للآخر وقد سأله الآخر كنت احفظ شيئا نسيته لاأدرى ماهو وفي الحديث «أكثروا من الطواف بالبيت قبل ان يرفع وينسى الناس مكانه وأكثروا تلاوة القرآن من قبل ان يرفع» قيل وكيف يرفع مافي صدور الرجال قال «يسرى عليهم ليلا فيصبحون منه فقراء وينسون قول لا اله الا الله» وعند الديلمي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما لاتقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث جاء له دوي حول العرش كدوي النحل فيقول الله عز وجل مالك فيقول منك خرجت واليك أعود أتلى فلا يعمل بي. وتقدم في مسئلة الكلام على الكلام ما حكاه شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه عن السلف من أن القرآن العظم كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ واليه يعود وان معنى واليه يعود ماجاء في الآثار ان القرآن يسرى به حتى لايبقى في المصاحف منه حرف ولا في القلوب منه آية وأخرج ابن ماجه من حديث حذيفة رضي الله عنه مرفوعا يدرس الاسلام حتى لا يدرى ماصيام ولا صلاة ولا نسك ولاصدقة ويسرى على كتاب الله تعالى في ليلة فلا يبقى في الارض منه آية الحديث وأخرج السجزي عن

ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا لاتقوم القيامــة حتى يرفع الركن والقرآن وأخرج ابن ماجه بسند قوي والحاكم والبيهقي والضياء عن حذيفة رضي الله عنه قال يدرس الاسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ماصيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ويسرى على كتاب الله في ليلة فلا يبقى في الارض منه آية ويبقى طوائف من الناس الشيخ والعجوز يقولون أدركنا أبانا على هـذه الـكلمة لااله الا الله فنحن نقولها والله أعلم

﴿ العلامة الثامنة ﴾

من علامات الساعـة واشراطها طلوع الشمس من مغربها وأشار اليها بقوله

﴿ طلوع شمس الافق من دبور ﴾

ومنها ﴿طلوع الشمس الافق﴾ قال الله تعالى (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) وقال (وجعل الشمس سراجا) وأخرج الطبراني في الاوسط وأبو الشيخ وابن مردويه عن أنس رضي الله عنه قال حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الشمس والقمر والنجوم خلقن من نور العرش وأخرج أبو الشيخ عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال خلق الله الشمس من نور عرشـه وكتب في وجهها اني أنا الله لااله الا أنا رضائي كلام وغضبي كلام ورحمتي كلام وعذابي كلام وخلق القمر من نور حجابه الذي يليه وكتب في وجهه اني أنا الله لااله الا أنا صنعت القمر وخلقت الظلمات والنور فالظلمة ضلالة والنور هدى أي أضل من شئت وأهدي من شئت وكتب في بطنـه اني أنا الله لااله الا خلقت الخير والشر بقدرتي وعزتي ابتلي بهما من شئت من خلقي وقد أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن عكرمة قال الشمس قدر الدنيا وزيادة ثلث والقمر على قدر الدنيا وأخرج من وجه آخر بلفظ سعة الارض بدل قدر الدنيا في الموضعين وزعم أهل الهندسة ان الشمس أضعاف الارض مائة وستون مرة أو مائتين والافق بالضم وبضمتين الناحية والجمع آفاق والافق أيضا ماظهر من نواحي الفلك وهو المراد هنا وقوله ﴿ من دبور ﴾ بفتح الدال المهملة وضم الموحدة مخففة فراء بعد الواو جهة المغرب لأنها تدابر باب الكعبـة وتسمى الريح

التي مهبها من جهة المغرب دبور قال النبي صلى الله عليه وسلم «نصرت بالصبا وهلكت عاد بالدبور» رواه الامام أحمد والشيخان من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وفي القاموس الريح تحولت دبورا وهو ريح يقابل الصبا قال الامام النووي الصبا بفتح الصاد المهملة مقصورا هي الريح الشرقية قال العلماء رحمهم الله تعالى طلوع الشمس من مغربها ثابت بالسنة الصحيحة والاخبار الصريحة بل وبالكتاب المنزل على النبي المرسل قال تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا) الآية اجمع المفسرون أو جمهورهم على انها طلوع الشمس من مغربها وقد خبط بعض العلماء في تفسير الآية الكريمة وخلط ولم يهتد لمقصودها الذي عليه المحط وحاصل ذلك المقصود من الآية الكريمة ان من لم يكن ايمانه متحققا اذا طلعت الشمس من مغربها لم ينفعه تجديد الايمان ولم ينفعه فعل بر من جميع الاعمال لانه فقد الايمان الذي هو الاساس لانعدامه من تلك الاعمال فلا ينفعه ايمانه الحادث حينئذ ولا ماصدر منه قبل ذلك من الاحسان وعمل البر من صلة الارحام واعتاق الرقاب وقرى الاضياف وغير ذلك مما هو من مكارم الاخلاق لانها على غير أساس قال تعالى (والذين كفروا أعمالهم كرماد اشتدت به الريح) الآية والايمان الحادث في ذلك الوقت ليس متقبلا حتى يكون من باب أسلم على ما سلف من الخير فهؤلاء لا ينفعهم لا بانضمام الافعال اللاحقة ولا بانضمام أعمالهم السابقة لفقد الاساس الذي هو الايمان واما من تحقق اتصافه بالايمان الشرعي من قبل ذلك الوقت واستمر ايمانه الى طلوع الشمس من مغربها فهو لا يخلو اما ان يكون مؤمنا متمايا على المعاصي لم يكسب في ايمانه خيرا أو مؤمنا مخلطا أو مؤمنا تائبا عن المعاصي كاسبا في ايمانه خيرا ما استطاع (فالأول) ينفعه الايمان السابق المجرد عن الاعمال لاصل النجاة فلا يخلد في النار وان دخلها بذنوبه فالايمان السابق ينفعه وينفعه الايمان يومئذ أيضا لانه نور على نور ولكن لا تنفعه التوبة عن المعاصي ولا يقبل منه حسنة يعملها بعد ذلك (والثاني) ينفعه ايمانه السابق لاصل نجاته وينفعه ما قدمه من الحسنات لدرجاته وينفعه ايمان يومئذ أيضا كما مر ولكن لا تنفعه توبة حينئذ من التخليط ولا حسنة يعملها بعد ذلك مالم يكن

عملها من قبل واستمر على عملها من نحو صلاة وقراءة وذكر كان يعمله (والثالث) ينفعه ايمانه السابق لاجل نجاته وتنفعه أعماله السابقة الصالحة لدرجاته وينفعه ايمانه ذلك اليوم أيضا وينفعه مايعمله بعد ذلك من الحسنات التي سبق منه أمثالها

وهذا التفصيل مما دلت عليه الآية الكريمة وبينته الأحاديث الواردة في تفسير قوله تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك لاينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا) من ذلك ماأخرج الشيخان وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لاتقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لاينفع نفسا ايمانها» الآية وأخرج ابن مردويه وابن أبي حاتم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية من المثيات فقال «ياعباد الله توبوا الى الله — مرات — فانكم توشكون ان تروا الشمس من المغرب فاذا فعلت ذلك حبست التوبة وطوي العمل وختم الايمان» الحديث وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله (أو كسبت في ايمانها خيرا) يقول كسبت في تصديقها عملا هؤلاء أهل القبلة وان كانت مصدقة لم تعمل قبل ذلك خيرا فعملت بعد ان رأت الآية لم يقبل منها وان عملت قبل الآية خيرا قبل منها ومن ذلك ماأخرجه الامام أحمد وابن مردويه والبيهقي في الشعب من طريق مالك بن يخامر السكسكي عن عبدالرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله وسلم قال «الهجرة خصلتان احداهما ان تهجر السيئات والاخرى ان تهاجر الى الله ورسوله ولاتنقطع الهجرة ماتقبل التوبة ولاتزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت طبع على كل قلب بمافيه وكفي الناس العمل» وأخرج الامام أحمد وعبد الرحمن بن حميد ومسلم والحاكم وابن مردويه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «بادروا بالأعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدجال والدخان ودابة الارض وخويصة أحدكم وأمر العامة» قال قتادة خويصة أحدكم الموت وأمر العامة الساعة وأخرج ابن مردويه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا «خلق الله بابا للتوبة — وفيه — فذلك الباب مفتوح منذ

خلقه الله الى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغربهما — الى ان قال — فاذا أغلق باب التوبة لم يقبل لعبد بعد ذلك توبة ولم تنفعه حسنة يعملها بعد ذلك الا ما كانت قبل ذلك فانه تجري لهم وعليهم بعد ذلك ما كان يجري لهم قبل ذلك فذلك قوله تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك — الى قوله خيرا — » الحديث بطوله وهذا الحديث وان كان سنده واهيا كما قاله بعض الحفاظ لكن له شواهد من الأحاديث الصحاح ويوضحه ما نقله العلامة المدقق ابن هشام في مغني اللبيب عن ابن عطية وابن الحاجب ان الآية من حذف المعطوف أي لا ينفع نفسا إيمانها وكسبها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً والآية من اللف والنشر ومفهومه أنها اذا كانت كسبت ينفعها كسبها المماثل للسابق وهو المطلوب

فيتلخص من مجموع الأحاديث المذكورة وما في معناها مما هو مسطر في الدر المنثور للحافظ جلال الدين السيوطي ان الشمس اذا طلعت من مغربها لا ينفع الايمان الحدث في ذلك اليوم لمن كان كافرا أو مشركا ولا التوبة المحدثة فيه لمن كان مخلطا ولا أعمال البر المحدثة فيه لمن لم يكن يعملها قبل ذلك اليوم واما من كان قبل ذلك اليوم مؤمنا فان الايمان المجرد عن الاعمال الصالحة السابقة على ذلك اليوم ينفع صاحبه لاجل نجاته وايمانه المتجدد يومئذ ينفعه أيضا لانه نور على نور وان لم تقبل توبته عن سيآته وان الايمان السابق مع التخليط ينفعه مع ما تقدم له من الاعمال الصالحة التي كان يعملها وانما الممنوع قبول توبته عن تخليطه وقبول ما لم يكن متصفا به من الايمان وأعمال البر قبل ذلك اليوم والضابط ان كل بر محدث يكون السبب في احداثه رؤية الآية ولم يسبق من صاحبه مثله لا ينفع سواء كان من الاصول أو الفروع وكل بر ليس كذلك لكون صاحبه كان عاملا به قبل رؤية الآية ينفع وهذا التحقيق نبه على مثله الامام المحقق العلامة ابن مفلح في الآداب الكبرى قال في قوله صلى الله عليه وسلم «اذا طلعت الشمس من مغربها طبع الله عز وجل على كل قلب بما فيه وكفى الناس العمل » ليس المراد بهذا الخبر ترك ما كان يعمله من الفرائض أي وكذا من النوافل قبل طلوع الشمس من المغرب فيجب الاتيان بما كان يعمله من الفرائض قبل ذلك وينفعه ما يأتي به من الايمان الذي كان يأتي به قبل ذلك وقوله وكفى الناس العمل أي عملا لم

يكونوا يفعلونه قال وقد ذكر ابن حامد ان المذهب لا ينقطع التكليف خلافا للمعتزلة وحكى ابن الجوزي عن الضحاك ان من أدركه بعض الآيات وهو على عمل صالح مع ايمانه قبل منه كما يقبل منه قبل الآية قال ابن مفلح فالعمل الصالح الذي سببه ظهور الآية لا ينفع لان الآية اضطرته اليه واما ما كان يعمله فظهور الآية لا تأثير لها فيه فبقي الحكم كما قبل الآية ونبه على مثله السيد محمد البرزنجي في كتابه الاشاعة في اشراط الساعة وشيخ مشايخنا العلامة ابراهيم الكوراني في شرح منظومة الشيخ محمد المقدسي القشاشي وأشار اليه سابقا الحافظ ابن حجر في فتح الباري والحافظ السيوطي في الدر المنثور وغيرهم من المحققين فهو المعول عليه دون مازعمه بعض المتحذلقين وبالله التوفيق

اذا فهمت ذلك فاعلم انه قد ورد في طلوع الشمس من مغربها عدة أحاديث منها ما أخرجه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على أثرها قريبا منها وفيه أيضا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت من مغربها أمن الناس كلهم أجمعون فيومئذ لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا ورواه البخاري أيضا وفيه حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا رآها الناس آمن من عليها الحديث وأخرج مسلم من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما «أتدرون اين تذهب هذه الشمس» قالوا الله ورسوله أعلم «قال ان هذه تجري حتى تنتهي الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارجعي من حيث جئت فترجع طالعة من مطلعها تجري لا يستنكر الناس منها شيئا حتى تنتهي الى مستقرها ذلك تحت العرش فيقال لها ارجعي ارتفعي أصبحي طالعة من مغربك فتصبح طالعة من مغربها - فقال عليه السلام - أتدرون متى ذلكم؟ حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل» لآية وأخرج الامام أحمد وعبد بن حميد وعبد الرزاق والستة غير الترمذي وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون وذلك حين لا ينفع نفس ايمانها ثم قرأ الآية وتقدم قريبا وأخرج ابن مردويه عن حذيفة رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما آية طلوع الشمس من مغربها فقال «تطول تلك الليلة حتى تكون قدر ليلتين» وهو وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا قدر ثلاث ليال وعند البيهقي من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعا «قدر ليلتين أو ثلاث فيستيقظ الذين يخشون ربهم فيصلون ويعملون كما كانوا ولا يرون الا قد قامت النجوم مكانها ثم يرقدون ثم يقومون ثم يقضون صلاتهم والليل كأنه لم ينقص فيضطجعون حتى اذا استيقظوا والليل مكانه حتى يتطاول عليهم الليل فاذا رأوا ذلك خافوا ان يكون ذلك بين يدي أمر عظيم فيفزع الناس وهاج بعضهم في بعض فقالوا ماهذا فيفزعون الى المساجد فاذا أصبحوا طال عليهم طلوع الشمس فبينما ينظرون طلوعها من المشرق اذ هي طالعة عليهم من مغربها فيضج الناس ضجة واحدة حتى اذا صارت في وسط السماء رجعت وطلعت من مطلعها» وأخرج ابن مردويه وغيره من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعا «صبيحة تطلع الشمس من مغربها يصير في هذه الأمة قردة وخنازير تطوى الدواوين وتجف الاقلام لا يزاد في حسنة ولا ينقص من سيئة ولا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا» وعند البيهقي «فيذهب الناس فيتصدقون بالذهب الأحمر فلا يقبل منهم ويقال لو كان بالأمس» وأخرج ابن مردويه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا «لا تزال الشمس تجري من مشرقها الى مغربها حتى يأتي الوقت الذي جعل الله لتوبة عباده فتستأذن الشمس من أين تطلع ويستأذن القمر من أين يطلع فلا يؤذن لهما فيحبسان مقدار ثلاث ليال للشمس وليلتين للقمر فلا يعرف مقدار حبسهما الا قليل من الناس وهم بقية أهل الارض وحملة القرآن يقرأ كل رجل منهم ورده في تلك الليلة حتى اذا فرغ منه نظر فاذا ليله على حالها فيعود ويقرأ ورده فاذا فرغ نظر فاذا ليله على حالها فلا يعرف ذلك الا حملة القرآن فينادي بعضهم بعضا فيجتمعون في مساجدهم بالتضرع والبكاء

والصراخ بقية تلك الليلة ومقدار تلك الليلة ثلاث ليال ثم يرسل الله جبريل الى الشمس والقمر فيقول ان الرب تعالى يأمركما أن ترجعا الى مغربكما فتطلعا منه فانه لاضوء لكما عندنا ولانور فتبكي الشمس والقمر خوف يوم القيامة وخوف الموت فترجع الشمس والقمر فيطلعان من مغربهما فبينما الناس كذلك يتضرعون الى الله والغافلون في غفلاتهم اذ نادى مناد ألا ان باب التوبة قد أغلق والشمس والقمر طلعا من مغاربهما فنظر الناس فاذا بهما اسودان كالعكمين لاضوء لهما ولانور فذلك قوله تعالى (وجمع الشمس والقمر)» قوله كالعكمين تثنية عكم بالكسر وهو الغرارة أي كالغرارتين العظيمتين ومنه يقال لمن شد الغرائر على الجمل العكام وفي حديث أم زرع «عكومها رداح» يعني غرائرها التي تكون فيها الامتعة وغيرها فيرتفعان أسيء الشمس والقمر مثل البعيرين المقرونين ينازع كل منهما صاحبه استباقا و يتصايح أهل الدنيا وتذهل الامهات عن أولادها وتضع كل ذات حمل حملها فاما الصالحون والابرار فينفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب لهم عبادة واما الفاسقون والفجار فلا ينفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب عليهم حسرة فاذا بلغت الشمس والقمر سرة السماء وهو منتصفها جاءهما جبريل فأخذ بقرونهما فردهما الى المغرب فلا يغربهما في مغاربهما أي مغارب طلوعهما ذلك اليوم وهي جهة المشرق ولكن يغربهما في مغاربهما اللذين في باب التوبة فان الله تعالى خلق باب التوبة فهو من أبواب الجنة له مصراعان من ذهب مكللان بالدر والجوهر ما بين المصراع الى المصراع مسيرة أربعين عاما للراكب المسرع فذلك الباب مفتوح منذ خلق الله خلقه الى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغاربهما ولم يتب عبد من عباد الله توبة نصوحا من لدن آدم الى ذلك اليوم الا ولجت تلك التوبة في ذلك الباب ثم ترفع الى الله فيغربهما جبريل في ذلك ثم يرد المصراعين فيلتئم ما بينهما و يصيران كأنهما لم يكن فيهما صدع قط ولاخلل فاذا أغلق باب التوبة لم يقبل لعبد بعد ذلك توبة ولم ينفعه حسنة يعملها بعد ذلك الا ما كان يجري لها قبل ذلك فذلك قوله تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك) الآية فقال. أبي بن كعب يارسول الله فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك وكيف بالناس.

والدنيا وان الشمس والقمر يكسيان بعد ذلك ضوء النور ثم يطلعان على الناس ويغربان كما كانا قبل ذلك وأما الناس فانهم حيث رأوا ما رأوا من آيات الآية وعظمها يلحون على الدنيا فيعمرونها ويجرون فيها الأنهار ويغرسون فيها الأشجار ويبنون فيها البنيان واما الدنيا فلو أنتج رجل مهرا لم يركبه حتى تقوم الساعة من لدن طلوع الشمس من مغربها الى يوم ينفخ في الصور وقد ذكر نحو ذلك القرطبي في تذكرته عن الثعلبي وغيره من المفسرين عن أبي هريرة

﴿ تنبيهات ﴾

(الاول) قد ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما يمكث الناس بعد طلوع الشمس من مغربها عشرين ومائة سنة وروى عبد بن حميد عنه يبقى شرار الناس بعد طلوع الشمس من مغربها عشرين ومائة سنة وأخرج نعيم عن ابن عمرو لا تقوم الساعة حتى تعبد العرب ما كان يعبد آباؤها عشرين ومائة سنة بعد نزول عيسى بن مريم وبعد الدجال وروى عبد بن حميد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يلتقي الشيخان الكبيران فيقول أحدهما للآخر متى ولدت فيقول زمن طلعت الشمس من مغربها وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر عن أبي هريرة رضي الله عنه الآيات كلها في ثمانية أشهر وعن أبي العالية في ستة أشهر ومن لو ان رجلا نتج مهرا لم يركبه حتى ينفخ في الصور وجمع الحافظ ابن حجر في فتح الباري وتبعه السخاوي في القناعة والبرزنجي في الاشاعة بما حاصله ان المدة كما في الروايات الاولى عشرون ومائة سنة لكنها تمر مرا سريعا كمقدار عشرين ومائة شهر كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعا لا تقوم الساعة حتى تكون السنة كالشهر » الحديث وفيه اليوم كالساعة وعلى هذا يكون تقارب الزمان وتقاصر الايام مرتين مرة زمن الدجال ثم ترجع بركة الارض وطول الايام الى حالها ثم تتناقص بعد موت سيدنا عيسى عليه السلام الى أن تصير في آخر الزمان الى ما ذكرت وأحسن من هذا ما ذكره الطيبي أن الآيات على قسمين قسم يدل على قرب الساعة وقسم يدل على حصولها وان من الاول الدجال ونزول عيسى عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج والخسف ومن الثاني

الدخان وطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة والنار التي تخرج من قعر عدن تحشر الناس فيكون المراد بالمدة الطويلة باعتبار الاول والقصيرة باعتبار الثاني لكن يعكر عليه بأن الخبر نطق بأن العشرين ومائة سنة بعد طلوع الشمس من مغربها ولهذا مال الكوراني الى الاول أو ان خبر عشرين ومائة سنة غير صحيح واستدل لعدم صحته ذلك مع ما مر بقول السخاوي ثبت ان الآيات العظام مثل السلك اذا انقطع تناثر الخرز سرعة وفي مرسل لابي العالية ان بين أول الآيات وآخرها ستة أشهر يتتابعن كتتابع الخرزات في النظام وتقدم قريبا ويشهد لتواليها خرزات منظومات في سلك اذا انقطع السلك تبع بعضها بعضا وفي رواية بين يدي الساعة عشر آيات كالنظم في الخيط اذا سقط منها واحدة توالت

﴿ الثاني ﴾

في حديث مسلم ان أول الآيات طلوع الشمس من مغربها وقد استشكل بانه لو كان كذلك لم ينفع الكفار ايمانهم بعد نزول عيسى عليه السلام ولا الفساق توبتهم لانغلاق باب التوبة وقد جاء النص بأنه ينفعهم ذلك جزما والا لما صار الدين واحدا ولا كان في نزوله كبير فائدة وقد اضطرب كلام العلماء من المحدثين والمفسرين في الجواب عن ذلك والجمع بين الأحاديث وحاصل ذلك انه أجيب بجوابين أحدهما للحافظ البيهقي قال ان كان في علم الله تعالى ان طلوع الشمس سابق احتمل ان يكون المراد نفي قبول توبة الذين شاهدوا طلوع الشمس من مغربها فاذا انقرضوا وتطاول الزمن وعاد بعضهم الى الكفر عاد تكليف الايمان بالغيب قال وان كان في علم الله تعالى ان طلوع الشمس بعد نزول عيسى احتمل ان يكون المراد بالآيات في حديث ابن عمرو آيات أخر غير الدجال ونزول عيسى يعني وخروج المهدي قال العلامة الشيخ مرعي عن الاخير هو المعتمد لما مر من ان باب التوبة يغلق من حين طلوع الشمس من مغربها الى يوم القيامة

الجواب الثاني ان خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير انتظام الأحوال العامة في معظم الارض وينتهي ذلك بموت سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير انتظام العالم العلوي

و ينتهى ذلك بقيام الساعة واما خروج الدابة فانه يقع فى ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب قال الحاكم أبو عبد الله الذي يظهران طلوع الشمس يسبق خروج الدابة في ذلك اليوم أو الذي يقرب منه والحكمة في ذلك ان عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكفر تكميلا للمقصود من اعلاق باب التوبة قال العلامة الشيخ مرعي وهذا كلام في غاية التحقيق قال بعضهم والحكمة في طلوع الشمس من مغربها ان ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لما قال لنمرود (ان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر) وان السحرة والمنجمين عن آخرهم ينكرون ذلك ويقولون هو غير كائن أطلعها الله تعالى يوما من المغرب ليري المنكرين عظيم قدرته و باهر حكمته وان الشمس في ملكه انشاء أطلعها من المشرق أوالمغرب أولا ولا وقال الحليمي من الشافعية أول الآيات الدجال ثم نزول عيسى عليه السلام ثم طلوع الشمس من مغربها (قلت) والذي يظهر والله أعلم ان أول الآيات خروج المهدي ثم الدجال ثم نزول عيسى ثم خروج يأجوج ومأجوج ثم هدم الكعبة ثم الدخان ثم ارتفاع القرآن ثم طلوع الشمس من مغربها ويحتمل ان طلوع الشمس متقدم على رفع القرآن وخروج الدابة عقب طلوع الشمس من مغربها في يومها أو قريبا منها وهذا هو النسق الذي مشينا عليه واخترناه والله أعلم واما خروج السفياني فانه وان كان قبل خروج المهدي الا انه لم يعد خروجه آية وانما هو علامة لخروج المهدي والله أعلم

﴿ التنبيه الثالث ﴾

قد ورد من حديث أنس رضي الله عنه عند ابن مردويه وغيره ان الدواوين تطوى والاقلام تجف ولا يزاد في حسنة ولا ينقص من سيئة وفي كلام بعضهم ولا يكتب عمل بعد ذلك وانهم اذا عملوا عملا فاجسامهم تشهد عليهم كما ورد عن عائشة رضي الله عنها اذا خرجت أول الآيات تعني طلوع الشمس من المغرب طرحت الاقلام وطويت الصحف وخلصت الحفظة وشهدت الاجساد على الاعمال رواه عبد بن حميد والطبري بسند صحيح وعند نعيم بن حماد عن ابن عمر فينادي

مناد: ياأيها الذين آمنوا قدقبل منكم و ياأيها الذين كفروا قد أغلق عنكم باب التوبة وجفت الاقلام وطويت الصحف ·ورويمن طريق يزيد بن شريح وكثير بن مرة اذا طلعت الشمس من المغرب يطبع على القلوب بمافيها وترفع الحفظة وتؤمر الملائكة ان لايكتبوا اعمالا وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال الآية التي تختم الاعمال بها طلوع الشمس من مغربها · فهذه آثار يشد بعضها بعضا متفقة على انه اذا طلعت الشمس من المغرب أغلق باب التوبة ولم يفتح بعدذلك ولايختص ذلك بيوم طلوعها بل يمتد الى يوم القيامة خلافا لمن زعم من العلماء انه انما يمتنع قبول الايمان والتوبة وقت طلوع الشمس من المغرب أي في تلك الحالة قالوا واما من تاب بعد ذلك أواسلم قبل ذلك منه قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ماملخصه: الذي دلت عليه الاحاديث الثابتة الصحاح والحسان ان قبول التوبة مغيا بطلوع الشمس من مغربها ومفهومها انها بعد ذلك لاتقبل بل قد جاء في بعض الروايات التصريح بعدم القبول كما عند الامام أحمد والطبري والطبراني عن مالك بن يخامر ومعاوية وعبد الرحمن بن عوف وعبدالله بن عمر ورفعوه لاتزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفي الناس العمل وقد مر من الاخبار والآثار ما يفيد ذلك افادة صريحة لاتحتمل التأويل ويؤيد ذلك ماياتي من أن ابليس يخر ساجدا وان الدابة تقتله فانه لايموت الاعند الفراغ من العمل و بالله التوفيق

﴿ العلامة التاسعة ﴾

خروج دابة الارض واليها أشار بقوله

﴿ كذات أجياد على المشهور ﴾

﴿ كذات ﴾ أي صاحبة ﴿ أجياد ﴾ وأجياد كما في القاموس اسم أرض بمكة أوجبل بها قال سمي بذلك لكونه موضع خيل تبع انتهى قلت وفيه نظر فان تسميته بأجياد متقدمة على تبع وخيله ففي تفسير القرطبي ورواه الحكيم الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما لما أذن الله لابراهيم واسماعيل برفع القواعد من البيت

قال الله تبارك اسمه آتي معطيكما كنزا ادخرته لكما ثم أوحى الى اسماعيل ان اخرج الى أجياد فادع يأتك الكنز فخرج الى أجياد ولا يدري ما الدعاء ولا الكنز فألهمه الله الدعاء فلم يبق على وجه الارض فرس الا جاءته وأمكنته من ناصيتها وذللها له وفي حياة الحيوان للدميري أول من ركب الخيل اسماعيل عليه السلام ولذلك سميت العراب وكانت قبل ذلك وحشا كسائر الوحوش فلما أذن الله تعالى الى ابراهيم واسمعيل عليهما السلام برفع القواعد من البيت قال الله عز وجل اني معطيكما كنزا ادخرته لكما ثم أوحى الله عزوجل الى اسماعيل الحديث وفيه ولذلك قال نبينا صلى الله عليه وسلم «اركبوا الخيل فانها ميراث أبيكم اسماعيل» قلت ولعل تسمية المحل المذكور لمجيء الخيل الجياد اليه بحيثة سيدنا اسماعيل عليه السلام و يقال له جياد أيضا بغير ألف قبل الجيم وقوله ﴿ على ﴾ القول ﴿المشهور﴾ من اضافته الى اجياد لكونها تخرج منه ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا «تخرج دابة الارض من أجياد فيبلغ صدرها الركن اليماني ولم يخرج ذنبها بعد وهي دابة ذات قوائم» وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضا انه أراه النبي صلى الله عليه وسلم المكان الذى تخرج منه الدابة وعن أبي هريرة أيضا رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «بئس الشعب شعب أجياد» قالها مرتين أو ثلاثا قالوا وماذاك يارسول الله؟ قال «تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات فيسمعها من في الخافقين» رواه الطبراني في الاوسط وفي حديث بريدة رضي الله عنه قال ذهب بي رسول الله صلى الله عليه سلم الى موضع بالبادية قريب من مكة فاذا بأرض يابسة حولها رمل فقال صلى الله عليه وسلم «تخرج الدابة من هذا الموضع» والحاصل ان في المحل الذي تخرج منه الدابة أقوالا من أشهرها أجياد كما أشرنا اليه قال الحافظ السخاوي في القناعة وخروجها في آخر الزمان من مكة امامن صدع الصفا وبه جزم غير واحد أو من المروة أو من شعب أجياد أو من بعض أودية تهامة أو من وراء مكة أو من مدينة قوم لوط انتهى وقيل بل أول خروجها من أقصى اليمن وهذا أخرجه الحاكم في المستدرك عن أبي الطفيل عن أبي سريحة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «يكون للدابة ثلاث خرجات في الدهر تخرج في أول خرجة في أقصى اليمن منتشرا ذكرها بالبادية ولا

يدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم تمكث زمانا طويلا ثم تخرج خرجة أخرى دون تلك فيعلو ذكرها في أهل البادية ويدخل ذكرها القرية ثم بينما الناس في أعظم المساجد حرمة وأحبها الى الله وأكرمها على الله — يعني المسجد الحرام — لم يرعهم الا وهي في ناحية المسجد من الركن الاسود وباب بني مخزوم فيرفض الناس عنها وتثبت عصابة من المسلمين عرفوا انهم لن يعجزوا الله ماتنفض عن رأسها التراب فتجلو عن وجوههم حتى كأنهم الكواكب الدرية الحديث

وقد جمع بعضهم بين الروايات بأن للدابة ثلاث خرجات ففي بعض خرجاتها تخرج من مدينة قوم لوط ويصدق عليها انها من أقصى البادية وفي بعضها تخرج من بعض أودية تهامة ويصدق عليها انها من وراء مكة وانها من اليمن لان الحجاز يمانية ومن ثم قيل الكعبة يمانية والمرة الثالثة تخرج من مكة وهي من كبرها وعظم جثتها وطولها يمكن أن تخرج من بين الصفا والمروة واجياد فانها تمتد مقدار ثلاثة أيام وأكثر وحينئذ يصدق عليها انها خرجت من المروة ومن الصفا ومن أجياد ومن المسجد ومن البادية التي بقرب مكة كما في حديث بريدة. وجمع بعضهم أيضا بوجه آخر وهو انها تخرج من جميع تلك الاماكن في آن واحد خرقا للعادة في صور متباينة على انه وود في رواية كما في حياة الحيوان أنه يخرج من كل بلد دابة مما هو مبثوث نوعها في الارض فليست بواحدة فيكون قوله دابة اسم جنس وذكر الكوراني انه حيث ورد في المرفوع لها ثلاث خرجات من ثلاث محلات ومن المذكور في الاصول ان العدد لا مفهوم له ومن ثم قال أهل الاصول والتخصيص بالعدد لا يدل على الزائد والناقص فجاز أن يكون لها أكثر من ثلاث خرجات كل خرجة من محل فيصح خروجها من كل محل ذكروه وكذلك الاختلاف في طولها وغيره فان الاقل لا ينافي الاكثر بناء على ان العدد لا مفهوم له انتهى وورد ان خروجها ليلة جمع والناس سائرون الى منى فيتصدع الصفا فتخرج منه وقيل تخرج من الحجر وقيل من أرض الطائف ومعها عصى موسى وخاتم سليمان عليهما السلام لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب.

اذا علمت ذلك فخروج الدابة المذكورة ثابت بالكتاب والسنة اما الكتاب

فقوله تعالى (واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) واما السنة فكثيرة منها ما في حديث حذيفة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «دابة الارض طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب» وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا «تخرج دابة الارض من اجياد فيبلغ صدرها الركن اليماني ولم يخرج ذنبها بعد وهي دابة ذات قوائم» وفي حديث حذيفة يرفعه «أول مايبدو منها رأسها معلمة ذات وبر وريش» وقال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج الا ثلثها وروي فلا يخرج الا رأسها فيبلغ عنان السماء وتبلغ السحاب وقال أبو هريرة رضي الله عنه فيها من كل لون وما بين قرنيها فرسخ للراكب وقال وهب: وجهها وجه رجل وسائر خلقها كخلق الطير وقال ابن جرير رأسها رأس الثور وعينها عين خنزير واذنها أذن فيل وقرنها قرن ايل وعنقها عنق نعامة وصدرها صدر اسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب تيس وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين اثنى عشر ذراعا بذراع آدم عليه السلام وقال كعب صوتها صوت حمار وأخرج الامام أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان وعصى موسى فتجلو وجه المؤمن بالعصى وتخطم أنف الكافر بالخاتم حتى ان أهل الخوان ليجتمعون فيقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر» وأخرج الامام أحمد أيضا من حديث أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعا «تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم ثم يعمرون فيكم ثم يشتري الرجل الدابة فيقول ممن اشتريت فيقول من الرجل المخطم» وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان لها عنقا مشرفا يراها من بالمشرق كما يراها من بالمغرب ولها وجه كوجه الانسان ومنقار كمنقار الطير ذات وبر وزغب وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها ذات زغب وريش فيها من ألوان الدواب كلها وفيها من كل أمة سيمة وسيماها من هذه الامة أنها تكلم الناس بلسان عربي مبين وتكلمهم بكلامهم (قوله) ذات زغب أي عليها زغب وهو صغار الريش أول مايطلع كما في النهاية والايل بفتح الهمزة وكسر التحتية مشددة وبضم وفتح الوعل بفتح العين وهو تيس الجبل والسيمة العلامة

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه قيل له ان ناسا يزعمون انك دابة الارض فقال والله ان لدابة الارض ريشا وزغبا ومالي ريش ولا زغب وان لها حافرا وانها لتخرج حضر الفرس الجواد ثلاثا وما خرج ثلثاها وفي الميزان للحافظ الذهبي عن جابر الجعفي أنه كان يقول دابة الارض علي بن ابي طالب قال الذهبي وكان جابر الجعفي شيعيا يرى الرجعة أي ان عليا يرجع الى الدنيا قال الامام أبو حنيفة مالقيت أحدا أكذب من جابر الجعفي ولا افضل من عطاء بن رباح وقال الشافعي أخبرني سفيان بن عيينة قال كنا في منزل جابر الجعفي فتكلم بشيء فنزلنا خوفا ان يقع علينا السقف ومع ذلك روى له أبو داود والترمذي وابن ماجه ومات سنة ست وستين ومائة عفى الله عنه وقال ابن الاثير في جامع الاصول جابر بن يزيد الجعفي ويقال أبو محمد من أهل الكوفة مشهور وكان من اصحاب عبد الله بن سبأ وكان يقول ان علي بن أبي طالب يرجع الى الدنيا وذكر ماقاله أبو حنيفة رضي الله عنه فيه قال ومات سنة ثمان وعشرين ومائة وقال الحافظ المنذري في آخر كتابه الترغيب والترهيب جابر بن يزيد الجعفي الكوفي عالم الشيعة ترك يحيى القطان حديثه وقال النسائي وغيره متروك ووثقه شعبة وسفيان الثوري وقال وكيع ماشككتم في شيء فلا تشكوا أن جابراً الجعفي ثقة والله أعلم

قال العلماء رحمهم الله تعالى كما في الاحاديث ان مع الدابة عصى موسى وخاتم سليمان عليهما السلام وتنادي بأعلا صوتها أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون وتسم الناس المؤمن والكافر فأما المؤمن فيرى وجهه كأنه كوكب دري ويكتب بين عينيه مؤمن وأما الكافر فتنكت بين عينيه نكتة سوداء ويكتب بين عينيه كافر فلا يبقى مؤمن الا نكتت في مسجده بعصى موسى نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة حتى يبيض لها وجهه ولا يبقى كافر الا نكتت في وجهه نكتة سوداء بخاتم سليمان فتفشو تلك النكتة حتى يسود لها وجهه وفي رواية فتاتي المؤمن فتسمه في وجهه نكتة فيبيض لها وجهه وتسم الكافر نكتة يسود لها وجهه وفي أخرى فتجلو وجه المؤمن بالعصى وتخطم انف الكافر بالخاتم حتى ان أهل الخوان ليجتمعون فيقولون لهذا يامؤمن ولهذا ياكافر ويتعوذ بعض الناس منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلي

فيقبل عليها فتسمه في وجهه ثم تنطلق و يشترك الناس في الاموال و يصطحبون
في الامصار يعرف المؤمن الكافر و بالعكس حتى ان المؤمن ليقول يا كافر يا كافر
اقض حقي وتستقبل المشرق فتصرخ صرخة تنفذها ثم تستقبل الشام فتصرخ
صرخة تنفذها ثم المغرب واليمن كذلك وأخرج نعيم بن حماد في الفتن والحاكم
في المستدرك عن ابن مسعود رضي الله عنه قال لا يلبثون يعني الناس بعد يأجوج
ومأجوج حتى تطلع الشمس من مغربها وجفت الاقلام وطويت الصحف ولا يقبل
لاحد توبة ويخر ابليس ساجدا ينادي الهي مرني أسجد لمن شئت وتجتمع اليه
الشياطين تقول يا سيدنا الى من تفزع فيقول انما سألت ربي ان ينظرني الى يوم البعث
فانظرني الى يوم الوقت المعلوم وقد طلعت الشمس من مغربها فهذا يوم الوقت
المعلوم وتصير الشياطين ظاهرة في الارض حتى يقول الرجل هذا قريني الذي
كان يغويني فالحمد لله الذي أخزاه ولا يزال ابليس ساجدا باكيا حتى تخرج الدابة
فتقتله وهو ساجد. قال العلماء في سؤال ابليس ان ينظر ليوم البعث مكر منه
وخداع وجهل برب العالمين فانه انما حاول ان لا يذوق الموت لان يوم البعث
ليس بيوم موت وانما هو يوم بعث ونشور واحياء وبعثرة لمن في القبور فاذا كان الامر
كذلك فكيف يقبض اذذاك ابليس أو غيره وانما ذلك يوم الجزاء فأجابه العليم
الحكيم بانه منظر الى يوم الوقت المعلوم وهذا أصح من قول كعب الاحبار بأن
ابليس انما يذوق الموت يوم الحشر كما ذكره الكسائي في العرائس و بالله التوفيق

﴿ فائدة ﴾

روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان الدابة هي الجساسة
المذكورة في قصة تميم الداري رضي الله عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انها الثعبان الذي كان في بئر الكعبة فاختطفه العقاب حين ارادت قريش بناء
البيت الحرام وان الطائر حين احتطفها ألقاها بالحجون وفي التمهيد لابن عبد البر
عن عمرو بن دينار أنه رمى بها في اجياد فالتقمتها الارض فهي الدابة التي تخرج
تكلم الناس وتخرج عند الصفا. وفي حياة الحيوان جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص
رضي الله عنهما انها أي الجساسة دابة الارض المذكورة في القرآن قال وهي بجزيرة

بحر القلزم والله أعلم

﴿العلامة العاشرة﴾

خروج النار التي تخرج من قعر عدن تحشر الناس الى محشرهم واليها أشار بقوله

﴿ وآخر الآيات حشر النار كما أتى في محكم الاخبار ﴾

﴿وآخر الآيات﴾ العظام والعلامات الجسام ﴿حشر النار﴾ للناس من المشرق الى المغرب ومن اليمن الى مهاجر ابراهيم عليه السلام وهو أرض الشام ﴿كما أتى﴾ ذاك مصرحا به ﴿في محكم الاخبار﴾ وصحيح الآثار كما ستقف على جملة من ذلك فان قلت في قولك وآخر الآيات مصادمة للحديث الصحيح والخبر الثابت الصريح عن سيد البشر وخلاصة العالم وأصدق من أخبر وصفوة بني آدم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد أخرج الامام أحمد في مسنده والبخاري في صحيحه والنسائي في سننه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اما أول اشراط الساعة فنار تخرج من المشرق فتحشر الناس الى المغرب» الحديث قلت تقدم في حديث حذيفة بن اسيد الغفاري انه صلى الله عليه وسلم قال لن تقوم الساعة حتى ترى قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج وثلاث خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب قال وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم وفي لفظ ان الساعة لاتكون حتى تكون عشر آيات فعدها وفي آخرها نار تخرج من قعر عدن ترحل الناس قال شعبة وأحسبه قال تنزل معهم اذا نزلوا وتقيل معهم حيث قالوا رواه مسلم في صحيحه بعدة طرق ورواه الامام أحمد وأصحاب السنن الاربعة وقد جمع بعض العلماء بينهما بأن آخريه (١) خروج النار باعتبار ماذكر معها من الآيات وأوليتها (١) بأنها من أول الآيات التي لاشيء بعدها من أمور الدنيا أصلا بل يقع بانتهائها النفخ في الصور بخلاف ماذكر معها فانه يبقى بعد كل آية منها أشياء

(١) كذا في الاصل في الموضعين ولو أردنا تصحيح مثله لتصرفنا فيه تصرفا غير قليل

من أمور الدنيا ذكره الحافظ السخاوي وذكر غيره من العلماء بان النار ناران إحداها تحشر الناس من المشرق الى المغرب والثانية تخرج من اليمن فتطرد الناس الى المحشر الذي هو أرض الشام فلعل احدى النارين في أول الآيات والأخرى في آخرها وحينئذ فلا حاجة الى الجمع الذي ذكره الحافظ السخاوي وان لم يكن في علم الله الانار واحدة فجمع السخاوي موجه وعليه فالجمع بين حديث نار تخرج قبل يوم القيامة من حضرموت فتسوق الناس وفي لفظ تخرج نار من قعر عدن ترحل الناس الى المحشر وحديث نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب فبأن يقال ان الشام الذي هو المحشر مغرب بالنسبة الى المشرق فيكون ابتداء خروجها قعر عدن من اليمن فاذا خرجت انتشرت الى المشرق فتحشر أهله الى المغرب الذي هو الشام وهو المحشر ولفظة أبين بوزن أحمر اسم الملك الذي بناها وفي نهاية ابن الاثير عدن أبين مدينة معروفة باليمن أضيفت الى أبين بوزن أبيض وهو رجل من حمير عدن بها أي اقام انتهى وفي القاموس عدن أبين محركة جزيرة باليمن اقام بهاوعدن لاعة قريه بقربه وأخرج الامام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما ستكون هجرة بعد هجرة فخيار أهل الأرض الزمهم مهاجر ابراهيم عليه السلام ويبقى في الارض شرار أهلها تلفظهم أرضوهم وتقذرهم نفس الله وتحشرهم النار مع القردة والخنازير تبيت معهم اذا باتوا وتقيل معهم اذا قالوا وتأكل من تخلف ورواه أبو داود والحاكم وأبو نعيم (قوله) تقذرهم نفس الله هو من المتشابه والايمان به واجب كما أخبر لا كما يتوهمه البشر وأخرج الامام أحمد أيضا والترمذي وقال حسن صحيح عن ابن عمر أيضا رضي الله عنهما مرفوعا ستخرج نار من حضرموت أو بحضرموت قبل يوم القيامة تحشر الناس قالوا يارسول الله فما تأمرنا قال عليكم بالشام يعني وهو المراد بمهاجر ابراهيم وأخرج الطبراني وابن عساكر عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه مرفوعا لتقصدنكم نار هي اليوم خامدة في واد يقال له برهوت يغشى الناس فيها عذاب أليم تأكل الانفس والاموال تدور الدنيا كلها في ثمانية أيام تطير طير الريح والسحاب حرها بالليل أشد من حرها بالنهار ولها بين السماء والارض دوي كدوي الرعد القاصف هي من رءوس الخلائق أدنى من العرش قيل يارسول الله أسليمة يومئذ

على المؤمنين والمؤمنات قال وابن المؤمنون والمؤمنات يومئذ شر من الحمر يتسافدون كا تتسافد البهائم وليس فيهم رجل يقول مه مه وأخرج البغوي والباوردي وابن قانع وابن حبان يوشك ان تخرج نار من حبس سيل تسير سير بطيئة الابل تسير بالنهار وتقيم بالليل تغدو وتروح يقال غدت النار أيها الناس فاغدوا قالت أيها الناس فقيلوا راحت النار أيها الناس فروحوا من أدركته أكلته

فاذا قيل ماوجه الجمع بين كونها تخرج من قعر عدن ومن برهوت ومن حبس سيل فالجواب انها تخرج أولا من برهوت ويقال له وادي النار وهو في قعر عدن وعدن على ساحل البحر فالعبارات مآلها واحد وتمر بحبس سيل أيضا والخطاب لاهل المدينة وحبس سيل قريب من المدينة فوصول النار اليه يكون قبل وصولها الى المدينة فصح ان يقال لهم تخرج نار من حبس سيل فان قيل ماوجه الجمع بين كونها تطير طير الريح والسحاب وتدور الدنيا كلها في ثمانية أيام وبين كونها تسير سير بطية الابل فالجواب ان لها حالات فتارة هكذا وتارة هكذا وان ثبت تعدد النار زال أصل الاستشكال والله أعلم

(تتمة) ثبت بالسنة الصحيحة ان أهل الارض يكفرون ويعبدون الاوثان وانه لاتقوم الساعة الا على شرار الناس فقد أخرج الامام أحمد ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تجيء بعد موت عيسى عليه السلام ريح باردة من قبل الشام فلا تبقى على وجه الارض أحدا في قلبه مثقال ذرة من ايمان إلا قبضته حتى لو ان أحدكم دخل في كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيقولون ما تأمرنا فيأمرهم بعبادة الاوثان فيعبدونها وهم فى ذلك دارٌ رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور» فان قلت أليس قد ذكرت ان الدابة تقتل ابليس فالجواب أنه ليس في الحديث ان الذي يظهر لهم ابليس بل يجوز ان يكون شيطانا آخر غير ابليس من ذريته وأخرج الامام أحمد ومسلم أيضا والترمذي من حديث النواس بن سمعان فبيناهم كذلك اذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم

ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر أي يتسافدون تسافد الحمر عليهم حار فعليهم تقوم الساعة وفي حديث أبي هريرة مرفوعا عند الحاكم ان الله يبعث ريحا من اليمن ألين من الحرير ولا تدع أحدا في قلبه مثقال حبة من ايمان الاقبضته وقد جاءت رواية بان الريح تأتي من قبل الشام وهنا انها من قبل اليمن والجواب انها ريحان شامية ويمانية وأخرج الامام أحمد بسند قوي عن أنس رضي الله عنه مرفوعا لاتقوم الساعة حتى لايقال في الارض لاآله الا الله ورواه مسلم بلفظ حتى لايقال في الارض الله الله فان قيل كيف هذا مع ماصح عنه صلى الله عليه وسلم من قوله «لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق الى يوم القيامة حتى يأتي أمر الله» (والجواب) هذا غير مصادم للحديث لان معناه انهم لايزالون على الحق حتى تأتيهم هذه الريح اللينة قرب القيامة وعند تظاهر اشراطها فاطلق فيه بقاءهم الى قيام الساعة من بدا اشراطها ودنوها المتناهي في القرب ومثله قول بعضهم أمر الله هو هبوب تلك الريح الآتي بعد وقوع الآيات العظام التي بعضها(١) قيام الساعة ولا يتخلف عنها الاشيئاً يسيرا وليس فيهم يعني من بقي بعد هبوب الريح مؤمن(٢) وعليهم تقوم الساعة وعلى هذا فآخر الآيات المؤذنة بقيام الساعة هبوب تلك الريح كما في القناعة للحافظ السخاوي وفي المستدرك بسند صحيح عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا لايذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى ويبعث الله ريحا طيبة فتتوفى من كان في قلبه مثقال حبة خردل من خير فيبقى من لاخير فيه فيرجعون على دين آبائهم وفي مرفوع ابن عمر رضي الله عنهما لاتقوم الساعة حتى يبعث الله ريحا لاتدع أحدا في قلبه مثقال ذرة من خير الاقبضته ويلحق كل قوم بما كان يعبد آباؤهم في الجاهلية ويبقى عجاج من الناس لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر يتناكحون في الطرق فاذا كان ذلك اشتد غضب الله على أهل الارض فأقام الساعة وفي مستدرك الحاكم من مرفوع أبي هريرة وحتى تؤخذ المرأة جهارا نهارا تنكح وسط الطريق لا ينكر ذلك أحد وفي لفظ حتى ينكح أحدكم أمه فيكون أمثلهم يومئذ الذي يقول لوتنحيتها عن الطريق قليلاً فذلك فيهم مثل

(١) لعل الصواب «يعقبها» (٢) كذا في الاصل

أبي بكر وعمر فيكم قال القرطبي في تذكرته عن بعض العلماء اذا أراد الله انقراض الدنيا وتمام لياليها وقربت النفخة خرجت نار من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر تبيت معهم وتقيل حتى يجتمع الخلق بالمحشر الانس والجن والدواب والوحش والسباع والطير والهوام وخشاش الارض وكل ذي روح ثم ذكر النفخة

﴿ فكلها صحت بها الاخبار وسطرت آثارها الاخيار ﴾

﴿ فكلها ﴾ أي اشراط الساعة المذكورة وعلاماتها المسطورة ﴿ صحت بها الاخبار ﴾ عن النبي المختار وأصحابه الابرار صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ما تعاقب الليل والنهار ﴿ و ﴾ كلها قد ﴿ سطرت ﴾ أي كتبت واصل السطر الصف من الشيء والكتاب والشجر وغيره والجمع أسطر وسطور واسطار وجمع الجمع أساطير ويطلق السطر أيضا على الخط والكتابة ويحرك في الكل كما في القاموس ﴿ آثارها ﴾ مفعول سطرت أي الآثار الدالة عليها والمتضمنة لاثباتها ومجيئها في أوقاتها وعلاماتها المشيرة الى اقترابها ﴿ الاخيار ﴾ فاعل سطرت وانما أنث الفعل لان الجمع مؤنث في المعنى اذ معناه الجماعة وهو جمع خير وخير ككيس والمؤنثة خيرة ويجمع خير أيضا على خيار من غير ألف قبل الخاء المعجمة وقيل ان المخففة مختصة بما في الجمال والميسم والمشددة في الدين والصلاح والخير ضد الشر والاخيار ضد الاشرار والمراد بهم هنا علماء الامة من التابعين وتابعيهم وأئمة السلف ومقلديهم وقد روى أبو نعيم في الحلية والخطيب في التاريخ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه والقضاعي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال خيار أمتي علماؤها وخيار علمائها رحماؤها ألا وان الله تعالى ليغفر للعالم أربعين ذنباً قبل ان يغفر للجاهل ذنبا واحدا ألا وان العالم الرحيم يجيء يوم القيامة وان نوره قد أضاء يمشي فيه ما بين المشرق والمغرب كما يضيء الكوكب الدري واسناده ضعيف وقد عزونا كل قول لقائله وكل حديث لناقله غالبا لنخرج من تبعته وليعلم من أنعم النظر وأمعن الفكر في ماحررته انه زبدة ما مخضه المتقدمون وثمرة ما غرسه المحررون وبالله التوفيق

﴿ تنبيهان ﴾

(الاول) ذكر القرطبي في تذكرته ان المحشر أربع حشران في الدنيا وحشران

في الآخرة فالذان في الدنيا المذكور في سورة الحشر وهو حشر اليهود الى الشام قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا قالوا الى أين قال الى أرض المحشر ثم أجلى آخرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه من جزيرة العرب والحشر الثاني المذكور في اشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب كما في حديث أنس وعبد الله بن سلام وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهم عند الحاكم مرفوعا تبعث على أهل المشرق نار فتحشرهم الى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا ويكون لها ما سقط منهم وتخلف وتسوقهم سوق الجمل قال الحافظ ابن حجر وكونها تخرج من قعر عدن لا ينافي حشرها الناس من المشرق الى المغرب لان ابتداء خروجها من عدن فاذا خرجت انتشرت في الارض كلها والمراد تعميم الحشر لا خصوص المشرق والمغرب أو انها بعد الانتشار أول ما تحشر أهل المشرق قال القرطبي واما اللذان في الآخرة فحشر الاموات من قبورهم بعد البعث جميعا قال تعالى (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا) وحشرهم الى الجنة والنار قال الحافظ ابن حجر عن الاول المذكور في أول سورة الحشر ليس حشرا مستقلا لانه انما وقع لفرقة مستقلة مخصوصة وهذا وقع كثيرا كما وقع لبني أمية حين أخرجهم عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما من المدينة الى جهة الشام والجواب عن ذلك بأن المراد ما سمي حشرا على لسان الشارع وقد سمى الله ذلك حشرا

﴿ الثاني ﴾

اختلف العلماء في حشر الناس من المشرق الى المغرب هل هو يوم القيامة أو قبله فقال القرطبي والخطابي وصوبه القاضي عياض ان هذا الحشر يكون قبل يوم القيامة واما الحشر من القبور فهو على ما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا كما في الصحيحين وغيرهما انكم تحشرون حفاة عراة غرلا وقال الحكيم الترمذي وأبو حامد الغزالي هو يوم القيامة ويدل له حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين وغيرهما مرفوعا يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين راهبين اثنان على بعير وثلاثة وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث

أمسوا قال أهل هذا القول ان هذا الحديث كالتفسير لقوله تعالى (وكنتم أزواجا ثلاثة) قال الحافظ ابن حجر ويؤيده حديث أبي ذر عند الامام أحمد والنسائي والبيهقي حدثني الصادق المصدوق ان الناس يحشرون يوم القيامة على ثلاثة أفواج فوج يحشرون طاعمين كاسين راكبين وفوج تسحبهم الملائكة الحديث وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما ما يباين حديث أبي ذر (والجمع) ان الحشر يعبر به عن النشر أيضا لاتصاله به وهو أي النشر اخراج الناس من قبورهم كما يأتي فيخرجون حفاة عراة يساقون ويجمعون الى الموقف للحساب ثم يحشر المتقون ركبانا على الابل والمجرمون على وجوههم وقال بعضهم يخرجون من القبور على ما في حديث أبي هريرة وان الحشر اذا أطلق يراد به شرعا الحشر من القبور مالم يخصه دليل (وأيضا) التقسيم المذكور في الخبر لايستقيم في الحشر الى أرض الشام لان المهاجر لابد ان يكون راغبا أو راهبا أوجامعا بين الصفتين (وأيضا) حشر بقية الناس والجاء النار لهم الى تلك الجهة وملازمتها حتى لاتفارقهم قول لم يرد به التوقيف وليس لنا ان نحكم بتسليط النار في الدنيا على أهل الشقوة من غير توقيف (وأيضا) الحديث يفسر بعضه بعضا وقد وقع في طريق لحديث أبي هريرة بلفظ ثلثا على الدواب وثلثا ينسلون على أقدامهم وثلثا على وجوههم قال ونرى هذا التقسيم نظير التقسيم الذي في سورة الواقعة (وكنتم أزواجا ثلاثة) فقوله في الحديث راغبين راهبين يريد عموم المؤمنين المخلطين عملا صالحا وآخر سيئا وهم أصحاب الميمنة وقوله اثنان على بعير الخ يريد السابقين وهم أفاضل المؤمنين ركبانا وقوله وتحشر بقيتهم النار يريد أصحاب المشأمة ويحتمل ان البعير يحمل العشرة دفعة واحدة لان ذلك يكون من بديع قدرة الله تعالى فيقوى على مايقوى عليه عشرة أبعرة من بعران الدنيا ويحتمل أن يتعاقبوه انتهى ملخصا وانتصر القاضي عياض لقول الخطابي والقرطبي بأن حديث أبي هريرة تقيل معهم وتبيت وتصبح وتمسي يريد ان الحشر في الدنيا الى الشام لأن هذه الاوصاف مختصة بالدنيا وقوله اثنان على بعير الى عشرة يريد أنهم يعتقبون البعير الواحد يركب بعض ويمشي بعض وذلك لقلة الظهر كما في بعض الأحاديث انتهى ملخصا ورجح هذا الطيبي وتعقب

ذلك البعض وأجاب عما استدل به بما يطول (ثم قال الطيبي) بعد ما تقرر فحملها على الحشر الى المحشر ما الشيء الا انتقال الاجساد والاعراض والترمذي وزيف كلام ذلك البعض بما حاصله ثم رأيت في صحيح البخاري في باب الحشر يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق فعلمت من ذلك ان الذي ذهب اليه التوربشتي من ان ذلك في الآخرة هو الحق الذي لامحيد عنه انتهى قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري بعد نقله ما تقدم عن الطيبي قلت لم أقف في شيء من طرق الحديث الذي خرجه البخاري على لفظ يوم القيامة في صحيحه ولا في غيره وكذا هو عند مسلم والاسماعيلي وغيرهما ليس فيه يوم القيامة ثم اختار هو انه يتعين كون ذلك في الدنيا لما وقع فيه ان الظهر يقل لما يلقى عليه من الآفة وان الرجل يشتري الشارف الواحد بالحديقة المعجبة فان ذلك ظاهر جدا في انه من أحوال الدنيا قال في الاشاعة فثبت ان الحق ان النار قبل يوم القيامة قلت وهو كما قال وبالله التوفيق

﴿فصل في أمر المعاد﴾

اعلم أن المعاد الجسماني حق واقع وصدق صادع دل عليه النقل الصحيح ولم يمنعه العقل فوجب الايمان به والتصديق بوجه لأنه جاء في السماع الصحيح المنقول ودل عليه عند الجمهور صريح المعقول وهو ان يبعث الله تعالى الموتى من القبور بأن يجمع أجزاءهم الأصلية ويعيد الأرواح اليها لقوله تعالى (قل يحييها الذي انشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) إلى غير ذلك من النصوص القرآنية القطعية والأحاديث الساطعة النبوية وقد أنكره الطبائعيون والدهرية والملحدة وفيه تكذيب للنقل الصريح والعقل الصحيح على ما قرره المحققون من أهل الملة وأنكرت الفلاسفة المعاد الجسماني بناء على امتناع اعادة المعدوم بعينه ووافق المعتزلة أهل الحق على المعاد الجسماني بناء منهم على ان المعدوم عندهم شيء فلم يقولوا به لأ جل انه لان المعدوم قبل الوجود عندهم قابل للوجود فكذلك اذا انعدم بعد الوجود وعند أهل السنة المعدوم نفي محض وهم مع ذلك قائلون بجواز إعادته وللمتكلمين في جواز اعادة الاعراض قولان جواز اعادتها وهو الحق لأنه تعالى على كل شيء قدير والثاني قول الفلاسفة ومن وافقهم من المعتزلة كابي الحسين

البصري والخوارزمي والكرامية قال

﴿ واجزم بأمر البعث والنشور والحشر جزما بعد نفخ الصور ﴾

﴿ واجزم ﴾ جزم ايقان واذعان واعتقاد وعرفان ﴿ بأمر البعث ﴾ بعد الموت ﴿ والنشور ﴾ من القبور ﴿ والحشر ﴾ لاجل الجزاء وفصل القضاء ﴿جزما﴾ مصدر مؤكد لقوله واجزم وذلك كله واقع ﴿ بعد نفخ الصور ﴾ المراد نفخة البعث وحاصل ماذكر في هذا البيت أربعة أشياء البعث والنشور والحشر والنفخ في الصور اما البعث فالمراد به المعاد الجسماني فانه المتبادر عند الاطلاق اذهو الذي يجب اعتقاده ويكفر منكره قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه الروح كشيخه وغيرهما معاد الابدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى وقال الجلال الدواني هو باجماع أهل الملل وبشهادة نصوص القرآن بحيث لايقبل التأويل كقوله تعالى (أولم ير الانسان اناخلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين*وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم*قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) وقدأخرج ابن جرير وابن المنذر وأبو حاتم والاسماعيلي في معجمه والحافظ الضياء في المختارة وابن مردويه والبيهقي في البعث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء العاص بن وائل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم حائل ففته بيده فقال يامحمد يحيي الله هذا بعد ما أرم قال «نعم يبعث الله هذا ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم» فنزلت الآيات من آخر يس (أولم ير الانسان) الى آخر السورة وهذا نص صريح في الحشر الجسماني يقلع عرق التأويل بالكلية ولهذا قال الامام الرازي الانصاف انه لايمكن الجمع بين الايمان بماجاء به النبي صلى الله عليه وسلم وبين نفي الحشر الجسماني فإنه قد ورد في عدة مواضع من القرآن المجيد التصريح به بحيث لايقبل التأويل أصلا انتهى وكذلك لايمكن الجمع بين القول بقدم العالم على مايقول الفلاسفة وبين الحشر الجسماني لان النفوس الناطقة على هذا التقدير غير متناهية فتستدعي جميعا أبدانا غير متناهية وأمكنة غير متناهية وقد ثبت تناهي الابعاد بالبرهان وباعترافهم والله تعالى أعلم و «ثم» في الحديث في قوله صلى الله عليه وسلم « نعم يبعث الله هذا ثم يميتك » للترتيب الاخباري لا للترتيب

الحكى كقولهم بلغني ماصنعت اليوم ثم ما صنعت أمس أعجب أي أخبرك ان ما صنعته أمس أعجب

واما النشور فهو يرادف البعث في المعنى يقال نشر الميت ينشر نشور اذا عاش بعد الموت وأنشره الله أي أحياه ومنه قولهم يوم البعث والنشور واما الحشر فهو في اللغة الجمع تقول حشرت الناس اذا جمعتهم والمراد به جمع اجزاء الانسان بعد التفرقة ثم إحياء الابدان بعد موتها

واعلم أنه يجب الجزم شرعا ان الله تعالى يبعث جميع العباد ويعيدهم بعد ايجادهم بجميع اجزائهم الاصلية وهي التي من شأنها البقاء من أول العمر الى آخره ويسوقهم الى محشرهم لفصل القضاء فان هذا حق ثابت بالكتاب والسنة واجماع سلف الامة مع كونه من الممكنات التي أخبر بها الشارع وكل ماهو كذلك فهو ثابت والاخبار عنه مطابق والاصل فيما لا دليل على وجوبه ولا على امتناعه الامكان كما يقوله الحكماء والمتكلمون من ان كل ماقرع سمعك من الغرائب قذره في حيز الامكان مالم يردك عنه قائم البرهان فمن زعم عدم اعادة المعدوم ألزم بالمبدأ فان المعاد مثل المبدأ بل هو عينه أو أيسر كما لا يخفى وتقدم ان الانبياء تأتي بما تدركه العقول أو تتحير فيه ولا تأتي بما تحيله العقول أبدا فتأتي بمحارات العقول لا بمحالات العقول وامكان المعاد لانه اما ايجاد ما انعدم أوجمع ما انفرق أو حيي بعد ماأميت وهذه كلها ممكنة لا احالة في شيء من ذلك أصلا مع ما تواتر من أخبار الانبياء والكتب السماوية ولا سيما في القرآن العظيم والذكر الحكيم ما لا مزيد عليه مثل (واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت ـ قل بلى وربي لتبعثن ـ ثم انكم يوم القيامة تبعثون ـ واذاهم من الاجداث الى ربهم ينسلون ـ فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة ـ أيحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوي بنانه ـ يوم تشقق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير ـ كما بدأكم تعودون ـ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا ـ أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم ـ ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون) والآيات في ذلك كثيرة جدا وأما الاحاديث فكثيرة جدا ففي البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس رضي الله

عنها قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر يقول «انكم ملاقوا الله حفاة عراة غرلا» زاد في رواية ـ مشاة ـ وفي رواية فيهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال «ياأيها الناس انكم محشرون الى الله حفاة عراة غرلا (كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا انا كنا فاعلين)» الحديث الغرل بضم الغين المعجمة واسكان الراء جمع اغرل وهو الاقلف ومثله في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت فقلت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض قال الامر «أشد من أن يهمهم ذلك» وروي نحوه من حديث أم سلمة أخرجه الطبراني في الاوسط بسند صحيح وفيه فقالت أم سلمة رضي الله عنها فقلت يارسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا الى بعض فقال: شغل الناس: قلت ماشغلهم قال «نشر الصحائف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل» وروي من حديث أم المؤمنين سودة بنت زمعة رضي الله عنها أيضا ولفظه «يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق و بلغ شحوم الاذان» قالت فقلت يبصر بعضنا بعضا فقال: شغل الناس (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) رواه الطبراني ورواته ثقاة

﴿ تنبيهان ﴾

(الاول) اختلف الناس هل البعث اعادة بعد تفريق أو ايجاد معدوم قال عكرمة رحمه الله ان الذين يغرقون في البحر وتقتسم لحومهم الحيتان ولا يبقى منهم شيء الا العظام فتلقيها الامواج الى الساحل فتمكث حينا ثم تصير نخرة ثم تمر بها الابل فتأكلها ثم تسير الابل فتبعر ثم يجيء قوم فينزلون فيأخذون ذلك البعر فيوقدونه ثم تخمد تلك النار فتجيء الريح فتلقي ذلك الرماد على الارض فاذا جاءت النفخة فاذاهم قيام ينظرون يخرج أولئك وأهل القبور سواء قال العلامة الشيخ مرعي رحمه الله تعالى قال العلماء ان الله تعالى يجمع ماتفرق من أجساد الناس من بطون السباع وحيوانات الماء و بطن الارض وما أصاب النيران منها بالحرق والمياه بالغرق وما أبلته الشمس وذرته الرياح فاذا جمعها وأكمل كل بدن منها ولم يبق الا الارواح نفخ اسرافيل عليه السلام في الصور فأرسلها بنفخة من ثقب الصور فترجع كل روح الى جسدها فاذاهم قيام ينظرون والحاصل ان اعادة الاجسام

حق يجب الايمان به ثم هذه الاعادة هل هي للعدم المحض أو التفريق المحض والمشهور انه جمع متفرق والاصح انه إيجاد بعد عدم ونص عليه علماء السنة وكذا المعتزلة وهو مذهب المحققين و بالله التوفيق

﴿ الثاني ﴾

اختلف في اعادة الاعراض التي كانت قائمة بالاجسام في الدنيا فذهب الاكثرين انها تعاد بأشخاصها التي كانت قائمة بالجسم حال الحياة واليه ميل أبي الحسن الاشعري من غير فرق فيها بين الاعراض التي يطول بقاء نوعها كالبياض و بين غيرها كالاصوات وسواء كان مقدوراً للعبد كالضرب اولا كالعلم والجهل لان نسبتها الى قدرته تعالى كنسبة الاعيان وقد قام الدليل على اعادتها فكذا اعراضها وما قيل يلزم عليه قيام العرض يعني الاعادة بالعرض المعاد وهو محال فباطل لإمكان تعلق الاعادة بالاعيان أولا و بالذات و بالاعراض ثانيا و بالعرض هذا كله ان لو قلنا باستحالة قيام العرض بالعرض فكيف ونحن بمعزل عن ذلك وقد شاهدنا قيام العرض بالعرض بالمحسوس وغيره كليل حالك وحركة بطيئة واحمرار قان وغير ذلك وقيل تمتنع اعادة الاعراض مطلقا كما ذهب اليه بعض الاشاعرة وذهب أكثر المعتزلة الى امتناع اعادة الاعراض التي لا تبقى كالاصوات والارادات لاختصاصها عندهم بالاوقات وقسموا الباقية الى ما يكون مقدوراً للعبد فمنعوا اعادتها والى ما لا يكون مقدورا للعبد فجوزوا اعادتها وقد قال ابن العربي في سراج المريدين والقرطبي في تذكرته الذي عند أهل السنة ان تلك الاجساد الدنياوية تعاد باعيانها و باعراضها بلا خلاف بينهم مع ان الخلاف منقول عند متكلمي الاشعرية كالسعد والبيضاوي وغيرهما قلت وقد نقل الاجماع غير واحد من العلماء من آخرهم الشيخ مرعي وغيره عن أهل السنة ان الاجساد الدنيوية تعاد بأعيانها واعراضها والله أعلم

واما النفخ في الصور فالمراد به نفخة البعث والنشور واعلم ان النفخ في الصور ثلاث نفخات نفخة الفزع وهي التي يتغير بها هذا العالم و يفسد نظامه وهي المشار

اليها في قوله تعالى (وماينظر هؤلاء الاصيحة واحدة مالها من فواق) أي من رجوع ومرد وقوله تعالى (ونفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله) فسر الزمخشري في كشافه المستثنى في هذه الآية بمن ثبت الله قلبه من الملائكة وهم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيل غير ذلك وانما يحصل الفزع لشدة مايقع من هول تلك النفخة فقد اخرج ابن جرير في تفسيره والطبراني في المطولات وأبو يعلى في مسنده والبيهقي في البعث وأبو موسى المديني في المطولات وعلي بن معبد في كتاب الطاعة والعصيان وعبد بن حميد وأبو الشيخ في كتاب العظمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان الله لما فرغ من خلق السموات والارض خلق الصور فأعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخصا ببصره الى العرش ينتظر متى يؤمر قلت» يارسول الله وما الصور قال القرن قلت أي شيء هو قال «عظيم ان عظم دارة فيه كعرض السماء والارض فينفخ فيه ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين فيأمر الله اسرافيل بالنفخة الاولى فيقول انفخ نفخة الفزع فينفخ فيفزع أهل السماء والارض الا من شاء الله فيأمره فيمدها ويطيلها ولا يفتر وهي التي يقول الله تعالى (ومايتظر هؤلاء الاصيحة واحدة مالها من فواق) فيسير الله الجبال فتمر مر السحاب فتكون سرابا وترتج الارض بأهلها رجا فتكون كالسفينة الموقرة في البحر تضربها الأمواج وكالقنديل المعلق بالعرش ترجحه الأرواح وهي التي يقول الله (يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة) فتميل الارض بالناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتي الاقطار فتتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع ويولي الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضا وهو الذي يقول الله تعالى (يوم التناد يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم) فبينما هم على ذلك اذ تصدعت الارض فانصدعت من قطر الى قطر فرأوا أمرا عظيما ثم نظروا الى السماء فاذا هي كالمهل ثم انشقت فانتثرت نجومها وانخسفت شمسها وقمرها - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - والأموات يومئذ لايعلمون بشيء من ذلك قلت يارسول الله من

استثنى الله تعالى في قوله (الا من شاء الله) قال أولئك الشهداء وانما يتصل الفزع الى الاحياء وهم أحياء عند ربهم يرزقون وقاهم الله فزع ذلك اليوم وآمنهم منه وهو عذاب يبعثه الله على شرار خلقه يقول الله (يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم ۞ يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) فيمكثون في ذلك ما شاء الله ا ه الحديث وفي البغوي عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال ست آيات قبل يوم القيامة بينما الناس في أسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك اذ تناثرت النجوم فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت ونزعت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب والطير والوحش وماج بعضهم في بعض فذلك قوله (واذا الوحوش حشرت) اختلطت (واذا العشار عطلت) أهملت (واذا البحار سجرت) قال ابن عباس رضي الله عنهما أوقدت فصارت نارا تضطرم قال أبي قالت الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فانطلقوا الى البحر فاذا هو نار تأجج فبينما هم كذلك اذ انصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى وانشقت السماء انشقاقة واحدة الى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك اذ جاءتهم الريح فأماتتهم انتهى

(النفخة الثانية) نفخة الصعق وفيها هلاك كل شيء قال تعالى (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله) وقد فسر الصعق بالموت وفي الحديث المتقدم الذي رواه ابن جرير وما عطف عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يأمر الله اسرافيل فينفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السموات والارض الا من شاء الله فيقول ملك الموت قد مات أهل السموات والارض الا من شاء الله فيقول الله وهو أعلم فمن بقي فيقول أي رب بقيت أنت الحي القيوم الذي لا يموت و بقيت حملة العرش و بقي جبريل وميكائيل و بقيت أنا فيقول الله تعالى فليمت جبريل وميكائيل فيموتان ثم يأتي ملك الموت الى الجبار فيقول قد مات جبريل وميكائيل فيقول الله تعالى فليمت حملة العرش فيموتون ويأمر الله العرش ان يقبض الصور من اسرافيل ثم يقول ليمت اسرافيل فيموت

ثم يأتي ملك الموت الى الجبار فيقول رب قد مات حملة العرش فيقول وهو أعلم فمن بقي فيقول بقيت أنت الحي القيوم الذي لا يموت و بقيت أنا فيقول أنت خلق من خلقي خلقتك لما رأيت فمت فيموت فاذا لم يبق الا الله الواحد القهار طوى السماء والارض كطي السجل للكتب وقال «أنا الجبار لمن الملك اليوم» ثلاث مرات فلم يجبه أحد ثم يقول لنفسه «لله الواحد القهار» وتبدل الارض غير الارض والسموات فيبسطها و يسطحها ويمدها مد الاديم لا ترى فيها عوجا ولا أمتا» الحديث وأخرج أبو الشيخ عن وهب قال هؤلاء الاربعة أملاك جبرائيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت أول من خلقهم الله من الخلق وآخر من يميتهم وأول من يحييهم هم المدبرات أمراً والمقسمات أمرا

قال أبو عبدالله القرطبي والصور قرن من نور يجعل فيه أرواح الخلائق وقال مجاهد كالبرق ذكره البخاري وأخرج الترمذي عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما جاء اعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما الصور «قال قرن ينفخ فيه» قال الترمذي حديث حسن وأخرج الترمذي أيضا وحسنه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن واستمع الاذن متى يؤمر بالنفخ» فكان ذلك ثقل على رسول أصحاب الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم «قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل» واخرج الامام عبدالله بن المبارك ومؤمل بن اسمعيل وعلي بن معبد عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه حديثا مرفوعا فيه «ثم يقوم ملك الصور بين السماء والارض فينفخ فيه والصور قرن فلا يبقى خلق في السموات والارض الامات الا من شاء ربك» الحديث وأخرج الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا يقبض الله الارض يوم القيامة و يطوي السماء بيمينه ثم يقول انا الملك أين الملوك» وأخرج مسلم من حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوي الارض بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون» وسيأتي ان من لم يخلق للفناء لم يفن كالجنة وما فيها من الحور العين والولدان وكذا النار وما فيها من الحيات والعقارب

والحزان والله أعلم

(النفخة الثالثة) نفخة البعث والنشور وقد جاء في الكتاب العزيز آيات تدل عليها وأخبار تشير إليها كقوله تعالى (ونفخ في الصور فاذاهم من الاجداث الى ربهم ينسلون) وقوله (ثم نفخ فيه أخرى فاذاهم قيام ينظرون فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير) قال الكلبي وغيره هي نفخة البعث والنقور فاعول من النقر وقوله تعالى (واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق) الآية قال المفسرون المنادي هو اسرافيل عليه السلام ينفخ في الصور وينادي أيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء وقيل ينفخ اسرافيل وينادي جبريل والمكان القريب صخرة بيت المقدس قاله جماعة من المفسرين وبين النفختين أربعون عاما قال بعض العلماء اتفقت الروايات على ذلك وفي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا ما بين النفختين أربعون قالوا يا أبا هريرة أربعون يوما قال أبيت قالوا أربعون شهرا قال أبيت قالوا أربعون عاما قال أبيت الحديث وقول أبي هريرة رضي الله عنه أبيت فيه ثلاث تأويلات أولها امتنعت من بيان ذلك لكم وقيل أبيت اسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقيل نسيت وقيل ان سر ذلك لايعلمه الا الله تعالى لانه من أسرار الربوبية وفي حديث ان بين النفختين أربعين عاما وفي تفسير الثعلبي عن أبي هريرة رضي الله عنه في تفسير سورة الزمر مرفوعا ان الله يرسل مطرا على الارض فينزل عليها أربعين يوما حتى يكون فوقهم اثنى عشر ذراعا فيأمر الله تعالى الاجساد أن تنبت كنبات البقل حتى اذا تكاملت أجسادهم كما كانت قال الله تعالى ليحي حملة العرش ليحي جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ثم يأمر الله تعالى اسرافيل فيأخذ الصور فيضعه على فيه ثم يدعو الارواح فيؤتى بها تتوهج أرواح المؤمنين نورا والاخرى ظلمة فيقبضها جميعا ثم يلقيها في الصور ثم يأمره ان ينفخ نفخة البعث فتخرج الارواح كانها النحل قد ملأت ما بين السماء والارض ثم يقول الله تعالى وعزتي وجلالي لترجعن كل روح الى جسدها فتدخل الارواح من الخياشيم

ثم تمشي مشي السم في اللديغ ثم تشق الارض عنهم سراعا فانا أول من تنشق عنه الارض فتخرجون منها الى ربكم تنسلون» وأخرج الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما بين النفختين أربعون» قيل أربعون يوما أبو هريرة أبيت قال أربعون شهرا قال أبيت قال أربعون سنة قال أبيت ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شيء الا يبلى الاعظم واحد وهو عجب الذنب منه يركب الخلق يوم القيامة وفي رواية لمسلم ان في الانسان عظما لا تأكله الارض أبدا فيه يركب الخلق يوم القيامة قالوا أي عظم هو يارسول الله قال عجب الذنب ورواه الامام مالك وأبو داود والنسائي باختصار قال كل ابن آدم تأكله الارض الا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب قال الحافظ المنذري كثيره عجب الذنب بفتح العين المهملة واسكان الجيم بعدها باء موحدة أو ميم وهو العظم الحديد الذي يكون في أسفل الصلب وأصل الذنب من ذوات الأربع وقد روى الامام أحمد وابن حبان في صحيحه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يأكل التراب كل شيء من الانسان الا عجب ذنبه» قيل وما هو يارسول الله قال «مثل حبة خردل منه تنبتون» وفي الثعلبي في تفسير سورة الاعراف وتفسير ابن عطية عن أبي هريره رضي الله عنهم اذا مات الناس كلهم في النفخة الاولى يعني نفخة الصعق أمطر عليهم أربعين عاما كمني الرجال من ماء تحت العرش يدعى ماء الحيوان فينبتون من قبورهم بذلك المطر كما ينبت الزرع من الماء حتى اذا استكملت أجسادهم نفخ فيهم الروح ثم يلقي عليهم نومة فينامون في قبورهم فاذا نفخ في الصور النفخة الثانية قاموا وهم يجدون طعم النوم في أعينهم كما يجده النائم اذا استيقظ من نومه فعند ذلك يقولون ياويلنا من بعثنا من مرقدنا وأخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال« انا سيد ولد آدم وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع ـ وفي صحيح البخاري ـ أنا أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة فاذا بموسى عليه السلام متعلق بالعرش فلا أدري أكذلك كان أم بعد النفخة ـ وفي بعض ألفاظ البخاري ـ فاذا أنا بموسى أخذ بقائمة من

قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور» أخرج الحكيم والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم ويمينه على أبي بكر وشماله على عمر فقال هكذا نبعث يوم القيامة وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه ان رجلا قال يارسول الله قال الله تعالى (الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم) ايحشر الكافر على وجهه، قال رسول الله صلى الله وعليه وسلم أليس الذي امشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه: وقال قتادة حين بلغه بلى وعزة ربنا وروى النسائي والترمذي وحسنه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون الى سجن في جهنم يقال له بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال وروى البزار من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعا يبعث الله يوم القيامة ناسا في صور الذر يطؤهم الناس بأقدامهم فيقال ماهؤلاء في صور الذر فيقال هؤلاء المتكبرون في الدنيا وروى الامام أحمد في الزهد عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا «يجاء بالجبارين والمتكبرين يوم القيامة رجال في صورة الذر تطؤهم الناس من هوانهم على الله حتى يقضى بين الناس قال ثم يذهب بهم الى نار الانيار» قيل يارسول الله وما نار الانيار «قال عصارة أهل النار» وروي عن أبي سعيد رضي الله عنه انه لما حضره الموت دعا بثياب جدد فلبسها ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها» رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه وفي اسناده يحيى ابن أيوب وهو الغافقي المصري احتج به البخاري ومسلم وغيرهما وله مناكير قال أبو حاتم لايحتج به وقال الامام أحمد سيء الحفظ وقال النسائي ليس بالقوي وقد قال كل من وقفت على كلامه من أهل اللغة ان المراد في ثيابه التي قبض فيها أي في أعماله قال الهروي وهذا كحديثه الآخر يبعث العبد على ما مات عليه قال وليس قول من ذهب الى الاكفان بشيء لان الميت انما يكفن بعد الموت انتهى قال الحافظ المنذري وفعل أبي سعيد راوي الحديث يدل على اجرائه على ظاهره وان الميت يبعث في ثيابه التي قبض فيها وفي الصحاح وغيرها ان الناس

يبعثون عراة فالله أعلم وحمل كثير من العلماء الحديث على الشهداء الذين أمر ان يدفنوا في ثيابهم التي قتلوا فيها وان أبا سعيد سمع الحديث في الشهداء فحمله على العموم قال البيهقي يجمع بأن بعضهم يحشر عاريا و بعضهم بثيابه أو يخرجون من قبورهم بثيابهم التي ماتوا فيها ثم تتنا ثر عنهم عند ابتداء الحشر وقد روى محمد بن نصر المروزي باسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال يحشر الناس يوم القيامة على قدر صنيعهم في الصلاة وفسره بعضهم بقبض شماله بيمينه والانحناء هكذا و باسناده عن أبي صالح السمان قال يبعث الناس يوم القيامة هكذا ووضع احدى يديه على الاخرى نقله الحافظ ابن رجب في كتابه الذكر والانكار والله أعلم

﴿ كذا وقوف الخلق للحساب والصحف والميزان للثواب ﴾

﴿ كذا ﴾ أي كما يجب الجزم بالبعث والنشور والحشر بعد النفخ في الصور يجب أن تجزم جزما باتا بأمر ﴿ وقوف الخلق ﴾ من الانس والجن والدواب والطير وغيرهم قال تعالى (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا - وقال - ليجمعنكم الى يوم القيامة لاريب فيه - وقال - يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا) أي زمرا زمرا قال أبو هريرة رضي الله عنه ان الله تعالى يحشر الخلق كلهم من دابة وطائر وانسان وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (واذا الوحوش حشرت) يحشر كل شيء حتى الذباب ليحشر والحاصل ان الله تعالى يجمع في ذلك اليوم الأولين والآخرين حتى لا يدري الشخص أين يضع قدمه لشدة الزحام وفي تفسير مكي يحشر الناس يوم القيمة على أرض قد مدها الله تعالى مد الاديم العكاظي فهم في ضيق مقامهم فيها كضيق سهام اجتمعت في كنانتها فالسعيد يومئذ من يجد لقدمه مقاما قال وأكثر الاقدام يومئذ بعضها على بعض وقد ذكر أبو نعيم الحافظ باسناده عن وهب بن منبه قال اذا قامت الساعة صرخت الحجارة صراخ النساء وقطرت العضاة دما

واعلم ان ليوم الوقوف أهوالا عظيمة وشدائد جسيمة تذيب الاكباد وتذهل المراضع وتشيب الاولاد وهو حق ثابت ورد به الكتاب والسنة وانعقد عليه الاجماع وهو يوم القيامة وقد اختلف في تسمية ذلك اليوم بيوم القيامة فقيل

لكون الناس يقومون من قبورهم قال تعالى (يوم يخرجون من الاجداث سراعا) وقيل لوجود أمور المحشر والوقوف ونحوهما فيه وقيل لقيام الناس لرب العالمين كما روى مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا (يوم يقوم الناس لرب العالمين) قال يقوم الناس أحدهم في رشحه الى نصف أذنيه قال ابن عمر رضي الله عنهما يقومون مائة سنة ويروى عن كعب يقومون ثلاثمائة سنة وروى أبو يعلى باسناد صحيح وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «(يوم يقوم الناس لرب العالمين) مقدار نصف يوم من خمسين ألف فيهون ذلك على المؤمن كتدلي الشمس للغروب الى ان تغرب» وروى الامام أحمد وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال (يوما كان مقداره خمسين ألف سنة) فقيل ما أطول هذا اليوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم «والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة» وروى ابن أبي الدنيا والطبراني من طرق أحدها صحيح والحاكم وقال صحيح الاسناد عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «يجمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياما أربعين سنة شاخصة أبصارهم ينتظرون فصل القضا» الحديث وعن أبي هريرة يقومون سبعين سنة وقيل مقداره ألف سنة رواه الطبراني من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا ولفظه «اما مقام الناس بين يدي رب العالمين فألف سنة لا يؤذن لهم» وأخرج البيهقي عنه يمكثون ألف عام في الظلمة يوم القيمة لا يتكلمون

وقيل انما سمي يوم القيامة لقيام الملائكة والروح فيه صفا قال تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صفا) قال القرطبي القيامة قيامتان صغرى وكبرى فالصغرى ما تقوم على كل انسان في خاصته من خروج روحه وانقطاع سعيه وحصوله على عمله والكبرى هي التي تعم الناس وتأخذهم أخذة واحدة والدليل على ان كل من مات قامت قيامته قول النبي صلى الله عليه وسلم لقوم من الاعراب سألوه عن الساعة فنظر الى أحدث انسان منهم فقال ان يعش هذا حتى يدركه الهرم قامت عليكم ساعتكم رواه مسلم وغيره وقال الشاعر

خرجت من الدنيا وقامت قيامتي غداة أقل الحاملون جنازتي
وعجل أهلي حفر قبري وصيروا خروجي وتعجيلي اليه كرامتي

﴿ لطيفة ﴾ سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن يوم القيامة أهو من الدنيا أم من الآخرة قال صدر ذلك اليوم من الدنيا وآخره من الآخرة

وقد أخرج الامام أحمد عن محمد بن أبي عميرة وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والطبراني عن عتبة بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعا لو ان رجلا يخر على وجهه من يوم ولد الى يوم يموت هرما في مرضاة الله تعالى لحقره يوم القيمة وأخرج ابن المبارك عن كعب قال لو ان رجلا كان له مثل عمل سبعين نبيا لخشي أن لا ينجو من ذلك اليوم واخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا «يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الارض سبعين ذراعا و يلجمهم حتى يبلغ آذانهم» وفي بعض ألفاظ الصحيح «سبعين باعا» وأخرج مسلم عن المقداد رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «اذا كان يوم القيامة ادنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أو ميلين قال فتصهرهم الشمس فيكونون في العرق كقدر أعمالهم منهم من يأخذه الى عقبيه ومنهم من يأخذه الى حقويه ومنهم من يلجمه إلجاما» وفي رواية له تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون كمقدار ميل قال سليم بن عامر ما أدري ما يعني بالميل مسافة الارض أو الميل الذي تكحل به العين قال «فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم من يلجمه العرق إلجاما» وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فيه وأخرج الامام أحمد والطبراني وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعا نحوه وزاد بعد قوله «ومنهم من يبلغ وسط فيه» وأشار بيده ألجمها فاه وقال أرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير هكذا ومنهم من يغطيه عرقه وضرب بيده واشار ومر بيده فوق رأسه من غير أن يصيب الرأس دور راحته يمينا وشمالا وقال ابن مسعود رضي الله عنه الارض كلها نار يوم القيامة والجنة من ورائها كواعبها وأكوابها والذي نفس عبد الله بيده ان الرجل ليفيض عرقا حتى يسيخ في الارض قامته ثم يرتفع حتى يبلغ أنفه وما مسه الحساب قالوا مم ذلك

ياأبا عبد الرحمن قل مما يرى الناس رواه الطبراني باسناد جيد قوي وروى الطبراني أيضاً باسناد جيد عن ابن مسعود أيضاً رضي الله عنه مرفوعاً «ان الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة فيقول يارب أرحني ولو الى النار» ورواه أبو يعلى وابن حبان بلفظ ان الكافر ليلجمه العرق الحديث وأخرج الحاكم وصححه عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً ان العرق ليلزم المرأ في الموقف حتى يقول يارب ارسالك بي الى النار أهون على مما أجدوهو يعلم مافيها من شدة العذاب

(فائدة) قال الحافظ قد صح أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام فيكونون قد سلموا من تلك الاهوال ونجوا من ذلك النكول والوبال ففي مسند الامام أحمد عن اسامة بن زيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «قمت على باب الجنة فاذا عامة من يدخلها الفقراء الا ان أصحاب الجد أي الحظ والثروة والمال محبوسون الا ان أهل النار فقد أمر بهم الى النار» الحديث متفق عليه وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «ان فقراء المهاجرين يسبقون الاغنياء الى الجنة بأربعين خريفاً» وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام»

وحاصل ذلك ان الخلق يتفاوتون المقدار الذي مر وتدنو الشمس من رؤس الخلائق مقدار ميل ويصيبهم من العرق من شدة الهول وعظم حر الشمس يومئذ أمر عظيم قال بعض السلف لوطلعت الشمس على الارض كهيئتها يوم القيامة لاحرقت الارض واذابت الجوامد ونشفت الأنهار

وهذا الوقوف مع مامر (للحساب) الثابت بالسنة والكتاب واجماع أهل الحق بلا ارتياب قال تعالى (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) وقال في حق أعدائه (أولئك لهم سوء الحساب) قالوا ياويلتنا مالهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ماعملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) قال الثعلبي الحساب تعريف الله عز وجل الخلائق مقادير الجزاء على أعمالهم وتذكيره اياهم ماقد نسوه من ذلك يدل على هذا قوله تعالى (يوم

يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه) وقال بعضهم معنى كونه محاسبا لخلقه أنه تعالى يعلمهم مالهم وما عليهم والحساب مصدر حاسب وحسب الشيء يحسبه بالضم اذا عده سماعا وهو معنى قول من قال الحساب لغة العد واصطلاحا توقيف الله عباده قبل الانصراف من المحشر على أعمالهم خيرا كانت أو شرا تفصيلا لا بالوزن الا من استثني منهم وقد اختلف في معنى محاسبته تعالى عباده على ثلاثة أقوال (أحدها) أنه يعلمهم مالهم وعليهم كما تقدم قال بعض العلماء بأن يخلق الله في قلوبهم علوما ضرورية بمقادير أعمالهم من الثواب والعقاب (الثاني) ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أن يوقف الله تعالى عباده بين يديه ويؤتيهم كتب أعمالهم فيها سيآتهم وحسناتهم فيقول هذه سيآتكم وقد تجاوزت عنها وهذه حسناتكم وقد ضاعفتها لكم (الثالث) أن يكلم الله عباده في شأن أعمالهم وكيفية مالها من الثواب وما عليها من العقاب وفي هذا من صحيح الاخبار وصريح الآثار مايقلع شروش من في قلبه نوع اختلاج أصل كل شبهة وبدعة فقد أخرج الترمذي من حديث أبي برزة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع عن عمره فيم أفناه وعن علمه ما عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيما ابلاه» قال الترمذي حديث حسن صحيح ورواه البزار والطبراني باسناد صحيح من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ولفظه «لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع خصال عن عمره فيم أفناه وعن شبابه فيم أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن علمه ماذا عمل فيه» وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من نوقش الحساب عذب» فقلت أليس يقول الله (وأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى أهله مسرورا) فقال «انما ذلك العرض وليس أحد يحاسب يوم القيامة الا هلك» ورواه أبو داود والترمذي وغيرهما ورواه البزار والطبراني في الكبير باسناد صحيح من حديث ابن الزبير رضي الله عنهما ولفظه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نوقش الحساب هلك وفي صحيح مسلم وسنن الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لتؤدن

الحنوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء ورواه الامام أحمد ولفظه «يقتص للخلق بعضهم من بعض حتى للجماء من القرناء وحتى للذرة من الذرة» ورواته رواة الصحيح الجلحاء والجماء التي لاقرن لها واخرج الامام أحمد أيضا عن أبي هريرة أيضا رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليختصمن كل شيء يوم القيامة حتى الشاتان فيم انتطحا» واسناده حسن ورواه الامام أحمد أيضا وأبو يعلى من حديث أبي سعيد وفي حديث عبد الله بن أنيس رضي الله عنه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول «يحشر الله العباد يوم القيامة - أو قال الناس عراة غرلا بهما قال قلنا وما بهما قال ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب انا الديان انا الملك لا ينبغي لاحد من أهل النار ان يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقصيه منه ولا ينبغي لاحد من أهل الجنة ان يدخل الجنة ولاحد من أهل النار عنده حق حتى أقضيه منه حتى اللطمة» قال قلنا كيف وانما نأتي عراة غرلا بهما قال «الحسنات والسيئات» رواه الامام أحمد باسناد حسن وفي صحيح مسلم وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار» وفي هذا أحاديث كثيرة و بالله التوفيق

﴿ تنبيهات ﴾

(الاول) انما قدم الحساب بعد الحشر والوقوف على أخذ الصحف مع انه مؤخر عن أخذ الصحف في الوقوع لان الحساب من المقاصد وأخذ الصحف من الوسائل فقدمت المقاصد على الوسائل مع مراعاة قافية النظم والله أعلم

﴿ الثاني ﴾

كيفيات الحساب مختلفة وأحواله متباينة فمنه العسير ومنه اليسير ومنه العدل

والجهد ومنه التكريم ومنه التوبيخ والتبكيت ومنه الفضل والصفح ومتولي ذلك أكرم الاكرمين وأرحم الراحمين

﴿ الثالث ﴾

أول من يحاسب العلماء والمغازون وأرباب الاموال والسعة وأول مايحاسب عليه العبد الصلاة كما أخرج الامام عبدالله بن المبارك وأبو داود والترمذي وحسنه والحاكم وصححه والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة يقول الله تعالى للملائكة انظروا لصلاة عبدي أتمها أم نقصها فان كانت تامة كتبت له تامة وان كان نقص منها شيئا قال الله انظروا هل لعبدي من تطوع فان كان له تطوع قال أتموا لعبدي فريضته من تطوعه ثم تؤخذ الاعمال على ذلك» وأخرج النسائي عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أول مايحاسب عليه العبد صلاته وأول مايقضى بين الناس في الدماء فان قيل قد ورد في التنزيل ان الناس لا يسئلون قال تعالى (فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولاجان) فالجواب انه معارض بقوله تعالى (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) ويجاب عن الآية الكريمة بأنهم لا يسئلون سؤال استفهام لانه تعالى عالم بكل أعمالهم وانما يسئلون سؤال تقرير فيقال لهم فعلتم كذا قال في البهجة كغيره قال الحسن وقتادة لايسئلون عن ذنوبهم لان الله تعالى حفظها عليهم وكتبتها الملائكة وقيل يسئلون في موطن دون موطن رواه عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ونظير هذا قوله تعالى (هذا يوم لا ينطقون ولايؤذن لهم فيعتذرون) وفي الآية الاخرى (ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) فللناس يوم القيامة حالات والآيات مخرجة باعتبار تلك الحالات ومن ثم قال الامام أحمد في أجوبته القرآنية أول ماتبعث الخلائق على مقدار ستين سنة لاينطقون ولا يؤذن لهم في الاعتذار فيعتذرون ثم يؤذن لهم في الكلام فيتكلمون فذلك قوله تعالى (ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا) الآية فاذا أذن لهم في الكلام تكلموا واختصموا فذلك قوله تعالى (ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) عند الحساب واعطاء المظالم ثم يقال لهم بعد ذلك

(لا تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد) يعني في الدنيا فان العذاب مع هذا القول كائن انتهى

﴿الرابع﴾

اختلف عن المسئول عنه والمسئول فقال ابن عباس رضي الله عنهما عن لا آله الا الله وقال الضحاك عن خطاياهم وقال القرطبي عن جميع أقوالهم وأفعالهم (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا. فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) قال الفخر الرازي ولا معنى لقول من يقول ان السؤال انما يكون عن الكفر والايمان بل السؤال واقع عنهما وعن جميع الاعمال لان اللفظ عام فيتناول الكل والضمير في قوله تعالى لنسألنهم عائد على جميع المكلفين الانبياء وغيرهم ويدل على سؤالهم صريحا قوله تعالى (فلنسئلن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين) فهذه الآية تدل على انه يحاسب كل عباده لانهم لا يخرجون عن ان يكونوا مرسلين أو مرسلا اليهم ويبطل قول من زعم انه لا حساب على الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا الكفار انتهى والجواب انه لا حساب على الانبياء عليهم السلام على سبيل المناقشة والتقريع قال السفي في بحر الكلام الانبياء لا حساب عليهم وكذلك أطفال المؤمنين وكذلك العشرة المبشرون بالجنة هذا حساب المناقشة وعموم الآيات الكريمة مخصوص بأحاديث من يدخل الجنة بغير حساب ولهذا قال علماؤنا في عقائدهم ويحاسب المسلمون المكلفون الا من شاء الله ان يدخل الجنة بغير حساب وكل مكلف مسئول يسأل من شاء من الرسل عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب الرسل قال شيخ مشايخنا البدر البلباني في عقيدته فالكفار لا يحاسبون بمعنى ان صحائف أعمالهم لا توزن وان فعل كافر قربة من نحو عتق أو صدقة أو ظلمه مسلم رجونا له ان يخفف عنه العذاب انتهى ولعل مراده غير عذاب الكفر وقال شيخ الاسلام ابن تيميه في عقيدته الواسطية يحاسب الله تعالى الخلق ويخلو بعبده المؤمن ويقرره بذنوبه كما وصف ذلك في الكتاب والسنة قال وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته فانهم لا حسنات لهم ولكن تعد أعمالهم وتحصى فيوقفون عليها ويقررون بها انتهى وعن عبد الله بن مسعود رضي

الله عنه مامن عبد يخطو خطوة الا و يسئل عنها ما أرادبها وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا «ان أول مايسئل عنه يوم القيامة ان يقال له ألم أصحح جسمك وأرويك الماء البارد والذي نفسي بيده من النعيم الذي تسئلون عنه يوم القيامة ظل بارد ورطب وماء بارد» أخرجه الترمذي وابن حبان والحاكم والبغوى وأخرج الامام أحمد والبيهقي وأبونعيم عن الحسن مرفوعا «ثلاث لايحاسب بهن العبد ظل خص يستظل به وكسرة يشدبها صلبه وثوب يواري به عورته» وأخرج البزار والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «ثلاثة ليس عليهم حساب فيما طعموا ان شاء الله اذا كان حلالا الصائم والمتسحر والمرابط في سبيل الله» وأخرج البزار أيضا وأبونعيم بسند حسن عن ابن عباس أيضا رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم «ما فوق الإزار وجف الخبز وظل الحائط وجزا الماء فضل يحاسب به العبد يوم القيامة أو يسئل عنه» وأخرج الامام أحمد عن جيد عن أبي عسيب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل حائطا لبعض الانصار ومعه أبو بكر وعمر فجاء صاحب الحائط بعذق فوضعه فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم دعا بماء بارد فشرب فقال «لتسئلن عن هذا يوم القيامة» فقيل يارسول الله انا لمسئولون عن هذا يوم القيامة قال «نعم الامن ثلاث خرقة يكف بها عورته وكسرة يسد بها جوعته وجحر يدخل فيه من الحر والقر» واخرج الطبراني والبزار والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابا يسيرا وأدخله الجنة برحمته -قالوا وماهي قال- تعطي من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عن من ظلمك» وفي ترغيب الأصبهاني عن أنس مرفوعا «ان استطعت ان تمسي وتصبح وليس في قلبك غش لاحد فافعل فانه أهون عليك في الحساب» وأخرج البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال قال اعرابي يارسول الله من يحاسب الخلق يوم القيامة قال الله قال نجونا ورب الكعبة قال وكيف يااعرابي قال لان الكريم اذا قدر عفا. وما أحسن ما قيل من الحكم المدونة الكريم اذاقدر غفر واذازلت معه ستر ومنها ليس من عادة الكرام سرعة الغضب والانتقام

﴿ فائدة ﴾

ذكر القرطبي كغيره ان الله تعالى يكلم المسلمين عند الحساب من غير ترجمان اكراما لهم ولا يكلم الكافرين بل تحاسبهم الملائكة اهانة لهم وتمييزا لأهل الكرامة وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «ثلاثة لا يكلمهم الله تعالى يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم رجل على فضل ماء بالطريق يمنع منه ابن السبيل ورجل بايع اماما لا يبايعه الا لدنيا فان أعطاه ما يريد وفى له والا لم يف له ورجل يبايع رجلا بعد العصر فحلف بالله لقد أعطي كذا وكذا فصدقه ولم يعط بها»

﴿ الخامس ﴾

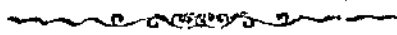
ثبت في عدة أخبار عن النبي المختار صلى الله عليه وسلم ما كر الليل على النهار ان طائفة من هذه الأمة بلا ارتياب يدخلون الجنة بغير حساب ويدخلون جنات النعيم قبل وضع الموازين وأخذ الصحف بالشمال واليمين وقد أخرج الشيخان وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال خرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال «عرضت علي الأمم يمر النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي ليس معه أحد والنبي معه الرهط فرأيت سوادا كثيرا فرجوت ان تكون أمتي فقيل لي هذا موسى وقومه ثم قيل لي انظر فرأيت سوادا كثيرا قد سد الافق فقيل هكذا وهكذا فرأيت سوادا كثيرا فقيل لي هؤلاء أمتك ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب» فتفرق الناس ولم يبين لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكر ذلك أصحابه فقالوا اما نحن فولدنا في الشرك ولكن قد آمنا بالله ورسوله هؤلاء أبناؤنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون» فقام عكاشة بن محصن فقال أمنهم انا وفي لفظ ادع الله ان أكون منهم يا رسول الله قال نعم ثم قام آخر فقال أنا منهم فقال «سبقك بها عكاشة» قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه (الداء والدواء) قوله صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة لم يرد ان عكاشة وحده أحق بذلك من

عداه من الصحابة ولكن لودعا له لقام آخر وآخر وانفتح الباب وربما قام من لم يستحق ان يكون منهم فكان الامساك أولى وأخرج الترمذي وحسنه عن أبي امامة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «وعدني ربي ان يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا لاحساب عليهم ولاعذاب مع كل ألف سبعون ألفا وثلاث حثيات من حثيات ربي» ويروي حفنات بالفتح وهوالغرف مل اليدين وقبل الحثية باليد والحفنة باليدين وأخرج الامام أحمد والطبراني عن أبي أيوب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم اليهم فقال «إن ربي خيرني بين سبعين ألفا يدخلون الجنة عفوا بغير حساب وبين الخبيئة عنده لامتي» فقال له بعض أصحابه أيخبأ ذلك ربك فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج وهو يكبر فقال «ان ربي زادني مع كل ألف سبعين ألفا والخبيئة عنده» فقيل ياأبا أيوب وما نظن خبيئة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكله الناس بأفواههم فقالوا ماأنت وخبيئة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو أيوب دعوه أخبركم عن خبيئة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خبيئة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول رب من شهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له وأن محمدا عبده ورسول مصدقا لسانه قلبه فأدخله الجنة الخبيئة بخاء معجمة فموحدة وهمزه بوزن خطيئة وأخرج البيهقي من حديث أبي هريرة مرفوعا «سألت ربي فوعدني ان يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفا على صورة القمر ليلة البدر فاستزدته فزادني مع كل ألف سبعين ألفا فقلت أي رب أرأيت ان لم يكن هؤلاء مهاجري أمتي قال اذا أكملهم لك من الاعراب» وأخرج الطبراني والبيهقي عن عمرو بن حزم الانصاري رضي الله عنه قال تغيب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا لايخرج الا لصلاة مكتوبة ثم يرجع فلما كان يوم الرابع خرج الينا فقلنا يارسول الله احتبست عنا حتى ظننا انه قد حدث حدث، قال «لم يحدث الاخيرا ان ربي وعدني ان يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفا لاحساب عليهم واني سألت ربي في هـذه الثلاثة أيام المزيد فوجدت ربي ماجدا كريما فأعطاني مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا قلت يارب وتبلغ أمتي هـذا

قال أكمل لك العدد من الاعراب» (١) وأخرج الامام أحمد وأبو يعلى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أعطيت سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر وقلوبهم على قلب رجل واحد واستزدت ربي فزادني مع كل واحد سبعين ألفا» قال أبو بكر فرأيت ان ذلك يأتي على أهل القرى ويصيب من حافات البوادي وأخرج الامام أحمد والطبراني عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان ربي أعطاني سبعين ألفا من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب» فقال عمر يا رسول الله فهلا استزدته قال «قد استزدته فأعطاني مع كل رجل سبعين ألفا» قال عمر فهلا استزدته قال «قد استزدته فأعطاني هكذا وفرج بين يديه وبسط باعيه وحثا» قال هشام هذا من الله مايدرى ماعدده وأخرج البزار عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب» فقال أبو بكر يارسول الله زدنا قال وهكذا فقال عمر يا أبا بكر ان شاء الله أدخلهم الجنة بحفنة واحدة وأخرج الامام أحمد بسند حسن عن حذيفة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان ربي استشارني في أمتي ماذا أفعل بهم فقلت ما شئت يارب هم خلقك وعبادك فقال لا نحزنك في أمتك واخبرني ان أول من يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا مع كل ألف سبعون ألفا ليس عليهم حساب» وأخرج هناد عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يجمع الله يوم القيامة الناس في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر فيقوم مناد ينادي أين الذين كانوا يحمدون الله على السراء والضراء فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يعود فينادي أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يعود فينادي ليقم الذين كانوا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يقوم سائر الناس فيحاسبون» ورواه ابن أبي الدنيا وغيره وذكره الحافظ ابن رجب في كتابه لطائف المعارف فقال قد روي ان المتهجدين يدخلون الجنة بغير حساب

(١) هكذا ورد الحديث المصنف وفيه ما ترى مما لا يوافق القواعد ولا يصح

وذكر عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيمة جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق سيعلم الخلائق اليوم من أولى بالكرم فذكر الحديث قال الحافظ ابن رجب ويروي أيضا عن شهر بن حوشب عن ابن عباس رضي الله عنهما من قوله ويروي نحوه من حديث ابن اسحق عن عبد الله ابن عطاء عن عقبة بن عامر مرفوعا وموقوفا ويروى نحوه أيضا عن عبادة بن الصامت وربيعة الجرشي والحسن وكعب من قولهم قال الحافظ قال بعض السلف قيام الليل يهون طول قيام يوم القيامة قال واذا كان أهله يسبقون الى الجنة بغير حساب فقد استراح أهله من طول الوقوف للحساب والله أعلم



ولما انهينا الكلام على الحساب بحسب مايليق بهذا الكتاب ثنينا العطف على شرح الصحف والميزان المشار الى ذلك في قوله ﴿و﴾ كذا وقوف الخلف لاخذ ﴿الصحف﴾ جمع صحيفة وهي الكتب كتبتها الملائكة وأحصوا ما فعله كل انسان من سائر أعماله في الدنيا القولية والفعلية وقيل هي صحف تكتبها العباد في قبورها قال تعالى (واذا الصحف نشرت) قال الثعلبي أي التي فيها أعمال بني آدم نشرت للحساب وانما يؤتي بالصحف الزاما للعباد ورفعا للجدل والعناد وقال تعالى (وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا) قال العلماء معنى طائره عمله وقال مقاتل والكلبي خيره وشره معه لايفارقه وهو معنى الاول وقال تعالى (واما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا) وفي الآية الاخرى (فأولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلا) والفتيل هو القشر الذي في شق النواة وهذا يضرب مثلا للشيء الحقير وذكر مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد بالفتيل الوسخ الذي يظهر بفتل الانسان ابهامه بسبابته قال العلامة الشيخ مرعي وانما خص القراءة بمن أوتي كتابه بيمينه دون من أوتيه بشماله لان أهل الشمال اذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملا على المهلكات العظيمة والقبائح الكاملة فيتولى الخوف والدهش

على قلوبهم ويثقل لسانهم فيمحزن عن القراءة الكاملة بخلاف أصحاب اليمين فانهم اذا طالعوا صحف حسناتهم وجدوها على الكمال فيقرءون كتابهم على أحسن الاحوال ثم انهم لم يقنع أحد بقراءته حتى يقول لأهل الحشر هاؤم اقرؤا كتابيه. كما قاله البحر وغيره وقال تعالى (وأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى أهله مسرورا وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا)

والحاصل ان نشر الصحف وأخذها باليمين والشمال مما يجب الايمان به وعقد القلب بانه حق لثبوته بالكتاب والسنة والاجماع فقد أخرج العقيلي عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «الكتب كلها تحت العرش واذا كان يوم القيامة يبعث الله ريحا فتطيرها الا يمان والشمائل» أول خط فيها (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا)» قال قتادة سيقرأ يومئذ من لم يكن قارئا في الدنيا وأخرج الديلمي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا «ء وان كتاب المؤمن يوم القيامة حسن ثناء الناس عليه» وقاله ابن مسعود رضي الله عنه وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير فعند ذلك تطير الصحف في الايدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله» ورواه ابن ماجه من حديث أبي موسى الاشعري رضي الله عنه ولفظه واما الثالثة فتطير الصحف في الايدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله: وأخرجه البيهقي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ولفظه: واما العرضة الثالثة فتطاير الكتب في الايمان والشمائل: قال الحكيم الترمذي الجدال للاعداء يجادلون لأنهم لا يعرفون ربهم فيظنون أنهم اذا جادلوه نجوا أوقامت حجتهم والمعاذير لله يعتذر الى آدم والى أنبيائه ويقيم حجته عندهم على الاعداء ثم يبعث بهم الى النار والعرضة الثالثة للمؤمنين وهو العرض الاكبر يخلو بهم فيعاتب من يريد عتابه في تلك الخلوات حتى يذوق وبال الحياء والخجل ثم يغفر لهم ويرضى عنهم وأخرج ابن المبارك عن أبي عثمان النهدي قال ان المؤمن ليعطى كتابه في ستر من الله فيقرأ سيآته فيتغير لونه ثم يقرأ حسناته فيرجع اليه لونه ثم ينظر فاذا سيآته قد بدلت حسنات

شماله وقال يوسف بن عمر من المالكية اختلف في عصاة الموحدين فقيل يأخذون كتبهم بأيمانهم وقيل بشمائلهم وعلى القول بأنهم يأخذونها بأيمانهم قيل يأخذونها قبل الدخول في النار فيكون ذلك علامة على عدم خلودهم فيها وقيل يأخذونها بعد الخروج منها والله أعلم

(الثالثة) ورد أن أول من يأخذ كتابه بيمينه أبو سلمة ابن عبد الأسد واسمه عبد الله وهو أول من يدخل الجنة من هذه الامة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم وهو أول من هاجر من مكة الى المدينة وقال بعض علماء المالكية أول من يعطى كتابه بيمينه وله شعاع كشعاع الشمس عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعده أبو سلمة انتهى وروي ان أول من يأخذ كتابه بشماله اخو أبي سلمة بن عبد الاسد الاسود يمد يده ليأخذه بيمينه فيجذبه ملك فيخلع يده فيأخذه بشماله من وراء ظهره وذلك لانه كان خلع يد سلمة لما أراد ان يهاجر فمنع بنو المغيرة أم سلمة أن تسير مع أبي سلمة ونزعوا خطام البعير من يده وأخذوها منه فغضب رهط أبي سلمة وهم بنوا عبد الاسد فاجتذبوا ابنه سلمة المذكور من أمه حيث أخذ وهطها ولم يدعوها تسير مع أبي سلمة فخلعوا يد الغلام القصة فجوزي الاسود بخلع يده فالجزاء من جنس العمل قال القرطبي في تذكرته اذا وقف الناس على أعمالهم من الصحف التي يؤتون بعد البعث حوسبوا بها وأخرج ابن المبارك عن رجل من بني أسد قال قال عمر رضي الله عنه لكعب حدثنا من حديث الآخرة قال يا أمير المؤمنين اذا كان يوم القيامة رفع اللوح المحفوظ فلم يبق أحد من الخلائق وهو ينظر الى عمله ثم يؤتى بالصحف التي فيها أعمال العباد فتنشر حول العرش ثم يدعى المؤمن فيعطى كتابه بيمينه فينظر فيه

(و) كذا وقوف الخلق لاجل (الميزان) اعلم ان مراتب المعاد البعث والنشر والحشر ثم القيام لرب العالمين ثم العرض ثم تطاير الصحف وأخذها باليمين والشمال السؤال والحساب ثم الميزان (للثواب) أي ثواب الاعمال الصالحة وعن السيئات الفاضحة قال علماؤنا كغيرهم نؤمن بأن الميزان الذي توزن به الحسنات والسيئات قالوا وله لسان وكفتان توزن به صحائف الاعمال قال ابن عباس رضي الله عنهما

الحسنات في أحسن صورة والسيئات في أقبح صورة قال العلامة الشيخ مرعي في بهجته الصحيح ان المراد بالميزان الميزان الحقيقي لا مجرد العدل خلافا لبعضهم وقال القرطبي في تذكرته قال العلماء اذا انقضى الحساب كان بعده وزن الاعمال لان الوزن للجزاء فينبغي ان يكون بعد المحاسبة فان المحاسبة لتقرير الاعمال والوزن لاظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها قال الله تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تُظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) وقال تعالى (فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية * وأما من خفت موازينه فأمه هاوية * وما أدريك ماهيه * نار حامية)

والحاصل ان الايمان بالميزان كأخذ الصحف ثابت بالكتاب والسنة والاجماع فالكتاب ماذكرناه وقوله تعالى (ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم) الى غير ذلك من الآيات وروي ان داود عليه السلام سأل ربه ان يريه الميزان فلما رآه غشي عليه فلما أفاق قال الهي من ذا الذي يقدر يملأ كفة حسناته فقال اذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة ذكره الرازي والثعلبي وقال عبدالله بن سلام رضي الله عنه ان ميزان رب العالمين ينصب للجن والانس يستقبل به العرش احدى كفتيه على الجنة والاخرى على جهنم لو وضعت السموات والارض في احداهما لوسعتهن وجبريل آخذ بعموده ينظر الى لسانه. قال في البهجة في هذا ان أعمال الجن توزن كما توزن أعمال الانس وهو كذلك ارتضاه الائمة قال القرطبي في تذكرته المتقون توضع حسناتهم في الكفة النيرة وصغائرهم في الكفة الاخرى فلا يجعل الله لتلك الصغائر وزنا وتثقل الكفة النيرة حتى لا ترفع وترفع المظلمة ارتفاع الفارغة الخالية قال واما الكفار فيوضع كفرهم وأوزارهم في الكفة المظلمة وان كان لهم أعمال بر وضعت في الكفة الاخرى فلاتقاومها اظهاراً لفضل المتقين وذل الكافرين والحق ان الكفار لايقيم الله لهم وزنا لقوله تعالى (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) ومن قال توزن أعمالهم لوروده في ظواهر عموم الآيات والاحاديث يجيب عن الآية الكريمة بأنه تعالى لايقيم لهم وزنا نافعا كما في قوله (وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) أي كالهباء في عدم نفعه وحصول فائدته

والحق ان مؤمني الجن كالانس في الوزن وكافرهم ككافرهم وأخرج الحاكم وصححه من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السموات والارض لوسعهن فتقول الملائكة يارب لمن يزن هذا فيقول لمن شئت من خلقي فتقول الملائكة سبحانك ما عبدناك حق عبادتك » وأخرجه الامام عبدالله بن المبارك في الزهد والآجري في الشريعة عن سلمان موقوفا وأخرج البزار والبيهقي في البعث عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يؤتى بابن آدم يوم القيامة فيوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق سعد فلان بن فلان سعادة لايشقى بعدها أبدا وان خف ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق ألا شقي فلان شقاوة لايسعد بعدها أبدا » وذكر الثعلبي وغيره وابن جرير في تفسيره وابن أبي الدنيا عن حذيفة رضي الله عنه انه قال صاحب الميزان يوم القيامة جبريل عليه السلام وقال الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وهو بيد جبريل عليه السلام وأخرج أبو الشيخ بن حيان في تفسيره من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الميزان له لسان وكفتان فقد دلت الآثار على انه ميزان حقيقي ذو كفتين ولسان كما قال ابن عباس والحسن البصري وصرح بذلك علماؤنا والاشعرية وغيرهم وقد بلغت أحاديثه مبلغ التواتر وانعقد اجماع أهل الحق من المسلمين عليه وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار قال وان الميزان تخف بمثقال حبة وترجح ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الاعراف فوقفوا على الصراط وأخرج الامام أحمد في الزهد من طريق رباح بن زيد عن أبي الجراح عن رجل يقال له حازم ان النبي صلى الله عليه وسلم نزل عليه جبريل وعنده رجل يبكي فقال « من هذا قال فلان قال جبريل انا نزن أعمال بني آدم كلها الا البكاء وان الله يطفئ بالدمعة بحورا من نيران جهنم » وأخرج البيهقي عن مسلم بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما اغرورقت

عين بمائها الاحرم الله ذلك الجسد على النار ولا سالت قطرة على خدها فيرهق ذلك الوجه قتر ولاذلة ولو ان باكيا بكى في أمة من الامم لرحموا وما من شيء الاله مقدار وميزان الاالدمعة فانها يطفأ بها بحار من النار» وأخرج الترمذي وحسنه من حديث أنس رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يشفع لي يوم القيامة فقال «انا فاعل ان شاء الله» قلت أين أطلبك قال «أول ماتطلبني على الصراط» قلت فان لم ألقك على الصراط قال «فاطلبني عند الميزان» قلت فان لم ألقك عند الميزان قال «فاطلبني عند الحوض فاني لا أخطي هذه الثلاث مواطن» ورواه البيهقي في البعث وغيره

﴿ تنبيهات ﴾

(الاول) اختلف في الميزان هل هو واحد أو أكثر فالاشهر انه ميزان واحد لجميع الامم ولجميع الاعمال كفتاه كاطباق السموات والارض كامر وقيل انه لكل أمة ميزان وقال الحسن البصري لكل واحد من المكلفين ميزان قال بعضهم الاظهر اثبات موازين يوم القيامة لاميزان واحد لقوله تعالى (ونضع الموازين) وقوله فمن ثقلت موازينه قال وعلى هذا فلا يبعد ان يكون لأفعال القلوب ميزان ولأفعال الجوارح ميزان ولما يتعلق بالقول ميزان أورد هذا ابن عطية وقال الناس على خلافه وإنما لكل واحد وزن مختص به والميزان واحد وقال بعضهم انما جمع الموازين في الآية الكريمة لكثرة من توزن أعمالهم وهو حسن

﴿ الثاني ﴾

اختلف في الموزون قيل يوزن العبد مع عمله وقيل توزن نفس الاعمال فتصور الاعمال الصالحة بصور حسنة نورانية ثم تطرح في كفة النور وهي اليمنى المعدة للحسنات فتثقل بفضل الله سبحانه وتصور الاعمال السيئة بصور قبيحة ظلمانية ثم تطرح في الكفة المظلمة وهي الشمال المعدة للسيئات فتخفف بعدل الله سبحانه كما جاء به الحديث فامتناع قلب الحقائق في مقام خرق العادات غير ملتفت اليه كما لايخفي وقيل ان الله تعالى يخلق أجساما على عدد تلك الاعمال من غير

قاب لها والحق ماقدمناه ان الموزون صحف الاعمال وصححه ابن عبد البر والقرطبي وغيرهما وصو به الشيخ مرعي في بهجته وذهب اليه جمهور من المفسرين وقدسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يوزن يوم القيامة فقال «الصحف» ذكره الفخر الرازي وغيره وحكاه ابن عطية عن ابن أبي المعالي ويؤيد ذلك حديث البطاقة والسجلات ورواه الترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم والبيهقي وقال الحاكم على شرط مسلم عن عبدالله بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان الله يستخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيئا أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول لا يارب فيقول أفلك عذر أو حسنة فيقول لا يارب فيقول الله بلى ان لك عندنا حسنة وانه لاظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال فإنك لا تظلم وتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء» قال العلامة الشيخ مرعي في بهجته ثبت بهذا الحديث الصحيح ان الموزون صحائف الاعمال وهو الحق فان قيل قد اخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال «انه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة» فقد صرح بأن الموزون نفس بدن الانسان فالجواب ان هذا ضربه النبي صلى الله عليه وسلم مثلا للذي يغتر ببعض الاجساد وهو كناية عن عدم اكتراث الله بالاجسام فان الله لا ينظر للصور وانما ينظر للاعمال والقلوب فكم من جسم وسيم وهو عند الله من أصحاب الجحيم هذا محمل الحديث الصحيح والله أعلم

﴿ الثالث ﴾

قال النسفي في بحر الكلام ان الايمان لا يوزن لانه ليس له ضد يوضع في كفة الميزان الاخرى لان ضده الكفر والايمان والكفر لا يكونان في الانسان الواحد قلت يرد هذا وزن كلمة الاخلاص وهي أس الايمان وانتصر القرطبي

للنسفي كالحكيم الترمذي وأجاب عن كلمة الاخلاص بأنها انما تكون ايمانا أول مرة و بعد ذلك تكون من حسناته قال و يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم: بلى ان لك عندنا حسنة ولم يقل ان لك عندنا ايمانا وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن لا آله الا الله من الحسنات هي فقال من أعظم الحسنات رواه البيهقي وغيره قلت وفيه نظر لايخفى (فان قيل) ما الحكمة في الوزن مع ان الله عالم بكل شيء فيعلم خائنة الاعين وماتخفي الصدور (أجاب) الثعلبي بان الحكمة في ذلك تعريف الله عباده ما لهم عنده من الجزاء من خير أو شر وقال العلامة الشيخ مرعى بل الحكمة فيه اظهار العدل و بيان الفضل حيث انه يزن مثاقيل الذر من خير أو شر (وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما)

﴿ الرابع ﴾

ظواهر الآثار وأقوال العلماء ان كيفية الوزن في الآخرة خفة وثقلا مثل كيفيته في الدنيا ماثقل نزل الى أسفل ثم يرفع الى عليين وماخف طاش الى أعلا ثم نزل الى سجين وبه صرح جموع منهم القرطبي وقال بعض المتأخرين بل الصفة مختلفة وان عمل المؤمن اذارجح صعد وسفلت سيئاته والكافر تسفل كفته لخلو الاخرى عن الحسنات ثم تلاقوله تعالى (والعمل الصالح يرفعه) وذكر بعضهم في صفة الوزن ان تجعل جميع أعمال العباد في الميزان في مرة واحدة الحسنات فى كفة النور وهي عن يمين العرش جهة الجنة والسيئات في كفة الظلمة وهي عن يساره جهة النار ويخلق الله لكل انسان علما ضرور يا يدرك به خفة أعماله وثقلها وقيل بل علامة الرجحان عمود نور يقوم من كفة الحسنات حتى يكسو كفة السيئات وعلامة الخفة عمود ظلمة يقوم من كفة السيئات حتى يكسو كفة الحسنات لكل أحد و بالله التوفيق

ولما انتهى الكلام على الوقوف والحساب وتطاير الصحف والميزان للثواب أعقب ذلك بذكر الصراط فقال

﴿ كذا الصراط ثم حوض المصطفى   فياهنا لمن به نال الشفا ﴾

﴿ كذا ﴾ اجزم بثبوت ﴿ الصراط ﴾ فانه حق ثابت بلا شطاط وهو في اللغة الطريق الواضح ومنه قول جرير

أمير المؤمنين على صراط اذا اعوج الموارد مستقيم

وقول الآخر

ه وصد عن نهج الطريق الواضح ه والصراط بالصاد والسين المهملتين والزاي على نزاع في اخلاصها ومضارعتها بين الصاد والزاي من سرطت الشيء بكسر الراء اذا ابتلعته لانه يبتلع المارة كما أن الطريق كذلك أي يغيبهم وفي الشرع جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون فهو قنطرة جهنم بين الجنة والنار وخلق من حين خلقت جهنم قال القرطبي في تذكرته اعلم رحمك الله تعالى ان في الآخرة صراطين أحدهما مجاز لاهل المحشر كلهم ثقيلهم وخفيفهم الا من دخل الجنة بغير حساب والا من يلتقطه عنق من النار فاذا خلص من خلص من هذا الصراط الاكبر الذي ذكرناه ولا يخلص عنه الا المؤمنون الذين علم الله منهم ان القصاص لا يستنفد حسناتهم حبسوا على صراط آخر خاص لهم ولا يرجع الى النار من هؤلاء أحد ان شاء الله تعالى لانهم قد عبروا الصراط الاول المضروب على متن جهنم التي يسقط فيها من أوبقته ذنوبه وراد على الحساب جرمه وعيوبه فقد أخرج البخاري والاسماعيلي في مشيخته واللفظ له عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية (ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين) قال يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لاحدهم اهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله في الدنيا قال قتادة كان يقال ما يشبه بهم الا أهل الجمعة انصرفوا من جمعتهم قال القرطبي هذا في حق من لا يدخل النار من عصاة الموحدين اما من دخلها ثم أخرج فانهم لا يحبسون بل اذا خرجوا بثوا على أنهار الجنة وقال الحافظ ابن حجر قوله يخلص المؤمنون من النار أي ينجون من السقوط فيها بمجاوزة الصراط فيها قال واختلف في القنطرة المذكورة فقيل أنها من تتمة الصراط وهي طرفه الذي يلي الجنة وقيل انها صراط آخر وبا

جزم القرطبي قال الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه البدور السافرة في علوم الآخرة والاول يعني أنه طرف الصراط الذي يلي الجنة هو المختار الذي دلت عليه أحاديث القناطر والحساب على الصراط انتهى

قال العلماء الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف وأحمى من الجمرة فقد أخرج الطبراني باسناد حسن عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال يوضع الصراط على سواء جهنم مثل حد السيف المرهف مدحضة أي مزلقة أي لا تثبت عليه قدم بل تزل عنه الا من يثبته الله تعالى عليه كلاليب من نار تخطف أهلها فتمسك بهواديها ويستبقون عليه بأعمالهم فمنهم من شده كالبرق فذاك الذي لا ينشب ان ينجو ومنهم من شده كالريح ومنهم من شده كالفرس الجواد ومنهم من شده كهرولة الرجل ثم كرمل الرجل ثم كمشي الرجل وآخر من يدخل الجنة رجل قد لوحته النار فيقول الله له سل وتمن فاذا فرغ قال لك ما سألت ومثله معه وأخرج ابن منيع في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا الصراط كحد السيف دحض مزلة ذا حسك وكلاليب وأخرج الامام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لجهنم جسر ادق من الشعر وأحد من السيف عليه كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله والناس عليه كالطرف وكالبرق وكالريح وكاجاويد الخيل والركاب والملائكة يقولون رب سلم سلم فناج مسلم ومخدوش مسلم ومكور في النار على وجهه» وأخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري قال بلغني ان الجسر ارق من الشعر واحد من السيف وأخرج ابن ماجة عن أبي سعيد أيضا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «وضع الصراط بين ظهراني جهنم عليه حسك السعدان ثم يستجيز الناس فناج مسلم ومخدوش به ثم ناج ومحتبس به ومنكوس فيها» واخرج ابن جرير والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال الصراط على جهنم مثل حد السيف فتمر الطبقة الاولى كالبرق والثانية كالريح والثالثة كاجود الخيل والرابعة كاجود البهائم يمرون والملائكة يقولون اللهم سلم اللهم سلم وأخرج البيهقي عن أنس رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «الصراط كحد السيف وان الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات وان

جبريل لآخذ بحجزتي واني لاقول يارب سلم سلم فالزالون والزالات يومئذ كثير» وأخرج ابن عساكر عن الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى قال بلغنا ان الصراط مسيرة خمسة عشر ألف سنة خمسة آلاف صعود وخمسة آلاف هبوط وخمسة آلاف مستوى أدق من الشعرة وأحد من السيف على متن جهنم لايجوز عليه الاضامر مهزول من خشية الله تعالى وفى بعض الآثار ان طول الصراط مسيرة ثلاثة آلاف سنة ألف منها صعود وألف منها هبوط وألف منها استواء وفي بعض الروايات أن جبريل في أوله وميكائيل في وسطه يسألون الناس عن عمرهم فيما أفنوه وعن شبابهم في ماأبلوه وعن علمهم ماذا عملوا به وفي بعض الآثار ان فيه سبع قناطر يسئل كل عبد عند كل قنطرة منها عن أنواع من التكاليف (قلت) وقد ذكر القرطبي في تذكرته عن بعض أهل العلم انه قال لن يجوز أحد الصراط حتى يسئل على سبع قناطر فأما القنطرة الاولى فيسئل عن الايمان بالله وهي شهادة لااله الا الله فان جاء بها مخلصا والاخلاص قول وعمل جاز ثم يسئل على القنطرة الثانية عن الصلاة فان جاء بها تامة جاز ثم يسئل في القنطرة الثالثة عن صوم رمضان فان جاء به تاما جاز ثم يسئل في الرابعة عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز ثم يسئل في الخامسة عن الحج والعمرة فان جاء بهما تامين جاز الى القنطرة السادسة فيسئل عن الغسل والوضوء فان جاء بهما تامين جاز الى السابعة وليس في القناطر أصعب منها فيسئل فيها عن ظلامات الناس وتبعات الخلق. وجاء في الحديث الشريف انه اذا صار الناس على طرف الصراط نادى ملك من تحت العرش يافطرة الملك الجبار جوزوا على الصراط وليقف كل عاص منكم وظالم وأخرج الحاكم وصححه الطبراني عن أم الدرداء قالت قلت لابي الدرداء ألا تبتغى لاضيافك ماتبتغي الرجال لاضيافهم فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ان امامكم عقبة كؤدا لايجوزها المثقلون فأحب أن اتخفف لتلك العقبة» قوله كؤدا هي بفتح الكاف وهمزة مضمومة الصعبة وأخرج البزار بلفظ «ان بين أيديكم عقبة كؤدا لاينجو منها الا كل مخف» وأخرج الطبراني عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان بين أيدينا عقبة كؤدا لايصعدها الا المخفون» فقال رجل يارسول الله أمن المخفين أنا أم من المثقلين قال «عندك

طعام يوم — قال نعم — وطعام غد — قال لا — قال لو كان عندك طعام ثلاث كنت من المثقلين» وأخرج الامام أحمد بسند صحيح عن أبي ذر رضي الله قال ان خليلي صلى الله عليه وسلم عهد الي ان دون جسر جهنم طريقا ذا دحض ومزلة وانا ان نأتي عليه وفي احمالنا اقتدار واصطبار أحرى ان ننجو من ان نأتي عليه ونحن مواقير

﴿ تنبيهات ﴾

(الاول) اتفقت الكلمة على اثبات الصراط في الجملة لكن أهل الحق يثبتونه على ظاهره من كونه جسرا ممدودا على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعر وأنكر هذا الظاهر القاضي عبد الجبار المعتزلي وكثير من اتباعه زعما منهم أنه لا يمكن عبوره وان أمكن ففيه تعذيب ولا عذاب على المؤمنين والصلحاء يوم القيامة وانما المراد طريق الجنة المشار اليه بقوله تعالى (سيهديهم ويصلح بالهم) وطريق النار المشار اليه بقوله تعالى (فاهدوهم الى صراط الجحيم) ومنهم من حمله على الادلة الواضحة والمباحات والاعمال الرديئة ليسأل عنها ويؤاخذ بها وكل هذا باطل وخرافات لوجوب رد النصوص على حقائقها وليس العبور على الصراط بأعجب من المشي على الماء أو الطيران في الهواء أو الوقوف فيه وقد أجاب صلى الله عليه وسلم عن سؤال حشر الكافر على وجهه بأن القدرة صالحة لذلك وأنكر العلامة القرافي كون الصراط أدق من الشعر واحد من السيف وسبقه الى ذلك شيخه العز بن عبد السلام والحق أن الصراط وردت به الاخبار الصحيحة وهو محمول على ظاهره بغير تأويل كما ثبت في الصحيحين والمسانيد والسنن والصحاح مما لا يحصى الا بكلفة من أنه جسر مضروب على متن جهنم يمر عليه جميع الخلائق وهم في جوازه متفاوتون وقال المنكر لكون الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف هذا ان ثبت حمل على غير ظاهره لمنافاته للاحاديث الاخر من قيام الملائكة على جنبتيه وكون الكلاليب والحسك فيه واعطاء كل من المارين عليه من النور قدر موضع قدميه قال القرافي والصحيح انه عريض وقيل طريقان يمنى ويسرى

دُهل السعادة يسلك بهم ذات اليمين وأهل الشقاوة يسلك بهم ذات الشمال وفيه طاقات كل طاقة تنفذ الى طبقة من طبقات جهنم .وجهنم بين الخلق وبين الجنة والجسر على ظهرها منصوب فلا يدخل أحد الجنة حتى يمر على جهنم وهو معنى قوله تعالى (وان منكم الا واردها) على أحد الأقوال ثم قال القرافي تبعا للحافظ البيهقي كون الصراط أدق من الشعر واحد من السيف لم أجده في الروايات الصحيحة وانما يروى عن بعض الصحابة فيؤول بأن أمره أدق من الشعر فان يسر الجواز عليه وعسره على قدر الطاعات والمعاصي ولا يعلم حدود ذلك الا الله تعالى وقد جرت العادة بضرب دقة الشعر مثلا للغامض الخفي وضرب حد السيف لاسراع الملائكة في المضي لامتثال أمر الله واجازة الناس عليه ورد هذا الامام القرطبي وغيره من أئمة الآثار وقد أخرج مسلم تلك الزيادة في صحيحه عن ابن سعيد بلاغا وليست مما للرأي والاجتهاد فيه مجال فهي مرفوعة وقد مر من الاخبار مايوجب الايمان بذلك ثم ان القادر على امساك الطير في الهواء قادر على أن يمسك عليه المؤمن ويجريه ويمشيه على أنه أخرج الامام عبدالله بن المبارك وابن أبي الدنيا عن سعيد بن أبي هلال قال بلغنا أن الصراط يوم القيامة يكون على بعض الناس ادق من الشعر وعلى بعض مثل الوادي الواسع وأخرج أبونعيم عن سهل بن عبد الله التستري قال من دق الصراط عليه في الدنيا عرض عليه في الآخرة ومن عرض عليه الصراط في الدنيا دق له في الآخرة

(الثاني) تقدم ان الصراط مخلوق الآن ونقل في كنز الاسرار عن بعض أهل العلم أنه يجوز ان يخلقه الله تعالى حين يضرب على متن جهنم ويجوز ان يكون خلقه حين خلق جهنم ونحوه في كلام القاضي عياض قال الحليمي من الشافعية لم يثبت انه يبقى الى خروج عصاة الموحدين من النار يجوزونها عليه الى الجنة ويحتمل انه يزال ثم يعاد لهم أولا يعاد أوتصعد به الملائكة الى السور الذي في الاعراف قال البدر الزركشي ومن الحكمة في الصراط ورفعه ان يظهر للمؤمنين من عظيم فضل الله تعالى النجاة من النار ولتصير الجنة أسر لقلوبهم بعد وليتحسر الكافر بفوز المؤمنين بعد اشتراكهم في العبور

(الثالث) من الخرافات الباردة زعم من زعم ان ماهية الصراط شعرة من شعر جفون مالك خازن النار فهو كلام تنبو عنه المسامع ويكذبه كل سامع وان نقله الحافظ برهان الدين الحلبي فلا ينبغي ان يلتفت اليه ولا يعول عليه والله تعالى أعلم

﴿ ثم ﴾ اجزم بعد البعث والنشور وأخذ الصحف والمرور بثبوت ﴿حوض﴾ النبي ﴿ المصطفى﴾ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانه حق ثابت باجماع أهل الحق وقال تعالى (انا أعطيناك الكوثر) قال الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه البدور السافرة ورد ذكر الحوض من رواية بضعة وخمسين صحابيا منهم الخلفاء الاربعة الراشدون وحفاظ الصحابة المكثرون وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين ثم ذكر الاحاديث عنهم واحداً واحدا والله أعلم

قال القرطبي ذهب صاحب القوت الى أن الحوض بعد الصراط قال والصحيح انه قبله وكذا قال الغزالي ذهب بعض السلف الى أن الحوض يورد بعد الصراط وهو غلط من قائله قال القرطبي والمعنى يقتضي تقديم الحوض على الصراط فان الناس يخرجون من قبورهم عطاشا فناسب تقديمه لحاجة الناس اليه قال ابن عباس رضي الله عنهما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوقوف بين يدي الله تعالى هل فيه ماء قال «أي والذي نفسي بيده ان فيه الماء وان أولياء الله ليردون الى حياض الانبياء عليهم السلام» ورجح القاضي عياض ان الحوض بعد الصراط وان الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار وقال ابن حمدان فى عقيدته يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة و بعد جواز الصراط انتهى وقال الحافظ ابن حجر ظاهر الاحاديث ان الحوض بجانب الجنة لينصب فيه الماء من النهر الذي داخلها فلو كان قبل الصراط لحالت النار بينه و بين الماء الذي يصب من الكوثر فيه قال واما ما أورد عليه من ان جماعة يدفعون عن الحوض بعد ان يروه ويذهب بهم الى النار فجوابه أنهم يقربون من الحوض بحيث يرونه ويرون ٧ فيدفعون في النار قبل ان يخلصوا من بقية الصراط وقال القرطبي فى التذكرة ن للنبي صلى الله عليه وسلم حوضين أحدهما فى الموقف قبل الصراط والثاني في الجنة

وكلاهما يسمى كوثرا والكوثر في كلام العرب الخير الكثير قال الجلال السيوطي وقد ورد التصريح في حديث صحيح عند الحاكم وغيره بأن الحوض بعد الصراط فان قيل اذا خلصوا من الموقف دخلوا الجنة فلم يحتاجوا الى الشراب منه فالجواب بل يحتاجون الى ذلك لانهم محبوسون هناك لاجل المظالم فكان الشرب في موقف القصاص ويحتمل الجمع بأن يقع الشرب من الحوض قبل الصراط لقوم وتأخيره بعده لآخرين بحسب ما عليهم من الذنوب والاوزار حتى يهذبوا منها على الصراط ولعل هذا أقوى انتهى قال العلامة الشيخ مرعي في بهجته وهذا في غاية التحقيق جامع للقولين وهو دقيق انتهى قال القرطبي في التذكرة ولا يخطر ببالك أو يذهب وهمك الى ان هذا الحوض يكون على وجه هذه الارض وانما يكون وجوده على الارض المبدلة على مسافات هذه الاقطار وفي المواضع التي تكون بدلا من هذه المواضع في هذه الارض وهي أرض بيضاء كالفضة لم يسفك عليها دم ولم يظلم على ظهرها أحد قط. أخرج الشيخان وغيرهما من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حوضي مسيره شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه لا يظمأ أبدا» وفي رواية «حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من الورق» وهي عندهما أيضا وأخرج الامام أحمد بسند صحيح وابن حبان في صحيحه واللفظ للامام أحمد عن أبي امامة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان الله وعدني ان يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفا بغير حساب» فقال يزيد بن الاخنس والله ما أولئك في أمتك الا كالذباب الاصهب في الذباب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قد وعدني سبعين ألفا مع كل ألف سبعين ألفا وزادني ثلاث حثيات» قال فما سعة حوضك يارسول الله قال «كما بين عدن الى عمان واوسع واوسع» يشير بيده قال فيه مثعبان بضم الميم والعين المهملة بينهما مثلثة وآخره موحدة هو مسيل الماء من ذهب وفضة قال فما حوضك يانبي الله قال «أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأطيب رائحة من المسك من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا ولم يسود وجهه أبدا» ومن ثم قال (فياهنا) قال في القاموس الهنا

والمهنأ ماأتاك بلا مشقة وقدهنيء وهنؤ هنأ وهنأني ولي الطعام يهنأ ويهني ويهنؤ هنأوهنأ وهناءةوهنأتنيه العافيـة وهوهنيء سائغ كأنه يقول أيهاالشراب السائغ الهنيء الآتي بلا مشقة أقبـل ﴿لمن﴾أي على شخص من ذكراوأنثى ﴿به﴾ أي بسبب الشرب منه﴿نال﴾ أي أعطي يقال ناله ينوله اذا أعطاه قال فى القاموس النوال والنائل العطاء ونلته ونلت له وبه أنوله وبه نلته وأنلته اياه وتولته ونولت عليه وله أعطيته فبه متعلق بنال و﴿الشفا﴾ من ظمأ ذلك اليوم والشفاء هوالدواء والجمع أشفيه وجمع الجمع أشاف يقال شفاه يشفيه براه وطلب له الشفاء كأشفاه كما في القاموس ففي حديث أبي ابن كعب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له ما الحوض قال «والذي نفسي بيده ان شرابه أبيض من اللبن وأحلا من العسل وابرد من الثلج وأطيب ريحا من المسك وآنيته أكثر عددا من النجوم لا يشرب منه انسان فيظمأ أبدا ولا يصرف عنه انسان فيروى أبدا» رواه ابن أبي عاصم وغيره ففي هذا الحديث ان من لم يشرب من حوضه صلى الله عليه وسلم من أمته لا يزال متصفا بداء الظمأ أبدا وروى نحوه البزار والطبراني من حديث أنس مرفوعا وفيه من شرب منه شربة لم يظمأ أبدا ومن لم يشرب منه لم يرو أبدا وأخرج الطبراني أيضاً نحوه في الأوسط من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعا وفي ذلك عدة أحاديث

﴿عنه يذاد المفتري كما ورد ومن نحا سبل السلامه لم يرد﴾

﴿عنه﴾ أي عن حوض النبي صلى الله عليه وسلم وعن الشرب منه ﴿يذاد﴾ بضم التحتية وفتح الذال المعجمة فدال مهملة قبلها ألف مبني لما لم يسم فاعله أي يطرد ويساق ويدفع دفعاعنيفا قال في القاموس الذود السوق والطرد والدفع كالذياد﴿المفتري﴾ نائب الفاعل من الفرية بكسر الفاء الكذب يقال فري يفرى فريا وافترى يفتري افتراء اذا كذب وهو افتعال منه ومنه (ولا يأتين ببهتان يفترينه) وفي الحديث «من أفرى الفرى ان يري الرجل عينيه مالم يريا» فالفرى جمع فرية وهي الكذبة وافرى أفعل منه للتفضيل أي أكذب الكذبات ان يقول رأيت في النوم كذا ولم يكن رأى شيئا لانه كذب على الله لانه هو الذي يرسل ملك الرؤيا ليريه المنام والحاصل ان من الذين يذادون عن الحوض جنس المفترين على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم

من المحدثين في الدين من الروافض والخوارج وسائر أصحاب الاهواء والبدع المضلة وكذلك المسرفون من الظلمة المفرطون في الظلم والجور وطمس الحق كذلك المتهتكون في ارتكاب المناهي والمعلنون في اقتراف المعاصي فقد أخرج مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال أغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقال «انه أنزلت علي آنفا سورة فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر) حتى ختمها قال «هل تدرون ما الكوثر - قالوا الله ورسوله أعلم قال - هو نهر اعطانيه ربي في الجنة عليه خير كثير ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد الكواكب يختلج العبد منهم فأقول يارب انه من أمتي فيقال انك لا تدري ما أحدث بعدك» وأخرج الطبراني عنه مرفوعا أعطيت الكوثر قلت يارسول الله وما الكوثر قال نهر في الجنة عرضه وطوله مابين المشرق والمغرب لايشرب منه أحد فيظمأ ولا يتوضأ منه أحد فيشعث لا يشربه من اخفر ذمتي ولا من قتل أهل بيتي» وأخرج مسلم في صحيحه من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ليردون علي الحوض أقوام فيختلجون دوني فأقول رب أصحابي رب أصحابي فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك» وأخرج ابن أبي عاصم في السنة عن ريحانة رسول الله صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين الحسن بن علي رضوان الله عليهما انه قال لمعاوية أنت السباب لعلي اما والله لتردن عليه الحوض وما أراك ترده فتجده مشمر الازار على ساق يذود عنه لاياتي المنافقون ذود غريبة الابل قول الصادق المصدوق وقد خاب من افترى وأخرج الطبراني وابن حبان والحاكم وصححه عن خباب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «سيكون امراء من بعدي فلا تصدقوهم بكذبهم ولا تعينوهم على ظلمهم فمن فعل لن يرد علي الحوض» وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما من طريق أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «انا فرطكم على الحوض من ورد شرب ومن شرب لم يظمأ أبدا وليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم» قال أبو حازم فسمع النعمان بن أبي عياش وأنا أحدث هذا الحديث فقال هكذا سمعت سهلا يقول قلت نعم فقال وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري

سمعته يزيد «انهم مني فيقال انك لاتدري ماعملوا بعدك فأقول سحقاسحقالمن بدل بعدي» وأخرج الامام أحمدوالطبراني والبزار عن ابن عباس رضي الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «انا فرطكم على الحوض فمن ورد أفلح ويجاء بأقوام فيؤخذبهم ذات الشمال فأقول يارب فيقال مازالوا بعدك مرتدين على أعقابهم» وأخرج الحكيم في نوادر الاصول عن عثمان بن مظعون رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «ياعثمان لاترغب عن سنتي فمن رغب عن سنتي ثم مات قبل ان يتوب ضربت الملائكة وجهه عن حوضي يوم القيامة» وأخرج الترمذي والحاكم عن كعب بن عجرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج عليهم وقال «انه سيكون بعدي أمراء فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه وليس بوارد علي الحوض ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم فهو مني وأنا منه وهو وارد علي الحوض» وأخرج الطبراني من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ليرفعنّ لي رجال من أصحابي اذا رأيتهم اختلجوا دوني فأقول أصحابي فيقال انك لاتدري ما أحدثوا بعدك» فهذا معنى قوله ﴿ كما ورد ﴾ ذلك في الاحاديث النبوية مما ذكرنا ومما لم نذكر وقد أخرج البخاري ومسلم حديث ابن مسعود رضي الله عنه بلفظ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «انا فرطكم على الحوض وليرفعن اليّ رجال منكم اذا اهويت اليهم لاناولهم اختلجوا دوني فأقول أي رب أصحابي فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك» وفيهما من حديث أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبني حتى اذا رفعوا الي اختلجوا دوني فلاقولن أي رب أصحابي أصحابي فليقالن لي انك لاتدري ما أحدثوا فأقول سحقا لمن بدل بعدي» وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال «يرد علي يوم القيمة رهط من أصحابي أو قال من أمتي فيحلون عن الحوض فأقول يارب أصحابي فيقول انه لاعلم لك بما أحدثوا بعدك انهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى» وفي رواية فيجلون قال في جامع الاصول اختلجوا اذا استلبوا وأخذوا بسرعة وقوله فيحلون يعني مبنيا للمجهول أي

يدفعون عن الماء ويطردون عن وروده اذا كان بالحاء المهملة ومن رواه بالجيم فهو من الجلاء وهو النفي عن الوطن وهو راجع الى الطرد وفي رواية عند البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «بينا أنا قائم على الحوض اذا زمرة حتى اذا عرفتهم أخرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم فقلت الى أين فقال الى النار والله فقلت ماشأنهم فقال انهم قد ارتدوا على أدبارهم القهقرى ثم اذا زمرة أخرى حتى اذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم قلت الى أين قال الى النار والله قلت ماشأنهم قال انهم ارتدوا على أدبارهم فلا أراه يخلص منهم الامثل همل النعم» وفي رواية لمسلم «وليصدن عني طائفة منكم فلايصلون فأقول يارب هؤلاء أصحابي فيجيئني ملك فيقول وهل تدري ماأحدثوا بعدك» وعند مسلم أيضا من حديث عائشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم قال «فوالله ليقتطعن دوني رجال فلاقولن أي رب مني ومن أمتي فيقول الملك لاتدري ما أحدثوا بعدك مازالوا يرجعون على أعقابهم» وفي الصحيحين من حديث أسماء بنت الصديق رضي الله عنهما قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اني على الحوض انظر من يرد علي منكم وسيؤخذ ناس دوني فأقول يارب مني ومن أمتي - وفي رواية - فأقول أصحابي فيقال هل شعرت ماعملوا بعدك فوالله مابرحوا يرجعون على أعقابهم» وفي ذلك أحاديث كثيرة جدا قال القرطبي قال علماؤنا كل من ارتد عن دين الله أو احدث فيه مالا يرضاه الله ولم يأذن به فهو من المطرودين عن الحوض وأشدهم طردا من خالف جماعة المسلمين كالخوارج والروافض والمعتزلة على اختلاف فرقهم فهؤلاء كلهم مبدلون وكذا الظلمة المسرفون في الجور والظلم وطمس الحق واذلال أهله والمعلنون بكبائر الذنوب المستخفون بالمعاصي وجماعة أهل الزيغ والبدع ثم الطرد قد يكون في حال ويقربون بعد المغفرة ان كان التبديل في الاعمال ولم يكن في العقائد قال وقد يقال ان أهل الكبائر يردون ويشربون واذا دخلوا النار بعد ذلك لم يعذبوا بالعطش انتهى فأهل البدع مطرودون عن حوض النبي صلى الله عليه وسلم ومردودون عن الشرب منه ﴿ومن﴾ أي وأي شخص من هذه الامة من ذكر وانثى ﴿نحا﴾ أي قصد يقال نحاه ينحوه وينحاه قصده كانتحاه ﴿سبل﴾ بضم السين المهملة ككتب جمع سبيل وهو الطريق وما وضح

منه وجمعه مع أن الطريق الحق واحد باعتبار خصاله وشعبه المتوصل منه اليها ﴿السلامة﴾ من الكلمات الجامعة لخيري الدنيا والآخرة قال في القاموس السلامة البراءة من العيوب يعني أن من نهج منهج الحق وسلك طريق السنة وسلم من البدع وكبائر الذنوب فانه يرد على حوض النبي صلى الله عليه وسلم ويشرب منه و ﴿لم يرد﴾ عن الشرب منه ولم يطرد عن الورود عليه كما يفهم من الاحاديث المارة وبالله التوفيق

﴿تنبيهات﴾

(الاول) اختلفت الروايات في تحديد الحوض وتقديره اختلافا كثيرا ففي حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما انه مسيرة شهر وزواياه سواء وفي رواية عند الامام أحمد أن الحوض كما بين عدن وعمان وفي رواية في الصحيحين مابين صنعاء والمدينة وفي رواية لهما أيضا مابين المدينة وعمان وفي رواية مابين أيلة ومكة وعند ابن ماجه مابين المدينة الى بيت المقدس وفي رواية مابين جرباء وأذرح وفي رواية مابين ايله وصنعاء اليمن وهو في الصحيحين قال في جامع الاصول عن كون حوضه صلى الله عليه وسلم ما بين جنبيه كما بين جرباء واذرح رواه البخاري ومسلم وأبو داود وقال بعض الرواة هما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاث ليال وفي لفظ ثلاثة أيام قال في القاموس وجرباء قرية بجنب أذرح وغلط من قال بينهما ثلاثة أيام وانما الوهم من رواة الحديث من اسقاط زيادة ذكرها الدارقطني وهي مابين ناحيتي حوضي كما بين المدينة وجرباء واذرح انتهى وفي مسلم والترمذي مثل مابين عدن الى عمان البلقاء قال بعض العلماء وهذا الاختلاف والاضطراب لا يوجب الضعف لانه من اختلاف التقدير والتحديد لا من الاختلاف في الروايه لان ذلك لم يقع في حديث واحد فيعد اضطرابا وانما جاء في أحاديث مختلفه عن غير واحد من الصحابه وقد سمعوه في مواطن متعددة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يمثل لكل قوم الحوض بحسب مايعلم المتكلم ويفهم السائل وبحسب مايسنح له صلى الله عليه وسلم من العبارة ويحدد الحوض بحسب مايفهم الحاضرون من الاشارة قال الحافظ ابن حجر هذا الاختلاف المتباعد الذي يزيد

تارة على ثلاثين يوما وينقص الى ثلاثة أيام لايصلح أن يكون من ضرب المثل في التقدير لانه انما يكون بما يتقارب. ورد عليه بأن رواية ثلاثة أيام اعترف هو نفسه بانها غلط فلا يتوجه الاعتراض بها وقال النووي ليس في ذكر المسافة القليلة مايدفع المسافة الكثيرة فالاكثر ثابت بالحديث الصحيح فلامعارضة وقال بعضهم يحمل القصير على العرض والطويل على الطول قلت ويرد هذا زواياه سواء وأوضح من هذا مافي رواية طوله وعرضه سواء وقال بعضهم بل سبب الاختلاف ملاحظة سرعة السير وعدمها فقد عهد في الناس من يقطع مسافة عشرة أيام في ثلاثة أيام وعكسه واكثر من ذلك وأقل والله أعلم

(الثاني) خالفت المعتزلة فلم تقل باثبات الحوض مع ثبوته بالسنة الصحيحة الصريحة فكل من خالف في اثباته فهو مبتدع وأما ثبوته بالقرآن فاحتمال وليس بصريح وأما قوله تعالى (انا اعطيناك الكوثر) ففيه اختلاف هل هو الحوض أو الخير الكثير أو النهر الذي في الجنة لكن الحوض ثابت بالسنة المتواترة وظاهر الكتاب فمنكره زائغ عن الصواب مستحق للطرد والعذاب ويكفيه من الخزي والنكال أنه يذاد عنه ويطرد ويمنع من الشرب منه ويرد وقد أخرج أبو داود عن أبي طالوت قال شهدت أبا برزة رضي الله عنه دخل على عبد الله بن زياد فحدثني فلان سماه مسلم وكان في السماط فلما رآه قال أن محمديكم هذا الدحداح ففهمها الشيخ فقال ما كنت أحسب اني أبقى في قوم يعيروني بصحبة محمد صلى الله عليه وسلم فقال عبيد الله أن صحبة محمد لكم زين غير شين ثم قال انما بعثت اليك لأسألك عن الحوض هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر فيه شيئا قال أبو برزة رضي الله عنه لامرة ولامرتين ولا ثلاثا ولا أربعا ولا خمسا فمن كذب به فلا سقاه الله منه ثم خرج مغضبا

(الثالث) جاء في الاخبار أن لكل نبي حوضا فأخرج الترمذي من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان لكل نبي حوضا ترده أمته وانهم يتباهون أيهم أكثر واردة واني أرجو أن اكون أكثرهم واردة» وورد في بعض الأخبار أن لكل نبي حوضا الا صالحا عليه السلام فان حوضه

ضرع ناقته والله أعلم

﴿ فكن مطيعا واقف أهل الطاعة في الحوض والكوثر والشفاعة ﴾

﴿ فكن ﴾ أيها الناظر لنظامي السامع لكلامي ﴿ مطيعا ﴾ لما جاءت به الاخبار وصحت بمقتضاه الآثار من صريح المنقول وصحيح المعقول ﴿ واقف ﴾ أمر من قفوته قفوا وقفوّا تبعته كتقفيته واقتفيته أي اتبع في اعتقادك واقصد في نهجك وارتيادك ﴿ أهل الطاعة ﴾ من فرقة أهل السنة والجماعة فانها الفرقة الناجية والعصابة التي لكل فوز راجية والطاعة اسم من أطاعه يطيعه فهو مطيع وطاع له يطوع ويطيع فهو طائع أي اذعن وانقاد والاسم الطاعة وقيل طاع اذا انقاد وأطاع اذا اتبع الامر ولم يخالفه ﴿ في ﴾ اعتقاد اثبات ﴿ الحوض ﴾ الذي تقدم ذكره بالاحاديث الصحيحة والنصوص الصريحة وتقدم دعاء الصحابي على من كذب به ان الله لا يسقيه منه ومر في الاحاديث ان من أحدث في هذا الدين لا يسقى منه وكفى بانكار السنة الصحيحة الصريحة حدثا وبدعة ﴿ و ﴾ اقف أهل السنة والجماعة في اثبات ﴿ الكوثر ﴾ وهو فوعل من الكثرة والواو زائدة ومعناه الخير الكثير قال النبي صلى الله عليه وسلم وقد سئل ما الكوثر «ذاك نهر أعطانيه الله عزوجل — يعني في الجنة — أشد بياضا من اللبن وأحلا من العسل فيه طير أعناقها كاعناق الجزر» قال عمر رضي الله عنه ان هذه لناعمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أكلتها أنعم منها» رواه الترمذي وقال حديث حسن وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «بينا انا أسير في الجنة اذا أنا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت ماهذا ياجبريل قال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك قال فضرب الملك بيده فاذا طينه مسك أذفر» وفي صحيح مسلم من حديث المختار ابن فلفل عن أنس أيضا رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «الكوثر نهر في الجنة وعدنيه ربي عزوجل» وفي الترمذي عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلا من العسل وأبيض من الثلج» قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح قال الامام المحقق ابن القيم في

كتابه (حادي الارواح الى منازل الافراح) عن مجاهد في قوله تعالى (انا أعطيناك الكوثر) قال الخير الكثير قال وقال أنس بن مالك رضي الله عنه نهر في الجنة وقالت عائشة رضي الله عنها نهر في الجنة ليس أحد يدخل أصبعيه في أذنيه الاسمع خرير ذلك النهر قال الامام ابن القيم وهذا معناه والله أعلم ان خرير ذلك النهر شبه الخرير الذى يسمعه حين يدخل أصبعيه في أذنيه انتهى وجاء في التفسير ان الكوثر القرآن والنبوة والكوثر في غير هذا الرجل الكثير العطاء كما في النهاية

﴿ و ﴾ اتبع أهل الطاعة واتبع أهل السنة والجماعة في ﴿الشفاعة﴾ وهي لغة الوسيلة والطلب وعرفا سؤال الخير للغير كذا عرفها بعضهم والحق أنها مشتقة من الشفع الذي هو ضد الوتر فكان الشافع ضم سؤاله الى سؤال المشفوع له من شفع يشفع بفتح العين المهملة شفاعة فهو شافع وشفيع والمشفع بكسر الفاء الذي يقبل الشفاعة والمشفع الذي تقبل شفاعته

واعلم ان للنبي صلى الله عليه وسلم شفاعات (الاولى) الشفاعة العظمى التى يشفع فيها لاهل الموقف حتى يقضى بينهم بعد ان يتدافعها الانبياء أصحاب الشرائع آدم الى نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وهي المقام المحمود وقد وردت من حديث الصديق الاعظم وأنس وأبي هريرة وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعقبة بن عامر وأبي سعيد الخدري وسلمان الفارسي هؤلاء ورد أمر الشفاعة في أحاديثهم مطولا وورد مختصرا من حديث أبي بن كعب وعبادة بن الصامت وجابر بن عبد الله وعبد الله بن سلام وغيرهم رضي الله عنهم فأخرج الامام أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيلهمون لذلك اليوم فيقولون لو استشفعنا ربنا حتى يريحنا من مقامنا هذا فيأتون آدم فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شيء فاشفع لنا الى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لهم آدم لست هناكم ويذكر ذنبه الذي أصاب فيستحيي ربه من ذلك ويقول ولكن ائتوا نوحا فانه أول رسول بعثه الله الى الارض فيأتون نوحا فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته سؤاله ربه ماليس له به علم فيستحيي ربه من ذلك ولكن

ائتوا ابراهيم خليل الرحمن فيأتونه فيقول لست هنا كم ولكن ائتوا موسى عبدا كلمه الله وأعطاه التوراة فيأتون موسى فيقول لست هنا كم ويذكر لهم النفس الذي قتل بغير حق فيستحيي ربه من ذلك ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمته وروحه فيأتون عيسى فيقول لست هنا كم ولكن ائتوا محمدا عبدا غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني فأقوم فامشي بين سماطين من المؤمنين حتى استأذن على ربي فاذا رأيت ربي وقعت ساجدا فيدعني ماشاء الله ان يدعني ثم يقال ارفع محمد قل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه ثم أشفع» الحديث وأخرج الامام أحمد بسند صحيح عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «اني لقائم انتظر متى يعبر الصراط اذ جاءني عيسى فقال هذه الانبياء قد جاءتك يامحمد يسألونك ويدعون الله ان يفرق بين جميع الامم الى حيث يشاء الله الى غير ماهم فيه فالخلق ملجمون بالعرق فأما المؤمن فهو عليه كالزكمة وأما الكافر فيغشاه الموت فقال انتظر حتى أرجع اليك فذهب نبي الله صلى الله عليه وسلم فقام تحت العرش فلقي مالم يلق ملك مصطفى ولا نبي مرسل فأوحى الله الى جبريل ان اذهب الى محمد وقل له ارفع رأسك تسل تعطه واشفع تشفع» الحديث وأخرج الترمذي والبيهقي عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا وخطيبهم اذا أنصتوا وقائدهم اذا وفدوا وشافعهم اذا حبسوا ومبشرهم اذا أيسوا لواء الكرم بيدي ومفاتيح الجنة يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم يومئذ على ربي ولا فخر يطوف على ألف خادم كأنهم اللؤلؤ المكنون» وروى الامام أحمد والبزار وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه من حديث الصديق الاعظم رضي الله عنه نحو حديث أنس في مراجعتهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال اسحق بن ابراهيم يعني الامام ابن راهويه هذا أشرف الحديث وقد روى هذا الحديث عدة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعند البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال «انا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو منهم الشمس فيبلغ

الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس ألا ترون الى ما أنتم فيه الى ما قد بلغكم ألا تنظرون الى من يشفع لكم الى ربكم فيقول بعض الناس لبعض أبوكم آدم فيأتونه فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة ألا تشفع لنا الى ربك ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وانه نهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فيحيلهم على ابرهيم وابرهيم على موسى وموسى على عيسى وعيسى يقول اذهبوا الى غيري اذهبوا الى محمد فيأتوني فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الانبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا الى ربك ألا ترى الى ما نحن فيه فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدا لربي ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول أمتي يارب فيقال يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ثم قال والذي نفسي بيده ان ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر اوكما بين مكة وبصرى وأخرج الامام أحمد وأبو يعلى من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا نحوه وفيه أنهم يأتون عيسى بعد آدم ونوح وابرهيم وموسى عليهم السلام فيقولون لعيسى عليه السلام اشفع لنا الى ربك فليقض بيننا فيقول اني لست هناكم اني اتخذت الها من دون الله واني لا يهمني اليوم الا نفسي ولكن ان كل متاع في وعاء مختوم عليه أكان يقدر على ما في جوفه حتى يفض الخاتم فيقولون لا فيقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين قد حضر اليوم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتوني فيقولون يا محمد اشفع لنا الى ربك فليقض بيننا فيقول أنا لها حتى يأذن الله لمن يشاء ويرضى فاذا أراد الله ان يصدع بين خلقه نادى مناد أين أحمد وأمته فنحن الآخرون الاولون نحن آخر الامم وأول من يحاسب فتفرج لنا الامم عن طريقنا فنمضي غرا محجلين من أثر الطهور فتقول الامم كادت

هذه الامة ان تكون أنبياء كلها فنأتي باب الجنة فآخذ بحلقة الباب فأقرع الباب فيقال من أنت فيقول أنا محمد» الحديث وفيه يامحمد ارفع رأسك وسل تعطه وقل يسمع واشفع تشفع وفي صحيح البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن الناس يصيرون يوم القيامة جثى كل أمة تتبع نبيها يقولون يافلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله مقاما محمودا

﴿ فوائد ﴾

(الاولى) هذه الشفاعة العامة التي خص بها نبينا صلى الله عليه وسلم من بين سائر الانبياء هي المرادة بقوله صلى الله عليه وسلم لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته واني اختبأت دعوتي شفاعة لامتي وهذه الشفاعة لاهل الموقف انما هي لاجل حسابهم و يراحوا من الموقف كما قاله القرطبي فى تذكرته قال وقوله في حديث أبي هريرة يامحمد أدخل من أمتك من لاحساب عليهم من الباب الايمن يدل على انه شفيع فيما طلب من تعجيل حساب أهل الموقف فانه لما أمر بادخال من لاحساب عليه من أمته فقد شرع في حساب من عليه حساب من أمته وغيرهم وكان طلب هذه الشفاعة من الناس غلط ثم يلهمون . وذكر ابن برجان في الارشاد ان الذي يدلهم على ذلك رءوس المحشر وهم رؤساء اتباع الرسل قال الحافظ السيوطي وحديث لكل نبي دعوة الخ متواتر ورد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه الشيخان ومن حديث أنس وجابر رضي الله عنهما أخرجهما مسلم وعبدالله بن عمرو وعبادة بن الصامت وأبي سعيد الخدري رضى الله عنهم أخرجها الامام أحمد وعبد الرحمن بن أبي عقيل رضى الله عنه أخرجه البزار والبيهقي وحكمة إلهام الناس التردد الى غير النبي صلى الله عليه وسلم قبله ولم يلهموا المجيء اليه من أول وهلة لاظهار فضله وشرفه صلى الله عليه وسلم واما ماذكره أبو حامد الغزالي في كتابه كشف علوم الآخرة ان بين اتيان أهل الموقف آدم واتيانهم نوحا ألف سنة وكذا بين كل نبي ونبي فقال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري لم أقف لذلك على أصل قال وقد أكثر في هذا الكتاب من ايراد أحاديث لاأصل لها فلا يغتر بشيء منها انتهى

(الثانية) شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم نوع من السمعيات وردت بها الآثار حتى بلغت مبلغ التواتر المعنوي وانعقد عليها اجماع أهل الحق من السلف الصالح قبل ظهور المبتدعة لكن هذه الشفاعة العظمى مجمع عليها لم ينكرها أحد ممن يقول بالحشر اذ هي للاراحة من طول الوقوف حين يتمنون الانصراف من موقفهم ذلك ولو الى النار

(الثالثة) سئل القاضي جلال الدين البلقيني عن حكم سجود النبي صلى الله عليه وسلم من حيث الوضوء فأجاب بأنه باق على طهارة غسل الموت ويحتمل وهو الاصح بأن أمور الآخرة ليست كأحكام الدنيا اذ الآخرة ليست بدار تكاليف فلا يتوقف السجود فيها على وضوء والله أعلم

﴿ فانها ثابتة للمصطفى كثيره من كل أرباب الوفا ﴾

﴿ من عالم كالرسل والابرار سوى التي خصت بذ الانوار ﴾

{ فانها } أي الشفاعة العظمى وغيرها من سائر الشفاعات الآتي ذكرها {ثابتة } بالنقل الصحيح بل المتواتر { ل } لنبي { المصطفى } محمد صلى الله عليه وسلم { ك } ما أنها ثابتة ل { غيره } أي غير نبينا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم { من كل أرباب } أي أصحاب { الوفا } بامتثال الاوامر والانتهاء عن الزواجر ثم أخذ في بيان ما أجمل من أرباب الوفا بقوله { من عالم } عامل بعلمه معلم لغيره وهم الربانيون وهؤلاء ورثة الانبياء فهؤلاء كما نفعوا الناس في الدنيا بالدلالة والتعليم كذلك ينفعونهم بالشفاعة لهم عند المولى الجواد الكريم فيقبل شفاعاتهم ويعلي درجاتهم { كالرسل } جمع رسول وهو من أوحي اليه بشرع من بني آدم وأمر بتبليغه وكذا الانبياء وهم يعني الرسل والانبياء خواص الخلق من بني آدم { والابرار } جمع بار وهم الاتقياء الاخيار

والحاصل انه يجب ان يعتقد ان غير النبي صلى الله عليه وسلم من سائر الرسل والانبياء والملائكة والصحابة والشهداء والصديقين والاولياء على اختلاف مراتبهم ومقاماتهم عند ربهم يشفعون وبقدر جاههم ووجاهتهم يشفعون لثبوت الاخبار

بذلك وترادف الآثار على ذلك وهو أمر جائز غير مستحيل فيجب تصديقه والقول بموجبه لثبوت الدليل فقد قال صلى الله عليه وسلم «أنا أول شافع وأول مشفع» روى هذا اللفظ أبو هريرة رضي الله عنه أخرجه مسلم وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما أخرجه البيهقي وعبدالله بن سلام رضي الله عنه أخرجه البيهقي أيضا واما حديث ابن مسعود رضي الله عنه عند البيهقي قال يشفع نبيكم رابع أربعة جبريل ثم ابرهيم ثم موسى أوعيسى ثم نبيكم لا يشفع أحد في أكثر مما يشفع فيه نبيكم ثم الملائكة ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء قال البخاري كذا قال أبوالزعراء عن ابن مسعود ولا يتابع عليه والمشهور انه صلى الله عليه وسلم أول شافع وكذا قال غير البخاري من أئمة الحفاظ والله أعلم

وأخرج ابن ماجه والبيهقي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يشفع يوم القيامة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء وأخرجه البزار وفي آخره ثم المؤذنون وأخرج الطبراني في الكبير والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليدخلن الجنة قوم من المسلمين قد عذبوا في النار برحمة الله وشفاعة الشافعين» وأخرج الامام أحمد والبيهقي من حديث حذيفة نحوه وأخرج الطبراني في الاوسط عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يشفع الله آدم يوم القيامة من جميع ذريته في مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف» وأخرج ابن أبي عاصم والاصبهاني عن أبي امامة رضي الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يجاء بالعالم والعابد فيقال للعابد ادخل الجنة ويقال للعالم قف حتى تشفع للناس» وأخرج البيهقي من حديث جابر مثله وزاد في آخره بما أحسنت أدبهم وأخرج الديلمي من حديث ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعا يقال للعالم اشفع في تلامذتك ولو بلغ عددهم نجوم السماء وأخرج أبو داود وابن حبان عن أبي الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته» وأخرج الامام أحمد والطبراني مثله من حديث عبادة بن الصامت والترمذي وابن ماجه مثله من حديث مقدام بن معدي كرب وأخرج البزار والبيهقي بسند صحيح عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم ان الرجل «ليشفع في الرجل والرجلين والثلاثة يوم القيامة» وأخرج الترمذي والحاكم وصححاه والبيهقي عن عبد الله ابن أبي الجدعاء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم» قالوا سواك يارسول الله قال سواي قال الفريابي يقال انه عثمان بن عفان رضي الله عنه وأخرج البيهقي عن الحسن مرفوعا «ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من ربيعة ومضر» والحاكم وصححه البيهقي عن الحارث بن قيس مرفوعا «ان من أمتي من يدخل الجنة بشفاعته أكثر من مضر وان من أمتي من سيعظم للنار حتى يكون أحد زواياها» وأخرج الامام أحمد مثله من حديث أبي برزة وهناد مثله من حديث أبي هريرة وأخرج الامام أحمد والطبراني والبيهقي بسند صحيح عن أبي امامة رضي الله عنه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول «ليدخلن الجنة بشفاعة رجل ليس بنبي مثل الحيين ربيعة ومضر» وأخرج الترمذي وحسنه والبيهقي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان من أمتي لرجالا يشفع الرجل منهم في الفئام من الناس فيدخلون الجنة بشفاعته ويشفع الرجل منهم للقبيلة فيدخلون الجنة بشفاعته ويشفع الرجل منهم للرجل وأهل بيته فيدخلون الجنة بشفاعته» وأخرج الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال «لا تزال الشفاعة بالناس وهم يخرجون من النار حتى ان ابليس الاباليس ليتطاول لها رجاء ان تصيبه» وأخرج البزار عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «الحاج يشفع في أربعمائة من أهل بيته»

والحاصل ان للناس شفاعات بقدر أعمالهم وعلو مراتبهم وقربهم من الله تعالى والقرآن يشفع لاهله والاسلام يشفع لاهله والحجر الاسود يشفع لمستلمه ولكن لا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وبالله التوفيق ﴿سوى﴾ الشفاعات ﴿التي خصت بذي﴾ أي بصاحب ﴿الانوار﴾ نبينا المختار صلى الله عليه وسلم ما دارت الادوار وتعاقب الليل والنهار فلا يشاركه فيها نبي مرسل ولا ملك مقرب ولا صديق ولا شهيد لانها مختصة بجنابه الرفيع وقدره المجيد والشفاعات المختصة به صلى الله عليه وسلم عدة (أولها) وهي

أعظمها وأعمها شفاعته صلى الله عليه وسلم لفصل القضاء بين الورى بعد التردد الى الانبياء وتدافعها بين أخيار الملأ الى ان تصل لصاحب الحوض المورود وهي المقام المحمود وقد عم العالم زيادة القلق وتصاعد العرق وقاسوا من ذلك ما يذيب الاكباد وينسي الاولاد وهذه مجمع عليها لم ينكرها أحد (ثانيها) يشفع عندر به في ادخال قوم من أمته الجنة بغير حساب فان هذه خاصة به أيضا صلى الله عليه وسلم كما قاله القاضي عياض والامام النووي وتردد ابن دقيق العيد في الاختصاص وتبعه الحافظ ابن حجر قال فان الاختصاص انما يثبت بالدليل ولا دليل عليه وقد روى حديث هذه الشفاعة مسلم في صحيحه وجزم بالاختصاص الحافظ السيوطي في أنموذج اللبيب (ثالثها) شفاعته صلى الله عليه وسلم في قوله استوجبوا النار بأعمالهم فيشفع فيهم فلا يدخلونها وهذه جزم القاضي وابن السبكي بعدم اختصاصها به صلى الله عليه وسلم وتردد النووي في ذلك قال السبكي لأنه لم يرد نص صريح بثبوت الاختصاص ولا بنفيه وجزم في الانموذج بأنها من خصائصه صلى الله عليه وسلم (رابعها) في رفع درجات ناس في الجنة وهذه لا تنكرها المعتزلة كالاولى الا أن النووي جوز اختصاصها به عليه الصلاة والسلام وجزم في كتاب الانتقاد له باختصاصها به قال في الأنموذج جوز النووي اختصاص هذه والتي قبلها به ووردت الأحاديث في التي قبل وصرح به القاضي عياض وابن دحية (خامسها) الشفاعة في اخراج عموم أمته من النار حتى لا يبقى منهم أحد ذكره السبكي و بالشفاعة لجماعة من صلحاء المسلمين ليتجاوز عنهم في تقصيرهم في الطاعات ذكره القزويني في العروة الوثقى

﴿ تنبيهات ﴾

(الاول) الشفاعة التي تنكرها المعتزلة وتجحدها هي فيمن استحق النار من المؤمنين ان لا يدخلها وفيمن دخلها منهم ان يخرج منها فكذبت بها المبتدعة ونفتها مع ثبوت أدلتها وتضافر حججها مما يتعسر احصاؤه ويتعذر استقصاؤه فأخرج البخاري عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه خطب فقال «انه سيكون في هذه الأمة قوم يكذبون بالرجم و بالدجال ويكذبون بطلوع

الشمس من مغربها ويكذبون بعذاب القبر ويكذبون بالشفاعة ويكذبون بقوم يخرجون من النار بعد ماامتحشوا» وأخرج سعيد بن منصور والبيهقي وهناد عن أنس رضي الله عنه قال « من كذب بالشفاعة فلا نصيب له فيها ومن كذب بالحوض فليس له فيه نصيب» وأخرج البيهقي عنه انه قيل له ان قوما يكذبون بالشفاعة قال لاتجالسوا أولئك وأخرج أيضا عنه قال يخرج قوم من النار ولا نكذب بها كما يكذب بها أهل حروراء وأخرج أيضا عن شبيب بن أبي فضالة المكي قال ذكروا عند عمران بن حصين الشفاعة فقال رجل ياأبا نجيد انكم لتحدثوننا أحاديث لم نجد لها أصلا في القرآن فغضب عمران وقال للرجل اقرأت القرآن قال نعم قال فهل وجدت صلاة العشاء أربعا وصلاة المغرب ثلاثا والغداة ركعتين والظهر أربعا والعصر أربعا قال لا قال فعمن أخذتم هذا ألستم عنا أخذتموه وأخذنا عن نبي الله صلى الله عليه وسلم وفي كل أربعين درهما درهم وفي كل كذا شاة وفي كل كذا بعير أوجدتم في القرآن هذا قال لا قال ووجدتم في القرآن (وليطوفوا بالبيت العتيق) أوجدتم طوفوا سبعا واركعوا ركعتين خلف المقام أوجدتم هذا في القرآن عمن أخذتموه ألستم أخذتموه عنا وأخذناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا بلى قال أوجدتم في القرآن لاجلب ولاجنب ولاشغار في الاسلام قالوا لا قال فان الله تعالى قال في كتابه (وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا) وانا قد أخذنا عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أشياء لم يكن لكم بها علم وفي صحيح مسلم عن ابن عمرو رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول ابرهيم (رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم) وقول عيسى (ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) فرفع يديه وقال أمتي أمتي ثم بكى فقال الله ياجبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك : وأخرج البزار والطبراني في الأوسط وأبونعيم بسند حسن عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أشفع لامتي حتى يناديني ربي تبارك وتعالى أرضيت يامحمد فأقول أي يارب رضيت» وأخرج الترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه

وابن حبان والبيهقي والطبراني عن عوف بن مالك الاشجعي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «انر بي خيرني بين ان يدخل نصف أمتي الجنة. وفي لفظ بين ان يدخل ثلثي أمتي بغير حساب ولاعذاب و بين الشفاعة لامتي فاخترت الشفاعة قال وهي لكل مسلم» وروى نحوه الامام أحمد والطبراني أيضا والبيهقي بسند جيد من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه وفيه وعلمت أنها أوسع لهم وهي لمن مات لا يشرك بالله شيأ وأخرج الطبراني مثله عن أنس وأخرج الامام أحمد والطبراني أيضا والبيهقي بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خيرت بين الشفاعة و بين ان يدخل نصف امتي الجنة فاخترت الشفاعة لانها أعم وا كفى أترونها للمتقين ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين» وأخرج الامام أحمد والبيهقي والطبراني في الاوسط عن بريدة رضى الله عنه قال سمعت رسول لله صلى الله عليه وسلم يقول «اني أشفع يوم القيامة لا كثر مما على وجه الارض من شجر ومدر» وأخرجه الطبراني في الاوسط عن انيس الانصاري ولفظه ا كثر مما على وجه الارض من حجر ومدر واخرج البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم و يدخلون الجنة و يسمون الجهنميين واخرج الشيخان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم «يقول ان الله يخرج قوما من النار بالشفاعة فيدخلهم الجنة» وأخرج أبو داود والترمذي والحاكم والبيهقي وصححوه عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي» وأخرج الطبراني عن عبد بن بسر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «شفاعتي في أمتي المذنبين المثقلين» وأخرج الطبراني أيضا وأبو نعيم عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « نعم الرجل انا لشرار أمتي» قيل كيف يارسول الله قال «أما شرار أمتي فيدخلهم الله الجنة بشفاعتي وأما خيارهم فيدخلهم الله الجنة بأعمالهم» وأخرج أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي» قال ابن عباس السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد يدخل

للعجة رحمة الله والظالم لنفسه وأهل الاعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وفي أوسط الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا «اني ادخرت شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي» وفي الكبير عن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اعملي ولا تتكلي فان شفاعتي للهالكين من أمتي» وأخرج الترمذي والحاكم والبيهقي عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي» قال جابر رضي الله عنه من زادت حسناته على سيئاته فذلك الذي يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيئاته فذلك الذي يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة وانما شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن أوبق نفسه وأغلق ظهره وأخرج عن أنس رضي الله عنه قال قلنا يارسول الله لمن تشفع قال «لاهل الكبائر من أمتي وأهل المظالم وأهل الدماء» وأخرج عن كعب بن عجرة رضي الله عنه مرفوعا «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» وأخرج طاووس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي» قال البيهقي هذا مرسل حسن يشهد لكون هذه اللفظة شائعة وأخرج ابن أبي عاصم عن أنس رضي الله عنه مرفوعا «مازلت أشفع الى ربي ويشفعني واشفع ويشفعني حتى أقول أي رب شفعني فيمن قال لااله الا الله فيقول: هذا ليس لك يامحمد ولا لأحد هذا لي، وعزتي وجلالي ورحمتي لاأدع في النار أحدا يقول لااله الا الله:»

(الثاني) في ذكر الاعمال الموجبة لشفاعته صلى الله عليه وسلم أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قلت يارسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة قال «ظننت أن لايسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لااله الا الله خالصا من قبل نفسه» وأخرج أيضا عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة» وأخرج مسلم نحوه من حديث ابن عمرو وفي سنن سعيد بن منصور من طريق أيوب

السختياني عن فقيه من فقهاء الكوفة قال ما من مسلم يسمع النداء فيقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة المفترضة أعط محمدا سؤله يوم القيامة الا أدخله الله في شفاعته وأخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يثبت أحد على لأواء المدينة وجدبها الا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة» وأخرجه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري وابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم والطبراني من حديث زيد بن ثابت وأبي أيوب والبزار من حديث عمر وأخرج الترمذي وابن ماجه وابن حبان والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فاني أشفع لمن يموت بها» وأخرج الطبراني عن سلمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من مات في أحد الحرمين استوجب شفاعتي وكان يوم القيامة من الآمنين» وأخرج الطبراني بسند جيد عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من صلى عليّ حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا أدركته شفاعتي يوم القيامة» والترمذي وابن حبان عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا «أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة» وابن أبي عاصم في السنة والبزار والطبراني بسند حسن عن رويفع بن ثابت رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من صلى على محمد وقال اللهم أنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي» وأخرج الامام أحمد بسند صحيح عن زياد بن أبي زياد مولى بني مخزوم عن خادم النبي صلى الله عليه وسلم قال كان النبي صلى الله عليه وسلم مما يقول للخادم ألك حاجة حتى كان ذات يوم قال يارسول الله حاجتي أن تشفع لي يوم القيامة قال فأعني بكثرة السجود وأخرج البزار عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا «من زار قبري وجبت له شفاعتي» وأخرجه الطبراني بلفظ «من جاءني زائرا لا تعمله حاجة الا زيارتي كان حقا عليّ أن أكون له شفيعا يوم القيامة» والبيهقي عن عمر رضي الله عنه مرفوعا «من زارني كنت له شفيعا أو شهيدا ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله من الآمنين يوم القيامة»

(الثالث) في من لا تدركهم الشفاعة ويحرمون شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لا تصافهم

بالبدع وسوء الشفاعة فأخرج أبو نعيم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «صنفان من أمتي لا تنالهما شفاعتي يوم القيامة المرجئة والقدرية» وأخرج البيهقي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من غش العرب لم يدخل في شفاعتي» قال في النهاية العرب اسم لهذا الجيل المعروف من الناس ولا واحد له من لفظه وسواء قام بالبادية أو المدن انتهى والمراد بهم هنا بنو اسماعيل وأخرج البيهقي والطبراني بسند جيد عن معقل ابن يسار رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «رجلان لا تنالهما شفاعتي يوم القيامة امام ظلوم غشوم عسوف وآخر غال في دين الله مارق منه» وأخرج الطبراني عن أبي الدرداء وغيره من الصحابة رضي الله عنهم قالوا قال رسول صلى الله عليه وسلم «ذروا المراء فان المماري لا اشفع له يوم القيامة»

(الرابع) مما احتجت المعتزلة لمذهبهم في نفي الشفاعة بقوله تعالى (واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة - وقوله - ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) وزعموا ان من دخل جهنم يخلد فيها لأنه اما كافر أو صاحب كبيرة مات بلا توبة هذا رأيهم ومن وافقهم وهو رأي فاسد ومذهب باطل ترده الاخبار الصحيحة والآثار الصريحة واجماع اهل الحق ايدهم الله تعالى وأجابوا عن الآية الكريمة أن المراد بقوله تعالى (لا تجزي نفس عن نفس شيئا) الكفار للآيات الواردة الثابتة في الشفاعة قال القاضي البيضاوي تمسكت المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لاهل الكبائر وأجيب بانها مخصوصة بالكفار ويؤيد هذا أن مساق الخطاب معهم والآية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان أباهم تشفع لهم انتهى وعن قوله تعالى (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) المراد بالظالمين الكفار فان الظالم على الاطلاق هو الكافر وقالت المعتزلة في قوله تعالى (انك من تدخل النار فقد أخزيته - ولا يشفعون الا لمن ارتضى - وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) ومن أخزاه الله لا يرتضيه ومن ارتضاه لا يخزيه قال تعالى (يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبايمانهم) الآية والجواب عن الآية الاولى ما قال سيدنا أنس بن

مالك رضي الله عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى (من تدخل النار) من تخلد وقال قتادة تدخل مقلوب تخلد ولا نقول كما قالت أهل حروراء يعني الخوارج فعلى هذا قوله (قد أخزيته) على بابه من الهلاك أي أهلكته وأبعدته ومقته ولهذا قال سعيد بن المسيب الآية جاءت خاصة في قوم لا يخرجون من النار دليله قوله في آخر الآية (وما للظالمين من انصار) أي الكفار وان سلم أن الآية في عصاة الموحدين فالمراد بالخزي الحياء يقال خزي يخزى خزاية اذا استحيى فهو زيان وامرأة خزيا فخزي المؤمنين يومئذ استحياؤهم من دخول النار ودار البوار مع أهل الشرك والكفار ثم يخرجون بشفاعة النبي الكريم ورحمة الرؤف الرحيم ونفي النصرة لا يستلزم نفي الشفاعة لانها طلب مع خضوع والنصرة ربما تبنى على المدافعة والممانعة والاستعلاء على انا نقول لا يسلم لهم زعمهم أن الفاسق غير مرضي مطلقا بل هو مرضي من جهة الايمان والعمل الصالح وان كان مبغوضا من جهة الذنوب والعصيان وارتكاب القبائح بخلاف الكافر فإنه ليس بمرضي مطلقا لعدم الاساس الذي تبنى عليه الحسنات والاعتداد بالكمالات وهو الايمان. والحاصل أن الايمان بالشفاعة واجب وقد قدمنا من النصوص ما لعله يقلع شروش الاختلاج من خواطر من أذعن لها وخلع من عنقه ربقة تقليد أهل الزيغ والاعوجاج كيف والنصوص متواترة والآثار متوافرة والعقل الصحيح لا يحيل ذلك والنقل الصريح ناطق بما هنالك فدع عنك نحلة فلانة وفلان واعقد قلبك على ما صح عن سيد ولد عدنان وأصحابه والتابعين لهم باحسان فانه الحق الذي لا عقل يحيله ولا نقل يزيله والله تعالى الموفق

﴿ فصل في الكلام على الجنة والنار ﴾

ولما انتهى الكلام على الشفاعة وأقسامها وتفصيلها وأحكامها بحسب ما يليق بالمقام أعقب ذلك بذكر العظيمتين دار القرار للاخيار ودار البوار للكفار وهما الجنة والنار فقال

﴿ وكل انسان وكل جنة في دار نار أو نعيم جنة ﴾

﴿هما مصير الخلق من كل الورى فالنار دار من تعدى وافترى﴾

﴿ومن عصى بذنبه لم يخلد وان دخلها يابوار المعتدي﴾

﴿ وكل انسان ﴾ من بني آدم فالانس والانسان من البشر والواحد أنس وأنسي والجمع اناسي والمرأة انسان وبالهاء عامية كما في القاموس قال وسمع في شعر كأنه مولد

لقد كستني في الهوى ملابس الصب الغزل انسانة فتانة بدر الدجا منها خجل اذا زنت عيني بها فبالدموع تغتسل

﴿ وكل جنة ﴾ بكسر الجيم وتشديد النون مفتوحة طائفة الجن والجان اسم للجن أي كل واحد من الثقلين الذين هما الانس والجن لا بد ان يكون ﴿ في ﴾ احدى الدارين اما في ﴿ دار نار ﴾ وهي دار البوار ومقر الكفار وهي جسم لطيف محرق يطلب العلو تذكر وتؤنث وألفها منقلبة عن واو بدليل تصغيره على نويرة وتجمع جمع قلة على نيرة وأنور وجمع كثرة على نيران ونور والنور ضوءها وضوء كل نير وهو ضد الظلمة والنار سبع طباق أعلاها جهنم فلظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية وباب كل واحدة منها من داخل الاخرى على الاستواء كما قاله ابن عطية وغيره ﴿ أو ﴾ في دار ﴿ نعيم ﴾ مقيم في ﴿ جنة ﴾ المولى الكريم الرؤف الرحيم فكل واحدة من الجنة والنار حق ثابتة بالكتاب والسنة واجماع الامة وكل ما هو كذلك فالايمان به واجب واعتقاد وجوده حق لاريب والمراد من الجنة دار الثواب ومن النار دار العقاب ﴿ هما ﴾ أي الجنة والنار ﴿ مصير الخلق ﴾ من الانس والجن أي لا بد لكل واحد ﴿ من كل الورى ﴾ كفى الخلق من الانس والجن بل ومن الملائكة فانهم يكونون في الجنة كما يأتي ان يصيرا اما الى الجنة واما الى النار واما أهل الاعراف فان مصيرهم الى الجنة كما يأتي ﴿ فالنار ﴾ التي هي دار الهوان والبوار فهي ﴿ دار من ﴾ أي كل شخص من انس وجن ﴿ تعدى ﴾ طوره وخالف مولاه فكفر به أو بأحد من رسله أو بكتاب من كتبه أو شرع شرعه على لسان نبي بعثه ولم ينسخه ﴿ وافترى ﴾ أيما عبد واجترى بما قصد فلم يقف عند

الحدود ولم يف بالعهد المعهود فكل من حكم الشرع بكفره من كافر اصلي من أهل الشرك وعبدة الاوثان والكواكب والنيران وأهل الشرائع المنسوخة بعد النسخ والتبديل من أهل التوراة والانجيل فهم خالدون مخلدون في النار ودار الخزي والبوار ﴿ ومن ﴾ أي وكل عبد مؤمن بالله ورسوله ولو مبتدعا لم يحكم الشرع بكفره ﴿عصى﴾ بمخالفة ربه وتعدى حدوده ﴿ بذنبه﴾ ولو كان ذنبه من أكبر الكبائر كالقتل والزنا وأكل الربا ومات على الايمان ولو لم يتب ﴿لم يخلد﴾ في النار ﴿وان دخلها﴾ ليتطهر من الاوزار فانه يخرج منها اما بشفاعة الشافعين أو رحمة أرحم الراحمين كما تقدم ﴿يا بوار﴾ أي يا هلاك ﴿ المعتدي ﴾ اشارة الى تقبيح ماذهبت اليه المعتزلة من زعمهم ان من دخل النار فهو خالد فيها لانه اما كافر أو صاحب كبيرة مات بلا توبة اذ المعصوم والتائب وصاحب الصغيرة اذا اجتنب الكبائر ليسوا من أهل النار على ماسبق من أصولهم والكافر مخلد بالاجماع بخلاف العاصي وتقدم الكلام على ذلك بما فيه كفاية وان مرتكب الكبيرة اذا مات ولم يتب في مشيئة الله ان شاء عفا عنه ولم يعذبه وان شاء عذبه ثم يخرجه وأما خلود المؤمن المصر فهو مذهب الخوارج والمعتزلة وأهل الحق على خلافه وهو الحق الذي لا مرية فيه والله تعالى أعلم

﴿ تنبيهات ﴾

(الاول) قال الجوهري الجان أبو الجن قال الامام أبو الوفاء ابن عقيل انما سمي الجن جنا لاجتنانهم واستتارهم عن العيون قال والشياطين عصاة الجن وهم من ولد ابليس والمردة أعتاهم وأغواهم وقال ابن عبد البر الجن عند أهل الكلام والعلم باللسان على مراتب فاذا ذكروا الجن خالصا قالوا جني فان أرادوا انه ممن يسكن مع الناس قالوا عامر والجمع عمار فان كان ممن يعرض للصبيان قالوا أرواح فان خبث وتعرض قالوا شيطان فان زاد على ذلك وقوى أمره قالوا عفريت وقال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن وكذا جمهور الكفار لأن وجودهم تواترت به أخبار الأنبياء تواترا معلوما بالاضطرار يعرفه الخاصة والعامة قال ولم ينكر الجن الا شرذمة قليلة من جهال الفلاسفة ونحوهم وقال القاضي أبو بكر الباقلاني كثير من القدرية يثبتون وجود الجن قديما وينفون

وجودهم الآن ومنهم من يقر بوجودهم ويزعم أنهم لايرون لرقة أجسامهم ونفوذ الشعاع فيها ومنهم من زعم أنهم لايرون لأنهم لا ألوان لهم وقد ذكر اسحق بن بشر في المبدأ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما خلق الجن قبل آدم بألفي سنة وقال اسحق عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما لما خلق الله تعالى سوما أبو الجن ٧ وهو الذي خلق من مارج من نار قال له تعالى تمن قال أتمنى ان نرى ولانرى وان نغيب في الثرى ويصير كهلنا شابا فاعطي ذلك فهم يرون ولايرون واذا ماتوا غيبوا في الثرى ولايموت كهلهم حتى يعود شابا يعني مثل الصبي يرد الى أرذل العمر وأخرج مسلم عن أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم» وأخرج الفريابي وعبد بن حميد عن مجاهد في قوله (وخلق الجان من مارج من نار) قال اللهب الاصفر والاخضر الذي يعلو النار اذا أوقدت وقال ابن عباس رضي الله عنهما خلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار وأخرج ابن أبي حاتم عن عمرو بن دينار قال خلق الجان والشياطين من نار الشمس انتهى

وقال أبو الوفا بن عقيل في الفنون سأل سائل عن الجن فقال أخبر الله عنهم انهم من نار وأخبر ان الشهب تضرهم وتحرقهم فكيف تحرق النار النار قال والجواب ان الله تعالى أضاف الشياطين والجان الى النار حسبما أضاف الانسان الى التراب والطين والفخار والمراد به في حق الانسان ان أصله الطين وليس الآدمي طينا حقيقة ولكنه كان طينا كذلك الجان كان نار أفي الاصل. قال القاضي عبد الجبار المعتزلي الدليل على ان أصل الجن النار السمع دون العقل وقال الامام القاضي أبو يعلى بن الفراء الجن أجسام مؤلفة وأشخاص ممثلة ويجوز أن تكون رقيقة وان تكون كثيفة خلافا للمعتزلة في قولهم انهم أجسام رقيقة ولرقتها لانراها قال القاضي أبو يعلى ولا قدرة للشياطين على تغيير خلقهم والانتقال في الصور وانما يجوز ان يعلمهم الله كلمات ضربا من ضروب الافعال اذا فعله وتكلم به نقله الله من صورة الى صورة فيقال انه قادر على التصوير والتخييل على معنى انه قادر على قول اذا قاله وفعله نقله الله عن صورة الى

صورة أخرى لجري العادة واما ان يصور نفسه فذلك محال لان انتقالها عن صورة الى صورة انما يكون بنقض البنية وتفريق الاجزاء واذا انتقلت بطلت الحياة واستحال وقوع الفعل من الجملة وكيف تنقل نفسها قال والقول في تشكيل الملائكة مثل ذلك والذي روي ان ابليس تصور في صورة سراقة وان جبريل تمثل في صورة دحية محمول على ماذكرنا وهو انه قدره الله على قول قاله فنقله الله عن صورة الى صورة اخرى

قال القاضي الجن يأكلون ويشربون ويتناكحون كما يفعل الانس وظاهر العمومات ان جميع الجن كذلك وهو رأي قوم ثم اختلفوا فزعم بعضهم ان أكلهم وشربهم تشمم واسترواح لامضغ و بلع وهذا لادليل عليه وقال الاكثرون انهم يأكلون بمضغ و بلع وزعم قوم ان جميع الجن لا يأكلون ولا يشربون وهذا ساقط وقيل ان صنفا منهم يأكلون و يشربون وصنف لا يأكلون ولا يشربون وسئل وهب بن منبه عن الجن هل يأكلون ويشربون وهل يموتون ويتناكحون فقال هم أجناس فاما خالص الجن فهم ريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يموتون ولا يتوالدون ومنهم أجناس يأكلون ويشربون و يتوالدون ويتناكحون ويموتون قال وهي هذه التي منها السعالي والغول وأشباه ذلك أخرجه ابن جرير وحديث علقمة عن ابن مسعود عند الامام أحمد ومسلم والترمذي لما أتى النبي صلى الله عليه وسلم داع من الجنة فذهب معه فقرأ عليهم القرآن وانه صلى الله عليه وسلم انطلق بأصحابه فأراهم آثارهم وآثار نيرانهم يدل على انهم كانوا كالانس في الجملة وفيه انهم سألوه الزاد وكانوا من جن الجزيرة فقال لهم صلى الله عليه وسلم لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه ولفظ الترمذي لم يذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما كان لحما وكل بعرة علف لدوابكم قال النبي صلى الله عليه وسلم «لاتستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم من الجن» وقد جمع بعض العلماء بين رواية الترمذي لم يذكر اسم الله عليه و بين رواية الامام أحمد ومسلم بان ما في المسند وصحيح مسلم في حق المسلم من الجن ومافي رواية الترمذي في حق غير المؤمنين منهم وصححه السهيلي وقال هذا يعضد الاحاديث وقد استدلوا على مناكحتهم بقوله تعالى (أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو) وبقوله

تعالى (لم يطمثهن انس قبلهم ولاجان) وهذا يدل على انه يتأتى منهم الجماع وفي الحديث ان الجن يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وهم أكثر عددا رواه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة عن قتادة

(الثاني) في ذكر تكليف الجن ولواحق ذلك قال العلامة شمس الدين محمد بن مفلح في كتابه الفروع الجن مكلفون في الجملة اجماعا يدخل كافرهم النار اجماعا ويدخل مؤمنهم الجنة وفاقا لمالك والشافعي رضي الله عنهما لا انهم يصيرون ترابا كالبهائم وان ثواب مؤمنهم النجاة من النار خلافا لابي حنيفة والليث بن سعد ومن وافقهما قال وظاهر الاول يعني قول الامام أحمد ومالك والشافعي رضي الله عنهم أنهم في الجنة كغيرهم بقدر ثوابهم خلافا لمن قال لا يأكلون ولا يشربون فيها كمجاهد اوانهم في ربض أي حول الجنة كعمر بن عبدالعزيز وقال ابن حامد في كتابه الجن كالانس في التكليف والعبادات انتهى كلام الفروع وقال ابن عبد البر الجن عند الجماعة مكلفون مخاطبون لقوله تعالى (يامعشر الجن والانس) وكقوله (فبأي آلاء ربكما تكذبان) قال الفخر الرازي أطبق الكل على ان الجن كلهم مكلفون قال القاضي عبد الجبار المعتزلي لانعلم خلافا بين أهل النظر ان الجن مكلفون

(الثالث) قال ابن مفلح في فروعه ولم يبعث اليهم يعني الجن نبي قبل نبينا صلى الله عليه وسلم قال وليس منهم رسول ذكره القاضي أبو يعلى وابن عقيل وغيرهما وأجابوا عن قوله تعالى (يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم) انها كقوله تعالى (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) وانما يخرج من أحدهما(١) وكقوله (وجعل القمر فيهن نورا) وانما هو في سماء واحدة قال وللمفسرين قولان والقول بأن منهم رسلا قول الضحاك وغيره قال الامام الحافظ ابن الجوزي وهو ظاهر الكلام وقال الحافظ السيوطي في (لقط المرجان) جمهور العلماء سلفا وخلفا على انه لم يكن من الجن قط رسول ولا نبي كذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والكلبي

(١) هذا زعم المفسرين الذين أخرجوا القرآن عن ظاهره لجهلهم بأن اللؤلؤ والمرجان يخرجان من الانهار وهو ثابت لا ريب فيه اه محمد رشيد

وأبي عبيد وقد أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله تعالى (يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم) قال ليس في الجن رسل انما الرسل في الانس والنذارة في الجن وقرأ (فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين) واخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله رسل منكم قال رسل الرسل وقرأ الآية قال ابن جريج واما الذين قالوا بقول الضحاك فاحتجوا بأن الله أخبر ان من الجن رسلا أرسلوا اليهم وقالوا لو جاز ان يكون خبره عن رسل الجن بمعنى رسل الانس لجاز ان يكون خبره عن رسل الانس بمعنى انهم رسل الجن وفي فساد هذا المعنى مايدل على ان الخبرين جميعا بمعنى الخبر عنهم انهم رسل الله لانه المعروف في الخطاب دون غيره وقال أبو محمد بن حزم لم يبعث الى الجن نبي من الانس البتة قبل محمد صلى الله عليه وسلم لانه ليس الجن من قوم الانس وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «وكان النبي يبعث الى قومه خاصة» قال و باليقين ندري انهم قد أنذروا وأفصح انهم كان لهم أنبياء منهم في قوله (ألم يأتكم رسل منكم) انتهى وتأول الجمهور كل ما ورد من ذلك ولايخفى ان ظاهر القرآن مع ماقاله الضحاك والاكثرون على خلافه وتحقيق ذلك والبحث فيه ممالا فائدة فيه لعدم ترتب شيء عليه غير انا نقطع بأنهم سمعوا ببعثة رسل الانس لقوله تعالى (انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى) وظاهر هذا انهم كانوا مؤمنين بشريعة موسى عليه السلام والظاهر ان الشياطين الذين سخرهم الله لسليمان كانوا يأتمرون في الشرائع بقوله وهو كان من أنبياء بني اسرائيل وهل كان على شرع مستقل أو على شرع لموسى قلت الظاهر كما يفهم من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية في الجواب الصحيح وغيره انه كان على شرع موسى لان شريعة التوراة استمرت من عهد موسى الى ان بعث عيسى فنسخ بعضها وأمر باتباع بعض وهذا ظاهر في انه كان على شريعة موسى بل صريح والله أعلم

(الرابع) قال في الفروع قال شيخنا يعني شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ليس الجن كالانس في الحد والحقيقة فلا يكون ما أمروا به وما نهوا عنه مساويا لما على الانس في الحد والحقيقة لكنهم مشاركوهم في جنس التكليف

بالامر والنهي والتحليل والتحريم بلا نزاع أعلمه بين العلماء فقد يدل ذلك على مناكحتهم وغيرها قال في الفروع وقد يقتضيه اطلاق أصحابنا وفى المغني وغيره ان الوصية لاتصح لجني لانه لايملك بالتمليك كالهبة قال في الفروع فيتوجه من انتفاء التمليك منا منع الوطء لانه في مقابلة مال قال الله تعالى (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) وقال (ومن آياته ان جعل لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها) قال وقد حمل أصحابنا هذا المعنى في شروط الكفاءة فههنا أولى قال ومنع منه غير واحد من متأخري الحنفية وبعض الشافعية وجوزه منهم أبو يونس في شرح الوجيز قال في مسائل حرب باب مناكحة الجن ثم روى عن الحسن وقتادة والحكم واسحق كراهتها وروي من رواية ابن لهيعة عن يونس عن الزهري نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن نكاح الجن وعن زيد العمى اللهم ارزقني جنية أتزوجها تصاحبني حيث ما كنت قال في الفروع ولم يذكر حرب عن الامام أحمد شيئا وعن مالك لابأس به في الدين ولكني أكره اذاوجدت امرأة حاملا فقيل من زوجك قالت من الجن فيكثر الفساد انتهى وذكر الحافظ السيوطي آثارا وأخبارا عن السلف والعلماء تدل على وقوع التناكح بين الجن والانس وقد حدثني بوقوعه جماعة منهم أنفسهم والله أعلم بصحة ذلك وان ظهر مخاييل ثبوته فأنا على شك منه والله الموفق

﴿ وجنة النعيم للابرار مصونة عن سائر الكفار ﴾

﴿ وجنة النعيم ﴾ اعلم ان للجنة عدة أسماء باعتبار صفاتها ومسماها واحد باعتبار الذات فهي مترادفة من هذا الوجه وتختلف باعتبار الصفات فهي متباينة من هذا الوجه وهكذا أسماء الرب تعالى وأسماء كتابه وأسماء رسوله وأسماء اليوم الآخر وأسماء النار فالاسم العام الجنة المتناول لتلك الدار وما اشتملت عليه من أنواع النعيم واللذة والبهجة والسرور وقرة العين وأصل اشتقاقها من الستر والتغطية ومنه الجنين لاستتاره في البطن والجان لاستتارهم عن العيون والمجن لستره ووقايته الوجه والمجنون لاستتار عقله وتواريه والجان وهي الحية الصغيرة الدقيقة ومنه تسمية البستان جنة لانه يستر داخله بالاشجار ويغطيه فلا يستحق هذا الاسم

الاموضع كثير الشجر مختلف الانواع والجنة بالضم مايستجن به من ترس أو غيره ومنه قوله تعالى (اتخذوا ايمانهم جنة) يتترسون بها من انكار المؤمنين عليهم ومن الجنة بالكسر وهم الجن كما تقدم ومنه قوله تعالى (من الجنة والناس)

وذهبت طائفة من المفسرين الى ان الملائكة يسمون جنة واحتجوا بقوله تعالى (وجعلوا بينه و بين الجنة نسبا) وقالوا هذا النسب قولهم الملائكة بنات الله ورجحوه بوجهين أحدهما ان النسب الذي جعلوه انما زعموا انه بين الملائكة و بينه لا بين الجن و بينه الثاني قوله تعالى (ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) أي علمت الملائكة ان الذين قالوا هذا القول محضرون العذاب قال الامام المحقق شمس الدين ابن القيم في كتابه (حادي الارواح الى منازل الافراح) والصحيح ان الجنة هم الجن أنفسهم كما قال تعالى (من الجنة والناس) وعلى هذا ففي الآية الكريمة قولان أحدهما قول مجاهد قال قالت كفار قريش الملائكة بنات الله فقال لهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه فمن أمهاتهم قالوا سروات الجن وقال الكلبي تزوج من الجن فخرج من بينهما الملائكة وقال قتادة قالوا صاهر الجن والقول الثاني قول الحسن قالوا اشركوا الشياطين في عبادة الله فهو النسب الذي جعلوه قال ابن القيم والصحيح قول مجاهد واما قوله تعالى (ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) فالضمير يرجع الى الجنة أي قد علمت الجنة انهم محضرون الحساب قاله مجاهد أي لو كان بينه و بينهم نسب لم يحضرهم الحساب كما قال تعالى (وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم) فجعل سبحانه عقوبتهم بذنوبهم واحضارهم للعذاب مبطلا لدعواهم الكاذبة وهذا التقدير في الآية ابلغ في ابطال قولهم من التقدير الاول انتهى ومن أسماء الجنة جنات النعيم قال تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم) قال في حادي الارواح وهذا أيضا اسم جامع لجميع الجنات لما تضمنته من الانواع التي يتنعم بها من المأكول والمشروب والملبوس والصور والرائحة والمنظر البهيج والمساكن الواسعة وغير ذلك من النعيم الظاهر والباطن وقوله في النظم «للابرار» اشارة الى ان هذه اللام لام الاختصاص والاستحقاق فلا يدخلها و يسكنها غيرهم والابرار جمع بار وهو كثير البر والبر اسم جامع للخير

وقيل في قوله تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) أن البر الجنة وفي القاموس البر الصلة والجنة والخير والصدق والطاعة كالتبرر وضد العقوق كالمبرة والبر بالفتح من أسماء الله الحسنى والصادق والكثير البر ويجمع البار أيضا على بررة وقد ذكر الله في كتابه عدة آيات يخص الجنة بأهل الايمان والتقوى كقوله تعالى في الجنة (أعدت للمتقين) وقال تعالى (واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى) وقال تعالى (و بشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الأنهار) وقال (والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير. ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم) وهذا في القرآن كثير ومداره على ثلاث قواعد ايمان وتقوى وعمل خالص لله عز وجل على موافقة السنة فأهل هذه الثلاثة هم الابرار وهم أهل البشرى دون من عداهم من سائر الخلق وعلى هذه الثلاثة أشياء دارت بشارات القرآن والسنة جميعا وهي تجمع في أصلين اخلاص في طاعة الله واحسان الى خلقه وترجع الى خصلة واحدة وهي موافقة الرب تعالى في محابه ولا طريق الى ذلك الا بتحقيق القدوة ظاهرا وباطنا برسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الأعمال التي هي تفاصيل هذا الأصل فهي بضعة وسبعون شعبة أعلاها قول لا اله الا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق و بين هاتين الشعبتين سائر الشعب التي مرجعها الى تصديق الرسول في كل ما أخبر به وطاعته في جميع ما أمر به ايجابا واستحبابا واجتناب ما نهى عنه تحريما وكراهة وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاقرءوا ان شئتم (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين)» رواه البخاري ومسلم وفي غيرهما وفي حديث أبي هريرة أيضا رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره» أخرجه البخاري ومسلم ورواية لمسلم حفت بدل حجبت وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» رواه مسلم والترمذي وقد ثبت أن مفتاح الجنة

كلمة الاخلاص وهي شهادة ان لا آله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فقد أخرج الامام أحمد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعا «مفتاح الجنة شهادة لا اله الا الله» قال الحافظ ابن رجب فى كتابه التوحيد في سنده انقطاع وفي صحيح البخاري عن وهب بن منبه أنه قيل له أليس مفتاح الجنـة لا آله الا الله قال بلى ولكن ليس مفتاح الا وله أسنان فان أتيت بمفتاح له اسنان فتح لك والا لم يفتح وفي صحيح البخاري عن جابر رضي الله عنه قال جاءت ملائكة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم العين نائمة والقلب يقظان فقالوا ان لصاحبكم هـذا مثلا فاضربوا له مثـلا فقالوا مثله مثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدبة و بعث داعيا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأ كل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأ كل من المأدبة فقالوا أولوها يفقهها فقال بعضهم العين نائمة والقلب يقظان الدار الجنة والداعي محمد فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس . ورواه الترمذي عنه بلفظ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني رأيت في المنام كأن جبريل على رأسي وميكائيل عند رجلي فذ كر نحو ما تقدم وفيه فالله هو الملك والدار الاسـلام والبيت الجنـة وأنت يا محمد رسول فمن أجابك دخل الاسلام ومن دخل الاسلام دخل الجنة وأ كل مما فيها ﴿مصونة﴾ أي جنة النعيم محفوظة ومحمية ﴿عن سائر﴾ أي جميع ﴿الكفار﴾ سواء كان كفرهم بالشرك أو الجحود أو انكار النبوآت أو انكار احد من الانبياء أو استحلال ما علم تحريمه أو تحريم ما علم حله من الدين بالضرورة أو جحود ما علم مجيء النبي صلى الله عليه وسلم به بالضرورة أو انكار المعاد الجسماني أو جحود الكـتاب المنزل أو شيئا منه أو ملكا من الملائكة او انتقاص ملك او نبي ونحو ذلك فالجنة لا تدخلها الا نفس مؤمنة باجماع اهل الحق وأما اهل الكفر والجحود فهم في نار جهنم كل ما مر عليهم زمن أولد لهم الخلود فلا يفتر عنهم العذاب ولا ينقطع ولا ان بكا احدهم واستغاث ينتفع فعذابهم متوصل فى دار الهوان بما كانوا يكـفرون كما قال تعالى (ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون) وقال تعالى (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها) وقال

(لا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون) والآيات في مثل هذا كثيرة وسأل الحسن البصري أبا برزة عن أشد آية في كتاب الله تعالى على أهل النار قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ (فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا) فقال «هلك القوم بمعاصيهم لله عزوجل» أخرجه ابن أبي حاتم وفيه ضعف وكذا البيهقي وقال لم أعرفه وفي القرآن العظيم (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة — الى قوله تعالى — فذلك هو الفوز العظيم) فاشعرت الآية الكريمة بخطر النفس الانسانية وعظم مقدارها عند ربها فان السلعة اذا خفي عليك قدرها فانظر المشتري لها من هو وانظر الى الثمن المبذول فيها ماهو وانظر الى من جرى على يده عقد التبايع فالسلعة النفس والله تعالى المشتري لها والثمن جنات النعيم والسفير في هذا العقد خير خلقه من الملائكة وأكرمهم عليه وخيرهم من البشر وأكرمهم عليه وفي جامع الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله الجنة» قال الترمذي حديث حسن غريب وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بلالا ينادي في الناس انه لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة وفي لفظ مؤمنة وفي مسلم عن ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وذكر الحديث وفيه «يا ابن الخطاب اذهب فناد في الناس انه لا يدخل الجنة الا المؤمنون» وفي البخاري معناه وفي كتاب صفة الجنة لابي نعيم من حديث أبان عن أنس رضي الله عنه قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما ثمن الجنة قال لا آله الا الله قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه (حادي الارواح) وشواهد هذا الحديث كثيرة جدا وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ان اعرابيا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله دلني على عمل اذا عملته دخلت الجنة قال «تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان» قال والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئا أبدا ولا أنقص منه فلما ولى قال صلى الله عليه وسلم «من سره ان ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا» وفي مسلم عن جابر رضي الله عنه قال أتى النعمان بن قوقل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أرأيت

اذا صليت المكتوبة وحرمت الحرام وأحلت الحلال ادخل الجنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم وفي صحيح مسلم أيضا عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من مات وهو يعلم انه لا اله الا الله دخل الجنة» وفي مسند الامام أحمد وسنن أبي داود عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من كان آخر كلامه لا آله الا الله دخل الجنة» وفي الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أتاني آت من ربي فأخبرني أوقال فبشرني انه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق» وفي الصحيحين أيضا عن عتبان بن مالك الانصاري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان الله حرم على النار من قال لا آله الا الله يبتغي بذلك وجه الله» وفي هذا عدة أحاديث تزيد على حد التواتر

﴿ واجزم بأن النار كالجنة في وجودها وانها لم تتلف ﴾

﴿ واجزم ﴾ جزم إيقان وعرفان وتصديق واذعان ﴿ بأن النار ﴾ وما فيها من أنواع العذاب والهوان والبوار والزبانية والاغلال والعقارب كالبغال ونحوها موجود الآن ومن قبل الآن ﴿ ك ﴾ ما ان ﴿ الجنة ﴾ وما فيها من الولدان والحور والنعيم والحبور والحلل والتيجان والفواكه والدور والفرش والقصور وجميع ما اشتملت عليه من أنواع الملاذ والسرور موجود الآن وقبل الآن فالنار ﴿ في وجودها ﴾ الآن كالجنة فهما موجودتان قال الامام المحقق في كتابه (حادي الارواح) لم يزل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الاسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك واثباته مستندين في ذلك الى نصوص الكتاب والسنة وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم فانهم دعوا الامم اليها وأخبروا بها الى ان نبعت نابعة من القدرية والمعتزلة فانكرت ان تكون الجنة كالنار الآن مخلوقة وقالوا بل الله ينشئها يوم المعاد وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة فيما يفعله الله وانه ينبغي له ان يفعل كذا ولا ينبغي له ان يفعل كذا

وقاسوه سبحانه على خلقه في أفعاله فهم مشبهة في الافعال ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة في الصفات وقالوا خلق الجنة والنار قبل الجزاء عبث فانهما يصيران معطلتين مددا متطاولة ليس فيهما سكانهما قالوا ومن المعلوم ان ملكا لو اتخذ دارا وأعد فيها الالوان والاطعمة والآلات والمصالح وعطلها من الناس ولم يمكنهم من دخولها قرونا متطاولة لم يكن مافعله واقعا على وجه الحكمة ووجد العقلاء سبيلا الى الاعتراض عليه فحجروا على الرب تعالى بعقولهم الفاسدة وآرائهم الباطلة وشبهوا أفعاله بأفعالهم وردوا من النصوص ماخالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها وحرفوها عن مواضعها وضيعوها وضللوا كل من خالف بدعتهم هذه القبيحة وبدعوا من انصرف عن شرعتهم هذه الفضيحة والتزموا لها لوازم أضحكوا عليهم فيها العقلاء وقبح عليهم رأيهم بسببها النبلاء ولهذا صار السلف الصالح ومن نحا نحوهم يذكرون في عقائدهم ان الجنة والنار مخلوقتان ويذكر من صنف في المقالات ان هذه مقالة أهل السنة والحديث قاطبة لايختلفون فيها منهم الامام أبو الحسن الاشعري امام كل أشعري في كتابه (مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين) وفيه وان الجنة والنار مخلوقتان وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم سدرة المنتهى ورأى عندها الجنة كما في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه في صفة الاسراء وفي آخره ثم انطلق بي جبريل حتى أتى سدرة المنتهى فغشيها ألوان ما أدري ماهي قال ثم دخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك وفي الصحيحين أيضا من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وان كان من أهل النار فمن أهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة» وقد رأى صلى الله عليه وسلم الجنة في صلاة الكسوف حتى هم أن يتناول عنقودا من عنبها ورأى النار فلم ير منظرا افظع من ذلك وهذا في الصحيحين أيضا وفي مسند الامام أحمد وسنن أبي داود والنسائي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما في قصة ذلك وفيه « لقد أدنيت الجنة (مني) حتى لو بسطت يدي لتعاطيت من قطوفها ولقد أدنيت النار مني حتى لقد جعلت اتقيها خشية ان تغشاكم » الحديث وفي صحيح مسلم من حديث

أنس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال «لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا» قالوا وما رأيت يارسول الله قال «رأيت الجنة والنار» وفي مسند الامام أحمد وصحيح مسلم والسنن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل الى الجنة فقال اذهب فانظر اليها والى ما اعددت لاهلها فيها فذهب فنظر اليها والى ما اعد الله لاهلها فيها فرجع وقال بعزتك لايسمع بها أحد الا دخلها فأمر بالجنة فحفت بالمكاره فقال فارجع فانظر اليها والى ما أعددت لاهلها فيها قال فنظر اليها ثم رجع فقال وعزتك لقد خشيت ان لايدخلها أحد ثم أرسله الى النار فنظر اليها يركب بعضها بعضا فقال لايدخلها أحد فلما حفت بالشهوات قال وعزتك لقد خشيت ان لا ينجو منها أحد الا دخلها» قال الترمذي حديث حسن صحيح ودخوله صلى الله عليه وسلم ورؤيته نهر الكوثر وقصور الجنة وحورها وثمارها ودرها وقصة آدم وخروجه منها واضعاف أضعاف ماذكرناه من الادلة القطعية التي يفوت عدها ويتعسر حدها و بعد المنصف ان العدول عن مضمونها مكابرة ورد للاخبار المتواترة والله تعالى أعلم ﴿و﴾ اجزم أيضا ﴿بانها﴾ أي النار ﴿لم تتلف﴾ اي لم تهلك وتبيد قال في القاموس تلف كفرح هلك واتلفه افناه والمتلف كالمقعد المهلك يعني ان النار لاتفنى ولا يفنى مافيها كالجنة وما فيها قال الامام المحقق في حادي الأرواح اما ابدية الجنة وأنها لاتفنى ولاتبيد فما يعلم بالاضطرار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر به قال الله تعالى (واما الذين سعدوا في الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ) اي غير مقطوع ولاتنافي بين هذا و بين قوله (الا ماشاء ربك) نعم اختلف السلف في هذا الاستثناء فقال الضحاك هو في الذين يخرجون من النار فيدخلون الجنة يقول سبحانه أنهم خالدون في الجنة مادامت السموات والارض الا مدة مكثهم في النار (وقالت فرقة) العزمة وقعت لهم من الله بالخلود الدائم الا ان يشاء الله خلاف ذلك اعلاما لهم بأنهم مع خلودهم في مشيئة الله وهذا كما قال لنبيه ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك) وقوله (فان يشأ الله يختم على قلبك) وقوله (قل لوشاء الله ماتلوته عليكم) ونظائر ذلك مما يخبر به عباده ان الامور كلها بمشيئته ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن

(وقالت فرقة أخرى) المراد مدة دوام السموات والارض في هذا العالم فاخبر سبحانه أنهم خالدون في الجنة مدة دوام السموات والارض الا ماشاء الله أن يزيدهم عليه وكان هذا قول من قال أن الا بمعنى سوى وهذا قول ابن قتيبة فانه قال المعنى خالدين فيها مدة العالم سوى ما شاء الله تعالى ان يزيدهم من الخلود على مدة العالم (وقالت فرقة أخرى) المراد بالسموات والارض سماء الجنة وأرضها وهما باقيتان أبدا وقيل غير ذلك وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يجاء بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يقال يا أهل الجنة فيطلعون مشفقين ويقال يا أهل النار فيطلعون فرحين فيقال هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت فيذبح بين الجنة والنار ويقال يا أهل الجنة خلود ولا موت فيها ويا أهل النار خلود ولا موت فيها ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون) وأشار بيده الى الدنيا وفي لفظ للبخاري وهم في غفلة وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا وهم لا يؤمنون أخرجه في التفسير وفي الصحيحين في هذا الحديث فاذا قيل لهم هل تعرفون هذا فيشرئبون و ينظرون و يقولون نعم هذا الموت فيؤمر بذبحه فيذبح قوله فيشرئبون هو بفتح أوله وسكون الشين المعجمة وفتح الراء بعدها تحتية مهموزة ثم موحدة مشددة أي يمدون أعناقهم و يرفعون رؤسهم للنظر وفي الصحيحين أيضا عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم يا أهل الجنة لا موت و يا أهل النار لا موت كل خالد فيما هو فيه رواية عنه عندهما فيزداد أهل الجنة فرحا الى فرحهم ويزداد أهل النار حزنا الى حزنهم وفي هذا عدة أحاديث عن أبي هريرة عند الحاكم وابن ماجه وعن أنس عند أبي يعلى والبزار والطبراني وفيه فيذبح كما تذبح الشاة فيأمن هؤلاء وينقطع رجاء هؤلاء فثبت بما ذكرنا من الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة خلود أهل الدارين خلودا مؤبدا كل بما هو فيه من نعيم وعذاب أليم وعلى هذا اجماع أهل السنة والجماعة فاجمعوا أن عذاب الكفار لا ينقطع كما أن نعيم أهل الجنة لا ينقطع ودليل ذلك الكتاب

والسنة وزعمت الجهمية ان الجنة والنار يفنيان وقال هذا امامهم جهم بن صفوان امام المعطلة وليس له في ذلك سلف قط لا من الصحابة ولا من التابعين ولا أحد من أئمة الدين ولا قال به أحد من أهل السنة نعم حكى بعض العلماء في أبدية النار قولين

وحاصل ذلك كله سبعة أقوال (أحدها) قول الخوارج والمعتزلة إن من دخل النار لا يخرج منها أبدا بل كل من دخلها مخلد فيها أبد الآباد (والثاني) قول من يقول ان أهلها يعذبون مدة فيها ثم تنقلب عليهم وتبقى طبائعهم نارية يتلذذون بالنار لموافقتها لطبائعهم وهذا قول ابن عربي الطائي في كتاب فصوص الحكم وغيره من كتبه (الثالث) قول من يقول ان أهل النار يعذبون فيها الى وقت محدود ثم يخرجون منها ويخلفهم فيها قوم آخرون وهذا القول حكاه اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم فأكذبهم فيه وقد أكذبهم الله تعالى أيضا في قوله (وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله مالا تعلمون، بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) فهذا القول انما هو قول اعداء الله اليهود فهم شيوخ أربابه والقائلين به وقد دل القرآن والسنة واجماع الصحابة والتابعين وأئمة الدين على فساده (الرابع) قول من يقول يخرجون منها وتبقى ناراً بحالها ليس فيها أحد يعذب ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية عن بعض أهل الفرق قال والقرآن والسنة يردان هذا القول (الخامس) قول من يقول تفنى النار بنفسها لانها حادثة كانت بعد ان لم تكن وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه وأبديته وهذا قول جهم بن صفوان وشيعته ولا فرق عنده بين الجنة والنار (السادس) قول من يقول تفنى حياتهم وحركاتهم ويصيرون جمادا لا يتحركون ولا يحسون بألم وهذا قول أبي الهذيل العلاف أحد أئمة المعتزلة طردا لامتناع حوادث لانهاية لها والجنة والنار عنده سواء في هذا الحكم (السابع) قول من يقول ان الله تعالى يفنيها لان لها ربا وخالقها لانه تعالى على زعم أرباب هذا القول جعل لها امدا تنتهي اليه ثم تفنى ويزول عذابها قال شيخ الاسلام وقد نقل هذا عن طائفة من الصحابة والتابعين والشيخ

الاسلام وتلميذه الامام المحقق ميل الى هذا القول وذكر لي تأييده بضعا وعشرين وجها ثم قال وما ذكرناه في هذه المسألة من صواب فمن الله وهو المان به وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه والله عند لسان كل قائل وقصده والله أعلم انتهى وقد ألف العلامة الشيخ مرعي الكرمي الحنبلي رسالة سماها توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين

﴿ تنبيه ﴾

ذهب جمع الى أن الموت عرض ومعنى والاعراض لا تنقلب أجساما بل زعم بعضهم ان الموت عدم محض وبه قال الزمخشري وأجابوا عن قوله تعالى (خلق الموت والحياة) بأن الخلق في هذه الآية التقدير فان قيل فعلى هذا كيف يأتي الموت في صورة كبش فيذبح فالجواب تقدم الحكيم الترمذي ان مذهب السلف في هذا الحديث الوقوف عن الخوض في معناه فنؤمن به ونكل علمه الى الله وأجاب بعض أهل العلم ان لعل هذا الكبش صورة ملك من الملائكة الذين يقبضون أرواح الخلائق ولا فالموت في نفسه عدم محض راجع الى سلب الحياة أو هو استعارة وكناية عن الخلود الدائم فضرب المثل بالموت ولا موت هناك حقيقة انتهى وذهب جماعة الى ان الموت جسم لا عرض وانه مخلوق في صورة كبش والحياة في صورة فرس قال الامام أبو حسن الاشعري الموت أمر وجودي لقوله تعالى (خلق الموت والحياة) والعدم لا يخلق كل هذا ملخص من كلام الشيخ مرعي رحمه الله تعالى وقال النووي في شرح مسلم يتأول الحديث على ان الله تعالى يخلق هذا الجسم ثم يذبح مثالا لان الموت لا يطرأ على أهل الآخرة قلت وهذا غير مرضي ولا معول عليه والدليل على ان الموت جسم في صورة كبش ما أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة في قوله تعالى (خلق الموت والحياة) قال الحياة فرس جبريل والموت كبش أملح وقال مقاتل والكلبي خلق الموت في صورة كبش لا يمر على أحد الا مات وخلق الحياة في صورة فرس لا يمر على شيء الا حيي وأخرج أبو الشيخ ابن حيان في كتاب العظمة عن وهب بن منبه قال خلق الله الموت كبشا أملح مستترا بسواد وبياض له أربعة أجنحة جناح تحت العرش

وجناح في الثرى وجناح في المغرب وجناح في المشرق قال له كن فكان ثم قال له ابرز فبرز لعزرائيل قلت الذي نذهب اليه أن الموت أمر وجودي وانه جسم لاعرض وانه مخلوق في صورة كبش أملح وأن الحياة في صورة فرس كما صحت بذلك الاخبار عن النبي المختار ونقلها الائمة الابرار ودونها الجهابذة الأخيار على أن كثيرا من العلماء أشار إلى أن جميع المعاني المعقولة عندنا مصورة عند الله تعالى بصور الاجسام ومشخصة بهيئة الاشخاص وان كنا لانحس ذلك لكوننا محجوبين عنه والاحاديث النبوية ناطقة بذلك شاهدة له فانه قد ورد عدة أخبار أن الاعمال تعرض في صورة أشخاص الاسلام والصلاة والصيام والمعروف والذكر فهذا كله يدل على ماذكرنا و بالله التوفيق

(فائدة) ذكر في البدور السافرة ان عبد اساعيل بن زياد الشامي في تفسيره أن الذي يتولى ذبح الموت جبريل عليه السلام وقيل يحيى بن زكريا عليهما السلام والله أعلم

(تتمة في ذكر مكان الجنة والنار وأين هما على مقتضى الآثار)

اعلم أن الجنة فوق السماء السابعة وسقفها عرش الرحمن كما قال جل شأنه في محكم القرآن (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى ه عندها جنة المأوى) وقد ثبت أن سدرة المنتهى فوق السماء السابعة وسميت بذلك لانها ينتهي اليها ماينزل من عند الله فيقبض منها وقال تعالى (وفي السماء رزقكم وما توعدون) قال ابن أبي نجيح عن مجاهد هو الجنة وتلقاه الناس عنه وذكر ابن المنذر في تفسيره عن مجاهد قال هو الجنة والنار وقد أخرج أبو نعيم عن عبدالله بن سلام رضي الله عنه قال قال أكرم خليقة الله أبو القاسم صلى الله عليه وسلم أن الجنة في السماء وروى أبو نعيم أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال الجنة في السماء السابعة ويجعلها الله تعالى حيث شاء يوم القيامة وجهنم في الارض السابعة وروى ابن منده عن عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه الجنة في السماء الرابعة فاذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث شاء والنار في الارض السابعة فاذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث شاء وقال مجاهد قلت لابن عباس رضي الله عنهما أين الجنة قال فوق السموات قلت فأين

النار قال تحت سبعة أبحر مطبقة رواه ابن منده وثبت في الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال «الجنة مائة درجة مابين كل درجتين كما بين السماء والارض» وهذا يدل على أنها في غاية العلو والارتفاع وفي لفظ لهذا الحديث «الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض أعدها الله للمجاهدين في سبيله» وشيخ الاسلام ابن تيمية رجح هذا اللفظ وهو لاينفي ان تكون درج الجنة أكثر من ذلك كما في قوله صلى الله عليه وسلم «ان لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة» أي من جملة أسمائه هذا العدد فيكون الكلام جملة واحدة في الموضعين ويدل على هذا أن منزلة نبينا صلى الله عليه وسلم فوق هذا كله في درجة في الجنة ليس فوقها درجة وتلك المائة ينالها آحاد أمته بالجهاد وقال في (حادي الارواح) والجنة مقببة أعلاها أوسعها ووسطها وهو الفردوس وسقفه العرش كما قاله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح «اذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه وسط الجنة وأعلا الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة» قال في حادي الارواح قال شيخنا أبو الحجاج المزي الحافظ والصواب روايه من رواه فوقه بضم القاف على أنه اسم الظرف أي وسقفه عرش الرحمن فان قيل فالجنة جميعها تحت العرش والعرش سقفها فان الكرسي وسع السموات والارض والعرش أكبر منه فالجواب لما كان العرش أقرب الى الفردوس مما دونه من الجنان بحيث لاجنة فوقه دون العرش كان سقفا له دون ماتحته من الجنان لعظم سعة الجنة وغاية ارتفاعها يكون الصعود من أدنى الى أعلى بالتدريج شيئا فشيئا درجة فوق درجة كما يقال لقارىء القرآن اقرأ وارق فان منزلك عند آخر آية تقرأها وهذا يحتمل شيئين ان تكون منزلته عند آخر حفظه وان يكون عند آخر تلاوته لمحفوظه والله اعلم

وأخرج أبو نعيم في تاريخ أصبهان عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان جهنم محيطة بالدنيا وان الجنة وراءها فلهذا كان الصراط على جهنم طريقا الى الجنة» وأخرج جويبر في تفسيره عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أين يجاء بجهنم يوم القيامة قال «يجاء بها من الارض السابعة لها سبعون ألف زمام معلق كل زمام سبعون ألف ملك تصيح الى أهلي الى أهلي

فاذا كانت من العباد على مسيرة مائة سنة زفرت زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الاجثا على ركبتيه يقول رب نفسي نفسي» وأخرج الامام أحمد والبيهقي بسند رجاله ثقات عن يعلى بن أميه رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «البحر هو جهنم» وأخرج الامام أحمد أيضا في الزهد عن سعيد بن أبي الحسين قال البحر طبق جهنم وأخرج أبو الشيخ في العظمة والبيهقي من طريق سعيد بن المسيب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال ما رأيت يهوديا أصدق من فلان زعم ان نار الله الكبرى هي البحر فاذا كان يوم القيامة جمع الله فيه الشمس والقمر والنجوم ثم بعث عليه الدبور فسعرته وأخرج أبو الشيخ عن كعب في قوله تعالى (والبحر المسجور) قال البحر يسجر فيصير جهنم وأخرج البيهقي فى شعب الايمان عن وهب انه قال اذا قامت القيامة أمر بالفلق فيكشف عن سقر وهو غطاؤها فيخرج منه نار فاذا وصلت الى البحر المطبق على شفير جهنم وهو بحر البحور نشفته أسرع من طرفة العين وهو حاجز بين جهنم والارضين السبع فاذا نشف اشتعلت في الارضين السبع فتدعها جمرة واحدة

وقيل ان النار فى السماء كالجنة لما روى الامام أحمد من حديث حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «أتيت بالبراق فلم نزايله (*) طرفة عين انا وجبريل حتى أتيت بيت المقدس وفتحت لنا أبواب السماء ورأيت الجنة والنار» وأخرج أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «رأيت ليلة أسري بي الجنة والنار في السماء فقرأت هذه الآية (وفي السماء رزقكم وما توعدون) فكأني لم أقرأها» وليس في هذا ونحوه حجة على أن النار في السماء لجواز ان يراها في الارض وهو في السماء وهذا الميت يرى وهو في قبره الجنة والنار وليست الجنة في الارض وثبت أنه صلى الله عليه وسلم رآهما وهو في صلاة الكسوف وهو فى الارض قال الحافظ ابن رجب وحديث حذيفة ان ثبت وفيه أنه رأى الجنة والنار في السماء فالسماء ظرف للرؤية لا للمرئي وفي حديث ضعيف جدا أنه صلى الله عليه وسلم رأى الجنة والنار فوق السموات فلو صح حمل على ما ذكرنا . والحاصل ان الجنة فوق السماء السابعة وسقفها العرش وان النار في الأرض السابعة على الصحيح المعتمد وبالله التوفيق

(*) كذا في الاصل وفي كنز العمال «فلا نزايل ظهره أنا وجبريل» — مصححه

ولما انهى الكلام على الجنة والنار وصحح وجودها الآن وبقاءها أبداً بلا نهاية ولاحسان وبرهن على ذلك وعلى مكانهما اعقب ذلك بقوله

﴿ونسأل الله النعيم والنظر لربنا من غير ماشين غبر﴾

{فنسأل الله} العظيم رب العرش العظيم {النعيم} المقيم في جنات النعيم بأنواع ملاذها ونعيمها مع كواعبها وحورها في خيامها وقصورها وعرصاتها ودورها ومما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر {و} نسئل الله العظيم الحليم الجواد الكريم {النظر} لوجه {ربنا} وخالقنا وهادينا الكريم مع أهل الطاعة والاستقامة والفوز والنجاة يوم القيامة {من غير ما} زائدة لمزيد النفي أي من غير {شين} أي عذاب ومناقشة حساب ولو بيخ وعتاب والشين ضد الزين فمن جعل لشيء مما ذكر يذهب زينه ويخلفه شينه والمشاين المعايب {غبر} بفتح الغين المعجمة والباء الموحدة أي ذهب والمراد سبق يعني من غير سابق عذاب ومناقشة حساب يقال غبر غبورا مكث وذهب ضد وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يحدر فيما غبر من السورة أي يسرع في قراءتها قال في النهاية قال الازهري يحتمل الغابر هنا الوجهين يعني الماضي والباقي فانه من الاضداد قال وقال غير واحد من الأئمة انه يكون بمعنى الماضي والحاصل أنه سأل الله تعالى ان يمن عليه بالنعيم والتنعيم بالنظر الى وجهه الكريم من غير سابقة عذاب ولا مناقشة حساب وقد تقدم بعض ما تضمنه من ذكر النعيم المقيم وأما النظر الى مولانا الكريم فهو من أصول أهل الحق خلافا لأهل الضلال والحمق ومن ثم قال

﴿فانه ينظر بالابصار كما أتى في النص والاخبار﴾

{فانه} سبحانه وتعالى {ينظر بالابصار} في دار المقامة والقرار باتفاق أئمة الدين الابرار وسلف الأئمة الاخيار {كما أتى} أي جاء {في النص} القرآني والتنزيل الرحماني أصل النص أقصى الشيء وغايته وفي حديث كعب يقول الجبار احذروني فاني لا أناص عبدا الا عذبته أي لا استقصي عليه في السؤال والحساب وروى الخطابي عن عون بن عبد الله مثله ومنه قول الفقهاء

نص القرآن ونص السنة أي مادل ظاهر لفظهما عليه من الاحكام وفي كلام عمرو بن دينار ما رأيت رجلا أنص للحديث من الزهري أى أرفع له وأسند ﴿ و ﴾ كما أتى في ﴿ الاخبار ﴾ النبوية والآثار السلفية وأجمع عليه أهل الحق وسلف الامة وأهل الصدق وأعلام الائمة ورؤية الله رب العالمين أعظم وأجل وأشرف وأنعم نعيم الجنة قدرا وأعلاه وأغلاه خطرا وأمرا وهي الغاية القصوى والنهاية العظمى التي شمر اليها السابقون وتنافس فيها المتنافسون واتفق الانبياء والمرسلون والصحابة والتابعون وأئمة السلف والدين على ثبوتها في دار القرار من غير شك ولا انكار وانما أنكرها أهل البدع والضلال والتجهم والاعتزال قال الله تعالى في محكم الذكر (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) وقال (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) وقال في حق أهل الكفر والفجور (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وقال تعالى (ولدينا مزيد) وأخرج مسلم والترمذي وابن ماجه عن صهيب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى تريدون شيئا أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب اليهم من النظر الى ربهم» ثم تلا هذه الآية (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) يعني أنه يرفع الموانع عن الادراك عن أبصارهم حتى يروه على ماهو عليه من نعوت العظمة والجلال فذكر الحجاب انما هو حق الخلق لا الخالق كذا قال القرطبي في تذكرته وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان الله يبعث يوم القيامة مناديا ينادي بصوت يسمعه أولهم وآخرهم ياأهل الجنة ان الله وعدكم الحسنى وزيادة الجنة الحسنى والزيادة النظر الى وجه الرحمن» وأخرج ابن جرير وابن مردويه أيضا واللالكائي في السنة عن كعب بن عجرة مرفوعا مثله وأخرجوا أيضا وابن أبي حاتم مثله عنه مرفوعا وابن مردويه عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله وابن مردويه أيضا وأبو الشيخ واللالكائي عن أنس رضي الله عنه مرفوعا الحسنى والزيادة كالذي قبله سواء ومن حديث أبي هريرة كذلك رواه أبو الشيخ وعن الصديق رضي الله عنه موقوفا مثله رواه ابن جرير وابن مردويه وابن

المنذر وأبو الشيخ واللالكائي والآجري وابن مردويه عن علي رضي الله عنه رواه ابن مردويه وعن حذيفة رضي الله عنه رواه ابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ واللالكائي والآجري وكذا عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه ومثله عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من الصحابة رضي الله عنهم ومثله عن سعيد بن المسيب والحسن البصري وعبد الرحمن بن أبي ليلى وعامر بن سعيد البجلي وأبي اسحق السبعي وعبد الرحمن بن سابط وعكرمة ومجاهد وقتادة وغيرهم من التابعين قال الامام الحافظ البيهقي في كتاب الرؤية هـذا تفسير قد استفاض واشتهر فيما بين الصحابة والتابعين ومثله لايقال الا بتوقيف وفسروا قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) قال ابن عباس رضي الله عنهما حسنها(١) الى ربها ناظرة قال نظرت الى الخالق وقال عكرمة ناضرة من النعيم الى ربها ناظرة قال تنظر الى الله نظراً وقال الحسن الناضرة الحسن الى ربها ناظرة نظرت الى ربها فنضرت بنوره وقال كعب القرظي نضر الله تلك الوجوه وحسنها للنظر اليه ومثله عن مجاهد وأخرج ابن أبي حاتم واللالكائي عن الحسن في قوله (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) قال اذا كان يوم القيامة برز رب العالمين تبارك وتعالى فيراه الخلق ويحجب الكفار فلايرونه وروى اللالكائي عن أشهب قال سأل رجل مالكا هل يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة فقال مالك لولم يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعاقب الكفار بالحجاب فقال (كلاانهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) قيل فان قوما يزعمون أن الله لايرى فقال مالك السيف السيف وأخرج اللالكائي عن المزني قال سمعت الشافعي يقول في قوله تعالى (كلاانهم عن ربهم يومئذ لمحجوبين) فيها دلالة على أن أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة ونقل ذلك عن الامام الشافعي رضي الله عنه من عدة وجوه وقال الطبراني قال علي بن أبي طالب وأنس بن مالك رضي الله عنهما في قوله تعالى (لهم مايشاؤن فيها ولدينا مزيد) هو النظر الى وجه الله عز وجل وقاله من التابعين زيد بن وهب وغيره كما

---

(١) لعله حسنة لانه تفسير لناضرة وهذا الذي قاله المصنف رواه البخاري عن الحسن الآتي قال حسنة بدل حسنها كما صححنا ، وتنظر الى الخالق عز وجل بدل نظرت الى الخالق ، ورواه عنه ابن جرير ولم يذكر عن ابن عباس شيئا فيها

في حادي الارواح فهذه تفاسير هذه الآيات مسندة عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين بلغت مبلغ التواتر عند أئمة الحديث

واما الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم الوارده في الرؤية فأخرج اللالكائي في السنة من طريق مفضل بن غسان قال سمعت يحيى بن معين يقول عندي سبعة عشر حديثا في الرؤية كلها صحاح وقد ورد ذلك من حديث الصديق وأنس وجابر وجرير البجلي وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت وصهيب وعبادة بن الصامت وابن عباس وابن عمر وابن مسعود ولقيط بن عامر وأبيّ بن رزين وعلي بن أبي طالب وعدي بن حاتم وعمار بن ياسر وفضالة بن عبيد وأبي سعيد الخدري وأبي موسى الاشعري وبريدة بن الحصيب الاسلمي رضي الله عنهم أجمعين ففي البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن ناسا قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر» قالوا لا يارسول الله قال «تضارون في رؤية الشمس ليس دونها حجاب» قالوا لا قال «فانكم ترونه كذلك» الحديث وفي الصحيحين وغيرهما عن جرير البجلي قال كنا جلوسا مع النبي صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة أربعة عشر فقال «انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هـذا لاتضارون في رؤيته فان استطعتم أن لاتغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا» ثم قرأ (فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) وقد عدد في حادي الارواح رواة من روى رؤية الباري عز وجل فزادوا عن الحد قال العلماء كأن التشبيه للرؤية وهو فعل الرائي لاالمرئيّ والمعنى ترون ربكم رؤية ينزاح معها الشك وتنتفي معها الريبة كرؤيتكم القمر لاترتابون ولا تمترون وفي لفظ لاتضامون وروي بتخفيف الميم وضم أوله من الضيم أي لايلحقكم في رؤيته ضيم ولا مشقة وبتشديدها والفتح على حذف احدى التائين والاصل لاتتضامون أي لا يضامّ بعضكم بعضا كما يفعل الناس في طلب الشيء الخفي الذي لا يسهل ادراكه فيتزاحمون عند ذلك ينظرون الى جهة يضام بعضهم بعضا يريد انكم ترونه وكل واحد في مكانه وفي الصحيحين وغيرهما أيضا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناسا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم

قالوا يارسول الله هـل نرى ربنا يوم القيامـة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «نعم فهل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب قالوا لا يارسول الله قال ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة الا كما تضارون في رؤية أحدهما» الحديث وأخرج الترمذي عن سعيد بن المسيب أنه لقي أباهريرة فقال أبو هريرة أسأل الله ان يجمع بيني وبينك في سوق الجنة قال سعيد افيها سوق قال نعم أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اهل الجنة اذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم ثم يؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة فتوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أدناهم وما فيهم من دني على كثبان المسك والكافور وما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسا قلت يارسول الله هل نرى ربنا قال «نعم هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البـدر قلنا لا قال كذلك لا تمارون في رؤية ربكم ولا يبقى في ذلك المجلس رجـل الا حاضره الله محاضرة حتى يقول للرجل منهم يافلان بن فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا فيذكره ببعض غـدراته في الدنيا فيقول يارب أفلم تغفر لي فيقول بلى بسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه» الحديث والاحاديث في ذلك كثيرة جدا في الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها وقد قيل لابن عباس رضي الله عنهما من دخل الجنة يرى الله عز وجل قال نعم وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه يحشر الناس يوم القيامة في صعيد واحد فينادى أين المتقون فيقومون في كنف الرحمن لا يحتجب الله منهم ولا يستتر فقيل له من المتقون قال قوم اتقوا الشرك وعبادة الاوثان وأخلصوا لله العبادة فيمرون الى الجنة ولهذه الاخبار اشار بقوله

﴿ لانه سبحانه لم يحجب الاعن الكافر والمكذب ﴾

(لانه) أي الرب (سبحانه) وتعالى (لم يحجب) بضم التحتية وسكون الحاء المهملة وفتح الجيم مبنيا لما لم يسم فاعله أي لم يمتنع سبحانه من أن يمكن عباده من رؤيته في دار القرار (الا عن الكافر) بالله تعالى وبكل مكذب اتصف به فكل من حكم الشرع بكفره

فهو محجوب عن رؤية ربه قال علي بن المديني سألت عبدالله بن المبارك عن رؤية الله تعالى فقال ماحجب الله عزوجل أحداعنه الاعذبه ثم قرأ(كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون * ثم انهم لصالوا الجحيم * ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون) قال الرؤية فقلت له ياأباعبدالله انعندنا قوم من المعتزلة ينكرون هذه الاحاديث ان الله ينزل الى سماء الدنيا وان أهل الجنة يرون ربهم فحدثني بنحو عشرة أحاديث في هذا وقال اما نحن فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين والتابعون أخذوه عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم عن من أخذوا. وقال عقبة بن قبيصة أتينا أبانعيم يوما فنزل الينا من الدرجة التي في داره فجلس وسطها كانه مغضب وقال حدثناسفيان ابن سعيد ومنذر الثوري وزهير ابن معاوية وحدثنا حسن بن صالح وحدثنا شريك بن عبد الله النخعي وهؤلاء أبناء المهاجرين يحدثوننا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يرى في الآخرة حتى انيهوديا صباغا يزعم ان الله لايرى يعني بشر المريسي وقال عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون لم يزل يملي لهم يعني المبتدعة من الجهمية أو اضرابهم الشيطان حتى جحدوا قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) فقالوا لايراه أحد يوم القيامة فجحدوا والله أفضل كرامة الله التي أكرم بها أولياءه يوم القيامة من النظر الى وجهه الكريم ونضرته اياهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر فورب السماء والأرض ليجعلن رؤيته يوم القيامة للمخلصين له ثوابا لينضر بها وجوههم دون المجرمين ويفلج بها حجتهم على الجاحدين وهم عن ربهم يومئذ محجوبون لايرونه كما زعموا انه لايرى ولايكلمهم ولاينظر اليهم ولهم عذاب أليم ولذا قلنا ﴿ و ﴾ يحجب أيضا عن ﴿ المكذب ﴾ برؤيته وبتكليمه لعباده المتقين وكما أشار اليه الامام عبدالله بن المبارك في قوله تعالى (كلاانهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون * ثم انهم لصالوا الجحيم * ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون) قال بالرؤية كما ذكره بن أبي الدنيا وقال سيدنا الامام أحمد رضي الله عنه من لم يقل بالرؤية فهو جهمي وقال وقد بلغه عن رجل قال ان الله لايرى فى الآخرة فغضب غضبا شديدا وقال من قال ان الله لايرى في الآخرة فهو كافر اوفقد كفر عليه لعنة الله وغضبه كائنا من كان من الناس أليس

يقول الله عزوجل (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) وقال - (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وقال أبو داود سمعت الامام أحمد يقول من قال ان الله لا يرى في الآخرة فهو كافر وقال أبو بكر المروذي قيل لابي عبدالله رضي الله عنه تعرف عن يزيد بن هرون عن أبي المطوف عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه ان استقر الجبل فسوف تراني وان لم يستقر فلا تراني في الدنيا ولا في الآخرة فغضب أبو عبدالله غضبا شديدا حتى تبين في وجهه وكان قاعدا والناس حوله فأخذ نعله وانتعل وقال اخزى الله هذا لا ينبغي ان يكتب عن هذا ودفع عن يزيد بن هارون رواه أوحدث به وقال هذا جهمي كافر مخالف لما قال الله عزوجل (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) وقال (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) يخزي الله هذا المحدث وقال الامام أحمد أيضا من كذب بالرؤية فهو زنديق قال رضي الله عنه نؤمن بها أي الرؤية وأحاديثها ونعلم أنها حق فنؤمن بأن الله يرى نرى ربنا يوم القيامة لا نشك فيه ولا نرتاب وقال من زعم ان الله لا يرى في الآخرة فقد كفر بالله وكذب بالقرآن ورد على الله أمره يستتاب فان تاب والا قتل وقال في رواية حنبل وسأله عن أحاديث الرؤية فقال هذه أحاديث صحاح نؤمن بها ونقربها وكل ماروي عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد جيد أقررنا به وقال أبو عبدالله اذا لم نقر بما (١) عن النبي صلى الله عليه وسلم ودفعناه رددنا على الله أمره قال الله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)

﴿ فوائد ﴾

(الاولى) قال العلامة ابن حمدان في كتابه نهاية المبتدين كسائر علماء السنة ونجزم بأن المؤمنين يرون ربهم تعالى يوم القيامة بالابصار ويكلمهم على ما يليق به فيها ولا يراه الكفار ولا يكلمهم قال ومن أنكر الرؤية كفر نص عليه الامام أحمد انتهى وفي حادي الارواح الرب سبحانه وتعالى يرى ولا يدرك كما يعلم ولا يحاط به وهذا هو الذي فهمه الصحابة رضي الله عنهم من قوله تعالى (لا تدركه

(١) كتب الناسخ في هامش نسختنا أن نسخة المصنف هكذا واصل المحذوف «جاء»

الابصار وهو يدرك الابصار) قال ابن عباس رضي الله عنهما لا تدركه الابصار ولا تحيط به الابصار وقال قتادة هو أعظم من ان تدركه الابصار وقال عطية ينظرون الى الله ولا تحيط أبصارهم به من عظمته و بصره تعالى يحيط بهم فذلك قوله تعالى (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) فالمؤمنون يرون ربهم تبارك وتعالى بابصارهم عيانا ولا تدركه أبصارهم بمعنى أنها لا تحيط به اذا كان غير جائز ان يوصف الله عز وجل بأن شيئا يحيط به وهو بكل شيء محيط وهكذا يسمع كلامه من شاء من خلقه ولا يحيطون بكلامه فقوله تعالى (لا تدركه الابصار) من أدل شيء على انه يرى ولا يدرك فهو لعظمته يتعالى عن أن تدركه الابصار ولا تحيط به وللطفه وخبرته يدرك الابصار فلا يخفى عليه شيء فهو عظيم في لطفه اللطيف في عظمته العالي في قربه القريب في علوه الذي (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير — لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير) انتهى ملخصا

(الثانية) ذهب جماعة من العلماء منهم الحافظ عماد الدين بن كثير الى ان النساء يرين الله تبارك وتعالى في الآخرة وذهب جماعة أيضا منهم العز بن عبد السلام وتبعه صاحب آكام المرجان وابن جماعة الى أن الملائكة لا يرون الله أيضا تبارك وتعالى في الجنة وهذا خلاف التحقيق فان النص الصريح والخبر الصحيح يرد هذا ويبعده و يبطله و يدحضه و يطرده فعند الدارقطني مرفوعا «اذا كان يوم القيامة رأى المؤمنون ربهم عز وجل فأحدثهم عهدا بالنظر اليه في كل جمعة قال ويراه المؤمنات يوم الفطر ويوم الاضحى» أي في مثل يوم الفطر ويوم الاضحى وعموم الاحاديث الصحيحة شاملة للنساء من غير توقف وأخرج الآجري عن عكرمة قال قيل لابن عباس رضي الله عنهما كل من يدخل الجنة يرى الله تعالى قال نعم وأخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (رب أرني انظر اليك) قال ياموسى انه لن يراني أحد الا مات ولا يابس الا تدهده ولا رطب الا تفرق وانما يراني أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم» وبظاهر حديث الدارقطني أخذ ابن كثير فاختار ان النساء يرين ربهن في الاعياد دون الجمع وبه جزم الحافظ السيوطي

لكنه يحتاج الى دليل خاص أقوى من حديث الدارقطني واستثنى الحافظ السيوطي زوجات الانبياء عليهم السلام و بناتهم فيرينه تعالى في غير الاعياد كما ان أبا بكر وعمر يريانه تعالى أزيد من غيرهما من غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام قلت ومريم ابنة عمران وامرأة فرعون ينبغي أن تكونا من المستثنيات وكذا نحوهما كأم موسى وأخته والله أعلم وفي آخر البدور السافرة للحافظ السيوطي وقع في كلام بعض الأئمة ان رؤية الله تعالى خاصة بمؤمني البشر وان الملائكة لايرونه واحتج له بقوله تعالى (لا تدركه الابصار) فانه عام خص منه بالآية والاحاديث في المؤمنين فيبقى على عمومه في الملائكة قال السيوطي وقد نص البيهقي على خلافه فقال في كتاب الرؤية ذكر ماجاء في رؤية الملائكة ربهم فأخرج عن عبدالله بن العاص رضي الله عنهما قال خلق الله الملائكة لعبادته أصنافا وان منهم الملائكة قياما صافين من يوم خلقهم الى يوم القيامة وملائكة ركوعا خشوعا من يوم خلقهم الى يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة تجلى لهم تبارك وتعالى فاذا نظروا الى وجهه الكريم قالوا سبحانك ماعبدناك حق عبادتك ثم أخرج من وجه آخر عن عدي بن ارطاة عن رجل من الصحابة رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لله ملائكة ترعد فرائصهم من مخافته ماعندهم ملك ماتقطر دمعة من عينه الا وقعت ملكا يسبح وملائكة سجودا منذ خلق الله السموات والارض لم يرفعوا رؤسهم ولا يرفعونها الى يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة تجلى لهم ربهم فينظرون اليه قالوا سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لك انتهى والحق الذي لامرية فيه أنهم يرونه تعالى بل ومؤمنو الجن يرونه اما في الموقف فجزما مع سائر المؤمنين وأما في الجنة ففي بعض الأوقات على مايظهر بل الظاهر أنهم يرونه الا انهم دون مؤمني الانس في الرؤية في كل جمعة

والحاصل ان رؤية الرب جل جلاله في الموقف حاصلة حتى للانبياء والرسل والصديقين من كل أمة ورجال المؤمنين من البشر من هذه الامة واختلف في غيرهم وقد جزم الحافظ ابن رجب في اللطائف بأن كل يوم عيد للمسلمين في الدنيا فانه عيد لهم في الجنة يجتمعون فيه على زيارة ربهم ويتجلى لهم فيه فينظرون اليه فا

أعطاهم شيئاً هو أحب اليهم من ذلك وهو الزيادة التي قال الله تعالى فيها (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) ويوم الجمعة في الجنة يدعى يوم المزيد (١) ويوما الفطر والاضحى يجتمع أهل الجنة فيهما قال الحافظ ابن رجب في اللطائف روى أنه يشارك النساء الرجال فيهما كما كن يشهدن العيدين مع الرجال دون الجمعة قال فهذا لعموم أهل الجنة فاما خواصهم فكل يوم لهم عيد يزورون فيه ربهم كل يوم مرتين بكرة وعشيا لان الخواص كانت أيام الدنيا كلها لهم أعياداً فصارت أيامهم في الآخرة كلها أعيادا قال الحسن رحمه الله تعالى كل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد فاليوم الذي

(١) قال الفاسي في شرح دلائل الخيرات و يوم المزيد هو اسم يوم الجمعة في الجنة وفيه تقع الرؤيا حسبما في الاحاديث عنه صلى الله عليه وسلم الا انه يؤذن بثبوت الايام في الجنة وهي لا ليل فيها اذ لا ظلام فيها فلعلهم تخلق لهم تفرقة أخرى بين الايام بغير الظلام والله أعلم ولعلها بنور يزداد عند تمام اليوم ثم اما ان يقع للتفرقة و ينقطع ثم يأتي اليوم بعده على النور المعتاد واما ان يبقى الى تمام اليوم فيكون هو مبدء اليوم ثم يأتي اليوم الذي بعده أنور منه وهكذا كل يوم أنور من الذي قبله فيكون نور الجنة في الترقي على الدوام وذلك الترقي هو الايام ومبدء كل ترق هو مبدأ كل يوم وهذا هو المناسب لحال الجنة كما انهم في جمال صورهم وحسن ثيابهم في الترقي على الدوام حسبما في الحديث والله أعلم ثم وجدت في البدور السافرة مما أخرجه سعيد بن منصور وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما وابن المبارك عن الضحاك في قوله تعالى (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) انهم يؤتون رزقهم في الآخرة على مقدار ما يؤتون به في الدنيا من الليل والنهار وأخرج ابن المنذر عن بعض السلف سماه أنه سئل عن الآية فقال ليس في الجنة ليل هم في نور أبدا لهم مقدار النهار برفع الحجب ومقدار الليل بارخاء الحجب وأخرج الحكيم الترمذي في النوادر عن الحسن وأبي قلابة قالا قال رجل يارسول الله هل في الجنة من ليل فان الله يقول في كتابه (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قال ليس هناك هو ضوء ونور برد الغدو على الرواح والرواح على الغدو ويأتيهم طرف الهدايا لمواقيت الصلاة التي كانوا يصلون فيها وتسلم عليهم الملائكة انتهى بحروفه — من هامش الاصل

يقطعه المؤمن في طاعة مولاه وذكره وشكره فهو له عبد انتهى ملخصا وفي التذكرة للقرطبي ان الناس يرون ربهم في الموقف ثم يحجبون الى أن لا يبقى في النار من يدخل الجنة أحد فيؤذن لهم فيرونه في الجنة ثم لا يحجبون بعد ذلك أصلا ولا في حال تمتعاتهم وقد قيل الكفار كالمنافقين يرونه تعالى ثم يحجبون عنه فتكون الحجبة حسرة عليهم وخص النووي الخلاف بالمنافق واما الكافر غير المنافق فلا يراه تعالى اتفاقا كما لا يراه غير العقلاء من سائر الحيوانات والله تعالى أعلم

(الثالثة) اختلف العلماء في رؤية خاتم الانبياء لربه آية الارض والسماء في ليلة المعراج التي هي في حقه صلى الله عليه وسلم أفضل من ليلة القدر واسمى فاثبتها حبر الامة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ورجحه النووي وقال والحاصل ان الراجح عند أكثر العلماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعيني رأسه ليلة الاسراء لحديث ابن عباس رضي الله عنهما وهذا قول أنس وعكرمة والحسن والربيع بن سليمان وجماعة من المفسرين قال القرطبي قد ثبت ذلك يعني رؤية الباري جل شأنه سمعا بقوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) واذا جازت في الآخرة جازت في الدنيا لتساوي الوقتين بالنسبة الى المولى كذا قال وقال القاضي عياض رؤية الله تعالى جائزة عقلا وثبت الاخبار الصحيحة المشهورة وقوعها للمؤمنين في الآخرة واما في الدنيا فقال مالك انما لم ير سبحانه في الدنيا لانه باق والباقي لا يرى بالفاني فاذا كان في الآخرة رزقوا أبصارا باقية فرأوا الباقي بالباقي قال القاضي عياض وليس في الكلام استحالة الرؤية الا من حيث القدرة فاذا قدر الله من شاء من عباده عليها لم يمتنع وقد وقع في صحيح مسلم ما يؤيد هذه التفرقة في حديث مرفوع فيه (واعلموا انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا) وأخرجه ابن خزيمة من حديث أبي امامة ومن حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنهما فان جازت الرؤية في الدنيا عقلا فقد امتنعت سمعا لكن من أثبتها للنبي صلى الله عليه وسلم له أن يقول ان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه كذا في الفتح قال وقد اختلف السلف في رؤية النبي صلى عليه وسلم ربه فذهب جماعة الى اثباتها وحكى عبد الرزاق عن معمر عن الحسن انه حلف ان محمدا رأى ربه وجزم ابن خزيمة عن عروة بن الزبير باثباتها وكان يشتد عليه اذا ذكر له إنكار عائشة وبه قال سائر

أصحاب ابن عباس رضي الله عنهما وجزم به كعب الأحبار والزهري وصاحبه معمر وآخرون وهو قول الأشعري وغالب أتباعه ثم اختلفوا هل رآه بعينه أو بقلبه وعن الامام أحمد رضي الله عنه كالقولين قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري جاءت عن ابن عباس رضي الله عنهما أخبار مطلقة وأخرى مقيدة قال فيجب حمل مطلقها على مقيدها فمن ذلك ما أخرجه النسائي بسند صحيح وصححه الحاكم أيضا من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما اتعجبون أن تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد وأخرجه ابن خزيمة بلفظ ان الله اصطفى ابراهيم بالخلة الحديث وأخرج ابن اسحق من طريق عبد الله بن أبي سلمة ان ابن عمر أرسل الى ابن عباس رضي الله عنهم هل رأى محمد ربه فأرسل اليه ان نعم ومنها ما أخرجه مسلم من طريق أبي العالية عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى . ولقد رآه نزلة أخرى) قال رأى ربه بفؤاده مرتين وله من طريق عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رآه بقلبه وأصرح من ذلك ما أخرجه ابن مردويه من طريق عطاء عن ابن عباس أيضا قال لم يره رسول الله صلى الله عليه وسلم بعينه انما رآه بقلبه وروى ابن خزيمة باسناد قوي عن أنس رضي الله عنه قال رأى محمد ربه وعند مسلم من حديث أبي ذر انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال «نور أنى أراه» وللامام أحمد عنه قال صلى الله عليه وسلم «رأيت نورا» ولابن خزيمة عنه قال رآه بقلبه ولم يره بعينه وبهذا يتبين مراد أبي ذر رضي الله عنه بذكر النور أي ان النور حال بين رؤيته له ببصره

والحاصل ان في هذه المسئلة ثلاثة أقوال أحدها ثبوت رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه وهو قول ابن عباس واتباعه وهو ظاهر ما ذهب اليه الامام أحمد رضي الله عنه فقد روى الخلال في كتاب السنة عن أبي بكر المروذي قال قلت لاحمد انهم يقولون ان عائشة قالت من زعم ان محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية فبأي شيء يدفع قولها قال بقول النبي صلى الله عليه وسلم «رأيت ربي» قول النبي صلى الله عليه وسلم أكبر من قولها وجنح ابن خزيمة في كتاب التوحيد الى ترجيح الاثبات واطنب في الاستدلال له بما يطول ذكره وحمل ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما من قوله انما رآه بقلبه على ان الرؤيا وقعت

مرتين مرة بعينه ومرة بقلبه

(الثاني) منع ذلك في الدنيا وهو قول عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما قالت رضي الله عنها من زعم ان محمدا رأى ربه بعين رأسه فقد أعظم الفرية على الله وروى الترمذي عن الشعبي قال لقي ابن عباس رضي الله عنهما كعبا بعرفة فسأله عن شيء فكبر حتى جاوبته الجبال فقال ابن عباس انا بنو هاشم وزاد عبد الرزاق تقول ان محمدا رأى ربه مرتين فقال كعب ان الله قسم رؤيته وكلامه زاد عبد الرزاق بين موسى ومحمد فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين قال مسروق فدخلت على عائشة فقلت هل رأى محمد ربه قالت لقد قف شعري أي قام من الفزع الحاصل عندها من هيبة الله واعتقاده من تنزيهه تعالى واستحالة وقوع ذلك ثم قالت له أين أنت من ثلاث آيات من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب وفي لفظ من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ثم قرأت (لا تدركه الابصار وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب) ولكن رأى جبريل في صورته مرتين وفي صحيح البخاري ومسلم وسنن الترمذي أن مسروقا قال قلت لعائشة يا أمتاه أصله يا أم والهاء للسكت فأضيف اليها ألف الاستغاثة وأبدلت تاء وزيدت هاء السكت بعد الألف قالت لقد قف شعري مما قلت أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت الآيتين ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا) ومن حدثك أنه كتم شيئا من كتاب الله فقد كذب ثم قرأت (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك) الآية ولكنه رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين ووافق عائشة رضي الله عنها على ما ذهبت اليه من أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ير ربه بعيني رأسه جماعة من الصحابة منهم ابن مسعود وأبو هريرة وغيرهم رضي الله عنهم وبه قال جمع من العلماء بل نقل الدارمي الحافظ اجماع الصحابة على ذلك واعترض الامام النووي وغيره على من ذهب الى مذهب عائشة بأنها رضي الله عنها لم تنف وقوع الرؤية بحديث مرفوع ولو كان معها لذكرته وانما اعتمدت الاستنباط على ما ذكرت من ظاهر الآية

وقد خالفها غيرها من الصحابة والصحابي اذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن ذلك القول حجة اتفاقا والمراد بنفي الادراك في الآية الكريمة نفي الاحاطة وذلك لا ينافي الرؤية انتهى كما قدمنا ذلك موضحا وجزمه بأن عائشة رضي الله عنها لم تنف الرؤية بحديث مرفوع تبع فيه ابن خزيمة فانه قال في كتاب التوحيد من صحيحه النفي لا يوجب علما قال ولم تحك عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرها انه لم ير ربه وانما تأولت الآية انتهى وهذا عجيب منهما ففي الصحيحين والترمذي وغيرهما أن مسروقا قال كنت متكئا عند عائشة رضي الله عنها فقالت يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بهن فقد أعظم على الله الفرية قال وكنت متكئا فجلست فقلت يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني ألم يقل الله (ولقد رآه بالافق المبين – ولقد رآه نزلة أخرى) فقالت أنا أول هذه الامة سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «انما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطا من السماء سادا أعظم خلقه ما بين السماء الى الارض ثم قالت أولم تسمع أن الله تعالى يقول (لا تدركه الابصار) وقرأت الآيتين وأخرجه ابن مردويه من طريق أخرى باسناد مسلم فقالت أنا أول من سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا فقلت يارسول الله هل رأيت ربك فقال لا انما رأيت جبريل منهبطا نعم خالف ابن عباس عائشة رضي الله عنهم باحتجاجها بالآية الكريمة فأخرج الترمذي من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رأى محمد ربه قلت أليس الله يقول (لا تدركه الابصار) قال ويحك ذاك اذا تجلى بنوره الذي هو نوره وقد رأى ربه مرتين وقال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ما نقل عن الامام أحمد رضي الله عنه من اثبات رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه انما يعني رؤية المنام فانه سئل عن ذلك قال نعم رآه فان رؤيا الانبياء حق ولم يقل انه رآه بعين رأسه وقال شيخ الاسلام أيضا ابن عباس رضي الله عنهما لم يقل أنه صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعيني رأسه يقظة ومن حكى عنه ذلك فقد وهم وهذه نصوصه موجودة ليس فيها شيء من ذلك قال ولفظ الامام أحمد كلفظ ابن عباس قال وأهل السنة متفقون على أن الله تعالى لا يراه أحد بعينه

في الدنيا الا نبي ولا غير نبي ولم يقع الدراع الا في نبينا صلى الله عليه وسلم خاصة مع أن الاحاديث المروية ليس في شيء منها انه رآه وانه روي ذلك اسناده موضوع باتفاق أهل الحديث انتهى

واذا علم ما حررناه فيمكن الجمع بين اثبات ابن عباس ونفي عائشة رضي الله عنهما بأن يحمل نفيها على رؤية البصر واثباته على رؤية القلب كما قاله الحافظ ابن حجر في شرح البخاري ثم المراد برؤية الفؤاد رؤية القلب لا مجرد حصول العلم لانه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله على الدوام بل مراد من أثبت له أنه رآه بقلبه ان الرؤية التي حصلت له خلقت في قلبه كما تخلق الرؤية بالعين لغيره والرؤية لا يشترط لها شيء مخصوص عقلا ولو جرت العادة بخلقها في العين وقدمر عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سأله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال «نور أنى أراه» ورواه الترمذي أيضا بهذا اللفظ ورواه الامام أحمد عنه قال «رأيت نورا» ولابن خزيمة عنه قال رآه بقلبه ولم يره بعينه قال الحافظ ابن حجر وبهذا تبين مراد أبي ذر بذكر النور اي ان النور حال بين رؤيته له ببصره وقال الامام المحقق ابن القيم في عدة مواضع من كتبه كاعلام الموقعين والجيوش وغيرهما سمعت شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول معناه كان ثم نور وحال دون رؤيته نور فأنى أراه ويدل عليه ان في بعض ألفاظ الصحيح هل رأيت ربك فقال الحديث رأيت نورا قال المحقق ابن القيم وقد اعضل أمر هذا الحديث على كثير من الناس حتى صحفه بعضهم فقال نوراني أراه على انها ياء النسبة والكلمة واحدة وهذا خطأ لفظا ومعنى وانما أوجب لهم هذا الفهم انهم لما اعتقدوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه وكان قوله أنى أراه كالانكار للرؤية حاروا في الحديث وبعضهم رده باضطراب لفظه وكل هذا عدول عن موجب الدليل قال المحقق ابن القيم ويدل على ما قاله شيخنا قوله صلى الله عليه وسلم حجابه النور فهذا النور والله أعلم هو النور المذكور في حديث أبي ذر انتهى وذكر ابن الاثير في حل الفاظ جامع الاصول ان الامام أحمد رضي الله عنه سئل عن حديث أبي ذر هذا فقال مازلت منكرا لهذا الحديث وما أدري ما وجهه وقال ابن خزيمة في القلب من صحة هذا الخبر شيء وقال بعض العلماء في هذا الحديث قد أجمعا على انه تعالى

ليس بنور وخطأنا المجوس في قولهم هو نور والأنوار أجسام والباري سبحانه وتعالى ليس بجسم والمراد بهذا الحديث انحجابه سبحانه النور وكذلك روي في حديث أبي موسى رضي الله عنه فالمعنى كيف أراه وحجابه النور والله أعلم

(الثالث) الوقف عن القطع بالنفي أو الاثبات في هذه المسئلة وقد رجح هذا جماعة منهم القرطبي في المفهم في شرح صحيح مسلم فانه قال الوقف في هذه المسئلة أرجح وعزاه لجماعة من المحققين وقواه بانه ليس في الباب دليل قاطع وغاية مااستدل به للطائفتين ظواهر متعارضة قابلة للتأويل قال وليست المسئلة من العمليات فيكتفى فيها بالادلة الظنية وانما هي من المعتقدات فلا يكتفى فيها الا بالدليل القطعي ومن استنار قلبه لاقتفاء الآثار وخلع ربقة التقليد التي هي منشار التغيير في وجوه الاخبار علم ان السلامة في التسليم وفوق كل ذي علم عليم وبالله التوفيق

الباب الخامس

(في ذكر النبوة وذكر محمد صلى الله عليه وسلم وذكر بعض الانبياء وفضله وفضل أصحابه وأمته صلى الله عليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين وسلم وعظم وكرم)

اعلم ان حاجة الخلق الى ارسال الرسل وبعثة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ضرورية لاينتظم لهم حال ولا يصلح لهم دين ولا بال الا بذلك فهم أشد احتياجا الى ذلك من ارسال المطر والهواء بل ومن النفس الذي لا بد لهم منه كما في مفتاح دار السعادة للمحقق ابن القيم رحمه الله تعالى واحالة السمنية ارسال الرسل لتوقفه على علم المرسل بمن أرسله ولا طريق اليه الا الخبر واعلا أنواعه المتواتر وهو لا يفيد عندهم علما فلعل القائل له أرسلك الى قول كذا شيطان مثلا وزعمت البراهمة وهم طائفة من المجوس ان ارسال الرسل عبث لا يليق بالحكيم لاغناء العقل عن الرسل لان ماجاء به الرسول ان كان موافقا للعقل حسنا عنده فهو يفعله وان لم يأت به وان

كان مخالفا له قبيحا فإن احتاج اليه فعله والا تركه وقالت المعتزلة بوجوب ذلك على الله تعالى بالنظر الى ذاته والحق انه جائز عقلا في حقه تعالى واجب سمعا وشرعا والى ذلك أشار بقوله

﴿ ومن عظيم منة السلام ولطفه بسائر الانام ﴾
﴿ ان أرشد الخلق الى الوصول مبينا للحق بالرسول ﴾

{ ومن عظيم منة } الرب { السلام } المنة مأخوذة من المن وهو الاحسان الى من لا يستثيبه ولا يطلب الجزاء عليه ومن أسماء الله تعالى المنان وهو المنعم المعطي من المن وهو العطاء وقد يقع المنان على الذي لا يعطي شيئا الامنه واعتد به على من أعطاه وهو مذموم لان المنة تفسد الصنيعة اذا كانت من غير الباري جل وعلا والسلام من أسمائه تعالى ومعناه ذو السلامة من كل عيب ونقيصة فيكون من أسماء التنزيه وقيل معناه مالك تسليم العباد من المهالك فيرجع الى معنى القادر وقيل ذو السلام على المؤمنين في الجنان فيرجع الى الكلام القديم الازلي قال تعالى (سلام قولا من رب رحيم) والفرق بين القدوس والسلام ان القدوس فيه اشارة الى انه بريء من جميع العيوب والنقائص في الماضي والحاضر والسلام فيه اشارة الى انه لا يطرأ عليه شيء من ذلك في المستقبل { و } من عظيم { لطفه } تعالى أي رفقه { بسائر } أي جميع { الانام } كسحاب والآنام بالمد والأنيم كأمير الخلق أو الانس والجن وجميع ما على وجه الارض أي من رفقه تعالى بهم في العمل والعلم بدقائق المصالح وإيصالها الى من قدرها له من خلقه يقال لطف به وله بالفتح يلطف لطفا اذا رفق به واما لطف بالضم يلطف فمعناه صغر ودق ومن أسماء الله تعالى اللطيف وهو الذي اجتمع له الرفق في الفعل والعلم وإنما عدل عن قوله منة المنان ولطفه بسائر الانسان لعدم شمول نحو الجن فبسبب عموم الانام على الانسان عدل اليه لان الانسان كالانس البشر والمنة بارسال الرسل شاملة للثقلين بل لكل الخلق والله أعلم

{ ان } بفتح الهمزة وسكون النون حرف مصدري تسبك مع ما بعدها بمصدر { أرشد } أي هدى ودل ودعا سبحانه وتعالى يقال رشد كنصر وفرح رشدا

ورشدا ورشادا هدي واسترشد طلب الرشد والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه والرشيد من أسماء الله تعالى الهادي الى سواء الصراط والذي حسن تقديره فيما قدر وان ومابعدها في تأويل مصدر مبتدأ والخبر قوله في البيت قبله ومن عظيم الخ والتقدير رشد الخلق الى الوصول كائن من عظيم منة السلام ﴿ الخلق ﴾ من الثقلين الانس والجن ﴿ إلى الوصول ﴾ الى معرفة الله تعالى وعبادته والقيام بما شرعه من التكليف الذي ثمرته الفوز بالسلامة الابدية والسعادة السرمدية والنعيم المقيم فى جنات النعيم رضى الرب الرحمن الرحيم والنظر اليه في دار القرار مع الاتقياء الاخيار والأولياء الابرار حال كونه تعالى ﴿ مبينا ﴾ أي مظهرا وموضحا ﴿ ل ﴾ نهج ا ﴿ لحق ﴾ وهو الحكم المطابق للواقع ويطلق على الاقوال والعقائد والاديان والمذاهب باعتبار اشتمالها على ذلك ويقابله الباطل ومن أسمائه تعالى الحق أو من صفاته واما الصدق فقد شاع في الاقوال ويقابله الكذب ويفرق بين الحق والصدق بأن المطابقة تعتبر في الحق من جانب الواقع والصدق من جانب الحكم فعلى هذا معنى صدق الحكم مطابقته الواقع ومعنى حقيته مطابقة الواقع إياه والمشهور فيهما مطابقة كل واحد منهما للواقع ﴿ بالرسول ﴾ متعلق بمبين والرسول انسان أوحي اليه بشرع وأمر بتبليغه فان لم يؤمر بتبليغه فنبي فقط وتقدم في صدر الكتاب وسئل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما في صحيح ابن حبان عن عدد الانبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر وفي رواية وأربعة عشر والاولى عدم حصرهم في عدد معين لان الحديث ضعيف وربما خالف قوله تعالى (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) فلا يؤمن من دخول من ليس منهم فيهم وخروج بعضهم عنهم وأولو العزم منهم خمسة محمد وابراهيم وموسى وعيسى ونوح عليهم الصلاة والسلام

﴿ تنبيهات ﴾

(الاول) في قوله ومن عظم منة السلام الى آخر البيتين اشارة الى ان ارسال الرسل وانزال الكتب وشرع الشرائع منة من الله تعالى وفضل لا واجب عليه ذلك وانما هو على سبيل التلطف بالخلق والفضل عليهم فبعثه تعالى جميع الرسل من آدم الى

محمد صلى الله عليه وسلم (وعليهم) أجمعين الى المكلفين لطفا من الله بهم ليبلغوهم عنه سبحانه أمره ونهيه ووعده ووعيده ويبينوا لهم عنه سبحانه ما يحتاجون اليه من أمور المعاش والمعاد مما جاؤا به من شرائعهم وأحكامهم التي أنزلها الله تعالى في كتبه عليهم اختصاصا كالقرآن العظيم واشترا كا كالتوراة لموسى وهارون ويوشع ومن بعدهم الى عيسى عليه وعليهم السلام حتى تقوم الحجة عليهم بالبينات ويقطع عنهم سائر التعللات كما قال تعالى (ولو انا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) وقوله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقوله (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) فلولا اعتذاره تعالى اليهم على ألسنة الرسل واقامة الحجة عليهم ببعثه أهل خيرته من ذوي النبوة والفضل لتوهموا أن لهم حجة سائغة ومعذرة بالغة لوجود (أحدها) ان يقولوا انا خلقنا ربنا لعبادته وما بين لنا العبادة التي يريدها ما ماهي ولا كم هي ولا كيف هي (ثانيها) ان يقولوا قد ركبنا ربنا في هيا كل وأجسام تقبل السهو والغفلة وسلط علينا الشيطان والشهوة والهوى فكان ينبغي ان يؤيدنا بما اذا سهونا نبهنا واذا مال بنا الهوى ردنا واذا وسوس الينا الشيطان منعنا بما يرشدنا اليه من الاذكار وغيرها (ثالثها) ان يقولوا هب انا نعلم بعقولنا حسن الايمان وقبح الكفر والعصيان لكنا لم يصل ادراك عقولنا الى أن من فعل القبيح عذب مع انا نحس ان لنا في معاطاة القبيح لذة وليس على الباري فيه مضرة ولم نعلم ان من آمن وعمل صالحا استحق الثواب مع ادرا كنا بعقولنا عدم العود بمنفعة له تعالى فلا جرم تقاضينا الشهوات وأقدمنا على ما فيه لنا اللذات فارسال الرسل لماضدة العقل أمر جائز في حقه وواجب وقوعا وسمعا بز يدهذا وضوحا (التنبيه الثاني) ان الرسالة ضرورية للعباد لاغنى لهم عنها وحاجتهم اليها فوق حاجتهم الى كل شيء فان الرسالة روح العالم ونوره وحياته فأي صلاح للعالم اذا عدم الروح والحياة والنور والدنيا مظلمة ملعونة كلها الا ما طلعت عليه شمس الرسالة وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة وتناله حياتها وروحها فهو في ظلمة وهو من الاموات قال الله تعالى (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها)

فهذا وصف المؤمن كان ميتا في ظلمة الجهل فأحياه الله بروح الرسالة و بنور الايمان وجعل له نورا يمشي به في الناس واما في الكافر فميت القلب في الظلمات وسمى الله تعالى رسالته روحا والروح اذا عدم فارقت الحياة قال تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا) الآية فالروح الحياة والنور لاضاءة الظلمة فالكافر في ظلمات الكفر والشرك وهو ميت غير حي وان كان فيه حياة بهيمية لكنه عادم الحياة الروحانية العلوية الناشئة عن الايمان و بها يحصل للعبد الفوز والسعادة والفلاح في الدنيا والآخرة فان الله تعالى جعل الرسل عليهم الصلاة والسلام وسائط بينه و بين عباده في تعريفهم ماينفعهم ومايضرهم وتكميل مايصلحهم في معاشهم ومعادهم فبعثوا جميعا بالدعوة الى الله تعالى وتعريف الطريق الموصل اليه و بيان حالهم بعد الوصول اليه فارشدوهم الى توحيده تعالى واثبات صفاته واثبات القدر وذكر أيام الله تعالى في أوليائه واعدائه وهي القصص التي قصها على العباد والامثال التي ضربها لهم وارشدوهم الى العلم بتفصيل الشرائع والامر والنهي والاباحة وبيان مايحبه الله ويكرهه وكذلك بينوا لهم وجوب الايمان باليوم الآخر والجنة والنار والثواب والعقاب وعلى هذه الثلاثة أصول مدار الخلق والامر والسعادة والفلاح موقوفة عليها ولا سبيل الى معرفتها الا من جهة الرسل فان العقل لايهتدي الى تفاصيلها ومعرفة حقائقها وان كان قد يدرك وجه الضرورة اليها من حيث الجملة كالمريض الذى يدرك وجه الحاجة الى الطب ومن يداويه ولا يهتدي الى تفاصيل المرض وتنزيل الدواء عليه وحاجة العبد الى الرسالة اعظم بكثير من حاجة المريض الى الطبيب فان آخر مايقدر بعدم الطبيب موت الابدان وأما اذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها مات قلبه موتا لاترجى الحياة معه أبدا وشقي شقاوة لاسعادة معها أبدا فلا فلاح الا باتباع الرسول فان الله تعالى خص بالفلاح اتباعه المؤمنين به وانصاره كما قال تعالى (فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون) أي لامفلح الا هم فالهدى والفلاح دائر حول ربع الرسالة وجودا وعدما قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه في قاعدة وجوب الاعتصام بالرسالة وهذا مما اتفقت عليه الكتب المنزلة من السماء و بعثت به جميع الرسل المرسلة وقال الرسالة

ضرورية في صلاح العبد في معاشه ومعاده فكما انه لاصلاح في آخرته الا باتباع الرسالة وكذلك لاصلاح له في معاشه ودنياه الا باتباع الرسالة فالانسان مضطر الى الشرع فانه بين حركتين حركة يجلب بها ماينفعه وحركة يدفع بها مايضره والشرع في النور الذي يبين ماينفعه وما يضره فهو نور الله في أرضه وعدله بين عباده وحصنه الذي من دخله كان آمنا وليس المراد بالشرع التمييز بين النافع والضار بالحس فان ذلك يحصل للحيوانات العجم فان الحمار والجمل يفرق ويميز بين الشعير والتراب بل التمييز بين الافعال التي تضر فاعلها في معاشه ومعاده والافعال التي تنفعه في معاشه ومعاده كنفع الايمان والتوحيد والعدل والبر والصدق والاحسان والامانة والعفة والشجاعة والعلم والصبر والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وصلة الارحام وبر الوالدين والاحسان الى الجيران والمماليك وأداء الحقوق واخلاص العمل والتوكل على الله والاستعانة به والرضا بمواقع اقداره والتسليم لحكمه والتوكل عليه وتصديق رسله في كل ماأخبروا به وطاعتهم في كل ماأمروا به وغير ذلك مما هو نفع وصلاح للعبد في دنياه وآخرته وفي ضد ذلك شقاوته ومضرته في دنياه وآخرته ولولا الرسالة لم يهتد العقل الى تفاصيل المنافع والمضار في المعاش والمعاد فمن أعظم نعم الله على عباده وأشرف منه عليهم ان أرسل اليهم رسله وأنزل عليهم كتبه وبين لهم الصراط المستقيم ولولا ذلك لكانوا بمنزلة الانعام وشر حالا منها فمن قبل رسالة الله واستقام عليها فهو من خير البرية ومن ردها وخرج عنها فهو من شر البرية وأسوء حالا من الكلب والخنزير وأحقر من كل حقير فالحمد لله الذي أرسل الينا رسولا من أنفسنا يتلو علينا آياته ويزكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة وان كنا من قبل لفي ضلال مبين ولا بقاء لاهل الارض الا مادامت آثار الرسالة موجودة فيهم فاذا درست آثار الرسل من الارض وانمحت معالم هداهم أخرب الله العالم العلوي والسفلي وأقام القيامة وليست حاجة أهل الارض الى الرسول كحاجتهم الى الشمس والقمر والرياح والمطر ولا كحاجة الانسان الى حياته ولا كحاجة العين الى ضوئها والجسم الى الطعام والشراب بل أعظم من ذلك وأشد حاجة من كل مايقدر ويخطر بالبال فالرسل عليهم الصلاة والسلام وسائط بين الله تعالى وبين خلقه في امره ونهيه وهم

السفراء بينه و بين عباده وكان خاتمهم وسيدهم وأكرمهم على ربه محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين يقول ياأيها الناس انما أنا رحمة مهداة وقال تعالى في حقه(وما أرسلناك الا رحمة للعالمين)وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأن الله نظر الى أهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من أهل الكتاب وقال شيخ الاسلام في قاعدة وجوب الاعتصام بالنبي عليه أفضل الصلاة والسلام وهذا المقت كان لعدم هدايتهم بالرسل فرفع الله عنهم هذا المقت برسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثه الله رحمة للعالمين ومحجة للسالكين وحجة على الخلائق أجمعين وافترض على العباد طاعته ومحبته وتوقيره وتعزيزه والقيام باداء حقوقه وسد اليه جميع الطرق فلم يفتح لاحد الا من طريقه وأخذ العهود والمواثيق بالايمان به واتباعه على جميع الانبياء والمرسلين وأمرهم أن يأخذوها على من اتبعهم من المؤمنين أرسله بين يدي الساعة بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا فختم به الرسالة وهدى به من الضلالة وعلم به من الجهالة وفتح برسالته أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا فاشرقت برسالته الارض بعد ظلماتها وتألفت بها القلوب بعد شتاتها فأقام به الملة العوجاء وأوضح به المحجة البيضاء وشرح له صدره ووضع عنه وزره ورفع له ذكره وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره أرسله صلى الله عليه وسلم على حين فترة من الرسل ودروس من الكتب حين حرف الكلم وبدلت الشرائع واستند كل قوم الى ظلم آرائهم وحكموا على الله وبين عباده بمقالاتهم الفاسدة وأهوائهم النادة فهدى الله به الخلائق وأوضح به الطرائق وأخرج الناس به من الظلمات الى النور وميز به بين نهج أهل الفلاح وأهل الفجور فمن اهتدى بهديه اهتدى ومن مال عن سبيله فقد ضل واعتدى فصلى الله وسلم عليه وسائر الرسل والانبياء مالاح نجم وبدا وعلى آله وصحبه والتابعين ومن اقتدى

﴿التنبيه الثالث﴾

اعلم أن الايمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله مما اتفقت على وجوبه جميع الانبياء والمرسلين من لدن صفي الله أبي البشر آدم عليه السلام الى خاتمهم محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام فيجب الايمان بجميع الانبياء والمرسلين

وتصديقهم في كل ما أخبروا به من الغيب وطاعتهم في كل ما أمروا به ونهوا عنه ولهذا أوجب سبحانه الايمان بكل ما أتوا به ولم يوجبه بما أتى به غيرهم قال تعالى (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) فاتفق علماء الملة على كفر من كذب نبيا معلوم النبوة وكذا من سب نبيا أو انتقصه ويجب قتله لان الايمان واجب بجميع الأنبياء وان لانفرق بين أحد منهم وتصديقهم فيما أخبروا به واتباعهم على جميع ما جاؤا به فهو حق وصدق قال الله تعالى (ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا) وتقدم أن جميع الانبياء عليهم السلام من لدن آدم الى خاتمهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا وان الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر ففي صحيح ابن حبان من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده فذكر حديثا طويلا وفيه قلت يارسول الله كم الانبياء قال مائة ألف وعشرون ألفا قلت يارسول الله كم الرسل من ذلك قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا قلت يارسول الله من كان أولهم قال آدم عليه السلام قلت يارسول الله أنبي مرسل قال نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلا ثم قال ياأبا ذر أربعة سريانيون آدم وشيث وأخنوخ وهو ادريس وهو أول من خط بالقلم ونوح وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين قلت يارسول الله كم كتابا أنزله الله قال مائة كتاب وأربعة كتب أنزل على شيث خمسون صحيفة وأنزل على اخنوخ ثلاثون صحيفة وأنزل على ابراهيم عشر صحائف وانزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف وأنزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان الحديث وقد تكلم عليه الولي العراقي ورد على ابن حبان جماعة من الحفاظ لادخاله هذا الحديث في الصحيح وفي كتاب شرح الايمان والاسلام لشيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه في قول الامام

أحمد رضي الله عنه في الرسل وعددهم وانه يجب الايمان بهم ويصح الاقرار بهم في الجملة مع الكف عن عددهم وكذلك ذكر محمد بن نصر المروزي وغيرهما من أئمة السلف قال وهذا يبين انهم لم يعلموا عدد الكتب والرسل وان حديث أبي ذر في ذلك لم يثبت عندهم انتهى والامام أحمد رضي الله عنه ذكر ذلك الزاما لمن لم يقل بزيادة الايمان من أجل انهم لايدرون ما زيادته وانها غير محدودة فقال ما تقولون في أنبياء الله وكتبه ورسله هل تقرون بهم في الجملة وتزعمون انه من الايمان فاذا قالوا نعم قيل لهم هل تحدونهم وتعرفون عددهم أليس انما تصيرون في ذلك الى الاقرار بهم في الجملة ثم تكفون عن عددهم وهذا ظاهر في عدم معرفة عدد الانبياء والرسل والكتب وقد ذكر أهل العقائد في عقائدهم هذا العدد معتمدين على حديث أبي ذر على ما فيه وقد روي أن الانبياء أنف ألف ومائة ألف والمشهور في الكتب انهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا وتقدم ان الواجب الايمان بهم جملة لقوله تعالى (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) فالواجب الايمان بجميعهم اجمالا وتفصيلا فيمن ذكره الله تعالى في كتابه العزيز وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه في كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ان بني اسرائيل كانوا أكثر الامم أنبياء بعث اليهم موسى بن عمران عليه السلام بشريعة التوراة وبعث اليهم بعده أنبياء كثيرون حتى قيل انهم ألف نبي كلهم يأمرون بشريعة التوراة ولا يغيرون منها شيئا الى أن جاء المسيح بعد ذلك بشريعة أخرى غير فيها بعض شريعة التوراة بأمر الله عز وجل

﴿ وشرط من أكرم بالنبوة حرية ذكورة كقوة ﴾

﴿وشرط﴾ مبتدأ ﴿من﴾ أي كل انسان ﴿أكرم﴾ بضم الهمزة مبنيا لما لم يسم فاعله أي أكرمه الله تعالى ﴿بالنبوة﴾ بضم النون والباء الموحدة وتشديد الواو ويجوز فيه تحقيق الهمز وتخفيفه يقال نباؤنبا وأنبياء فان قيل روى النسائي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم يانبيء الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لاتنبز باسمي فانما أنا نبي الله فالجواب ما حكاه الجوهري انه يقال نبأت على القوم اذا طلعت عليهم ونبأت من أرض الى أرض اذا خرجت من هذه الى هذه وهذا المعنى أراد

الاعرابي بقوله يانبيء الله لانه خرج من مكة الى المدينة فأنكر عليه الهمز لانه ليس من لغة قريش . والحاصل ان النبي اما مشتق من النبأ أي الخبر لانه ينبئ عن الله تعالى أي يخبر قال سيبويه ليس أحد من العرب الا ويقول تنبأ مسيلمة بالهمز غير انهم تركوا الهمز في النبي كما تركوه في الذرية والبرية والخبية الا أهل مكة فانهم يهمزون هذه الاحرف الثلاثة ولا يهمزون غيرها ويخالفون العرب في ذلك واما مشتق من النبوة وهي الشيء المرتفع لان النبي مرتفع الرتبة على سائر الخلق قال في القاموس والنبيء المخبر عن الله وترك الهمز المختار والجمع أنبياء وأنبياء والنبيون والاسم النبوءة ذكره في باب الهمزة وقال في باب المعتل والنباوة ما ارتفع من الارض كالنبوة والنبي انتهى

﴿ حرية ﴾ خبر المبتدا الذي هوشرط من أكرم الخ وذلك لان الرق وصف نقص لايليق بمقام النبوة والنبي يكون داعيا للناس آناء الليل وأطراف النهار والرقيق لايتيسر له ذلك وأيضا الرقية وصف نقص يأنف الناس ويستنكفون من اتباع من اتصف بها وان يكون اماما لهم وقدوة وهي أثر الكفر والانبياء منزهون عن ذلك وشرط من أكرمه الله بالنبوة أيضا ﴿ ذكورة ﴾ أي ان يتصف بالذكورية لقوله تعالى (وماأرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم) فأثبت الرسالة للرجال الموحى اليهم وأشعر بنفي ذلك عن غيرهم فلا تكون أنثى نبية خلافا لاهل التوراة الزاعمين بنبوة مريم بنت عمران أخت موسى وهارون عليهما السلام وقد خالف في اشتراط الذكورة أبو الحسن الاشعري ثم القرطبي وتبعهما على ذلك أناس من العلماء والحق اعتبار الذكورية لان الرسالة تقتضي الاشتهار بالدعوة والانوثة تقتضي التستر وتنافي الاشتهار لما بين الاشتهار والاستتار من التمانع وقد حكى العلامة ابن الملقن في شرحه على عمدة الاحكام خلافا في نبوة مريم وآسية وسارة وهاجر وأم موسى عليه السلام واسمها يحايذ بنت لاوي بن يعقوب كما قاله شيخ السنة البغوي والحافظ ابن الجوزي في تبصرته قال الحافظ برهان الدين الناجي قيد هذا الاسم على شيخنا الحافظ ابن ناصر الدين حال قراءة التبصرة عليه بمثناة تحتية مضمومة فوار ساكنة فخاء معجمة مفتوحة فألف مقصورة فباء

موحدة مفتوحة فذال معجمة وهو غير مصروف للعجمة والتأنيث أي مع العلمية قلت في كتب أهل الكتاب ورأيته في التوراة بوكابد بكاف بدل الخاء وبدال مهملة بدل المعجمة والنطق بالكاف مفخما ومعناه بالعربية جليلة ورأيت الحافظ جلال الدين السيوطي ضبطه بحاء مهملة بدل الخاء المعجمة وبنون بدل الباء الموحدة كما هو في تاريخ الانبياء له وكقوله ﴿ كقوة ﴾ أي كما يعتبر فيمن أكرمه الله تعالى بالنبوة ان يكون قويا بأعباء ماحمل من ثقل النبوة والقوة الطاقة والجمع قوى بالضم و بالكسر قال في القاموس القوة بالضم ضد الضعف يقال قوي كرضي فهو قوي والقوى بالضم العقل وطاقات الحبل ذا عقل صحيح وفهم رجيح وعلم بالامور الدينية حسن الخلق والخلق ليسهل عليه تحمل الخلق في مخالطاتهم وتعليمهم لامور الديانة فان الانبياء منزهون عن جميع الرذائل من البخل والجبن واللهو واللغو وسائر الاخلاق الذميمة كما انهم مبرءون من لؤم النسب وشره القلب وحرص النفس على الدنيا ولهذا لم يبعث الله نبيا الا في أشرف منسب أمته فلم يبعث نبيا من ذي نسب مبذول كما لم يبعث نبيا عبدا ولا انثيا ولا امرأة لعلو مرتبة الذكورة على الانوثة مع طلب عدم الاشتهار من النساء المطلوب للدعوة ولكون النفوس مائلة للنساء في ذواتهن بحسب الطبع فيغفلون عن مقالهن والحاصل اختصاص النبوة باشرف افراد النوع الانساني من كمال العقل والذكاء والفطنة وقوة الرأي ولو في الصبي كعيسى ويحيى عليهما السلام والسلامة من كل مانفر عن الاتباع كدناءة الآباء وعهر الامهات والغلظة والفظاظة والعيوب المنفرة للطباع كالابرص والجذام والامور المخلة بالمروءة كالاكل على الطريق والحرف الدنية كالحجامة وكل ما يخل بحكمة البعثة ونحو ذلك و بالله التوفيق

ولما ذكر ما أشعر بانفراد كمل النوع الانساني بالنبوة واختصاص الذكور الاحرار المنزهين عن النقائص بها خشي ان يتوهم متوهم بأن ذلك يدرك بالرياضة والتهذيب والجد والاجتهاد والتأديب فنفى ذلك بقوله

﴿ ولا تنال رتبة النبوه بالكسب والتهذيب والفتوه ﴾

﴿لكنها فضل من المولى الاجل لمن يشا من خلقه الى الاجل﴾

{ ولا تنال } بضم التاء المثناة فوق مبنيا لما لم يسم فاعله أي لم تعط (رتبة) بالرفع نائب الفاعل يقال ناله ينوله اذا أعطاه قال في القاموس النوال والنائل العطاء ونلته ونلت له وبه أنوله وأنلته اياه ونولته أعطيته والرتبة بالضم والمرتبة المنزلة { النبوة } بالجر لاضافتها الى الرتبة وهي عبارة عن صفة عالية ينكشف بها من الغيوب التي هي مطلوبات الله من عباده وأحكامه التي يكلفهم بها انكشافا يناسب انكشاف النار للذهن برؤية الدخان وانكشاف رائحة المسك بجذب النفس الى الانف والمراد بها هنا مايعم الرسالة كما لايخفى { بالكسب } متعلق بلا تنال { و } لاتنال رتبة النبوة ودرجة الرسالة أيضا { بالتهذيب } أي تنقية البدن وتصفية الاخلاق وخلوص البنية من الاخلاق الرذيلة وتبقية الاوصاف الجميلة والنعوت الجليلة { و } لاتنال رتبة النبوة أيضا { بالفتوة } أي كرم النفس وتخليصها من الاوصاف المذمومة الى الاوصاف الممدوحة قال في القاموس الفتوة الكرم وتفتي وتفاتى يعني تعاطى أوصاف الفتوة وتخلق بها وأراض نفسه حتى صار من ذويها وفتوتهم اذا غلبتهم فيها فمذهب أهل الحق ان النبوة لاتنال بمجرد الكسب بالجد والاجتهاد وتكلف أنواع العبادات واقتحام أشق الطاعات وتدأب في تهذيب نفسه وتنقية خواطره وتطهير أخلاقه ورياضة نفسه وبدنه وتهذيب ذلك { لكنها } أي النبوة والرسالة { فضل من المولى الاجل } سبحانه وتعالى يؤتيه من يشاء ممن سبق علمه وارادته الازليان باصطفائه لها فالله أعلم حيث يجعل رسالاته وهذا خلاف قول الفلاسفة المشائين المجوزين اكتساب النبوة بزعمهم ان من لازم الخلوة والعبادة ودوام المراقبة وتناول الحلال وأخلاء نفسه من الشواغل العائقة عن المشاهدة بعد كل ظاهره وباطنه بالتهذيب والرياضة انصقلت مرآة باطنه وفتحت بصيرته له وتهيأ لما لايتهيأله غيره من التحلي بالنبوة لان النبوة عندهم عبارة عن اجتماع ثلاث خواص في الانسان احداها الاطلاع على المغيبات لصفاء جوهر نفسه وشدة اتصاله بالروحانيات العالية من غير سابقة كسب ولا تعلم ولا تعليم (الثانية) ظهور خوارق العادات بحيث تطيعه الهيولى العنصرية القابلة للصور المفارقة

الى بدن (الثالثة) مشاهدة الملائكة على صور متخيلة ويسمع كلام الله تعالى هذ محصل مذهبهم الفاسد وملخص مسلكهم الباطل فيجعلون كلام الله مايفيض على نفس النبي من غير ان يثبتوا لله كلاما خارجا عما في نفس النبي وعند التحقيق فلا فرق عندهم بين الفيض على نفس النبي وسائر النفوس الامن جهة كونها أصفى وأكمل وعندهم ان القرآن كلام النبي وهذا من أعظم الكفر قال شيخ الاسلام ابن تيمية وهؤلاء عندهم النبوة مكتسبة وكان جماعة من زنادقة الاسلام يطلبون ان يصيروا أنبياء والحاصل ان النبوة فضل من الله وموهبة ونعمة من الله تعالى يمن بها سبحانه ويعطيها ﴿ لمن يشا ﴾ ان يكرمه بالنبوة فلا يبلغها أحد بعلمه ولا يستحقها بكسبه ولا ينالها عن استعداد ولايته بل يخص بها من يشاء ﴿من خلقه﴾ ومن زعم أنها مكتسبة فهو زنديق يجب قتله لانه يقتضي كلامه واعتقاده ان لاتنقطع وهو مخالف للنص القرآني والاحاديث المتواترة بأن نبينا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين عليهم السلام ولهذا قال ﴿ الى الاجل ﴾ يعني ان النبوة فضل من الله ونعمة يمن بها الرب الحكيم والعليم الكريم على من يشاء ويريد اكرامه بها وكان ذلك ممتدا من عهد الاب الاول الصفي آدم عليه الصلاة والسلام الى أن بعث الخاتم النبي الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا قال

﴿ ولم تزل فيما مضا الانباء   من فضله تأتي لمن يشاء ﴾

﴿ حتى أتى بالخاتم الذي ختم   به وأعلانا على كل الامم ﴾

﴿ ولم تزل فيما ﴾ أي في الزمن الذي ﴿ مضى ﴾ أي في سائر الازمان الماضية ﴿ الانبا ﴾ جمع نبي كالانبياء والنبيين ﴿ من فضله ﴾ أي من فضل الله سبحانه وتعالى ورأفته ولطفه لامن حيث انه واجب عليه تعالى كما تقدم بيانه ﴿ تأتي ﴾ بابلاغ الشرائع وبيان الحق وايضاح السبيل ﴿ لمن ﴾ أي لكل أهل زمن من الامم الماضية والقرون الخاليه ﴿ يشاء ﴾ الله سبحانه وتعالى بتبليغ ما يشاء على السنة من شاء من أنبيائه لمن شاء من مكلفي عباده فلم تخل الارض من داع يدعو الى الله تعالى من لدن آدم عليه السلام الى أن بعث محمد صلى الله عليه وسلم فيجب الايمان بجميع الانبياء

والرسل وانهم صادقون في ما أخبروا به عن الله تعالى اجمالا في من لم يعينوا كما دل على ذلك قوله تعالى (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) فدلت الآية الكريمة على الاكتفاء بذلك في الايمان بهم من غير تفصيل الا من ثبتت تسميته فيجب الايمان به على التعيين وكان مجيء الرسل والانبياء في القرون الماضية والازمان الخالية معروفا مستمراً من لدن الاب الاول الصفي عليه السلام ﴿حتى﴾ أي الى ان ﴿أتى﴾ النبي ﴿الخاتم﴾ والرسول القاسم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أي الى ان أرسله بخير كتاب وأتم شريعة وأفضل ملة وأكمل دين ﴿الذي ختم﴾ الله ﴿به﴾ النبيين والمرسلين وأكمل بدينه كل دين قال الله تعالى في محكم الذكر المبين (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) أي الذي ختمهم وختموا به فلا نبي بعده وأخرج الامام أحمد من حديث العرباض بن سارية السلمي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « اني عندالله في أم الكتاب لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته » الحديث وأخرجه الحاكم وقال صحيح الاسناد وروى معناه من حديث أبي امامة الباهلي رضي الله عنه ومن وجوه أخر مرسلة وفي الصحيحين وغيرهما من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «مثلي ومثل الانبياء كمثل رجل بنى دارا فأكملها وأحسنها الا موضع لبنة فجعل الناس يدخلون ويعجبون منها ويقولون لولا موضع اللبنة — زاد مسلم — فجئت فختمت الانبياء» وفي الصحيحين أيضا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه معناه وفيه فجعل الناس يطوفون به ويقولون هلا وضعت اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين» وفي صحيح الحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت كان بمكة يهودي يتجر فيها فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يامعشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود فقالوا لانعلمه فقال ولد الليلة نبي هذه الامة الاخيرة بين كتفيه علامة لها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس فخرجوا باليهودي حتى أدخلوه على أمه فقالوا اخرجي لنا ابنك فأخرجوه وكشفوا عن ظهره فرأى تلك الشامة فوقع اليهودي مغشيا عليه فلما أفاق قالوا ويلك مالك قال ذهبت والله

النبوة من بني اسرائيل وهذا الحديث يدل على انه صلى الله عليه وسلم ولد بخاتم النبوة بين كتفيه وخاتم النبوة من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم التي كان يعرفه بها أهل الكتاب ويسألون عنها ويطالبون الوقوف عليها وقد روي ان هرقل ملك الروم من النصارى أرسل الى النبي صلى الله عليه وسلم من ينظر له خاتم النبوة وفي نبوة شعيا ان سلطانه يعني النبي صلى الله عليه وسلم على كتفه يريد علامة نبوته وفي الجواب الصحيح لشيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه مانصه قال أشعياء النبي عليه السلام ونص على خاتم النبوة: ولدلنا غلام يكون عجبا وبشرا والشامة على كتفه أركون السلام وسلطانه سلطان السلام يجلس على كرسي داود: فالأركون هو المعظم بلغة الانجيل والاراكنة المعظمون فشهد أشعياء بنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ووصفه بأخص علاماته وأوضحها وهي شامته فلعمري لم تكن الشامة لسليمان ولا للمسيح ووصفه بأنه يجلس على كرسي داود يعني انه سيرث من بني اسرائيل نبوتهم وملكهم ويبتزهم رياستهم . قال العلماء رحمهم الله في حكمة وجود الخاتم بين كتفيه أوعلى نقض كتفه الايسر هو على جهة الاعتبار انه صلى الله عليه وسلم لما ملئ قلبه من الايمان والانوار وجمع له اجزاء النبوة وحواشيها ختم عليه كما يختم على الوعاء المملوء مسكا أودرا فلم يجد نفسه ولاعدوه سبيلا اليه من أجل ذلك الختم لان الشيء المختوم محروس كما بين لنا انا اذا وجدنا الشيء بختمه زال الشك وانقطع الخصام فيما بين الاميين فلذلك ختم رب العالمين في قلبه ختما يطمئن له القلب التي النور فيه ونفذت قوة القلب فظهر بين كتفيه كبيضة الحجلة كما أشار اليه أبو القاسم السهيلي رحمه الله تعالى

وقوله ﴿واعلانا﴾ معشر أمة هذا النبي الكريم والرسول الرؤف الرحيم الرب الرحيم والاله الحكيم به صلى الله عليه وسلم ﴿على كل الامم﴾ الماضية والملل الخالية بشاهد قوله تعالى(كنتم خير أمة اخرجت للناس وكذلك جعلناكم أمة وسطا) وروى البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في قوله(كنتم خير أمة أخرجت للناس) قال خير الناس للناس يأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الاسلام وفي الصحيحين وغيرهما من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

«لا يزال أناس من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون» وروى مسلم وأبو داود والترمذي من حديث ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك» وروي هذا من حديث سعد رواه مسلم ومن حديث معاوية رواه البخاري ومسلم ومن حديث عمران بن حصين رواه أبو داود ومن حديث غيرهم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين وروى الترمذي من حديث أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مثل أمتي مثل المطر لا يدري آخره خير أم أوله» وقال حديث حسن غريب وروى النسائي من حديث ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عصابتان من أمتي أحرزهما الله من النار عصابة تغزو الهند وعصابة تكون مع عيسى بن مريم عليه السلام» وأخرج أبو داود من حديث أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أمتي أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة عذابها في الفتن والزلازل والقتل» ورواه الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك والبيهقي في الشعب وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون يوم القيامة أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم - وفي رواية لمسلم - نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة - وفي رواية في الصحيحين نحن الآخرون السابقون بيد - أي غير - أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا» وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أنس رضي الله عنه أنتم شهداء الله في الارض أنتم شهداء الله في الارض» وفي الصحيحين وغيرهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أما ترضون ان تكونوا ربع أهل الجنة فكبر ثم قال أما ترضون ان تكونوا ثلث أهل الجنة قال فكبر ثم قال اني لأرجو ان تكونوا شطر أهل الجنة وسأخبركم عن ذلك ما المسلمون في الكفار إلا كشعرة بيضاء في ثور اسود أو كشعرة سوداء في ثور أبيض» هذا لفظ مسلم وعند البخاري وكشعرة سوداء بغير ألف يعني قبل الواو وروى الامام أحمد والترمذي باسناد على شرط الصحيح من حديث بريدة بن

الحصيب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أهل الجنة عشرون ومائة صف هذه الامة منها ثمانون صفا» ورواه الطبراني في معجمه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وروى نحوه من حديث ابن مسعود رواه الطبراني وروى عبدالله بن الامام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال لما نزلت (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنتم ربع أهل الجنة أنتم ثلث أهل الجنة أنتم نصف أهل الجنة أنتم ثلثا أهل الجنة» قال الطبراني تفرد برفعه عبدالله بن المبارك عن الثوري وروي أيضا من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال أهل الجنة عشرون ومائة صف أنتم منها ثمانون صفا رواه خيثمة بن سليمان القرشي قال المحقق ابن القيم وهذه الاحاديث قد تعددت طرقها واختلفت مخارجها وصح سند بعضها فلا تنافي بينها و بين حديث الشطر لانه عليه السلام رجا أولا ان يكونوا شطر أهل الجنة فأعطاه الله سبحانه رجاءه وزاده عليه شيئا آخر وقد أخرج الامام أحمد في مسنده من حديث أبي الزبير انه سمع جابرا رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «أرجو ان يكون من يتبعني من أمتي يوم القيامة ربع أهل الجنة» قال فكبرنا قال فارجو ان يكونوا الشطر واسناده على شرط مسلم وروى الدارقطني من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان الجنة حرمت على الانبياء كلهم حتى أدخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها أمتي» قال المحقق ابن القيم في كتابه حادي الارواح فهذه الامة أسبق الامم خروجا من الارض وأسبقهم الى أعلا مكان في الموقف وأسبقهم الى ظل العرش وأسبقهم الى الفصل والقضاء بينهم وأسبقهم الى الجواز على الصراط وأسبقهم الى دخول الجنة فالجنة محرمة على الانبياء حتى يدخلها محمد صلى الله عليه وسلم ومحرمة على الامم حتى تدخلها أمته

وأول من يدخل الجنة من هذه الامة من بعد نبيها صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق كما رواه أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وروى الامام أحمد في المسند والترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث معاوية بن حيدة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «انكم تتمون — وفي لفظ —

انكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى» وأخرج الترمذي من حديث أبي امامة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان الله فضلني على الانبياء أوقال أمتي على الامم وأحل لنا الغنائم» وقال حديث حسن صحيح وفي صحيح مسلم عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه رفعه «يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال يغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى» وقد روى معنى هذا الحديث عن أبي موسى أيضا الطبراني والحاكم وصححه وكذا ابن ماجه والطبراني وروي أيضا من حديث أنس رضي الله عنه أخرجه ابن ماجه والدني وأخرجه مسلم عن أبي موسى من وجه آخر بلفظ «اذا كان يوم القيامة دفع الله الى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فداؤك من النار» قال العلامة القرطبي قال علماؤنا هذه الاحاديث ليست على عمومها انما هي في أناس مذنبين تفضل الله عليهم برحمته فاعطى كل واحد منهم فكاكا من النار وقال معنى قوله يضعها على اليهود والنصارى انه يضاعف عليهم عذاب كفرهم وذنوبهم حتى يكون عذابهم بقدر جرمهم وجرم مذنبي المسلمين لو أخذوا بذلك لانه تعالى لا يأخذ أحدا بذنب أحد كما قال تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) وله تعالى ان يضاعف على من يشاء العذاب ويخفف عن من يشاء بحكم ارادته ومشيئته ويقال في الرواية الاخرى وهي قوله لايموت رجل مسلم الا أدخل الله مكانه يهوديا أو نصرانيا النار معناه ان المسلم المذنب لما كان يستحق مكانا في النار بسبب ذنوبه وعفى الله عنه بمنه ورحمته بقي مكانه خاليا منه أضاف ذلك المكان الى يهودي أو نصراني ليعذب فيه زيادة على تعذيب مكانه الذي يستحقه بحسب كفره وقد جاءت أحاديث دالة على ان لكل مسلم من هذه الامة مذنبا كان أولا منزلين منزلا في الجنة ومنزلا في النار وكذا الكافر وذلك معنى قوله تعالى (أولئك هم الوارثون) أي يرث المؤمنون منازل الكفار من الجنة والكفار منازل المؤمنين في النار الاان هذه الوراثة تختلف فمنهم من يرث بلا حساب ومنهم من يرث بحساب ومناقشة وقال الامام البيهقي يحتمل ان يكون الفداء في قوم كانت ذنوبهم كفرت عنهم في حياتهم أو في من أخرج من النار يقال لهم ذلك بعد الخروج وقال بعضهم بل يحتمل ان

يكون الفداء مجازا عن روية المنزلة التي تقدمت الاشارة اليها ورجحه النووي وغيره وقيل المراد بالذنوب التي توضع على الكفار ذنوب كان الكفار سببا فيها بأن سنوها فلما غفرت سيئات المؤمنين بقيت سيئات الذي سن تلك البدعة السيئة باقية على أربابها الكفرة لان الكفار لا يغفر لهم فيكون الوضع كناية عن ابقاء الذنب الذي لحق الكافر بما سنه من عمله السيء الذي عمل به المؤمن وقواه الحافظ ابن حجر وبالله التوفيق

وقد روي ان لكل واحد من مؤمني هذه الامة نورين كالانبياء السالفة روى أبو نعيم وابن الجوزي في (الوفي) عن كعب الأحبار رحمه الله تعالى أنه سمع رجلا يقول رأيت في المنام كان الناس جمعوا للحساب فدعي الانبياء فجاء مع كل نبي أمته ورأى لكل نبي نورين ولكل ممن اتبعه نورا يمشي به فدعي محمد صلى الله عليه وسلم فاذا لكل شعرة في رأسه ووجهه نور ولكل من اتبعه نوران يمشي بهما فقال كعب وهؤلاء لا يشعر انها رؤيا من حدثك هذا قال انا والله الذي لا اله الا هو لقد رأيت هذا في المنام فقال بالله الذي لا اله الا هو لقد رأيت هذا في منامك قال نعم قال والذي نفس كعب بيده أو قال والذي نفس محمد بيده انها صفة محمد صلى الله عليه وسلم وأمته وصفة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وأممها في كتاب الله كانما قرأه من التوراة وروى الحافظ أبو نعيم والحافظ ابن الجوزي في الوفي عن كعب الاحبار أيضا أنه رأى حبرا من أحبار اليهود يبكي فقال له ما يبكيك قال ذكرت بعض الامر فقال كعب أنشدك الله لئن أخبرتك ما أبكاك لتصدقني قال نعم قال أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال يارب اني أجد خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول والكتاب الآخر ويقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الاعور الدجال قال فقال موسى رب اجعلهم أمتي قال هم أمة أحمد ياموسى قال الحبر نعم الحديث وفيه فقال موسى عليه السلام ليتني من أمته أو من أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام فأوحى الله تعالى اليه (ياموسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين) الحديث ورويا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم أن موسى عليه السلام لما نزلت عليه التوراة وقرأها فوجد فيها ذكر هذه الامة قال يارب اني أجد في الالواح أمة هم الآخرون السابقون المشفوع لهم فاجعلها أمتي قال تلك أمة أحمد الحديث وفيه قال يارب فاجعلني من أمة أحمد فاعطى عند ذلك خصلتين فقال (ياموسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما أتيتك وكن من الشاكرين) قال رضيت يارب وذكره الامام المحقق ابن القيم فى كتابه جلاء الافهام وذكر الحافظ ابن الجوزي في تبصرته في قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) أي كنتم قولان أحدهما كان وصفكم في البشارة قبل وجودكم قال الحسن الثاني كنتم في سابق علم الله تعالى وحكاه أرني اللوح المحفوظ وقاله ابن الانباري أي مازلتم وقيل ان معنى كنتم أي أنتم مثل قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما قال ابن قتيبة قديأتي الفعل على بنية الماضي وهو ذاهب أو مستقبل كقوله كنتم ومعناه أنتم ومثله واذ قال الله أي واذ يقول الله ومثله أتى أمر الله ونظائره والله أعلم قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى

واعلم أن فضيلة هذه الامة على الامم المتقدمة وان كان ذلك باختيار الحق لها اياها الا انه سبحانه جعل لذلك سببا كما جعل سبب سجود الملائكة لآدم عليه السلام علمه بما جهلوه فكذلك جعل لتقديم هذه الامة سببا هو الفطنة والفهم واليقين وتسليم النفوس فاعتبر حالهم بمن قبلهم فان قوم موسى رأوا قدرة الخالق في شق البحر ثم قالوا اجعل لنا الها ثم مال كثير منهم الى عبادة العجل وعرضت لهم غزاة فقالوا اذهب أنت وربك فقاتلا ولم يقبلوا التوراة حتى نتق عليهم الجبل ولما اختار موسى سبعين منهم وقع في نفوسهم ما أوجب تزلزل الجبل بهم ولهذا لما صعد نبينا صلى الله عليه وسلم على جبل حرا فى جماعة من أصحابه تزلزل فقال اسكن فما عليك الانبي أوصديق أو شهيد فكأنه أشار الى انه ليس عليك من يشك كقوم موسى ومن تأمل حال بني اسرائيل رآهم قدأمروا بقول حطة فقالوا حنطة وقيل لهم ادخلوا الباب سجدا فدخلوه زحفا وآذوا نبيهم فقالوا آدر ومن مذهبهم التشبيه والتجسيم وهذا من أعظم التغفيل لان الجسم مؤلف ولابد

للمؤالف من مؤالف ومن غفلة النصارى اعتقادهم ان الله تعالى جوهر والجواهر تماثل ولا مثل للخالق ثم مقالاتهم في عيسى وتثليثهم ودعواهم فيه الالهية وانه ابن الله تعالى تقشعر منه الابدان وتنفر منه النفوس وتحيله العقول وليس للقوم فهوم ولهذا قال بعض فضلاء أمتنا انهم عار على بني آدم من بين سائر الامم . هذا قد علم يقين هذه الامة وبذلهم أنفسهم في الحروب وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وحفظهم لكتاب الله فلهذا ونظائره كانوا يوفون سبعين أمةهم خيرها وأكرمها على الله تعالى وكل هذا أعاهو بسبب كرامة نبينا على الله وجزيل فضله عندالله وقربه من الله والحمدلله على ما أنعم وفضل وكرم والله أعلم

فصل

﴿ في بعض خصائص النبي الكريم والرسول السيد السند العظيم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه التي اختصه الحق بها جل شأنه على سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأشار الى اولها بقوله ﴾

﴿ وخصه بذاك كالمقام وبعثه لسائر الأنام ﴾
﴿ ومعجز القرآن والمعراج حقا بلامين ولااعوجاج ﴾

﴿ وخصه ﴾ أي خص الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم دون سائر الانبياء ﴿ بذاك ﴾ أي بكونه ختم به النبوة والرسالة فلا نبي بعده لقوله تعالى (وخاتم النبيين) وذلك يستلزم ختم المرسلين لان ختم الاعم يستلزم ختم الاخص بلا عكس ومعنى ختم النبوة بنبوته عليه الصلاة والسلام انه لا تبتدأ نبوة ولا تشرع شريعة بعد نبوته وشريعته واما نزول عيسى عليه السلام وكونه متصفا بنبوته السابقة فلا ينافي ذلك على ان عيسى عليه السلام اذا نزل انما يتعبد بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم دون شريعته المتقدمة لانها منسوخة فلا يتعبد الا بهذه الشريعة اصولا وفروعا فيكون خليفة لنبينا صلى الله عليه وسلم وحاكما من حكام ملته بين أمته بما علمه الله تعالى في السماء قبل نزوله و بنظره في كتاب الله الذي

هو القرآن وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وهو لا يقصر عن رتبة الاجتهاد المؤدي الى استنباط ما يحتاج اليه أيام مكثه فى الارض من الاحكام وكسر الصلبان وقتل الخنزير ووضع الجزية وعدم قبولها مما علم من شريعتنا لا يقال هذا نسخ لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم لانا نقول بل هذا من شرعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مغيّ الى نزول عيسى عليه السلام فاذا نزل انتهى ذلك كما قال صلى الله عليه وسلم «ينزل عيسى بن مريم حكما عدلا» فنزوله غاية لاقرار الكفار يبذل تلك الاموال ثم لا يقبل الا الاسلام فلا نسخ لها وقد قدمنا ذلك قريبا

(والثانية) ما أشار اليها بقوله ﴿ و ﴾ ما خصه الله سبحانه وتعالى به ﴿المقام﴾ المحمود وهو الشفاعة العظمى كما تقدم الكلام على ذلك وروى النسائي باسناد صحيح من حديث حذيفة رضي الله عنه قال يجمع الناس في صعيد واحد فأول مدعو محمد فيقول لبيك وسعديك والخير فى يديك والشر ليس اليك المهدي من هديت عبدك وابن عبديك وبك واليك ولا ملجأ ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت فهذا قوله (عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا) وصححه الحاكم قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري ولا منافاة بينه وبين حديث ابن عمر رضي الله عنهما الذي في صحيح البخاري ولفظه قال ان الناس يصيرون يوم القيامة جثا كل أمة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله مقاما محمودا وأخرج البخاري أيضا عنه رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ان الشمس لتدنو حتى يبلغ العرق نصف الاذن فبيناهم كذلك استغاثوا بآدم فيقول لست بصاحب ذلك ثم بموسى فيقول كذلك ثم بمحمد فيشفع فيقضي الله بين الخلق فيمشي حتى يأخذ بحلقة باب الجنة فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده أهل الجمع كلهم» وذلك لان ما رواه النسائي من حديث حذيفة رضي الله عنه كان مقدمة الشفاعة قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري وروى ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن أبي هلال انه بلغه ان المقام المحمود الذي ذكره الله تعالى ان النبي صلى الله عليه وسلم يكون يوم القيامة بين الجبار وبين جبريل فيغبطه لمقامه

ذلك أهل الجمع ورجاله ثقاة لكنه مرسل قال الحافظ ابن حجر في شرح تفسير سورة الاسراء من صحيح البخاري وقيل المراد بالمقام المحمود أخذه بحلقة باب الجنة وقيل اعطاؤه لواء الحمد وقيل جلوسه على العرش أخرجه عبد بن حميد وغيره عن مجاهد وقيل شفاعته رابع أربعة انتهى وتقدم في الشفاعة مافيه كفاية والله تعالى أعلم

﴿ و ﴾ الثالثة انه سبحانه وتعالى خص نبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ ببعثه ﴾ نبيا ورسولا ﴿ لسائر ﴾ أي جميع ﴿ الانام ﴾ كسحاب الخلق من الانس والجن بالاجماع واختلف في ارساله الى الملائكة على قولين أحدهما انه لم يكن مرسلا اليهم وبهذا جزم جم محققون وهو ظاهر كلام علمائنا قال ابن حمدان في نهاية المبتدين ونجزم بأن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله حقا الى الانس والجن كافة قال القاضي أبو يعلى وانه صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وأفضلهم نص عليه الامام أحمد انتهى ونقل الاجماع على ذلك غير واحد والقول الثاني بأنه صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الملائكة أيضا ورجحه الجلال السيوطي في الخصائص والسبكي قبله وزاد انه صلى الله عليه وسلم مرسل الى جميع الانبياء والامم السابقة وزعم ان قوله صلى الله عليه وسلم بعثت للناس كافة شامل لهم من لدن آدم الى قيام الساعة ورجح هذا القول البارزي وزاد انه مرسل الى جميع الحيوانات واستدل على ذلك بشهادة الضب له بالرسالة وبشهادة الحجر والشجر له أيضا بذلك قال الحافظ السيوطي وأزيد الى ذلك انه مرسل الى نفسه وتقدم كلام صاحب الفروع وغيره في التنبيهات الملحقة تحت قوله

وكل انسان وكل جنة في دار نار أو نعيم جنة

فعاوده فان قلت قد علم يقينا ان قوم نوح بعد الطوفان كانوا جميع أهل الارض ورسالة نوح عليه السلام عامة لهم فالجواب ان عمومها أمر اتفاقي اذ لم يسلم من الهلاك الا من كان معه في السفينة فالعموم صار ثانيا وبالعرض على انه لم يبعث للجن والحاصل ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الثقلين بالاجماع ورسالته مطبقة جميع الاكوان ولا التفات لزعم بعض ملحدي أهل الكتاب

من خصوص رسالته للعرب لان هذا مكابرة باطلة ومغالطة عاطلة لوجوه بديهية البرهان منها ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يكذب وقد أنزل عليه في محكم القرآن قل (يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا - وما أرسلناك الا كافة للناس) ثم مقاتلته لاهل الكتاب وسبي ذراريهم واستباحة دمائهم وضرب الجزية عليهم أمر معلوم بالتواتر والضرورة فالمتعلق بهذا هذا والله تعالى الموفق

﴿ و ﴾ الرابعة المشار اليها بقوله وخصه ﴿ بمعجز القرآن ﴾ الذي اذعن لاعجازه الثقلان وأحجم عن معارضته مصاقيع الانس والجان واعترف بالعجز عن الاتيان بأقصر سورة من مثله أهل الفصاحة والبلاغة من سائر الاديان كما تقدم الكلام على ذلك مستوفيا في مبحث القرآن من الباب الاول فراجعه تظفر بمقصودك والله أعلم

(الخامسة) من خصائصه صلى الله عليه وسلم ما أشار اليها بقوله (كذا) ما اختصه الله سبحانه وتعالى ﴿ بالمعراج ﴾ الى السموات العلى الى سدرة المنتهى الى مستوى سمع فيه صريف الاقلام فكان كقاب قوسين أو أدنى قال الواقدي عن رجاله كان المسرى والمعراج في ليلة السبت لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان في السنة الثانية عشرة من المبعث قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا وروى أيضا عن أشياخ له قالوا اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة سبع عشرة من ربيع الاول قبل الهجرة بسنة وادعى أبو محمد بن حزم فيه الاجماع وهذا قول ابن عباس وعائشة رضي الله عنهم قال الحافظ ابن الجوزي في الوفي سمعت شيخنا أبا الفضل يقول قال قوم كان الاسراء قبل الهجرة بسنة وقال آخرون كان الاسراء قبل الهجرة بثمانية أشهر وقال آخرون بستة أشهر فمن قال بسنة فيكون ذلك في ربيع الاول ومن قال بثمانية أشهر فيكون ذلك في رجب ومن قال بستة أشهر فيكون ذلك في رمضان قال ابن الجوزي وقد قيل انه ليلة سبعة وعشرين من شهر رجب قلت واختار هذا القول الحافظ عبد الغني المقدسي الحنبلي وعليه عمل الناس وكان المعراج الى السماء بجسده الشريف وروحه المقدسة كالاسراء من مكة المشرفة الى المسجد الاقصى ثم عرج به من بيت المقدس الى السماء حتى

هذا { حقا } ثابتا وأجزم به جزما باتا { بلا مين } أي بلا امتراء ولا كذب ولا ريب يقال مان يمين كذب فهو مائن ومبون وميون { ولا اعوجاج } يقال اعوج اعوجاجا اذا كان غير مستقيم قال في النهاية قد تكرر ذكر العوج في الحديث اسما وفعلا ومصدرا وفاعلا ومفعولا وهو بفتح العين المهملة مختص بكل شخص مرئي كالاجسام و بالكسر فيما ليس بمرئي كالرأي والقول وقيل الكسر فيهما معا والاول أكثر ومنه الحديث حتى يقيم به الملة العوجاء يعني ملة ابراهيم التي غيرتها العرب عن استقامتها

واعلم ان الاسرى لاخلاف فيه اذهو نص القرآن العظيم على سبيل الاجمال وجاءت السنة الثابتة بتفصيله وشرح اعاجيبه فورد عن عدة من الصحابة الكرام من الرجال والنساء نحو الثلاثين رضي الله عنهم أجمعين وأما ليلة المعراج فمختلف فيها فقيل ليلة الجمعة وقيل السبت كما تقدم عن الواقدي وقال ابن دحيه تسفر تلك الليلة عن يوم الاثنين ان شاء الله تعالى لتوافق المولد والمبعث والهجرة والوفاة فانه صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين وبعث يوم الاثنين وهاجر من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ومات يوم الاثنين وقد أخرج الامام أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم من حديث أنس رضي الله عنه أن مالك بن صعصعة رضي الله عنه حدثه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة الاسراء قال بينما أنا نائم في الحطيم — وربما قال قتادة في الحجر — مضطجع اذ أتاني آت فجعل يقول لصاحبه الاوسط بين الثلاثة قال فأتاني فقد وقال مرة فشق ما بين هذه الى هذه قال قتادة فقلت للجارود وهو الى جنبي مايعنى فقال من ثغرة نحره الى شعرته وقد سمعته يقول من قصه الى شعرته قال فاستخرج قلبي فأتيت بطست من ذهب مملوء ايمانا وحكمة فغسل قلبي ثم حشي وفي لفظ فافرغه في صدره وملأه علما وحلما و يقينا واسلاما ثم أطبقه ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض قال فقال الجارود هو البراق يا أبا حمزة قال نعم يقع خطوه عند أقصى طرفه قال فحملت عليه ولما أراد صلى الله عليه وسلم العروج الى السماء بعد وصوله الى البيت المقدس وصلاته بالانبياء عليهم السلام أوتي بالمعراج التي تعرج عليه أرواح الانبياء من بني آدم فلم تر الخلائق أحسن

منه له مرقاة فضة ومرقاة من ذهب وهو من جنة الفردوس منضدا باللؤلؤ عن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة فارتقى عليه هو وجبريل عليهما الصلاة والسلام الى عند القبة التي يقال لها قبة المعراج عن يمين الصخرة قال بعض أهل العلم انه يختلف انه عرج من ثم وظاهر صنيع الحافظ ابن الجوزي في الوفي ان البراق ترقى به أي النبي صلى الله عليه وسلم كما قال ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار يقع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى بي السماء الدنيا فاستفتح الحديث بطوله وهو في الصحيحين وغيرهما وقال بعضهم قد صحت الاحاديث بأنه استمر على البراق الى بيت المقدس ثم نصب له المعراج فارتقى فيه وظاهره انه لم يركب البراق الا من مكة الى بيت المقدس وجمع بعضهم بأن الراوي اختصر فلم يذكر بيت المقدس وبعضهم انه لما وصل في المعروج الى السماء الدنيا ركب البراق واخترق به السموات وما فوقها الى ان وصل الى سدرة المنتهى ثم بعد سؤاله صلى الله عليه وسلم ربه ومراجعته له في التخفيف عن أمته حتى انتهى ذلك من الخمسين الى الخمس صلوات وسماع النداء من العلي الاعلى قد أمضيت فريضتي وشفعت نبي وخففت عن عبادي هن خمس صلوات كل يوم وليلة وهن خمسون في الاجر لان الحسنة بعشر امثالها وسمع قوله (مايبدل القول لدي) ولا ينسخ كتابي وكانت المراجعة مابين الحق جل جلاله وبين الكليم عليه أفضل الصلاة واتم التسليم فانه الذي حث النبي الكريم على مراجعة الرب الرحيم سؤاله التخفيف عن هذا الخلق الضعيف ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في موسى عليه الصلاة والسلام ونعم الصاحب كان لكم أي معشر الامة ثم قال له موسى عليه السلام اهبط باسم الله ولما دنا المصطفى من العلي الاعلا وحل في مستوى سمع فيه صريف الاقلام وكلمه الجليل جل جلاله فقال له يامحمد قال لبيك يارب قال سل قال انك اتخذت ابراهيم خليلا وأعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما وأعطيت داود ملكا عظيما وألنت له الحديد وسخرت له الجبال وأعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الجن والانس والشياطين وسخرت له الرياح وأعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسى التوراة والانجيل وجعلته يبرئ الاكمه

والابرص و يحيي الموتى باذنك وأعـذته وأمه من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان عليهما سبيل فقال الله سبحانه وتعالى وقد اتخذتك حبيبا قال الراوي وهو مكتوب في التوراة حبيب الله وأرسلتك للناس كافة بشـيرا ونذيرا وشرحت لك صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك لاأذكر الا ذكرت معي وجعلت أمتك خير أمة أخرجت للناس وجعلت أمتك أمة وسطا وجعلت أمتك هم الأولون والآخرون وجعلت أمتك لاتجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي وجعلت من أمتك أقواما قلوبهم اناجيلهم وجعلتك أول النبيين خلقا وآخرهم بعثا وأول من يقضى له وأعطيتك سبعا من المثاني لم أعطها نبيا قبلك وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم أعطها نبيا قبلك وأعطيتك الكوثر وأعطيتك ثمانية أسهم الاسلام والهجرة والجهاد والصـدقة والصلاة وصوم رمضان والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأني يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة - كل هذا الخطاب في حال قربه من رب العالمين ثم ان الله تعالى خفف عن عباده الفعل من خمسين الى خمس وأبقى لهم ثواب الخمسين تفضلا منه تعالى وتكرما على نبيه المصطفى وعلى أمته ببركته وكان صلى الله عليه وسلم لما وصل الى سـدرة المنتهى غشيته سحابة فيها من كل لون فتأخر جبريل ثم عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى وصل لمستوى سمع فيه صريف الاقلام فدنا من الحضرة الالهية حتى كان كقاب قوسين أو أدنى أي أو أقرب أي بل أقرب من ذلك ثم انجلت عنـه السحابة فأخذ جبريل بيده فانصرف سريعا فمر على ابراهيم فلم يقل شيئا ثم أتى على موسى قال النبي صلى الله عليه وسلم ونعم الصاحب كان لكم فقال ماصنعت يامحمد مافرض عليك ربك وعلى أمتك قال النبي صلى الله عليه وسلم فرض علي وعلى أمتي خمسين صلاة كل يوم وليلة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف عنك وعن أمتك فان أمتك لاتطيق ذلك فاني خبرت الناس قبلك وبلوت بني اسرائيل وعالجتهم أشد المعالجة على أدنى من هذا فضعفوا وتركوه فأمتك أضعف أجسادا وأبدانا وقلوبا وأبصارا وأسماعا فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل يستشيره فأشار اليه جبريل ان نعم ان شئت فرجع سريعا حتى انتهى الى الشجرة

فغشيته السحابة وخر ساجدا وقال رب خفف عن أمتي فانها أضعف الامم و
وضعت عنكم خمسا وهكذا الى أن بقيت الخمس وهذا في صحيح مسلم من حديث
أنس رضي الله عنه والذي في المسند والصحيحين وغيرهما عن أنس عن مالك
صعصعة رضي الله عنه انه لما حط عنه عشرا ثم عاد فحط عنه عشرا ثم عاد فح
عنه عشرا وكذلك هو في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه وقال الا
الحافظ ابن الجوزي في الوفاء وهذا أصح لاتفاق البخاري ومسلم عليه من حديث
أنس عن مالك ومن حديث أنس نفسه أيضا وذكر المراجعة خمس مرات وما
عن رواية انه حط خمسا خمسا غلط من الراوي انتهى وقال الحافظ ابن حجر في شر
البخاري كون الحط كان خمسا خمسا أصح ولفظه: تدحضت رواية ثابت ان التخفيف
كان خمسا خمسا وهي زيادة معتمدة يتعين حمل باقي الروايات عليها انتهى قد
وللمناقشة وجه وجيه من أمور أحدها ان كون التخفيف عشرا عشرا أليق بكرم
الكريم الثاني اتفاق الصحيحين عليه من حديث أنس ومن حديث مالك
صعصعة واما كونه خمسا خمسا فمن افراد مسلم وما اتفق عليه الصحيحان أصح الثالث
كونه عشرا عشرا أقل مراجعة الرابع ان حديث أنس من كونه كان خم
صادق بأن الحط في الخامسة خمس فيصدق عليه بأن الحط كان خمسا في الجم
والحاصل ان كون الحط كان عشرا عشرا أصح وبالله التوفيق

﴿ تنبيهات ﴾

(الاول) تقدم الكلام على رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لذي الم
والجبروت والانعام واختلاف الصحابة والتابعين فمن بعدهم في ذلك ومما ينبغي ا
يعلم ان الخلاف المذكور انما هو في وقوعها لا في امكانها وجوازها اذ هي جائزة عقلا
ونقلا أما العقل فواضح وأما النقل فما كان كليم الرحمن ان يسأل المستحيل هذا
مما لا يبديه من عرف منصب النبوة فضلا عن الرسول فضلا عن أحد أولي العز
من الرسل ليت شعري من جهل الواجب والجائز والمستحيل على الله تعالى ما
هذا مما لا يتصوره مؤمن بالله ورسله يرى الحق ويتبعه أبدا ثم ان رؤية البار
جل شأنه واقعة للمؤمنين في الآخرة قطعا كما مر واما من ادعاها في الدنيا يقظ

لغير نبينا صلى الله عليه وسلم على مافي ذلك من الخلاف فهو ضال بل قال الكواشي في تفسيره في سورة النجم ومعتقد رؤية الله تعالى هنا يعني في الدنيا بالعين لغير محمد صلى الله عليه وسلم فزنديق فلو قال اني أرى الله عيانا في الدنيا ويكلمني شفاها كفر انتهى ونقل عن المهدوي المقنس انه كفر مدعى الرؤية هنا وقد نقل جماعة الاجماع على انها لاتحصل للأولياء في الدنيا قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح وأبو شامة انه لايصدق مدعي الرؤية في الدنيا يقظة فان شيئا منع منه موسى كليم الله عليه الصلاة والسلام واختلف في حصوله لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم كيف يسمح به لمن لم يصل لمقامها مما لايتوقف فيه انه لايحصل لآحاد الناس وقد اختلف في رؤية الله تعالى مناما والحق جوازها و بالله التوفيق

(الثاني) اختلف في المراد من قوله تعالى (فكان قاب قوسين أو أدنى) أسيه حيث الوتر من القوس قاله مجاهد وقال أبو عبيدة قاب قوسين أي دار قوسين أو أدنى أو أقرب والقاب مابين القبضة والسية من القوس قال الواحدي هذا قول الجمهور من المفسرين ان المراد بالقوس التي يرمي بها قال وقيل المراد بها الذراع لانه يقاس بها الشيء قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري و ينبغي ان يكون هذا القول هو الراجح فقد أخرج ابن مردويه باسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال القاب القدر والقوسين الذراعين (١) و يؤيده انه لو كان المراد به القوس التي يرمي بها لم يمثل بذلك ليحتاج الى التثنية فكان يقال مثلا قاب رمح أو نحو ذلك وقد قيل انه على القلب والمراد فكان قابي قوسين (٢) لان القاب مابين المقبض الى السية فلكل قوس قابان بالنسبة الى حالقته وقوامه أو أدنى أي أقرب قال الزجاج خاطب الله العرب بما الفوا والمعنى فيما تقدرون أنتم والله تعالى عالم بالاشياء على ما هي عليه لاتزدد عنده وقيل أو بمعنى بل وتقدير بل هو أقرب من القدر المذكور وسية القوس هي الفرضة التي يوضع فيها الوتر والمراد به جبريل عليه السلام قال الحافظ ابن كثير هذا هو الصحيح في التفسير كما دل عليه كلام الصحابة رضي الله عنهم وقد روى الشعبي عن مسروق قال قلت لعائشة رضي الله عنها (ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى)

(١) كذا في الاصل والظاهر الرفع (٢) كذا في الاصل والصواب قابي قوس

قالت ذاك جبريل قال المحقق ابن القيم لان جبريل هو الموصوف بما ذكر من أول السورة الى قوله (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى) هكذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لعائشة قالت عائشة رضي الله عنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال ذلك جبريل لم أراه في صورته التي خلق عليها الامرتين رواه مسلم قال ولفظ القرآن لا يدل على غير ذلك ثم ساق سبعة وجوه دالة على ذلك قال واما ما وقع في البخاري من رواية شريك عن أنس ودنى الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أوأدنى فقد تكلم الناس فيه وقالوا ان شريكا غلط فيه وذكر فيه أمورا منكرة لكن قال المحقق ان الدنو والتدلي الذي في حديث شريك غير هذا وجزم ابن كثير بان الدنو والتدلي فى حديث شريك غير الذي في الآية ولذا قال الرازي في تفسيره فكان قاب قوسين أي فكان بين جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم مقدار قوسين أو أقل وهذا على استعمال العرب وعادتهم فان الاميرين منهم أو الكبيرين اذا اصطلحا وتعاقدا أخرجا بقوسيهما فجعل كل واحد منهما قوسه بطرف قوس صاحبه ومن دونهما من الرعية يكون كفه بكف صاحبه فيمدان باعيهما كذلك فسمي مبائعة انتهى وقوله أو أدنى قال المحقق ابن القيم أو هنا ليست للشك بل لتحقيق قدر المسافة فانها لاتزيد على قوسين البتة كما قال تعالى (وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون) تحقيقا لهذا العدد وانهم لاينقصون عن مائة ألف رجل واحدا ونظيره قوله تعالى(ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أوأشد قسوة) أي لاتنقص قسوتها عن قسوة الحجارة بل ان لم تزد على قسوة الحجارة لم تكن دونها قال وهذا المعنى أحسن وألطف وأدق من قول من جعل أو في هذا الموضع بمعنى بل ومن قول من جعلها للشك بالنسبة الى الرائي ومن قول من جعلها بمعنى الواو فتأمله انتهى

(الثالث سدرة المنتهى) السدر شجر النبق واحده سدرة وانما قيل لها سدرة المنتهى لانه ينتهي اليها مايهبط من فوقها فيقبض منها واليها ينتهى ما يعرج من الارض كما رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وقيل غير ذلك قال ابن دحية واختيرت السدرة دون غيرها لان فيها ثلاثة أوصاف ظل مديد وطعم

لذيذ ورائحة ذكية فكانت بمنزلة الايمان الذي يجمع القول والعمل والنية وقدوقع
عند مسلم في صحيحه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ان السدرة في السماء
السادسة وظاهر حديث أنس رضي الله عنه أنها في السابعة قال القرطبي وهو تعارض
لاشك فيه وحديث أنس قول الاكثر وهو الذي يقتضيه وصفها بكونها التي ينتهي
اليها علم كل نبي مرسل وكل ملك مقرب ويترجح حديث أنس أيضا بأنه مرفوع
وحديث ابن مسعود موقوف قال الحافظ ابن حجر كذا قال يعني القرطبي ولم
يعرج على الجمع بل جزم بالتعارض ولايعارض انها في السماء السادسة مادلت عليه
الأخبار انه وصل اليها بعدان دخل في السماء السابعة لانه يحمل على ان أصلها في
السادسة واغصانها وفروعها في السابعة وليس في السادسة الأصل ساقها قال ابن
حجر والاظهران سدرة المنتهى مغروسة بالارض بدليل قوله ونهران باطنان ولا يطلق
هذا اللفظ وماأشبهه الاعلى مايفهم والباطن لابد ان يكون سريانه تحت شيء
وحينئذ يطلق عليه اسم الباطن وقال القاضي عياض دل الحديث على أن أصل
شجرة المنتهى في الأرض لكونه قال ان النيل والفرات يجريان من أصلها وهما
بالمشاهدة يجريان من الارض فيلزم منه ان يكون أصل السدرة في الارض وتعقبه
النووي بأن المراد بكونهما يخرجان من أصلها غير خروجهما بالنبع من الارض
والحاصل أن أصلها من الجنة وهما يخرجان أولا من أصل السدرة ثم يسيران
الى أن يستقرا في الارض ثم ينبعان وفي أصل القصة فاذا في أصلها أربعة أنهار
نهران باطنان ونهران ظاهران وقال جبريل لما سئل عنها اما الباطنان فنهران في
الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات قال ابن أبي جمرة هذا يدل على ان النيل والفرات
ليسا من الجنة وسدرة المنتهى ليست في الجنة حتى يقال انهما يخرجان منها بعد
نبعها من السدرة وهذا معارض لما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا
سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من انهار الجنة والجمع بينهما والله أعلم ان
الفرات والنيل منبعهما من السدرة واذا أنزلا الى الارض يسلكان أولا على الجنة
فيدخلانها ثم بعد ذلك ينزلان الى الارض انتهى قلت اذا قلنا سدرة المنتهى في
السابعة تعين أنها في الجنة لان الجنة ليس سقفها سوى عرش الرحمن والله أعلم

(الرابع) المستوى الذي سمع فيه صلى الله عليه وسلم صريف الاقلام هو المصعد وقيل المكان المستوي وصريف الاقلام بفتح الصاد المهملة وكسر الراء وبالفاء هو صوت حركة الاقلام وهو جريانها على المكتوب فيه من الاقضية الالهية والوحي وما ينسخونه من اللوح المحفوظ أوماشاء الله من ذلك ان يكتب ويرفع لما أراده تعالى من أوامره وتدبيره وفيه حجة لاهل السنة في الايمان بصحة كتابة الوحي والمقادير في كتب الله من اللوح المحفوظ بالاقلام الذي هو تعالى يعلم جنسها وكيفيتها على ما جاءت به الآيات والاحاديث الصحيحة فكل ما جاء من ذلك فهو حق يبقى على ظاهره نعم كيفية ذلك وصورته وجنسه ممالايعلمه الا الله تعالى ومن أطلعه الله تعالى على شيء من ذلك من الملائكة والمرسلين وما يتأول هذا أو يحيله الاضعيف الايمان اذ جاءت به الشريعة والله يفعل ما يشاء ويحكم مايريد وهو الغني الحميد والله تعالى أعلم

(الخامس) الصحيح المعتمد ان الاسراء والمعراج كانا في ليلة واحدة هذا الذي اعتمده أكثر أهل العلم وقيل كان الاسراء وحده في ليلة ثم كان هو والمعراج في ليلة أخرى والاول هو الذي ذهب اليه أكثر أهل العلم من المحدثين والمفسرين والفقهاء والمتكلمين وانهما كانا يقظة بالروح والجسد جميعا لافي المنام من مكة الى المسجد الاقصى الذي هو في بيت المقدس الى السموات العلى الى سدرة المنتهى الى حيث شاء الله العلي الاعلا قال أهل الحق وهذا هو الحق من غير امتراء وعليه يدل القرآن نصا وصحيح الاخبار الى السموات استفاض استفاضة تكاد تبلغ التواتر أو بلغته ولا يعدل عن الظاهر في الأخبار الواردة فى ذلك ولا عن الحقيقة المتبادرة الى الاذهان من ألفاظها الى التأويل الا عند الاستحالة وتعذر حمل اللفظ على حقيقته وليس ثم استحالة تؤذن بالتأويل فلا جرم وجب اعتقاده على ظاهره مع تفويض علم مادق الى الحق وبالله التوفيق .

(السادس) زعم بعض الصوفية ان المعراج وقع له صلى الله عليه وسلم ثلاثين مرة وقال بعضهم أربعة وثلاثين مرة واحدة منها بجسمه الشريف والباقي بروحه ورد الحقق تعدد ذلك مع عدد فرض الصلاة والمراجعة فى الحط والتخفيف قال

الحافظ ابن حجر في شرح البخاري وما أظن أحدا ممن قال بالتعدد يلتزم اعادة مثل ذلك والله تعالى أعلم

﴿ فكم حباه ربه وفضله وخصه سبحانه وخوله ﴾

﴿ فكم حباه ربه ﴾ سبحانه وتعالى بمكرمة ﴿ و ﴾ كم ﴿ فضله ﴾ على غيره بمزية من المزايا التي لاتحصى والمكرمات التي لاتستقصى فان كم هذه خبرية بمعنى كثير فهي تفيد كثرة ماحباه ربه به من المكرمات والمزايا والحباء بمعنى الاعطاء يقال حبا فلانا أعطاه بلا جزاء ولامن أوعام والاسم الحباب ككتاب كما في القاموس ﴿ و ﴾ كم ﴿ خصه ﴾ الله ﴿ سبحانه ﴾ وتعالى بخصوصية يقال خصه خصا وخصوصا وخصوصية ويفتح وخصيص ويمد وخصه وتخصه فضله والخاص والخاصة ضد العامة ﴿ وخوله ﴾ بمعنى أعطاه قال في القاموس خوله الله المال أعطاه اياه مفضلا والمعنى انه جل وعلا خص نبيه المصطفى بخصائص كثيرة ومزايا جليلة غير ما ذكرنا حتى ان ابن سعد ذكر في كتابه شرف المصطفى أوصل الخصائص التي اختص الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم بها عن سائر الانبياء والمرسلين الى ستين وبعض متأخري الحفاظ أوصلها الى ثلاث مائة وقال بعض الحفاظ الحق عدم حصرها غير انه لم يتعرض في النظم الا لبعض المهم منها على انها افردت بالتأليف فلا حاجة الى تعدادها هنا

فصل

﴿ في التنبيه على بعض معجزاته صلى الله عليه وسلم وهي كثيرة جدا ﴾

وتعريف المعجزة هي اسم فاعل مأخوذة من العجز المقابل للقدرة وفي القاموس معجزة النبي ما أعجز به الخصم عند التحدي والهاء للمبالغة انتهى وقال ابن حمدان في نهاية المبتدئين المعجزة هي ما خرق العادة من قول أوفعل اذا وافق دعوى الرسالة وقارنها وطابقها على جهة التحدي ابتداء بحيث لا يقدر أحد عليها ولا على مثلها ولا على ما يقاربها وقال الفخر الرازي المعجزة عرفا أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة قال العلامة التفتازاني انما قال أمر ليتناول الفعل

، كانفجار الماء من بين أصابع النبي صلى الله عليه وسلم و يناول عـدمه أي عدم الفعل كعدم احراق النار ابراهيم عليه السلام واحترزوا بقيد المقارنة للتحدي عن كرامات الاولياء والعلامات الارهاصية التي تتقدم البعثة النبوية وعن ان يتخذ الكاذب معجزة من مضى من الانبياء أوما تقدم له في السنين الماضية حجة لنفسه و بقيد عدم المعارضة عن السحر والشعبذة وقول ابن حمدان وطابقها ليخرج ما اذا قال معجزتي نطق هذا الحجر فنطق بأنه كذاب مفتر وكما تفل مسيلمة في بئر فغار ماؤها ومسح على رأس غلام فصار أقرع ونحو ذلك اذا عرفت هذا فقد أشار الى التنبيه على ان معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة شهيرة فلا يمكن استقصاء عدها بقوله

﴿ ومعجزات خاتم الانبياء   كثيرة تجل عن احصائي ﴾

﴿ ومعجزات ﴾ جمع معجزة وتقدم تعريفها آنفا ﴿ خاتم الانبياء ﴾ يعني نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم والانبياء جمع نبي وتقدم الكلام على كونه خاتم النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ﴿ كثيرة ﴾ جدا ﴿ تجل ﴾ أي تعظم وتكبر ﴿ عن احصائي ﴾ أي عن عدي وحفظي لكثرة افرادها وتنوعها من الاقوال والافعال التي ماسبقت لمثله من الانبياء ولم يبلغ أحد من الانبياء من كثرة المعجزات مابلغه نبينا صلى الله عليه وسلم وهو دليل على مزيد التشريف والتكريم وشدة الاعتناء والاهتمام بشأنه والاحتفال بأمر نبوته وأيضا لما كان نبينا خاتم النبيين والمرسلين وشريعته خاتمة الشرائع أجمعين ناسب كثرة المعجزات وترادف الآيات البينات والمعجزات الباهرات قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه في كتابه الجواب الصحيح الآيات والبراهين الدالة على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة متنوعة وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الانبياء قال ويسميها النظار معجزات وتسمى دلائل النبوة وأعلام النبوة ونحو ذلك قال وهذه الالفاظ اذا سميت بها آيات الانبياء كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجودا في الكتاب ولا في السنة وانما فيه لفظ الآية والبينة والبرهان وأهل الكلام لايسمي

معجزا الا ما كان للانبياء فقط واما ما يثبت للاولياء من خرق عادة يسمونها كرامة قال والسلف كالامام أحمد وغيره كانوا يسمون هذا وهذا معجزا ويقولون لخوارق الاولياء انها معجزات اذا لم يكن في اللفظ ما يقتضي اختصاص الانبياء بخلاف ما كان آية وبرهانا على نبوة النبي فان هذا يجب اختصاصه وربما سموا الكرامات آيات لكونها تدل على نبوة من اتبعه الولي فان الدليل يستلزم المدلول فيمتنع ثبوته بدون ثبوت المدلول فكذلك ما كان آية وبرهانا وهو الدليل والعلم على نبوة النبي يمتنع ان يكون لغير النبي وقد يقال انهم سموها معجزات لان كرامات الاولياء دليل على نبوة النبي الذي اتبعوه أو لانها تعجز غيرهم وهي آية على صحة طريقتهم انتهى قال بعض العلماء معجزات نبينا كثيرة لا تنحصر وفي كلام بعضهم انه صلى الله عليه وسلم اعطي ثلاثة آلاف معجزة يعني غير القرآن فان فيه ستين أو سبعين ألف معجزة تقريبا ولهذا قال

﴿ منها كلام الله معجز الورى كذا انشقاق البدر في غير امترا ﴾

﴿ منها ﴾ أي من معجزات نبينا خاتم النبيين والمرسلين بل أعظمها وأجلها ﴿ كلام الله ﴾ المنزل على النبي المرسل ﴿ معجز الورى ﴾ كفتى الخلق جميعهم انسهم وجنهم وأولهم وآخرهم فهو معجز بنفسه ليس في وسع البشر الاتيان بسورة من مثله كما تقدم ذلك موضحا و ﴿ كذا ﴾ من غرر معجزاته صلى الله عليه وسلم ﴿ انشقاق البدر ﴾ أي القمر قال في القاموس والبدر القمر الممتلىء انتهى وهو أحد الكواكب السيارة التي هي الشمس والقمر والزهرة وعطارد والمريخ والمشتري وزحل فانشقاق القمر نصفين ثابت ﴿ من غير امترا ﴾ أي من غير شك ولا جدل مأخوذ من المرية بالضم والكسر الشك والجدل يقال ماراه مماراة ومراء وامترى فيه وتمارى شك كما في القاموس وفي النهاية المراء الجدال والتماري والمماراة المجادلة على مذهب الشك والريبة انتهى وانما قال من غير امترا لثبوت ذلك وظهوره لكل أحد ظهورا تاما وثبوتا جازما وقصة ذلك كما في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما وقال شيبان عن قتادة فأراهم انشقاق

القمر مرتين وفي حديث ابن مسعود عند البخاري ومسلم وغيرهما قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وقال ابن عباس رضي الله عنهما اجتمع المشركون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت تؤمنون قالوا نعم فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل ان يعطيه ما سألوا فانشق القمر فرقتين ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي يا فلان يا فلان اشهدوا وذلك بمكة قبل الهجرة وقال مجاهد انشق القمر فبقيت فرقة من وراء الجبل وقال ابن زيد لما انشق القمر كان يرى بجبل قعيقعان النصف وأبي قبيس النصف الآخر قال في النهاية قعيقعان جبل بمكة قيل سمي بذلك لان جرهما لما تحاربوا كثرت قعقعة السلاح هناك وجبل أبي قبيس مشهور معلوم بمكة وروى الامام أحمد من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل فقالوا سحرنا محمد وقالوا ان كان سحرنا فانه لا يستطيع ان يسحر الناس كلهم فاسألوا السفار فان شهدوا بما أبصرتموه فهو حق وليس هو سحرا فسألوا من كان مسافرا عن مكة من أهلها ومن غيرهم فاخبروهم أنهم رأوا ذلك فتمادوا في كفرهم وعتوهم ولم يؤمنوا وروى الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم هذا سحر سحركم ابن أبي كبشة فاسألوا السفار يقدمون عليكم فان كان مثل ما رأيتم فقد صدق والا فهو سحر فقدم السفار فسألوهم فقالوا نعم قد رأينا قد انشق القمر وأخرج أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما في قوله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر) قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (قلت) قد ثبت انشقاق القمر بنص القرآن العظيم وبالسنة الصحيحة الصريحة عن الرسول الكريم وقد بلغت الاحاديث بذلك مبلغ التواتر وأجمع على ذلك أهل الحق وهذا الانشقاق الواقع للقمر من خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم التي اختص بها عن سائر النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فلم يشركه في ذلك غيره ولم يقع لاحد سواه وهو

من أمهات معجزاته التي لا يكاد يعدلها بعد القرآن شيء ولا يعدلها آية من آيات الانبياء عليهم السلام لظهور ذلك في ملكوت السموات خارجا عن جملة طباع مافي هذا العالم المركب من الطبائع فهو آية ومعجزة جسيمة ولهذا قرنها بمعجزة القرآن واقتصر عليهما من المعجزات لان فيهما كفاية عما سواهما والا فمعجزاته صلى الله عليه وسلم لاتحصى ودلائل نبوته لاتستقصى

﴿ تنبيهات ﴾

(الاول) قد روي انشقاق القمر عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم منهم ابن مسعود وأنس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم وغيرهم رضي الله عنهم

(الثاني) الثابت من قصة انشقاق القمر ماذكرناه من الاحاديث الصحيحة والنصوص الصريحة وأما ماقيل أن القمر دخل في جيبه صلى الله عليه وسلم وخرج من كمه فلا أصل له

(الثالث) قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الجواب الصحيح آياته صلى الله عليه وسلم المتعلقة بالقدرة والفعل والتأثير أنواع (منها) ماهو في العالم العلوي كانشقاق القمر وحراسة السماء بالشهب الحراسة التامة ومعراجه الى السماء قال وانما جعل الآية في انشقاق القمر دون الشمس وسائر الكواكب لانه أقرب الى الارض من الشمس والنجوم وكان الانشقاق فيه دون اجزاء الفلك لانه جسم مستنير فيظهر فيه الانشقاق لكل من يراه ظهوراً لايمارى فيه واذا قبل الانشقاق فقبول محله أولى بذلك قال وفيه حكمتان عظيمتان احداهما كونه من آيات النبوة والثانية أن فيه دلالة على جواز انشقاق الفلك وان ذلك دليل واضح على ماأخبرت به الرسل عليهم الصلاة والسلام من انشقاق السموات خلافا للفلاسفة في زعمهم أن الفلك لايقبل الخرق والالتئام والله أعلم (ومنها) ماهو في الجو كاستسقائه واستصحائه صلى الله عليه وسلم وطاعة السحاب في حصوله وذهابه (ومنها) تصرفه في الحيوانات الانس والجن والبهائم (ومنها) تصرفه في الاشجار والخشب والاحجار (ومنها) تأييده بملائكة السماء (ومنها) كفاية الله تعالى له أعداءه وعصمته من الناس (ومنها) اجابة دعائه

صلى الله عليه وسلم (ومنها) اعلامه بالمغيبات الماضية والمستقبلة (ومنها) تأثيره في تكثير الماء والشراب والطعام والثمار وغير ذلك من دلائل نبوته واعلام رسالته ومعجزاته الظاهرة وآياته الباهرة

(الرابع) أن نفس صورة النبي صلى الله عليه وسلم الشريفة الباهرة وهيئته وطلعته الظاهرة وسمته ودله يدل العقلاء على صدقه ولهذا قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه فلما رأيت وجهه عرفت انه ليس بوجه كذاب ومن سمع كلامه ورأى آدابه لم يدخله شك في نبوته قال الحافظ ابن الجوزي وغيره من الحفاظ وثبت في عدة أخبار انه صلى الله عليه وسلم كان في صغره يعرف بالامانة والصدق وجميل الاخلاق وقد قال هرقل في حديث أبي سفيان ما كان ليترك الكذب على الناس و يكذب على الله تعالى وقال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه في الجواب الصحيح قال نفطويه في قوله تعالى (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) هو مثل ضربه الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يتل قرآنا كما قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه

لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تأتيك بالخبر

وذكره القاضي عياض في كتابه الشفاء وذكر من هذا القبيل طرفا صالحا و بالله التوفيق

(فصل)

في ذكر فضيلة نبينا وأولي العزم وغيرهم من النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

﴿وأفضل العالم من غير امترا نبينا المبعوث في أم القرى﴾

﴿وأفضل العالم﴾ العلوي والسفلي من ملك و بشر وجن في الدنيا والآخرة في سائر خلال الخير وخصال الكمال ونعوت المكارم والجمال ﴿من غير امترا﴾ أي من غير شك ولا ريب قال في القاموس العالم الخلق كله أو ما حواه بطن الفلك

﴿نبينا﴾ خبر المبتدا الذي هو أفضل العالم محمد ﴿المبعوث﴾ رسولا لكافة الناس بل للثقلين الانس والجن قيل والملائكة وتقدم ذلك ﴿في أم القرى﴾ مكة المشرفة و بكة المعظمة قال تعالى (لتنذر أم القرى) يعني مكة قال الحافظ الجوزي في كتابه مثير الغرام الساكن الى أشرف الاماكن (في تسميتها بذلك أربعة) أقوال (أحدها) لان الارض دحيت من تحتها قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقال ابن قتيبة لأنها أقدمها (الثاني) لانها قبلة يؤمها جميع الناس (الثالث) لأنها أعظم القرى شأنا (الرابع) لان فيها بيت الله عز وجل ولما اطردت العادة بأن بلد الملك و بيته هو المتقدم على الاماكن سمي أمًّا لأن الأم متقدمة وانما كان أفضل خلق الله تعالى لأن الله تعالى أيده بأبهر المعجزات وأظهر الدلالات وأشهر المكرمات فمعجزاته أشهر المعجزات وأبهرها وأمته أزكي الامم وأطهرها وشريعته أتم الشرائع وأشهرها وصفاته أكمل الصفات وأشرفها وأخلاقه أحسن الاخلاق وأعرفها وأوسعها وشيمه أعلا الشيم وأنفعها

ومن أعظم ما يدل على تعظيم نبينا وفضله على سائر الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ان الله سبحانه وتعالى اقسم بحياته وفي شرعه انما تنعقد الايمان بأسماء الله تعالى وصفاته وكلامه لا بدون ذلك قال الامام الحافظ بن الجوزي في الوفاء اقسم الحق عزوجل بحياته وانما يقع القسم بالمعظم و بالمحبوب قال تعالى (لعمرك أنهم لفي سكرتهم يعمهون) وأخرج الترمذي وغيره من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال «ماخلق الله وما ذرأ نفسا هي أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت أقسم بحياة أحد غيره فقال (لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون) قال الامام ابن عقيل رحمه الله تعالى وأعظم من قوله تعالى لموسى (واصطنعتك لنفسي) قوله تعالى (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) و بيان ذلك انه جعل اللام في قوله واصطنعتك لنفسي التي هي للملك أو الاختصاص بينه و بينه ولم يجعل بينه تعالى وبين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واسطة بل قال (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) وقوله تعالى (لأقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد) المعنى اقسم بك لا بالبلد فان أقسمت بالبلد فلانك فيه ثم قال ابن عقيل: ياموسى اخلع نعليك

ولا يجيء الا ماشيا، يا محمدا ركب البراق ولا تجيء الا راكبا، وأخرج الطبراني وصححه وابن حبان من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعا أتاني جبريل فقال يقول لك ربك أتدري كيف رفعت لك ذكرك قال الله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي، وأخرجه الشافعي وسعيد بن منصور وعبد الرزاق من طريق مجاهد قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد الاذان والاقامة والتشهد والخطبة على المنابر قال ولو ان عبدا عبد الله وصدقه في كل شيء ولم يشهد ان محمدا رسول الله لم ينتفع بشيء وكان كافرا وقال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة ولا أذان الا ينادي أشهد أن لا اله الا الله وأشهد ان محمدا رسول الله وفيه يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه

أغر عليه للنبوة خاتم ... من الله مشهور يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي الى اسمه ... اذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

ومن مزاياه على سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام انه تعالى دعاهم بأسمائهم (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة – واذكر في الكتاب ادريس – يا نوح اهبط بسلام منا – يا ابراهيم اعرض عن هذا – ياموسى أني اصطفيتك – ياداود انا جعلناك خليفة – ياعيسى بن مريم اذكر نعمتي – يا زكريا انا نبشرك – يا يحيى خذ الكتاب) ودعا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بالتعظيم والتفخيم فقال (يا أيها النبي – يا أيها الرسول) ولما ذكر اسمه قرنه بذكر الرسالة فقال تعالى (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل – محمد رسول الله والذين معه – وآمنوا بما نزل على محمد – ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله) ولما ذكر الخليل وسيدنا رسول الله ذكر الخليل باسمه وذكره باللقب فقال تعالى (ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي) وقال ابن الجوزي رحمه الله تعالى وكان الانبياء عليهم السلام يجادلون أممهم عن أنفسهم كقول قوم نوح (انا لنراك في ضلالة) فقال دافعا عن نفسه (ليس بي ضلالة – وقال قوم هود انا لنراك في سفاهة فقال ليس بي سفاهة – وقال فرعون اني لأظنك يا موسى مسحورا – فقال موسى – اني لأظنك يا فرعون مثبورا أي مصروفا

عن الحق مطبوعا على قلبك واما نبيناصلى الله عليه وسلم فتولى الحق سبحانه المجادلة عنه فلما قالواهذا شاعر قال قال تعالى(وماعلمناه الشعر) ولماقالوا كاهن قال تعالى (وماهو بقول كاهن) وقالوا ضل فقال (ماضل صاحبكم وماغوى) وقالوامجنون فقال (ماأنت بنعمة ربك بمجنون) حتى قال تعالى(لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) قال الواحدي أعلمهم الله فضل النبي صلى الله عليه وسلم على سائر البرية في المخاطبة وأمرهم ان يفخموه ويشرفوه ولا يقولوا له عند دعائه يامحمد يا ابن عبد الله كما يدعون بعضهم بعضا بل يقولون يارسول الله يانبي الله في لين وتواضع وخفض وذكر ابن الجوزي في الوفا عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى لاتجعلوا دعاء الرسول الآية قال كانوا يقولون يامحمد ياأبا القاسم فنهاهم الله تعالى عن ذلك اعظاما لنبيه فقالو يانبي الله يارسول الله وحكى عن الحسن نحوه رواه أبو نعيم وهذا بخلاف الامم السالفة فانهم كانوا يخاطبون أنبياءهم بأسمائهم

وفضائله ومزاياه صلى الله عليه وسلم كثيرة شهيرة فهوأفضل خلق الله تعالى صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وفي صحيح مسلم وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «أناسيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع» وفي الترمذي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا وأناخطيبهم اذاوفدوا وأنامبشرهم اذا أيسوا، لواء الحمد بيدي وأنا أكرم ولدآدم على ربي ولا فخر » قال ابن الانباري أراد لاأتبجح بهذه الاوصاف لكن أقولها شكرا ومنبها على انعام ربي علي وفي حديث جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «والذي نفسي بيده لوان موسى كان حيا ماوسعه الا ان يتبعني»

فان قيل قدقال صلى الله عليه وسلم لمن قال له ياخير البرية ذاك ابراهيم وقال لاتخيروني على موسى وقال لاتفاضلوا بين الانبياء وقال صلى الله عليه وسلم ماينبغي لعبد ان يقول اني خير من يونس بن متى فالجواب انه صلى الله عليه وسلم اما ان يكون قال ذلك قبل ان يعلمه الله تعالى انه سيد الاولين والآخرين فلما أعلمه الله سبحانه وتعالى بذلك أخبر به واما أنه قال ذلك تواضعا وتأدبا واحتراما لخلة

ابراهيم عليه السلام واما انه أراد برية عصر ابراهيم أوان النهي انما هو عن تفضيل يؤدي الى تنقيص المفضول أو يؤدي الى الخصومة والفتنة كما هو المشهور في سبب ورود تلك الاحاديث أو لان النهي عن التفضيل في النبوة نفسها وذلك قد لا يتصور فيها بل في خصائصها وتوابعها والحق انه ورد النص بتفضيل بعض الرسل على بعض فقد قال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) والحاصل انه صلى الله عليه وسلم قال ذلك قبل العلم بتفضيل الله له على سائر الانبياء والرسل مع مراعاته لعلو مراتبهم الباذخة وجلالة مناصبهم الشامخة ثم أعلمه الله تعالى بأنه سيد الاولين والآخرين وأفضل جميع الانبياء والمرسلين وأمر بتبليغ ذلك فبلغه كما أمر لان اعتقاد ذلك حق لازم وفرض جازم مع مجانبة التفضيل المؤدي الى تنقيص المفضول ومراعاة علو تلك المراتب التي لا تدرك كنه حقائقها أكثر العقول فالنبي المصطفى أفضل الخلق جميعا بلا خفاء صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين

﴿ وبعده الافضل أهل العزم فالرسل ثم الانبيا بالجزم ﴾

﴿ وبعده ﴾ أي بعد النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ الافضل ﴾ من سائر الخلق هم ﴿ أهل العزم ﴾ أي أهل الثبات والجد من الرسل وهم على المشهور ابراهيم الخليل وموسى الكليم وعيسى الروح ونوح النجي فيكونون خمسة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهم المذكورون في قوله تعالى (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم) فانهم أصحاب الشرائع وقدم نبينا صلى الله عليه وسلم تعظيما له وتكريما لشأنه وهؤلاء الذين اجتهدوا في تأسيس الشرائع وتقريرها وصبروا على تحمل المشاق من قومهم ومعاداة الطاغين فيها وقيل انما كانوا هم أولي العزم لصبرهم على البلاء من الله تعالى فنوح صبر على أذى قومه فانهم كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم صبر على النار وذبح ولده وقد قيل كل الرسل من أولي العزم فمن للتبيين لا للتبعيض وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) ذوو الحزم وقال الضحاك ذوو الجد والصبر قال ابن زيد كل الرسل كانوا أولي عزم لم يبعث الله نبيا الا كان ذا عزم وحزم

ورأي وكمال عقل وانما ادخلت من للتجنيس لا للتبعيض كما يقال اشتريت أكسية من الخز وأردية من البز وقال بعضهم الانبياء كلهم أولو العزم الا يونس عليه السلام لعجلة كانت منه الا ترى انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم (ولا تكن كصاحب الحوت) وقال قوم أولوا العزم نجباء الرسل المذكورن في سورة الانعام وهم ثمانية عشر لقوله تعالى بعد ذكرهم (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة نوح وابراهيم الخ وهو المشهور كما قدمنا آنفا وأخرج البغوي في تفسيره وأبو الشيخ ابن حبان عن مسروق قال قالت لي عائشة رضي الله عنها قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «ياعائشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد ياعائشة ان الله لم يرض من أولي العزم الا بالصبر على مكروهها والصبر على محبوبها فلم يرض الا ان يكلفني ما كلفهم فقال (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) واني والله لا بدلي من طاعته والله لاصبرن كما صبروا واجهدن ولا قوة الا بالله»

وقد اختلف العلماء في من يلي النبي صلى الله عليه وسلم في الفضيلة منهم والمشهور واختاره الحافظ ابن حجر في شرح البخاري انه ابرهيم خليل الرحمن لما ورد ان ابراهيم عليه السلام خير البرية خص منه محمد صلى الله عليه وسلم باجماع فيكون أفضل من موسى وعيسى ونوح عليهم السلام والثلاثة بعد ابراهيم أفضل من سائر الأنبياء والمرسلين قال الحافظ ابن حجر ولم أقف على نقل أيهم أفضل والذي ينقدح في النفس تفضيل موسى فعيسى فنوح عليهم الصلاة والسلام قال بعض العلماء لعل تقديم موسى عليه السلام لانه كلمه الله ثم عيسى عليه السلام لأنه كلمة الله وقال بعض المحققين الواجب اعتقاده أفضلية الافضل على طبق ماورد الحكم به تفصيلا في التفصيلي واجمالا في الاجمالي ثم ان تعين لنا نص من الشارع على الوجه الذي جعله سببا لافضليته قلنا به والا أمسكنا عنه لان التفضيل راجع لاختيار الباري سبحانه وتعالى لا لعلة موجبة وجدت في الفاضل وفقدت من المفضول ولله تعالى ان يفضل من عبيده من يشاء بما يشاء على من يشاء منهم وان كان كل واحد منهم كاملا في نفسه بالغا من ذلك الغاية التي تليق به من غير ان يحمله على ذلك وصف يكون فيهم وذلك مما يجب له سبحانه بحق ربوبيته وسيادته ولا شك أن الفاضل

لايجب ان يفضل بما لم يجعله الله سببا لتفضيله وأن المفضول لايجب ان يجعل مفضولا لسبب لم يجعله الله تعالى سببا لمفضوليته وأن الله تعالى لايجب ان يفاضل أحد بين احبابه بما لم يجعله سببا للمفاضلة فتبين أن الصواب ماأشير اليه من الوقوف على المنقول بالنص القرآني والثابت عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه تفصيلا واجمالا وبالله التوفيق ثم بعد أولي العزم ﴿ ف ﴾ الواجب اعتقاده ان يليهم في الافضلية سائر ﴿ الرسل ﴾ المكرمين بالرسالة فهم أفضل من الانبيا عليهم السلام غير الرسل وبه يعلم إن الرسالة أفضل من النبوة ولو في شخص واحد خلافا للعز ابن عبد السلام فى قوله أن نبوة النبي أفضل من رسالته لقصرها على الحق تعالى اذ هي الايحاء بما يتعلق بالباري جل شأنه من غير ارتباط له بالخالق أما مع تعدد المحل فلا خلاف في أفضلية الرسالة على النبوة ضرورة جمع الرسالة لها مع زيادة على أن الصحيح المعتمد أفضلية الرسالة مطلقا والله تعالى أعلم ﴿ ثم ﴾ الافضل بعد الرسل الكرام ﴿ الانبيا ﴾ عليهم أفضل الصلاة والسلام وهم متفاوتون فى الفضيلة فبعضهم أفضل من بعض كما قال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) فهذا واجب الاعتقاد تفصيلا فيمن علم منهم وعلم حكمه تفصيلا ولو بدليل ظني صحيح واجمالا فيما علم منهم وعلم حكمه اجمالا ولهذا قال ﴿ بالجزم ﴾ السديد والقطع المفيد للحكم المذكور من غير شك ولا ترديد حسبما تقدم على النهج السديد الا قوم وعلم ماذكر ولا سيما من قوله بالجزم رد زعم من زعم ان الولي قد يبلغ درجة النبي كما يحكى عن الكرامية بل زعم بعض الصوفية أن الولاية أفضل من النبوة قالوا لانها تنبي عن القرب والكرامة كما هو شأن خواص الملك والمقربين منه والنبوة عن الانباء والتبليغ كما هو حال من أرسله الملك الى الرعايا لتبليغ الاحكام قالوا الا ان الولي لايبلغ درجة النبي بخلاف العكس لان نبوة النبي لاتكون بدون الولاية وقد شنع شيخ الاسلام ابن تيمية على من يزعم ذلك في محالات من كتبه وقال ان ذلك مخالف لدين الاسلام واليهود والنصارى وقال في جواب المسائل الاسكندرية بعد ماذكر شنيع مقالاتهم وزيف ترهاتهم ولهذا يقولون إن الولاية أعظم من النبوة والنبوة أعظم من الرسالة وينشدون

مقام النبـوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي

ويقولون ان ولاية النبي أعظم من نبوته ونبوته أعظم من رسالته ثم قد يدعي أحدهم أن ولايته وولاية سائر الاولياء تابعة لولاية خاتم الاولياء وأن جميع الانبياء والرسل من حيث ولايتهم هي أعظم عندهم من نبوتهم ورسالتهم وانما يستفيدون اعلم بالله الذي هو عندهم القول بوحدة الوجود من مشكاة خاتم الاولياء وشبهتهم في أصل ذلك ان قالوا الولي يأخذ عن الله بغير واسطة والنبي والرسول أخذ بواسطة ولهذا جعلوا ما يلقي في نفوسهم ويجعلونه من باب المخاطبات الالهية والمكاشفات الربانية أعظم من تكليم موسى بن عمران عليه السلام قال وهي في الحقيقة إيحاآت شيطانية ووساوس نفسانية (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم) ولو هدوا لعلموا أن أفضل ما عند الولي ما أخذه عن الرسول لا ما يأخذه عن قلبه وأن أفضل الاولياء الصديقون وأفضلهم أبو بكر رضي الله عنه وكان هو أفضل من عمر مع أن عمر كان محدثا كما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «قد كان قبلكم في الامم محدثون فان يكن في امتي أحد فعمر» وفي الترمذي «لو لم أبعث لبعث فيكم عمر» وقال «ان الله تعالى ضرب الحق على لسان عمر وقلبه» ومع هذا فالصديق الذي تلقي من مشكاة النبوة مطلقا أفضل لان مأخذه معصوم من الخطأ والمحدث ليس معصوما بل يقع له الصواب والخطأ ولهذا يحتاج أن يزنه بميزان النبوة المعصومة وقال أبو مجلز في قوله تعالى (ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين) قال ان يسأل منازل الانبياء ثم تكلم على زعمهم ما زعموا في خاتم الاولياء وأن هذه كلمة لا حقيقة لفضلها ومزيتها وانما تكلم أبو عبد الله الحكيم الترمذي بشيء من ذلك غلطا لم يسبق اليه ولم يتابع عليه ومسمى هذا اللفظ هو آخر مؤمن تقي يكون وليس ذلك أفضل الاولياء باتفاق المسلمين بل أفضل الاولياء سابقهم وأقربهم الى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما كما يأتي اذ الاولياء يستفيدون من الانبياء كما أتي ذو قربهم الى الرسول أفضلهم بخلاف خاتم الرسل فان الله تعالى أرسله بالرسالة لم ينله على غيره فقياس مسمى أحد اللفظين على الآخر في وجوب كونه أفضل من أفسد القياس وقال شيخ الاسلام روح الله روحه في مكان آخر

في التكيت على من جعل ختم الاولياء أفضل من الرسل والانبياء وزعم هؤلا أن الرسل جميعهم و الانبياء يستفيدون علم المعرفة بالله تعالى من مشكاة الذي جعلو خاتم الاولياء وجعلوه أفضل من خاتم الرسل من جهة الحقيقة والعلم به وانه يأخذ عن الاصل من حيث يأخذ الملك الذي يوحي الى خاتم الرسل وان خاتم الرسل انما سيد في الشفاعة فسيادته في هذا المقام الخاص لا على العموم قال هؤلاء وليس هذا العلم الا لخاتم الرسل وخاتم الاولياء وما يراه أحد من الانبياء والرسل الا من مشكاة الرسول الخاتم ولا يراه أحد من الاولياء الا من مشكاة الولي الخاتم حتى ان الرسل لا يرونه متى رأوه الا من مشكاة خاتم الاولياء فان الرسالة والنبوة أعني نبوة التشريع ورسالته ينقطعان والولاية لا تنقطع أبدا فالمرسلون من كونهم أولياء لا يرون ما ذكرناه يعني من الحقيقة والعلم بالله ومعرفته الا من مشكاة خاتم الاولياء فكيف من دونهم من الاولياء وان كان خاتم الاولياء تابعا في الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع فذلك لا يقدح في مقامه ولا يناقض ماذهب اليه هؤلاء في ما يزعمون قالوا فانه من وجه يكون أنزل كما انه من وجه يكون أعلا وذكر شيخ الاسلام عنهم من مثل هذه الترهات أشياء كثيرة ينبو عنها السمع وناقشهم عليها مناقشة تامة ولا يخفى على أحد من أهل الملة أن أفضل الخلق الرسل فالانبياء فالصحابة فالاولياء وان دخل بعضهم في بعض في الجملة والله تعالى الموفق

فصل

﴿ فيما يجب للانبياء عليهم السلام وما يجوز عليهم وما يستحيل في حقهم ﴾

قد تقدم في أول الباب شروط من يكرمه الله بالنبوة من الذكورة والحرية والقوة على اعباء احمالها ونحو ذلك وذكر هنا ما يجب اعتقاده في حقهم

﴿ وان كل واحد منهم سلم من كل ما نقص ومن كفر عصم ﴾
﴿ كذاك من افك ومن خيانه لوصفهم بالصدق والامانه ﴾

﴿و﴾ هو ان يعرف كل مسلم ﴿ أن كل واحد منهم ﴾ أي من الانبياء الكرام والرسل

المظالم ﴿ سالم ﴾ وتنزه ﴿ من كل ما ﴾ زائدة لاقامة الوزن ومزيد التأكيد عما سلموا منه وزهوا عنه ﴿ نقص ﴾ يؤدي الى ازالة الحشمة واسقاط المروءة وألحقت بفاعلها الازراء والخسة كسرقة لقمة وتطفيف بحبة لقيام الاجماع على عصمتهم من كل ما يؤدي الى الازراء والدناءة لان الله تعالى يقول (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) وقال (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) ومن المعلوم عموم ذلك وليس في شيء من فعل مازري مايوجب حب الله ولاحسن التأسي والاقتداء في ذلك فوجب تنزيههم عنه وعن كل عيب وسلامتهم من كل مايوجب الريب ﴿ و ﴾ ان كل واحد منهم ﴿ من كفر ﴾ بجميع أنواعه ﴿ عصم ﴾ قبل النبوة و بعدها والعصمة المنعة والعاصم المانع الحامي و لاعتصام الامتساك بالشيء افتعال منه ومنه شعر أبي طالب * ثمال اليتامى عصمة للارامل * أي يمنعهم من الضياع والحاجة قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه الناس متفقون على ان الانبياء معصومون فيما يبلغونه عن الله تعالى فلا يستقر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين ولكن هل يصدر منهم ما يستدركه الله تعالى فينسخ ما يلقي الشيطان ويحكم الله آياته هذا فيه قولان قال والمأثور عن السلف يوافق القول بذلك قال واما العصمة في غير ما يتعلق بتبليغ الرسالة فللناس فيه نزاع هل هو ثابت بالعقل أو بالسمع ومتنازعون في العصمة من الكبائر والصغائر أومن بعضها أوهل العصمة انما هو في الاقرار عليها لافي فعلها وقيل لايجب القول في العصمة الا بالتبليغ فقط قال وهل تجب العصمة من الكفر والذنوب قبل البعثة أم لا قال والذي عليه الجمهور الموافق للآثار اثبات العصمة من الاقرار على الذنوب مطلقا قال ووقوع الذنب اذا لم يقر عليه لم يحصل منه تنفير ولانقص فان التوبة النصوح يرفع بها صاحبها أكثر مما كان أولا وكذلك التأسي بهم انما هو فيما أقروا عليه بدليل النسخ ونحوه انتهى .وقال ابن حمدان في نهاية المبتدئين وانهم معصومون فيما يؤدون عن الله تعالى وليسوا بمعصومين في غير ذلك من الخطأ والنسيان والسهو والصغائر في الاشهر لكن لا يقرون على ذلك وقال ابن عقيل في الارشاد أنهم عليهم الصلاة والسلام لم يعتصموا في الافعال بل في نفس الاداء قال ولايجوز عليهم الكذب في الاقوال

{ كذلك } كل واحد من الانبياء والمرسلين قدعصم { من أفك } أي من كذب قال في النهاية الافك في الاصل الكذب قال في القاموس افك كضرب وعلم افكا بالكسر والفتح أفوكا كذب كافك فهو افاك وأفيك وأفوك وفي حديث عرض نفسه صلى الله عليه وسلم على قبائل العرب لقد افك قوم كذبوك وظاهروا عليك أي صرفوا عن الحق ومنعوا منه يقال افكه يأفكه أفكا اذا صرفه عن الشيء والحاصل ان أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام معصومون من الكذب (و) معصومون { من خيانة } ولو قلت {ا} وجوب {وصفهم} عليهم الصلاة والسلام { بالصدق } الذي هو ضد الكذب { و } وجوب وصفهم ب {الامانة} التي هي ضد الخيانة والضدان لا يجتمعان فالصدق واجب في حقهم عقلا وشرعا وهو مطابقة أخبارهم للواقع ايجابا وسلبا اذ لو جاز عليهم الكذب الذي هو عدم مطابقة الواقع لجاز الكذب في خبره تعالى لتصديقه اياهم بالمعجزة المنزلة منزلة قوله تعالى صدق عبدي في كل ما يبلغ عني وتصديق الكاذب من العالم بكذبه محض الكذب والكذب على الله تعالى محال فلزومه كذلك وقد أجمعت الامة على ان ما كان طريقه الابلاغ فالانبياء والرسل معصومون فيه من الاخبار عن شيء منه بخلاف الواقع لا قصداً ولا عمدا ولا سهوا ولا سلطا على تفصيل في بعض ذلك يعلم مما مر وقال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله سره يجب على الخلق الاقرار بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فما جاء به القرآن العزيز أو السنة المعلومة وجب على الخلق الاقرار به جملة وتفصيلا عند العلم بالتفصيل فلا يكون الرجل مؤمناً حتى يقر بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وهو تحقيق شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فمن شهد انه رسول الله شهد انه صادق فيما يخبر به عن الله تعالى فان هذ حقيقة الشهادة بالرسالة اذ الكاذب ليس برسول فيما يكذبه وقد قال تعالى (ولو تقوّل علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) وهو عرق في القلب اذا انقطع مات صاحبه و بالجملة فهذا معلوم بالاضطرار من دين الاسلام لا يحتاج الى تقريره وفي قصة هرقل مع أبي سفيان كما في الصحيح عند سؤال هرقل عظيم الروم أبا سفيان عن أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم قال هل كنتم تتهمونه بالكذب أي على الناس

قال لا وان كان ليدعى نبينا بالامين فقال لقد علمت انه لم يكن ليدعي الكذب على الناس ثم ليكذب على الله تعالى فيثمر هذا ان عقلاء الامم مطبقون على استحالة كذب الانبياء عليهم الصلاة والسلام

وقوله والامانة أي يجب لهم الامانة وهي ضد الخيانة وقوله تعالى (انا عرضنا الامانة) أي الفرائض المفروضة أو النية التي يعتقدها فيما يظهره باللسان من الايمان ويؤديه من جميع الفرائض في الظاهر لان الله تعالى ائتمنه عليها ولم يظهرها لاحد من خلقه فيما أضمر من التوحيد مثل ما أظهر فقد أدى الامانة كما في القاموس وقال في النهاية الامانة تقع على الطاعة والعبادة والوديعة والثقة والامان والمراد بها في حق رسل الله تعالى وانبيائه عليهم الصلاة والسلام اتصافهم بحفظ ظواهرهم وبواطنهم من التلبس بمنهي عنه ولو نهي كراهة عند بعض العلماء أي كونهم لا يتصوران يكونوا الا كذلك اذ لو جاز عليهم ان يخونوا الله تعالى بفعل محرم أو مكروه على قول لجاز ان يكون ذلك المنهى عنه من حيث انه منهي منه مأمورا به لان الله تعالى أمرنا باتباعهم في أقوالهم وأفعالهم من غير تفصيل وهو تعالى لا يأمر بمحرم ولا مكروه فقد قال تعالى (ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) والمراد ما لم تقم قرينة على الخصوصية كنكاح ازيد من أربع فتختص بهم دون أممهم وفي الآية الكريمة (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه ومعلوم انه صلى الله عليه وسلم قد بلغ الرسالة كما أمر ولم يكتم منها شيئا فان كتمان ما انزله الله تعالى اليه يناقض موجب الرسالة كما ان الكذب يناقض موجب الرسالة قال ومن المعلوم في دين المسلمين انه معصوم من الكتمان لشيء من الرسالة كما انه معصوم من الكذب فيها والأمة تشهد له بأنه بلغ الرسالة كما أمر الله تعالى وبين ما أنزل اليه من ربه وقد وجب على كل مسلم تصديقه في كل ما أخبر به

(تتمة) ذكر أبو الفضل القاضي عياض رحمه الله تعالى في كتابه الشفا أنه يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم وما لا يجوز على طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزم في كلامه عند ذكره عليه الصلاة والسلام وذكر تلك الاحوال الواجب توقيره وتعظيمه

ويراقب حاله بانه ولا يهمله وتظهر عليه علامات الادب عند ذكره فاذا ذكر ما قاساه عليه السلام من الشدائد ظهر عليه الاشفاق والارتماض والتغيظ على عدوه ومودة الفداء للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه النصرة له لو أمكنته واذا أخذ في أبواب العصمة وتكلم على مجاري أعماله وأقواله عليه السلام تحرى أحسن اللفظ وأدب العبارة ما أمكنه واجتنب بشع ذلك وهجر من تلك العبارة ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية فاذا تكلم في الاقوال قال هل يجوز الخلف في القول والاخبار بخلاف ما وقع سهوا أو غلطا ونحوه من العبارة ويتجنب لفظة الكذب جملة واحدة واذا تكلم على العلم قال هل يجوز ان لا يعلم الا ما علم وهل يمكن ان لا يكون عنده علم من بعض الاشياء حتى يوحى اليه ولا يقول يجهل لقبح لفظه وشناعته واذا تكلم في الافعال قال هل يجوز منه المخالفة في بعض الاوامر والنواهي ومواقعة بعض الصغائر فهو أدب وأولى من قوله هل يجوز ان يعصي أو ان يذنب أو ان يفعل كذا وكذا من أنواع المعاصي فهذا من حق توقيره عليه الصلاة والسلام وما يجب له من توقير واعظام قدر واما ما يورده على جهة النفي والتنزيه عنه فلا حرج في شرح العبارة وتصريحها كقوله لا يجوز عليه عليه السلام الكذب جملة ولا اتيان الكبائر بوجه ولا الجور في الحكم على حال ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر مثل هذا وقد كان السلف يظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره صلى الله عليه وسلم انتهى ملخصا ومثله في ذلك جميع الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وقد فهم مما تقدم الواجب في حقهم والمستحيل عليهم مما عصموا منه صلوات الله وسلامه عليهم وأشار الى الجائز في حقهم بقوله

وجائز في حق كل الرسل ... النوم والنكاح مثل الاكل

(وجائز) عقلا وشرعا (في حق كل) الانبياء و (الرسل) عليهم الصلاة والسلام وهذا القسم وان فهم من ذكر ما يجب لهم وما يستحيل عليهم فان ما لم يكن واجب الثبوت لهم ولا واجب النفي عنهم فوجوده وعدمه جائز في حقهم لكن نبه بما ذكره لايضاح قسم الجائز عليهم صلوات الله وسلامه عليهم (النوم)

وهو رحمة من الله تعالى على عباده لتستريح أبدانهم عند تعبهم وهو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع لمعرفة الاشياء لكن نبينا صلى الله عليه وسلم كان تنام عينه ولا ينام قلبه بل قلبه صلى الله عليه وسلم كان أبدا مستيقظا متهيئا لادراك ما يلقى اليه من ربه ومثل النوم مما هو جائز في حق الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الجلوس والمشي والبكاء والضحك وكل ما هو من الخواص البشرية المباحة على ما هو الحق من جواز وقوع المباح منهم ﴿ والنكاح ﴾ والتسري وجماع النساء فيجوز عليهم وطء النساء بالملك بشرط كونهن مسلمات أو مطلقا على المعتمد ونحو ذلك ﴿ مثل الاكل ﴾ والشرب للحلال وكذا يجوز عليهم كل عرض بشري ليس بمحرم ولا مكروه ولا مباح مزر ولا مزمن ولا مما تعافه الانفس ولا مما يؤدي الى النفرة حتى انه لا يجوز عليهم الاحتلام والحاصل أنهم عليهم الصلاة والسلام من البشر وارسلوا الى البشر فظواهرهم خالصة للبشر يجوز عليها من الآفات والتغييرات والآلام والاسقام وتجرع كاس الحمام ما يجوز على البشر مما لا نقيصة فيه فان نبينا صلى الله عليه وسلم كان يمرض ويتألم ويشتكي وكان يصيبه الحر والقر والجوع والعطش والغضب والضجر والنصب والتعب ونحو ذلك مما لا نقص عليه فيه ولا يوجب الاتصاف به نوع نفرة عند كل نبيه والله تعالى أعلم

فصل

﴿ في ذكر الصحابة الكرام رضي الله عنهم ﴾

اعلم انه لما كان أفضل خلق الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ثم بقية أولي العزم ثم الرسل ثم الانبياء عليهم الصلاة والسلام ثم بعد الانبياء أفضل البشر الصحابة رضي الله عنهم ويأتي ذكر الخلاف في التفاضل بينهم وبين الملائكة أعقب ذكر الانبياء بالصحابة حسب اصطلاح أصحابنا ومن وافقهم وبدأ بأفضلهم الامام على التحقيق وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصديق الصديق الاعظم أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال

﴿وليس في الامة بالتحقيق في الفضل والمعروف كالصديق﴾ .

﴿ وليس في الامة ﴾ أي أمة الاسلام وهم أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وآل فيها للعهد الذهني وتقدم انها أفضل الامم فيكون الصديق أفضل البشر بعد سائر الانبياء ﴿ بالتحقيق ﴾ اثبات المنصوص والتدقيق اثبات المخصوص ﴿في الفضل﴾ بجميع أنواع الفضائل ﴿ و ﴾ بذل ﴿ المعروف ﴾ من مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم ﴿ كا ﴾ بي بكر وكان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة كما قاله ابن عبد البر فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبدالله ولقبه با ﴿لصديق ﴾ قال ابن قتيبة ولقبه النبي صلى الله عليه عتيقا لجمال وجهه وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يحلف بالله ان الله تعالى أنزل اسم أبي بكر رضي الله عنه من السماء الصديق فهو أبو بكر الصديق عبدالله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب يجتمع نسبه مع نسب النبي صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب وأم الصديق ام الخير سلمى بنت صخر بن عمرو بن كعب بنت عم أبيه ماتت هي وأبوه أبو قحافة عثمان بن عامر بن عمرو مسلمين رضوان الله عليهم فان الصديق رضي الله عنه جاء بأبيه يوم الفتح الى النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم وتوفي بعد موت أبي بكر رضي الله عنهما في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو أول الناس ايمانا بالنبي صلى الله عليه وسلم على قول جمع من أهل العلم وفي سنن الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال أبو بكر رضي الله عنه ألست أول من أسلم ألست صاحب كذا ألست صاحب كذا الحديث وقيل بل أول من آمن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ونقل الحاكم اتفاق المؤرخين عليه واستنكر هذا منه وقيل زيد بن حارثة وقيل خديجة وادعى الثعلبي الاجماع فيه وأن الخلاف انما هو في من بعدها وصوبه كثير واستظهره البرماوي وغيره وقيل أولهم بلال بن حمامة وقيل خباب بن الارت حكاها المسعودي وقيل خالد بن سعيد بن العاصي ونقل الماوردي في أعلام النبوة عن ابن قتيبة أن أول من آمن به أبو بكر بن أسعد الحميري ونقل ابن سبع في الخصائص عن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه قال كنت أولهم اسلاما ويروى عن أبي حنيفة الامام

رضي الله عنه أنه قال الاورع ان يقال أول من أسلم من الرجال الاحرار أبو بكر ومن الصبيان علي ومن النساء خديجة ومن الموالي زيد ومن العبيد بلال وهذا من أحسن ماقيل لجمعه الاقوال. وأسلم على يد الصديق عثمان بن عفان والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص قال الحافظ ابن الجوزي في منتخب المنتخب وهو أول من جمع القرآن وقا تحرجا من الشبهات وأول من سمى القرآن مصحفا وأول من سمى خليفة وأخرج الامام أحمد عن ابن أبي مليكة قال قيل لابي بكر ياخليفة الله فقال أنا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا راض به وأول من ولي الخلافة وأبوه حي وأول خليفة مات وأبوه حي وأول من اتخذ بيت المال ومناقبه رضي الله عنه لاتحصى ومزاياه ومآثره لاتستقصى وهو أفضل الصحابة وخيرهم باجماع أهل السنة فقد أجمع أهل السنة والجماعة على ان أفضل الصحابة والناس بعد الانبياء عليهم الصلاة والسلام أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم سائر العشرة ثم باقي الصحابة هكذا اجماع أهل الحق فأبو بكر الصديق أفضل هذه الامة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم لاينازع في ذلك الا زائغ وقد أخرج الامام أحمد وغيره عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر وعمر قال الحافظ الذهبي هذا متواتر عن علي رضي الله عنه فلعن الله الرافضة ماأجهلهم وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في الفتاوى المصرية قد نقل عن علي رضي الله عنه من نحو ثمانين وجها خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وذكر نحو ذلك لابن الحنفية كما في البخاري والرافضة تكذبه فهم مع علي كالنصارى مع المسيح واليهود مع موسى عليهما السلام وأخرج الحاكم عن النزال بن ميسرة قال قلنا لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ياأمير المؤمنين أخبرنا عن أبي بكر فقال ذاك امرؤ سماه الله الصديق على لسان جبريل وعلى لسان محمد كان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم رضيه لديننا فرضيناه لدنيانا اسناده جيد وأخرج الدارقطني والحاكم عن أبي دحي قال لاأحصي كم سمعت عليا يقول على المنبر إن الله سمى أبابكر على لسان نبيه صديقا وأخرجه الطبراني بسند صحيح عن حكيم بن سعد قال سمعت عليا يحلف بالله لأنزل الله اسم أبي بكر من السماء

الصديق وقال علي رضي الله عنه في قوله تعالى (والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) هو أبو بكر فاخرج البزار وابن عساكر أن عليا رضي الله عنه قال في تفسيرها إن الذي جاء بالحق هو محمد والذي صدق به هو أبو بكر قال ابن عساكر هكذا الرواية بالحق ولعلها قراءة لعلي انتهى وقيل انه انما سمي صديقا لانه أول من صدق بناء على انه أول من آمن ولهذا قال أبو محجن الثقفي فيه

وسميت صديقا وكل مهاجر سواك يسمى باسمه غير منكر
سبقت الى الاسلام والله شاهد وكنت جليسا في العريش المشهر

وأول ما اشتهر أبو بكر بهذا الاسم صبيحة ليلة الاسراء فقد أخرج الحاكم في المستدرك عن أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها قالت جاء المشركون الى أبي بكر فقالوا هل لك الى صاحبك يزعم أنه اسري به الليلة الى بيت المقدس قال أوقال ذلك قالوا نعم وقال لقد صدق اني لاصدقه بابعد من ذلك بخبر السماء غدوة وروحة ولذلك سمي أبو بكر الصديق اسناده جيد وقد ورد ذلك من حديث أنس بن مالك وأبي هريرة عند ابن عساكر ومن حديث أم هانيء أخرجه الطبراني وأخرج سعيد بن منصور في سننه ثنا أبو معشر عن ابن وهب مولى أبي هريرة قال لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به فكان بذي طوى قال ياجبريل ان قومي لايصدقوني قال يصدقك أبو بكر وهو الصديق وأخرجه الطبراني في الاوسط موصولا عن ابن وهب عن أبي هريرة رضي الله عنه وقد أخرج عبد الله بن الامام أحمد في زوائد الزهد والطبراني في الكبير عن الشعبي قال سألت ابن عباس رضي الله عنهما أي الناس كان أول اسلاما قال أبو بكر الصديق ألم تسمع قول حسان

اذا تذكرت شجوا من أخي ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها بعد النبي وأوفاها بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده وأول الناس منهم صدق الرسلا

وأخرج أبو نعيم عن فرات بن السائب قال سألت ميمون بن مهران قلت علي أفضل أم أبو بكر وعمر قال فارتعد حتى سقطت عصاه من يده ثم قال

ما كنت أظن أني أبقى الى زمان يعدل بهما لله درهما كانا رأس الاسلام قلت فأبو بكر كان أول اسلاما أم علي قال والله لقد آمن أبو بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم زمن بحيرا الراهب حين أمر به واختلف فيا بينه و بين خديجة حتى نكحها اياه وذلك كله قبل ان يولد علي . واخرج ابن اسحق عن ميسرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا برز سمع من يناديه يا محمد فاذا سمع الصوت انطلق هاربا فأسر ذلك الى أبي بكر وكان صديقا له في الجاهلية وفي صحيح البخاري عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل أنتم تاركون لي صاحبي اني قلت يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت »

قال الحافظ الذهبي وغيره من حفاظ الاسلام وأئمتهم صحب أبو بكر رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم من حين أسلم الى ان توفي لم يفارقه سفرا ولا حضرا الافيما اذن له صلى الله عليه وسلم في الخروج فيه من حج أو غزو وشهد معه المشاهد كلها وهاجر معه وترك عياله وأولاده رغبة في رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رفيقه في الغار قال تعالى (ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا) وانفق ماله على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أجود الصحابة قال تعالى (وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله) الى آخر السورة قال الحافظ ابن الجوزي اجمعوا أنها نزلت في حق أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأخرج الامام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر الصديق » فبكى أبو بكر وقال هل أنا ومالي الالك يا رسول الله وأخرج أبو يعلى من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعا مثله قال الحافظ ابن كثير رويناه أيضا من حديث علي وابن عباس وأنس وجابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم وأخرجه الخطيب عن سعيد بن المسيب مرسلا وزاد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي في مال أبي بكر كما يقضي في مال نفسه وقد أخرج ابن عساكر من طرق عن عائشة وعروة بن الزبير ان أبا بكر رضي الله عنه أسلم يوم أسلم وله أربعون

ألف دينار فأنفقها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي صحيح البخاري عن محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال قلت لأبي أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر قلت ثم من قال عمر وخشيت ان يقول عثمان قلت ثم أنت قال ما أنا الا رجل من المسلمين وفي الصحيحين عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال قلت يارسول الله أي الناس أحب اليك قال عائشة قلت من الرجال قال أبوها قلت ثم قال عمر بن الخطاب وقد ورد هذا الحديث بدون عمر من رواية أنس وابن عباس رضي الله عنهم وأخرج ابن سعد عن الزهري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت هل قلت في أبي بكر شيئا قال نعم قال قل وأنا أسمع فقال

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد طاف العدو به اذ صعّد الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا من البرية لم يعدل به رجلا

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال صدقت ياحسان هو كما قلت وقد أجمع المسلمون أن المراد بقوله تعالى (ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا) أن الصاحب المذكور هو أبو بكر وفي سنن أبي داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أما انك ياأبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي» وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الاسلام» وقد ورد هذا الحديث من رواية ابن عباس وابن الزبير وابن مسعود وجندب بن عبدالله والبراء بن عازب وكعب بن مالك وجابر بن عبد الله وأنس وأبي واقد الليثي وأبي العلاء وعائشة وابن عمر رضي الله عنهم فهو من الاحاديث المتواترة وأخرج الترمذي وحسنه عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر «أنت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار» وأخرج عبدالله بن الامام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أبو بكر صاحبي ومونسي في الغار» وأخرج ابن عساكر من طريق مجمع بن يعقوب الانصاري عن أبيه قال كانت حلقة رسول

الله صلى الله عليه وسلم تشتبك حتى تصير كالسوار وأن مجلس أبي بكر منها لفارغ مايطمع فيه أحد من الناس فاذا جاء أبو بكر جلس ذلك المجلس وأقبل عليه النبي صلى الله عليه وسلم بوجهه وألقى اليه حديثه وسمع الناس وأخرج ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حب أبي بكر وشكره واجب على أمتي» وخرج مثله من حديث سهل بن سعد وأخرج عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا «الناس كلهم يحاسبون الا أبا بكر» والاحاديث في فضائله كثيرة شهيرة يعسر استقصاؤها وقد أشرنا بقطرة من بحر لجي وبذرة من رمل عالج وقد أفردت مناقبه بالتصنيف فدع المخادع والمعالج وبالله التوفيق

قال الامام الحافظ أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي وهو من ذريته كان أبو بكر رضي الله عنه أبيض نحيفا خفيف العارضين احنا لا يستمسك ازاره يسترخي عن حقويه معروق الوجه غائر العينين نائي الجبهة عاري الاشاجع وله من الولد عبدالله وأسماء وأمهما قتيلة وعبدالرحمن وعائشة وامهما أم رومان ومحمد وأمه أسماء بنت عميس وأم كلثوم وأمها حبيبة بنت خارجة وهي التي قال في حقها لعائشة انما هو اخواك واختاك وتوفي الصديق رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وستين سنة وكانت خلافته سنتين وأربعة أشهر الا عشر ليال وقيل وثلاثة أشهر وتسع ليال وغسلته زوجته أسماء بنت عميس بوصية منه رضي الله عنها وصلى عليه عمر بن الخطاب وروي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة حديث واثنين وأربعين ٧حديثا منها في الصحيحين ثمانية عشر حديثا المتفق عليه منها ستة وانفرد البخاري بأحد عشر ومسلم بحديث وسبب قلة روايته رضي الله عنه أنه تقدمت وفاته قبل انتشار الأحاديث واعتناء التابعين بسماعها وقد ذكر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في قصة بيعة الصديق انه لم يترك شيئا أنزل في الانصار الا ذكره ولا شيئا ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأنهم الا ذكره وهذا يدل على كثرة محفوظه من السنة وسعة علمه بالقرآن وقد روى عنه من الصحابة عمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وعبدالله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت والبراء بن عازب وأبو هريرة وابن عمر وابن الزبير وعبدالله بن عمرو بن العاص وابن عباس وأنس وأبو سعيد الخدري وعقبة بن عامر الجهني

وعمران بن حصين وأبو برزة الاسلمي وجابر بن عبد الله وبلال وعائشة وأسما رضي الله عنهم ومن التابعين خلائق ودفن رضي الله عنه في الحجرة الشريفة الى جانب النبي صلى الله عليه وسلم وكان رضي الله عنه قد اغتسل في يوم بارد فحم خمسة عشر يوما ومات وقيل سبب موته غير ذلك

﴿وبعده الفاروق من غير افترا وبعده عثمان فاترك المرا﴾

﴿ وبعده ﴾ أي بعد أبي بكر الصديق الاعظم أي يليه في الفضيلة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﴿ الفاروق ﴾ سماه بهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسلم لان الله فرق به بين الحق والباطل فهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بكسر الراء وبالياء التحتية فحاء مهملة بن عبد الله بن قرط بضم القاف وسكون الراء فطاء مهملة ابن رزاح بفتح الراء والزاي فحاء مهملة بعد الألف بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوي وأمه حنتمة بفتح الحاء المهملة فنون ساكنة فتاء مثناة فوقية مفتوحة فميم فتاء تأنيث بنت هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وقال ابن الاثير بنت هاشم قال وقال ويعرف هاشم بذي الرمحين قال وقال الامير ابن ماكولا ومن قال بنت هشام فقد أخطأ كذا قال وقد قال ابن الجوزي في منتخب المنتخب انها بنت هشام وهي أخت أبي جهل عمرو بن هشام فابو جهل خال عمر رضي الله عنه كنيته أبو حفص كناه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر لما نهى عن قتل رجال بني هاشم فانهم انما خرجوا مكرهين فقال أبو حذيفة والله لئن لقيت العباس لالجمنه السيف فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال «يا أبا حفص يضرب وجه عم النبي صلى الله عليه وسلم بالسيف» فقال والله انه لاول يوم كناني فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي حفص رواه ابن الجوزي وغيره والحفص في اللغة ولد الاسد وسبب تلقيبه بالفاروق مارواه الحافظ ابن الجوزي في سيرة العمرين عن ابن عباس رضي الله عنهم قال سألت عمر رضي الله عنه لأي شيء سميت بالفاروق فذكر حديث اسلامه وأخرج أبو نعيم في الدلائل وابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سألت عمر لأي شيء سميت

الفاروق قال أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام وسبب اسلام حمزة ان أبا جهل أسرع الى النبي صلى الله عليه وسلم يسبه ويؤذيه فاخبر حمزة بذلك فأخذ قوسه وعمد المسجد الى حلقة قريش التي فيها أبو جهل فاتكيء على قوسه مقابل أبي جهل فنظر اليه فعرف أبو جهل الشر في وجهه فقال مالك يا أباعمارة فرفع القوس وضرب به فشجه فسالت الدماء فأصلحت ذلك قريش مخافة الشر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مختف في دار الارقم المخزومي فانطلق حمزة فأسلم قال عمر رضي الله عنه وخرجت بعده بثلاثة أيام فاذا فلان المخزومي فقلت أرغبت أنت عن دين آبائك واتبعت دين محمد قال ان فعلت فقد فعله من هو أعظم عليك حقاً قلت ومن؟ قال أختك وختنك فانطلقت فوجدت هينمة فدخلت فقلت ماذا فمازال الكلام بيننا حتى أخذت برأس أختي فضربته وأدميته فقامت الي أختي فأخذت برأسي وقالت قد كان ذلك على رغم أنفك وقد أدميت رأسها فاستحييت حين رأيت الدماء فجلست وقلت أروني هذا الكتاب فقالت (لا يمسه الا المطهرون) فقمت واغتسلت فاخرجوا لي صحيفة فاذا فيها (بسم الله الرحمن الرحيم) قلت اسماء طيبة طاهرة وفيها (طه ماأنزلنا عليك القرآن لتشقى — الى قوله تعالى — له الاسماء الحسنى) فعظمت في صدري وقلت من هذا نفرت قريش فاسلمت وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عند أبي يعلى والحاكم والبيهقي قال خرج عمر متقلدا سيفه فلقيه رجل من بني زهرة فقال الى أين تعمد ياعمر فقال أريد ان أقتل محمدا قال وكيف تأمن في بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمدا قال ماأراك الا وقد صبوت قال أفلا أدلك على العجب ان ختنك واختك قد صبوا وتركا دينك فمشى عمر فاتاهما وعندهما خباب فلما سمع بحس عمر توارى في البيت فدخل عمر فقال ماهذه الهينمة وكانوا يقرءون طه قالا ماعدا حديثاً تحدثناه بيننا قال فلعلكما قد صبوتما فقال له ختنه ياعمر ان كان الحق في غير دينك فوثب عليه عمر فوطأه وطأ شديدا فجاءت أخته لتدفعه عن زوجها فنفحها نفحة بيده فدمي وجهها فقالت وهي غضبى وكان الحق في غير دينك اني أشهد ان لا إله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فقال عمر اعطوني الكتاب الذي هو عندكم فاقرأه وكان يقرأ الكتاب فقالت أخته انك رجس

وانه لايمسه الا المطهرون فقم واغتسل أو توضأ فقام وتوضأ ثم أخذ الكتاب فقرأ (طه) حتى انتهى الى (انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري) فقال عمر دلوني على محمد فلما سمع خباب قول عمر خرج وقال أبشر ياعمر فاني أرجو ان تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الخميس «اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام» وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدار التي في أصل الصفا فانطلق عمر حتى أتى الدار وعلى بابها حمزة وطلحة وناس فقال حمزة هذا عمر ان يرد الله به خيرا يسلم وان يكن غير ذلك يكن قتله علينا هينا قال والنبي صلى الله عليه وسلم يوحى اليه فخرج حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف فقال اما انت بمنته ياعمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما انزل بالوليد بن المغيرة فقال عمر اشهد ان لا اله الا الله وانك عبد الله ورسوله وفي حديث البزار والطبراني وأبي نعيم والبيهقي في الدلائل عن أسلم نحوه وفيه فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بفجاج مكة فجئت خالي أبا جهل بن هشام وكان شريفا فقرعت عليه الباب فقال من هذا قلت ابن الخطاب وقد صبوت قال لاتفعل ثم دخل وأجاف الباب دوني وفي حديث ابن عباس عند أبي نعيم في الدلائل وابن عساكر فقلت يارسول الله ألسنا على الحق قال بلى قلت ففيم الاختفاء فخرجنا صفين أنا في أحدهما وحمزة في الآخر حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش الي والى حمزة فأصابتهم كآبة شديدة فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاروق يومئذ وفرق بين الحق والباطل وأخرج ابن سعد عن ذكوان قال قلت لعائشة رضي الله عنها من سمى عمر الفاروق قالت النبي صلى الله عليه وسلم وأخرج ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما أسلم عمر نزل جبريل فقال يامحمد لقد استبشر أهل السماء باسلام عمر وأخرج البزار والحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما أسلم عمر قال المشركون قد انتصف القوم اليوم منا وأنزل الله تعالى (ياأيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) وأخرج البخاري وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه قال مازلنا أعزة منذ أسلم عمر وأخرج ابن سعد عنه أيضا قال كان اسلام عمر فتحا وكانت هجرته نصرا وكانت امامته رحمة ولقد

رأيتنا وما نستطيع ان نصل الى البيت حتى أسلم عمر قاتلهم حتى تركوا سبيلنا وقال حذيفة لما أسلم عمر كان الاسلام كالرجل المقبل لا يزداد الا قوة ولما قتل كان الاسلام كالرجل المدبر لا يزداد الا بعداً وكان اسلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في السنة السادسة من البعثة وعمره يومئذ سبع وعشرون سنة وكان اسلامه بعد تسعة وثلاثين رجلا أو أربعين أوخمسة وأربعين واحدى عشرة امرأة ففرح المسلمون باسلامه وظهر الاسلام بمكة عقب اسلامه

وقد وردت الاحاديث الكثيرة والاخبار الشهيرة بفضائله في الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده مالقيك الشيطان سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك» وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لقد كان في من كان قبلكم من الامم محدَّثون فان يكن في أمتي أحد فانه عمر» أي ملهمون وأخرجه مسلم أيضا من حديث عائشة رضي الله عنها ولفظه قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قد كان يكون في الامم محدثون فان يكن في أمتي أحد فعمر بن الخطاب» ورواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قال ابن عيينة محدثون أي مفهمون وقال ابن وهب تفسير محدثون ملهمون وأخرج الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه» قال ابن عمر وما نزل بالناس أمر قط فقالوا وقال الا نزل القرآن على نحو ما قال عمر وأخرج الترمذي أيضا عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لو كان بعدي نبي لكان عمر» وأخرج من حديث عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اني لانظر الى شياطين الجن والانس فروا من عمر» وفي الصحيحين والترمذي والنسائي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون عليهم قمص فمنها مايبلغ الثدي ومنها مايبلغ دون ذلك وعرض على عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره. قالوا فما أولته يارسول الله - قال الدين» وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم «بينا أنا نائم رأيتني في الجنة فاذا امرأة تتوضأ الى جانب قصر فقلت لمن هذا قالوا لعمر فذكرت غيرته فوليت مدبرا» فبكى عمر رضي الله عنه وقال عليك أغار يارسول الله وفي الترمذي عن أنس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « دخلت الجنة فاذا أنا بقصر من ذهب فقلت لمن هذا قالوا لشاب من قريش فظننت اني أنا هو قالوا عمر بن الخطاب » وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ماعلى وجه الارض أحد أحب الي من عمر أخرجه ابن عساكر وقيل لابي بكر ماذا تقول لربك وقدوليت عمر قال أقول له وليت عليهم خيرهم أخرجه ابن سعد وقال علي رضي الله عنه اذا ذكر الصالحون فحيّ هلا بعمر ما كنا نعدان السكينة لاتنزل الا على لسان عمر أخرجه الطبراني في الاوسط وقال ابن مسعود رضي الله عنه لو ان علم عمر وضع في كفة ووضع علم أحياء الارض في كفة لرجح علم عمر ولقد كانوا يرون انه ذهب بتسعة أعشار العلم أخرجه الطبراني في الكبير والحاكم وقال حذيفة رضي الله عنه والله ما أعرف رجلا لاتأخذه في الله لومة لائم الا عمر وعلى كل حال فأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد الصديق الاعظم أفضل هذه الامة ﴿ من غير افترا ﴾ أي من غير كذب يقال فري يفري فريا وافترى يفتري افتراء أي كذب فهو افتعال منه وفي الآية الكريمة (ولا يأتين ببهتان يفترينه) وفي الحديث «من أفرى الفرى ان يري الرجل عنيه مالم يرياه» فالفرى جمع فرية وهي الكذبة وافرى افعل منه التفضيل وتقدم الكلام على ذلك في الكلام على الحوض عند قوله «عنه يذاد المفتري كاورده» ولما كان الحكم بأفضلية أبي بكر ثم عمر الفاروق رضي الله عنهما بالنص والاجماع صرح بقوله من غير افترا اشارة لرد قول الخطابية الزاعمين بأن عمر رضي الله عنه أفضل الخلفاء وهذا الزعم بالنسبة للصديق زور وافتراء وكذب وضلال من زاعميه نعم بالنسبة الى من بعد الصديق حق لامرية فيه وكذلك فيه اشارة الى رد قول الراوندية في زعمهم ان أفضل الصحابة العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه والرد على الشيعة في زعمهم ان أفضلهم علي رضي الله عنه كما يأتي الكلام عليه قريبا

وقد أخرج الحاكم في الكنى وابن عدي في الكامل والخطيب في تاريخه عن أبي هريرة رضي

الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أبو بكر وعمر خير الاولين والآخرين وخير أهل السموات وخير أهل الارض الا النبيين والمرسلين» وأخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «مامن نبي الا وله وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الارض فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائل واما وزيراي من أهل الارض فأبو بكر وعمر» وأخرج الامام أحمد والترمذي عن علي رضي الله عنه وابن ماجه عنه أيضا وعن ابن أبي جحيفة رضي الله عنه وأبو يعلى في مسنده والضياء في المختارة عن أنس والطبراني في الاوسط عن جابر وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنهم أجمعين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «هذان سيدا كهول أهل الجنة من الاولين والآخرين الا النبيين والمرسلين» يعني أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وفي الباب عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وهاجر عمر رضى الله عنه الى المدينة جهرا وذلك انه تقلد سيفه وأخذ بيده أسهما وأتى الكعبة واشراف قريش بفنائها فطاف سبعا ثم صلى ركعتين عند المقام ثم أتى حلقهم واحدة واحدة فقال شاهت الوجوه من أراد ان تثكله أمه وييتم ولده وترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي فما تبعه منهم أحد وشدة عمر وشجاعته لاتخفى حتى انه وصف في التوراة بأنه قرن من حديد شهد المشاهد كلها وكان شديدا على الكفار والمنافقين ومناقبه كثيرة وفضائله شهيرة وقد وافق ربه في عدة أحكام مأثورة وموافقات في الآيات القرآنية مخبورة

ولي الخلافة بعهد من خليفة رسول الله الصديق الاكبر أبي بكر رضي الله عنه يوم توفي وذلك يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة فقام بالامر أتم قيام وكثرت الفتوحات في أيامه ففي سنة أربع عشرة فتحت دمشق بين الصلح والعنوة وحمص وبعلبك صلحا وأيلة عنوة وفيها جمع الناس على صلاة التراويح وفي الخامسة عشرة فتحت الاردن عنوة الاطبرية فانها فتحت صلحا وفيها كانت وقعة اليرموك والقادسية وفيها حاصر عمرو مصر وسعد الكوفة وفيها فرض عمر الفروض ودون الدواوين واعطى العطايا وفي السادسة عشرة فتحت الاهواز والمدائن وأقام بها سعد الجمعة في ايوان كسرى وهي أول جمعة جمعت بالعراق وفيها كانت وقعة

جلولا وهرمز ويزدجردبن كسرى وتقهقر الى الراي وفيها فتحت تكريت وفيها
سار بنفسه رضي الله عنه ففتح بيت المقدس صلحا وخطب بالجابية خطبته المشهورة
وفيها فتحت قنسرين عنوة وحلب وانطاكية ومنبج صلحا وفيها كتب التاريخ
في ربيع الاول من الهجرة بمشورة علي رضي الله عنه وفي السابعة عشرة زاد عمر
رضي الله عنه في المسجد النبوي وفيها كان القحط بالحجاز فسمي عام الرمادة
واستسقى عمر بالعباس فأخذ عمر رضي الله عنه بيد العباس رضي الله عنه ثم رفعها
فقال اللهم انا نستشفع اليك بعم نبيك صلى الله عليه وسلم ان تذهب عنا المحل وان
تسقينا الغيث فلم يبرحوا حتى سقوا فاطبقت السماء عليهم أياما وفي الثامنة عشرة
فتحت جندا سابور صلحا وحلوان عنوة وفيها وقع طاعون عمواس وفيها فتحت
الرهاء وشمياط وحران ونصيبين وطائفة من الجزيرة عنوة وكذا الموصل ونواحيها
وفى سنة تسع عشرة فتحت قيسارية وفى سنة عشرين فتحت مصر عنوة وقيل
صلحا واسكندرية عنوة والمغرب كله عنوة وفيها فتحت تستر وفيها هلك قيصر
ملك الروم وفيها أجلى عمر اليهود عن خيبر وعن نجران وقسم خيبر ووادي القرى
وفى سنة احدى وعشرين فتحت نهاوند عنوة ولم يكن للاعاجم بعدها جماعة وفي
سنة اثنتين وعشرين فتحت كرمان وسجستان ومكران من بلاد الجبل وأصبهان
ونواحيها وفي آخرها كانت وفاة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك
بعد رجوعه من الحج قال ابن المسيب لما نفر عمر من منى أناخ بالابطح ثم استلقى
ورفع يديه الى السماء وقال اللهم كبرت سني وضعفت قوتي وانتشرت رعيتي
فاقبضني اليك غير مضيع ولا مفرط فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل شهيدا وكان
قال له كعب الاحبار اني أجدك في الكتاب الاول تقتل شهيدا فقال وأنى لي
بالشهادة في جزيرة العرب ثم قال عمر رضي الله عنه اللهم ارزقني شهادة في سبيلك
واجعل موتي في بلد نبيك وكان قد قال في خطبته رأيت كأن ديكا نقرني نقرة
أو نقرتين واني لأراه حضور اجلي وان قوما يأمرونني ان استخلف وان الله لم
يكن ليضيع دينه ولا خلافته فان عجل بي أمر فالخلافة شورى بين هؤلاء الستة
الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض قال الزهري كان عمر

رضى الله عنه لا يأذن لكافر قد احتلم في دخول المدينة حتى كتب المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يذكر له غلاما عنده صنائع يستأذنه ان يدخل المدينة ويقول ان عنده أعمالا كثيرة فيها منافع للناس وانه حداد ونقاش ونجار فاذن له ان يرسله الى المدينة وضرب عليه المغيرة مائة درهم في كل شهر فجاء الى عمر يشتكي شدة الخراج فقال له ماخراجك بكثير فانصرف ساخطا ثم قال له عمر رضي الله عنه ألم أخبر أنك تقول لو أشاء لصنعت رحى تطحن بالريح فالتفت الى عمر عابسا وقال لاصنعن لك رحى يتحدث الناس بها فلما ولى قال لاصحابه أوعدني العبد وهو أبو لؤلؤة ثم انه الخبيث اشتمل على خنجر ذي رأسين نصابه في وسطه فكمن في زاوية من زوايا المسجد في الغلس فلم يزل هناك حتى خرج عمر يوقظ الناس للصلاة فلما دنا منه طعنه ثلاث طعنات كما أخرجه الحاكم وطعن معه اثني عشر رجلا مات منهم ستة فألقى عليه رجل من أهل العراق ثوبا فلما اغتم فيه قتل نفسه قال أبو رافع كان أبو لؤلؤة عبدا للمغيرة يصنع الارحاء وحمل عمر رضي الله عنه الى أهله وكادت تطلع الشمس فصلى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بالناس أقصر سورتين وأتي عمر بنبيذ فشربه فخرج من جرحه فلم يتبين فسقوه لبنا فخرج ثانيا فقالوا لا بأس عليك فقال إن يكن في القتل بأس فقد قتلت فجعل الناس يثنون عليه ويقولون كنت وكنت فقال أما والله وددت أني خرجت منها كفافا لا علي ولا لي وان صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت لي فاثنى عليه ابن عباس فقال لو أن لي طلاع الارض ذهبا لافتديت به من هول المطلع وقد جعلتها شورى في عثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد وأجلهم ثلاثة أيام وقال يشهد عبد الله بن عمر معهم وليس له من الامر شيء فإن اصابت الامرة سعدا فهو ذاك والا فليستعن به أيكم ما أمر فاني لم أعزله من عجز ولا خيانة وأمر صهيبا أن يصلي بالناس. قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كان أبو لؤلؤة مجوسيا وكان اسمه فيروز وقال عمر رضي الله عنه الحمد لله الذي جعل منيتي بيد رجل لا يدعي الاسلام وكانت اصابته يوم الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ودفن يوم الأحد وصح ان الشمس كسفت يوم موته وناحت الجن عليه ثم قال

عمر رضي الله عنه لابنه عبدالله رضي الله عنه انظر ما عليَّ من الدين فحسبوه فوجد ثلاثين الفا أو نحوها فقال ان وفى مال آل عمر أده من أموالهم والا فاسأل في عدي فان لم تف أموالهم فاسأل في قريش واذهب الى ام المؤمنين عائشة و يستأذن عمر أن يدفن عند صاحبيه فذهب اليها فقالت كنت أريده تعني المك لنفسي والله لأ وثرنه اليوم على نفسي فأتى عبدالله فقال قد أذنت فحمد الله تع ثم قال رضي الله عنه أوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله تعالى وأوصيه بالمهاجر والانصار وأوصيه بالامصار خيرا فلما توفي رضي الله عنه صلى عليه صهيب في المس وخرج الناس يمشون وعبدالله امامهم فسلم عبد الله وقال عمر يستأذن فقال عائشة رضي الله عنها ادخلوه فأدخل فوضع هنالك مع صاحبيه رضي الله عن أ بكر وعمر وصلوات الله وسلامه على رسوله وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم. روي لامير المؤمنين من الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة وس وثلاثون حديثا أخرج له في الصحيحين منها احدوثمانون اتفقا على ستة وعشر وانفرد البخاري بأربعة وثلاثين ومسلم بأحد وعشرين

﴿ تنبيه ﴾

اعلم ان خلافة سيدنا عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله عنه مرتب ولازمة لحقية خلافة الصديق الاعظم أبي بكر رضي الله عنه وقد قام الاجما واشارات الكتاب والسنة على حقية خلافته فما ثبت للاصل الذي هو الصديق من حقية الخلافة يثبت لفرعه الذي هو عمر بن الخطاب فيها فلا مطمع لاحـ من فرق الضلال في الطعن والنزاع في حقية خلافته وقد علم أهل العلم علما ا ضروريا ان الصحابة الكرام اجمعوا على تولية الصديق الخلافة ومن شذ لا يقد في ذلك من غير مرية فقد أخرج الحاكم وصححه عن ابن مسعود رضي الله ع قال ما رآه المسلمون حسنا فهو عندالله حسن وما رآه المسلمون سيئا فهو عندالله سي وقد رأى الصحابة رضي الله عنهم ان يستخلف أبو بكر فهذا صح عن ابن مسعو رضي الله عنه وهو من أكابر الصحابة وفقهائهم ومتقدميهم فحكى الاجماع ع الصحابة على خلافة أبي بكر ولذلك كان هو أحق بها عند جميع أهل السنة والجما

في كل عصر ومصر وكذلك عند المعتزلة وأكثر فرق الامة على انه أحق بها من جميع الصحابة روى البيهقي عن الزعفراني قال سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول اجمع الناس على خلافة أبي بكر رضي الله عنه وذلك انه اضطرب الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجدوا تحت أديم السماء خيرا من أبي بكر فولوه رقابهم وأخرج أسد السنة عن معاوية بن قرة قال ما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون ان أبا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كانوا يسمونه الا خليفة رسول الله وما كانوا يجتمعون على خطأ ولا على ضلالة وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما مما بلغ التواتر وعلم من الدين بالضرورة ان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بايعه واعتذر اليه عن تأخره لعدم مشورته وان له حقا في الشورى حتى ان سيدنا عليا رضي الله عنه بايع أبا بكر على المنبر لازالة شبهة التخلف وفرح الناس بذلك والنصوص المشيرة الى خلافة الصديق كثيرة

ومن أعظم فضائل الصديق وأتم فراسته على التحقيق وأكمل نصحه لهذا الدين القويم استخلافه أمير المؤمنين عمر الفاروق الحاصل به من عموم النفع وفتح البلاد وظهور الاسلام الظهور التام وقمع أهل الكفر وعبدة الاصنام فان أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما ثقل به المرض دعا عبد الرحمن بن عوف فقال أخبرني عن عمر بن الخطاب فقال ما تسألني عن أمر أنت اعلم به مني فقال أبو بكر وان كان فقال عبد الرحمن هو والله أفضل من رأيك فيه ثم دعا عثمان بن عفان فقال أخبرني عن عمر فقال أنت أخبرنا به وقال اللهم علمي به ان سريرته خير من علانيته وانه ليس فينا مثله وشاور معهما سعيد بن زيد وأسيد بن حضير وغيرهما من المهاجرين والانصار فقال اللهم عامه الخير ثم دعا عثمان فكتب عهده لعمر ثم أمر بالكتاب فختمه ثم أمر عثمان فخرج بالكتاب مختوما فبايع الناس ورضوا به ثم دعا أبو بكر رضي الله عنه عمر خاليا فأوصاه بما أوصاه ثم خرج من عنده فرفع أبو بكر يديه فقال اللهم اني لم أرد بذلك الا اصلاحهم وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم ما أنت اعلم به واجتهدت لهم رأيي فوليت عليهم خيرهم وأقواهم عليهم وأحرصهم على ما يرشدهم وقد حضرني من

أمرك ما حضرني فاخلفني فيهم فهم عبادك ونواصيهم بيدك أصلح ولايته واجعله من خلفائك الراشدين وأصلح له رعيته وقد قال ابن مسعود أفرس الناس ثلاثة أبو بكر استخلف عمر وصاحبة موسى حين قالت استأجره والعزيز حين تفرس في يوسف فقال لامرأته أكرمي مثواه وأخرج ابن عساكر عن يسار بن حمزة قال لما ثقل أبو بكر أشرف على الناس من كوة فقال أيها الناس إني قد عهدت عهداً أفترضون به فقال الناس رضينا يا خليفة رسول الله فقام علي رضي الله عنه فقال لا نرضى الا ان يكون عمر قال انه عمر رضي الله عنهم أجمعين

(و بعده) أي بعد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أي يليه في الافضلية أمير المؤمنين أبو عمرو أبو عبد الله ذو النورين (عثمان) بن عفان بن أبي العاص واسمه الحارث بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي الاموي قال ابن الاثير يقال كان يكنى في الجاهلية أبا عمرو فلما ولدت له رقية رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله اكتنى به وأمه أروى وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو أروى أم عثمان كريز بضم الكاف وفتح الراء فراي مصغر كرز وكريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس. ولد عثمان رضي الله عنه في السنة السادسة من الفيل وأسلم قديما على يد الصديق الاعظم قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم وهاجر الهجرتين الى الحبشة وتزوج رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ماتت عنده في الثانية من الهجرة عند رجوع النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر المعظمى ولم يشهد عثمان رضي الله عنه بدراً لتخلفه باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمرض رقية رضي الله عنها فجاء البشير بنصر المؤمنين عند دفنها فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره ولما ماتت رقية زوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أختها أم كلثوم وتوفيت عنده أيضا سنة تسع من الهجرة قال العلماء ولا يعرف أحد تزوج بنتي نبي غيره ولذلك سمي بذي النورين فهو من السابقين الأولين وأول المهاجرين وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وأحد الصحابة الذين جمعوا القرآن ومن

ان الصديق جمعه أيضا وانما تميز عثمان بجمعه في المصحف على هذا الترتيب اليوم واستخلفه النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة في غزوة ذات الرقاع وكان رضي الله عنه ذا جمال مفرط روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة حديث وستة وأربعون حديثا وروى عنه من الصحابة زيد بن خالد الجهني وابن الزبير والسائب بن يزيد وأنس بن مالك وزيد بن ثابت وسلمة بن الاكوع وأبو امامة وأبو قتادة وأبو هريرة وغيرهم رضي الله عنهم وخلائق من التابعين وأخرج ابن سعد عن عبد الرحمن بن حاطب قال مارأيت أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا حدث أتم حديثا ولا أحسن من عثمان بن عفان رضي الله عنه الا انه كان رجلا يهاب الحديث وأخرج عن محمد بن سيرين قال كان اعلمهم بالمناسك عثمان و بعده ابن عمر رضي الله عنهم وأخرج ابن عساكر ان عثمان رضي الله عنه كان رجلا ربعة ليس بالقصير ولا بالطويل أبيض مشرب بحمرة بوجهه نكتات جدري كبير اللحية عظيم الكراديس بعيد ما بين المنكبين جزل الساقين طويل الذراعين شعره قد كسا ذراعيه جعد الرأس أصلع أحسن الناس ثغرا جمته أسفل من أذنيه يخضب بالصفرة وكان قد شد اسنانه بالذهب وقال بعضهم رأيت عثمان فما رأيت قط ذكرا ولا انثى أحسن وجها منه وأخرج ابن عدي عن عائشة رضي الله عنها قالت لما زوج النبي صلى الله عليه وسلم بنته أم كلثوم لعثمان قال لها «ان بعلك أشبه الناس بجدك ابراهيم وأبيك محمد» صلى الله عليه وسلم وأخرج ابن عدي أيضا وابن عساكر عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «انا لنشبه عثمان بأبينا ابراهيم» وأخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم جمع ثيابه حين دخل عثمان وقال «ألا استحيي من رجل تستحيي منه الملائكة» وأخرج البخاري ان عثمان رضي الله عنه حين حوصر أشرف عليهم وقال أنشدكم الله ولا أنشد الا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزتهم ألستم تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حفر بئر رومة فله الجنة فحفرتها فصدقوه بما قال وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم

عنه بيساره فكانت يسار رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيرا من يمين نفسه وأخرج الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فتنة فقال يقتل فيها هذا مظلوما لعثمان قال الترمذي حديث حسن غريب من هذا الوجه وأخرج أبو نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عثمان احيا أمتي وأكرمها وأخرج عن أبي امامة رضي الله عنه مرفوعا ان أشد هذه الامة بعد نبيها حياء عثمان بن عفان وأخرج الطبراني عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان عثمان لاول من هاجر بأهله الى الله بعد لوط» وأخرج الامام أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعثمان يا عثمان انه — وفي لفظ — لعل الله مقمصك — وفي لفظ — يقمصك قميصا فان أرادوك (على) خلعه فلا تخلعه حتى يخلعوه وفي لفظ فلا تخلعه حتى تلقاني وأخرج الترمذي عن أبي سهلة قال سمعت عثمان رضي الله عنه يقول يوم الدار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الي عهدا فانا ممتثل له وصابر عليه ان شاء الله فصبر حتى قتل رضي الله عنه شهيدا قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وأخرج الترمذي عن طلحة بن عبيد الله وقال غريب وابن ماجه عن أبي هريرة مرفوعا «لكل نبي رفيق في الجنة ورفيقي فيها عثمان» وأخرج الترمذي وقال حسن صحيح وابن ماجه والحاكم وصححه عن أبي الاشعث الصنعاني ان خطباء قامت بالشام وفيهم رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام آخرهم رجل يقال له مرة بن كعب فقال لولا حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ماقمت وذكر الفتن فقربها ومر رجل مقنع في ثوب فقال «هذا يومئذ على الهدى» فقمت اليه فاذا هو عثمان بن عفان فاقبلت عليه بوجهه فقلت هذا قال نعم فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه مظلوم وانه يومئذ على الهدى

واما ذكر خلافته رضي الله عنه فتقدم ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه جعلها شورى بين الستة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فلما فرغ الناس من دفن عمر رضي الله عنه اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن بن عوف اجعلوا أمركم الى ثلاثة منكم فقال الزبير قد

جعلت أمري الى علي وقال سعد قدجعلت أمري الى عبد الرحمن وقال طلحة قد جعلت أمري الى عثمان فقال عبد الرحمن بن عوف أنا لا أريدها فأيكما يبرأ من هذا الامر ونجعله اليه والله عليه والاسلام لينظر أفضلهم في نفسه وليحرص على صلاح الامة فسكت الشيخان علي وعثمان فقال عبد الرحمن اجعلوه الي والله علي ان لا آلوكم عن افضلكم قالا نعم فخلا بعلي وقال له لك من القدم في الاسلام والقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد علمت الله عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن أمرت عليك لتسمعن ولتطيعن قال نعم ثم خلا بالآخر فقال له كذلك فلما أخذ ميثاقهما بايع عثمان وبايعه علي وكانت مبايعته بعد موت عمر بثلاث ليال وكان عبد الرحمن بن عوف قبل ان يتخلى عنها أحد قد خلا بعثمان فقال له فان لم نبايعك فمن تشير علي قال علي وقال لعلي ان لم نبايعك فمن تشير علي قال عثمان ثم دعا الزبير فقال ان لم نبايعك فمن تشير علي قال علي أو عثمان ثم دعا سعدا فقال له من تشير علي فأما أنا وأنت فلا نريدها فقال عثمان ثم استشار عبد الرحمن اعيان المهاجرين والانصار فرأى هوى أكثرهم عثمان فبايعوه جميعاً فثبتت بيعة عثمان باجماع الصحابة عليها ولهذا قال ﴿فاترك المرا﴾ أي الجدال والشك قال في القاموس المرية بالضم والكسر الشك والجدل يقال ماراه مماراة ومراء وامترى فيه وتمارى شك وفي الحديث «لا تماروا في القرآن فان مراء فيه كفر» المراء والجدال والتماري والمماراة المجادلة على مذهب الشك والريبة كما في نهاية ابن الاثير وتقدم فان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه من جملة من بايعه وقد غزا معه وكان يقيم الحد بين يديه كما أخبر بذلك عن نفسه رضوان الله عليه وخلافة عثمان فرع عن خلافة عمر التي هي فرع عن خلافة الصديق رضوان الله تعالى عليهم أجمعين واستشهد عثمان بن عفان رضي الله عنه في داره سنة خمسة وثلاثين في أوسط أيام التشريق وصلى عليه الزبير وكان أوصى اليه ودفن في حش كوكب بالبقيع وهو أول من دفن به والحش بالحاء المهملة والشين المعجمة البستان وضم الحاء أجود من كسرها وكوكب رجل من الانصار وولي الخلافة احدى عشرة سنة واحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما ومدة حصاره في داره الى ان قتل سبعة وأربعون يوما وقيل شهران وعشرون

يوما واستشهد وهو يومئذ صائم وهذا يؤيد كون قتله بعد أيام التشريق أو في قد قيل كان قتله لثمان عشرة خلت من ذي الحجة أو لسبع عشرة وقيل لثمان خلون منه يوم التروية وقيل لليلتين بقيتا منه وقدم في جامع الاصول وفي المرآة السام انه قتل في ثمانية عشر من ذي الحجة واختلف في من باشر قتله فقيل كثير انه لا يعرف قاتله وقيل الاسود التجيبي من أهل مصر وقيل جبلة بن الايهم من مصر أيضا وقيل سودان بن حمدان وقيل رومان اليماني وقيل سوادبن رومان وقيل رومان بن سرحان رجل أزرق قصير وقيل قتله رجل من أهل مصر يقال له حمار أزرق أشقر وقيل قتله اثنان وقيل غير ذلك وله يومئذ من العمر اثنتان وثمانون سنة وقيل ثمان وثمانون وقيل تسعون ويروى انه كان المصحف بين يديه يقرأ فيه فوقعت قطرة من دمه أو قطرات على قوله تعالى (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم)

وأخرج الحاكم عن الشعبي رحمه الله قال ماسمعت من مراثي عثمان أحسن من قول كعب بن مالك رضي الله عنه

فكف يديه ثم أغلق بابه ... وأيقن ان الله ليس بغافل

وقال لاهل الدار لاتقتلوهم ... عفا الله عن كل امرئ لم يقاتل

فكيف رأيت الله صب عليهم الـ ... ـعداوة والبغضاء بعد التواصل

وكيف رأيت الخير أدبر بعده ... عن الناس ادبار الرياح الجوافل

وأخرج الامام أحمد عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أنه دخل على عثمان رضي الله عنه وهو محصور فقال انك امام العامة وقد نزل بك ماترى واني اعرض عليك خصالا ثلاثا اختر احداهن اما ان تخرج فتقاتلهم فان معك عددا وقوة وأنت على الحق وهم على الباطل واما ان تخرق لك بابا سوى الباب الذي هم عليه فتقعد على رواحلك فتلحق بمكة فانهم لن يستحلوك وأنت بها واما ان تلحق بالشام فان أهل الشام فيهم معاوية فقال عثمان رضي الله عنه فاما أن أخرج فاقاتل فلن أكون أول من خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته بسفك الدماء واما ان أخرج الى مكة فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يلحد رجل من قريش بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم» فلن أكون انا واما ان ألحق بالشام فلن أفارق دار

هجرتي ومجاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأخرج ابن عساكر عن أبي ثور التميمي قال دخلت على عثمان وهو محصور فقال لقد اختبأت عند ربي عشرا اني لرابع أربعة في الاسلام وأنكحني رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته ثم توفيت فأنكحني الاخرى و اتغنيت وما تمنيت ولا وضعت يميني على فرجي منذبايعت بها حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا مرت بي جمعة منذ أسلمت الا وأنا أعتق فيها رقبة الا أن لا تكون عندي فاعتقها بعد ذلك ولا سرقت في جاهلية ولا اسلام ولا زنيت في جاهلية ولا اسلام ولقد جمعت القرآن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويضم الى هذه العشرة تجهيزه جيش العسرة فقد قال صلى الله عليه وسلم لما جاءه بالمال وكان ألف دينار فنشرها في حجره صلى الله عليه وسلم «ماضر عثمان ماعمل بعد اليوم» مرتين رواه الترمذي وقال حديث حسن ويضم اليها أيضا ما أخرجه الترمذي وحسنه والنسائي عن ثمامة بن حزن القشيري قال شهدت يوم الدارحين أشرف عليهم عثمان رضي الله عنه فقال ائتوني بصاحبيكم اللذين ألبا علي فجيء بهما فقال أنشدكم بالله والاسلام زاد رزين ولا أنشد الا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها مايستعذب الا بئر رومة فقال صلى الله عليه وسلم من يشتريها و يجعل دلوه فيها مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة فاشتريتها من مالي وأنا اليوم أمنع أن أشرب منها حتى أشرب من ماء الملح قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله والاسلام أتعلمون ان المسجد ضاق بأهله فقال صلى الله عليه وسلم من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي وأنا اليوم أمنع ان أصلي فيه ركعتين قالوا اللهم نعم قال وأنشدكم بالله هل تعلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من جهز جيش العسرة وجبت له الجنة وجهزته قالوا اللهم نعم قال وأنشدكم بالله هل تعلمون اني كنت على ثبير مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض فركضه رسول الله صلى الله عليه وسلم برجله وقال اسكن ثبير فانما عليك نبي وصديق وشهيدان قالوا اللهم نعم فقال الله أكبر شهدوا لي بالجنة

ورب الكعبة ثلاثا وفي رواية شهدوا لي ورب الكعبة أني شهيد ثلاثا وفيه يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه

من سره الموت صرفا لا مزاج له　　فليأت مأدبة في دار عثمانا
ضحوا باشمط عنوان السجود به　　يقطع الليل تسبيحا وقرآنا
ليسمعن وشيكا في ديارهم　　الله أكبر يا ثارات عثمانا

وعلى كل حال قتل عثمان رضي الله عنه ظلما لا محال وهو واحد العشرة المشهود لهم بالجنة واحد السابقين الاولين الى الاسلام واحد الخلفاء الراشدين وأحد المهاجرين المقربين وأحد أختان سيد الاولين والآخرين ومناقبه كثيرة ومآثره غزيرة واياديه شهيرة فرضوان الله تعالى عليه وعلى جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وروي لامير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وثلاثة وأربعون حديثا منها في الصحيحين ستة عشر اتفقا على ثلاثة وانفرد البخاري بثمانية ومسلم بخمسة

﴿ وبعد فالفضل حقيقا فاسمع　　نظامي هذا للبطين الانزع ﴾
﴿ مجدل الابطال ماضي العزم　　مفرج الاوجال وافي الحزم ﴾
﴿ وافي الندى مبدي الهدى مردي العدا
مجلي الصدى ياويل من فيه اعتدى ﴾

(وبعد) بنيناها على الضم لحذف المضاف اليه ونية ثبوت معناه أي وبعد عثمان بن عفان رضي الله عنه على القول الرجيح والمذهب الصحيح (فالفضل) الشامخ والقدم الراسخ والمجد الباذخ من سائر الامة واتفاق الائمة (حقيقا) أي في حقيقة الامر من غير شك ولا نكر (فاسمع) فعل أمر مبني على السكون وحرك بالكسر للقافية مني (نظامي) أي منظومي (هذا) الذي ادرجت فيه عقيدة السلف الصالح وضمنته ما يقتضيه كل محقق فالح ثابت ذلك الفضل ومستقر (ل) الامام الهمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (البطين الانزع) قال ابن الاثير في نهايته وفي صفة علي

رضي الله عنه البطين الانزع أي العظيم البطن وفي حديث علي أيضا رضي الله عنه: أبيت مبطانا وحولي بطون غرثى؟ المبطان الكثير الاكل والعظيم البطن ذكر ذلك على سبيل الاستفهام الانكاري والمراد بكونه بطينا ان باطنه عظيم لتضلعه من العلوم والمعارف والمراد بالانزع المنحسر شعر رأسه مما فوق الجبين والنزعتان عن جانبي الرأس مما لا شعر عليه قال في النهاية كان الامام علي رضي الله عنه أنزع الشعر له بطن وقيل معناه الانزع من الشرك المملوء البطن من العلم والايمان ﴿مجدل الابطال﴾ قال في القاموس جدله فانجدل وتجدل صرعه على الجدالة كسحابة الارض مطلقا أوذات رمل دقيق وتقدم حديث «أنا خاتم النبيين في أم الكتاب وان آدم لمنجدل في طينته» أي ملقى على الجدالة وهي الارض وفي حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين وقف على طلحة رضي الله عنه يوم الجمل وهو قتيل فقال اعزز عليّ أبا محمد أن أراك مجدلا تحت نجوم السماء أي مرميا ملقى على الارض قتيلا والابطال جمع بطل بفتح الموحدة والطاء المهملة وكشداد بين البطالة أو البطولة الرجل الشجاع سمي بذلك لانه يبطل جراحته فلا يكترث بها أو يبطل عنده دما الاقران كما في القاموس ولا شك ان عليا رضي الله عنه قتل من الابطال عدة مثل الوليد بن عتبة يوم بدر وعمرو بن عبدود يوم الخندق ومرحب من أبطال خيبر وغيرهم وقوله ﴿ماضي العزم﴾ اشارة الى شدة قوته ووفور شدته والماضي من مضى في الامر مضاء ومضوا نفذ ومضى السيف أي قطع والمضو كالعلو التقدم والعزم الجد والصبر ومنه قوله تعالى (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) وقوله ﴿مفرج﴾ أي كاشف ﴿الاوجال﴾ يقال فرج الله الغم يفرجه كشفه كفرجه والاوجال جمع وجل بفتح الواو والجيم الخوف ورجل وجل كفرح ياجل ويجل ويوجل و ييجل بكسر أوله وجلا وموجلا كمقعد ويجمع أيضا على وجلين والمرأة وجلة اشارة الى ما كان عليه من كشف الغموم وتفريج الهموم والاقدام في المواقف الصعبة والبروز الى الاقران المستصعبة وفي الصحيحين وغيرهما من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر «لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه

يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله » فبات الناس يدوكون أي يخوضون ويتحدثون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو ان يعطاها فقال أين علي بن أبي طالب فقيل يشتكي عينيه قال فارسلوا اليه فأتي به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية الحديث وقوله ﴿ وافي الحزم ﴾ اشارة الى وفور عقله وغزارة فطنته وفضله والحزم ضبط الرجل أمره والحذر من فواته مأخوذ من قولهم حزمت الشيء اذا شددته وفي الحديث «ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من احداكن» يعني النساء أي اذهب لعقل الرجل المحترز في الامور المستظهر فيها وفي حديث آخر انه صلى الله عليه وسلم سئل ما الحزم فقال «تستشير أهل الرأي ثم تطيعهم» وفي القاموس الحزم ضبط الامر والأخذ فيه بالثقة كالحزامة والحزومة يقال حزم ككرم فهو حازم وحزيم والجمع حزمة وحزماء وفي قوله ﴿ وافي ﴾ أي كثير ﴿ الندى ﴾ أي السخاء والكرم يقال فلان يندى على أصحابه أي يسخى كما في النهاية وفي القاموس تندى سخي وأفضل كأندى فهو ندي الكف والندى الثرى والشحم والمطر والبلل وشيء يتطيب به كالبخور وفي محل آخر أندى كثر عطاياه انتهى اشارة الى غزارة كرمه وجزالة عطاياه وحزمه ﴿ مبدي ﴾ أي مظهر ﴿ الهدى ﴾ أعني العلوم الغامضة والفهوم الرائضة والهدى بضم الهاء وفتح الدال المهملة الرشاد والدلالة ﴿ مردي العدى ﴾ اسم فاعل من أرداه اذا أهلكه وكسره وأوقع أعداءه في الردى والتلف والهلاك ﴿ مجلي ﴾ أي مزيل ومفرق وكاشف ﴿ الصدى ﴾ أي العطش والظمأ والمراد به كاشف الكرب ومجلي الدوب ﴿ ياويل ﴾ هذه يراد بها الدعاء بالحزن والهلاك والمشقة ومعنى النداء فيها أي ياحزن وياهلاك وياعذاب احضر فهذا وقتك وأوانك ﴿ من ﴾ أي انسان مكلف من ذكر وأنثى ﴿ فيه ﴾ أي في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﴿ اعتدى ﴾ بانتقاصه وانحطاطه عن منزلته الشامخة ودرجته الباذخة وهضم من حقوقه الطاهرة وفضائله الظاهرة أو غلا فيه غلوا خارجا عن طوره ونسب اليه ماليس له من نحو الوهية كغلاة أهل الرفض أو نبوة أو أفضليته

على من هو نفسه اعترف بأنه أفضل منه وقد أخرج البزار عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «ان فيك مثلا من عيسى بن مريم عليه السلام أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه وأحبته النصارى حتى أنزلوه المنزل الذي ليس به» ألا وانه يهلك في اثنان محب يقرظني بما ليس فيّ ومبغض يحمله شنآني على ان يبهتني ورواه أبو يعلى والحاكم أيضا وأخرج الامام أحمد والحاكم بسند صحيح عن عمار بن ياسر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي «أشقى الناس رجلان أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضرب بك ياعلي على هذه ـ يعني قرنه ـ حتى يبل منه هذه» يعني لحيته ـ وقد ورد ذلك أيضا من حديث علي وصهيب وجابر بن سمرة وغيرهم رضي الله عنهم وروى الطبراني وأبو يعلى بسند رجاله ثقات الا واحدا منهم وقد وثق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يوما من أشقى الاولين قال الذي عقر الناقة يارسول الله قال صدقت قال فمن أشقى الآخرين قال لاعلم لي يارسول الله قال الذي يضرب بك على هذه وأشار صلى الله عليه وسلم الى يافوخه فكان علي رضي الله عنه يقول لاهل العراق يعني عند ضجره منهم وددت انه قد انبعث أشقاكم فخضب هذه يعني لحيته من هذه ووضع يده على مقدم رأسه وصح أيضا ان عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال لعلي لاتقدم العراق فاني أخشى ان يصيبك بها ذباب السيف فقال علي وأيم الله لقد أخبرني به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو الاسود الدؤلي فما رأيت كاليوم محارب يخبر بذا عن نفسه

اذا علمت هذا فاعلم ان أمير المؤمنين علي ٧ الانزع البطين ابن أبي طالب واسمه عبد مناف وقيل اسمه كنيته ابن عبد المطلب واسمه شيبة الحمد قاله ابن اسحق وقيل عامر قاله ابن قتيبة قال ابن عبد البر ولا يصح وكنيته أبو الحارث والحارث أكبر أولاده ويكنى أيضا أبا البطحاء وانما قيل له عبد المطلب لان عمه المطلب أردفه حين أتى به من المدينة صغيرا فكان يقال له من هذا فيقول عبدي وهو ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي الخ النسب الشريف فعلي رضي الله تعالى عنه ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم وهي أول هاشمية ولدت هاشميا في الاسلام وقد أسلمت وهاجرت وأمير

المؤمنين علي رضي الله عنه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأخو رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمؤاخاة وصهره على سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام وأحد السابقين الى الاسلام وأحد العلماء الربانيين والشجعان المشهورين والزهاد المذكورين والخطباء المعروفين وأحد الخلفاء الراشدين وأحد من جمع القرآن المبين وأول خليفة من بني هاشم وأبو السبطين السعيدين أسلم علي رضي الله عنه قديما قال ابن عباس وأنس بن مالك وزيد بن أرقم وسلمان الفارسي وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم انه أول من أسلم حتى نقل بعضهم الاجماع عليه وقد ورد في ذلك عدة أخبار وتقدم في ذكر الصديق ما يجمع الاقوال على التحقيق ويدل لهذا ما قاله أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لما بلغه افتخار معاوية فقال لغلامه اكتب اليه ثم أملى عليه رضي الله عنه قوله

محمد النبي أخي وصهري وحمزة سيد الشهداء عمي

وجعفر الذي يمسي ويضحي يطير مع الملائكة ابن أمي

وبنت محمد سكني وعرسي مسوط لحمها بدمي ولحمي (١)

وسبطا أحمد ابناي منها فأيكم له سهم كسهمي

سبقتكم الى الاسلام طرا غلاما ما بلغت أوان حلمي

قال الامام الحافظ البيهقي ان هذا الشعر مما يجب على كل متوان في علي رضي الله عنه حفظه ليعلم مفاخره في الاسلام اهـ

واعلم ان مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه كثيرة ومآثره عزيزة وفضائله شهيرة حتى قال سيدنا الامام أحمد رضي الله عنه ما جاء لاحد من الفضائل ما جاء لعلي رضوان الله عليه وكذا قال اسماعيل القاضي والنسائي وأبو علي النيسابوري لم يرد في حق أحد من الصحابة بالاسانيد الحسان أكثر مما جاء في علي رضي الله عنه قال بعض العلماء وسبب ذلك والله أعلم ان الله تعالى أطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على ما يكون بعده مما ابتلي به علي وما وقع من الاختلاف لما آل اليه أمر الخلافة واقتضى ذلك نصح الامة باشتهاره بتلك الفضائل

---

(١) قوله مسوط لحمها تحريف صوابه مسوط بالسين أي مخلوط وممزوج دمها ولحمها في ولديهما اهـ مصححه

لتحصل النجاة لمن تمسك به ممن بلغته ثم لما وقع ذلك الاختلاف والخروج عليه نشر من سمع من الصحابة تلك الفضائل وبثها نصحا للامة أيضا ثم لما اشتد الخطب واشتغلت طائفة من بني أمية بتنقيصه وسبه حتى على المنابر ووافقهم على ذلك الخوارج اشتغلت جهابذة العلماء والحفاظ من أهل السنة ببث فضائله حتى كثرت نصحا للامة ونصرة للحق

وقد أخرج السلفي في الطيوريات عن عبد الله ابن الامام أحمد رضي الله عنهما قال سألت أبي عن علي ومعاوية فقال اعلم أن عليا كان كثير الاعداء ففتش له أعداء وه شيئا فلم يجدوا فجاؤا الى رجل قد حاربه وقاتله ناصروه كيادا منهم له رضي الله عنه وقال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه الكل مقرّ بأن معاوية ليس كفوًا لعلي رضي الله عنهما في الخلافة ولا يجوز ان يكون معاوية خليفة مع امكان استخلاف علي لسابقته وعلمه ودينه وشجاعته وسائر فضائله فانها كانت عندهم ظاهرة معروفة كفضل اخوانه أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ولم يكن بقي من أهل الشورى غيره وغير سعد لكن سعداً كان قد ترك هذا الامر وكان الامر قد انحصر في علي وفي عثمان رضي الله عنهما فلما توفي عثمان لم يبق لها معين الا علي رضي الله عنه وانما وقع ما وقع من الشر بسبب قتل عثمان رضي الله عنه وقال شيخ الاسلام ومعاوية لم يدع الخلافة ولم يبايع له بها حين قاتل عليا ولم يقاتله علي رضي الله عنه على انه خليفة ولا انه يستحق الخلافة ولا كانوا يرون ان يبدوًا عليا بقتال بل لما رأى علي ان لهؤلاء شوكة وهم خارجون عن طاعته رأى ان يقاتلهم حتى يردوا الى الواجب وهم رأوا ان عثمان رضي الله عنه قتل مظلوما باتفاق وقتلته في عسكر علي رضي الله عنه وهم غالبون لهم شوكة وعلي رضي الله عنه لم يمكنه دفعهم لما لم يمكنه الدفع عن عثمان فرأوا من الآراء الفاسدة ان نبايع خليفة يقدر على ان ينصفنا ويبذل لنا الانصاف وكان في جهال الفريقين من يظن بالامامين علي وعثمان رضي الله عنهما ظنونا كاذبة منهم من يزعم ان عليا رضي الله عنه أمر بقتل عثمان رضي الله عنه وكان علي رضي الله عنه يحلف وهو البار الصادق بلا يمين انه لم يقتله ولا رضي بقتله ولم يمالئ على قتله قال شيخ الاسلام وهذا معلوم بلا ريب من علي رضوان الله عليه فكان اناس من محبي علي ومن مبغضيه يشيعون ذلك عنه فمحبوه يقصدون الطعن على

عثمان وأنه كان يستحق القتل وأن عليا أمر بقتله ومبغضوه يتعمدون الطعن على علي رضي الله عنه وأنه أعان على قتل الخليفة المظلوم الشهيد الذي صبر نفسه ولم يدفع عنها ولم يسفك دم مسلم في الدفع عنه فكيف في طلب طاعته وأمثال هذه الامور التي تنسب الى المتشيعين العثمانية والعلوية وكل من الطائفتين مقر بأن معاوية ليس بكفؤ لعلي رضي الله عنه ولي الخلافة ووقعت له المبايعة بها بالمدينة لما قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه بالمدينة فانه لما قتل عثمان جاء الناس يهرعون اليه فقالوا له نبايعك فمد يدك فلا بد للناس من أمير فقال علي رضي الله عنه ليس ذلك اليكم انما ذلك الى أهل بدر فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة فلم يبق أحد من أهل بدر الا أتى عليا فقالوا ما نرى أحدا أحق بها منك مد يدك نبايعك فبايعوه وهرب مروان وولده وجاء علي الى امرأة عثمان فقال لها من قتل عثمان قالت لاأدري دخل عليه رجلان لا أعرفهما ومعهما محمد بن أبي بكر وأخبرت عليا والناس بما صنع فدعا محمدا فسأله عما ذكرت امرأة عثمان فقال محمد لم تكذب قد والله دخلت عليه وأنا أريد قتله فذكر لي أبي فقمت عنه وأنا تائب الى الله سبحانه وتعالى والله ماقتلته ولا أمسكته فقالت امرأة عثمان صدق ولكنه أدخلهما وذلك ان محمد بن أبي بكر رضي الله عنهما دخل كما ذكر فأخذ بلحية عثمان فقال له عثمان رضي الله عنه والله لو رآك أبوك لساءه مكانك مني فتراخت يده ودخل عليه الرجلان فتوجياه حتى قتلاه وخرجوا هاربين من حيث دخلوا وخرجت امرأته فلم يسمع صراخها لما كان في الدار من الجلبة وصعدت الى الناس فقالت ان أمير المؤمنين قد قتل فدخل الناس فوجدوه مذبوحا وبلغ الخبر عليا وطلحة والزبير وسعدا ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهلت عقولهم للخبر الذي أتاهم حتى دخلوا عليه فوجدوه مقتولا فاسترجعوا وضرب علي الحسن وصدر الحسين وشتم محمد بن طلحة وكان أرسلهم يذبون عن عثمان وقال لابنيه كيف قتل وأنتما على الباب وخرج وهو غضبان حتى أتى منزله فهرع الناس اليه فبايعوه جميعا وزعم بعض الناس ان طلحة والزبير انما بايعا كارهين غير طائعين ثم خرجا الى مكة وأم المؤمنين عائشة بها فأخذاها وخرجا الى البصرة يطلبون بدم عثمان فبلغ ذلك عليا

فخرج الى العراق فلقي طلحة والزبير ومن معهما وهي وقعة الجمل وكانت في جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وقتل بها طلحة والزبير و بلغت القتلى ثلاثة عشر ألفا وأقام علي رضي الله عنه بالبصرة خمسة عشر ليلة ثم انصرف الى الكوفة ثم خرج عليه معاوية ومن معه بالشام فبلغ عليا فسار فالتقوا بصفين في صفر سنة سبع وثلاثين ودام القتال بها أياما فرفع أهل الشام المصاحف يدعون الى ما فيها مكيدة من عمرو بن العاص وكتبوا بينهم كتابا ان يوافوا رأس الحول بأذرح فينظروا في أمر الامة فافترق الناس ورجع علي الى الكوفة ومعاوية الى الشام و بلغت القتلى ثلاثين ألفا قال القرطبي في التذكرة وكان مقام علي ومعاوية بصفين سبعة أشهر وقيل تسعة أشهر وقيل ثلاثة أشهر وقيل بل قتل في ثلاثة أيام وهي الايام البيض ثلاثة عشر وأربعة عشر وخمسة عشر ثلاثة وسبعون ألفا من الفريقين ذكره الثقة العدل أبو اسحق ومن تلك الليالي ليلة الهرير جعل يهر بعضهم الى بعض والهرير الصوت يشبه النباح لأنهم تراموا بالنبل حتى فنيت وتطاعنوا بالرماح حتى اندقت وتضاربوا بالسيوف حتى انقضبت حتى نزل القوم يمشي بعضهم الى بعض وقد كسروا أجفان سيوفهم وتضاربوا بما بقي من السيوف وعمد الحديد فلا يسمع الا غمغمة القوم والحديد في الهام ثم تراموا بالاحجار ثم جثوا على الركب فتحاثوا بالتراب ثم تكادموا بالافواه وكسفت الشمس وثار القتام وارتفع الغبار وضلت الالوية والرايات ومرت مواقيت أربع صلوات لان القتال كان من بعد صلاة الصبح الى ما بعد نصف الليل وكان ذلك في ربيع الاول من سنة سبع وثلاثين كما في تاريخ الامام أحمد رضي الله عنه وغيره وكان عدة أهل الشام الذين مع معاوية مائة ألف وخمسة وثلاثين ألفا وكان أهل العراق الذين مع علي رضوان الله عليه عشرين أو ثلاثين ومائة ألف ذكر ذلك الزبير من بكار واستشهد في صفين أبو اليقظان عمار بن ياسر رضي الله عنه وكان مع علي رضوان الله عليه وكان عمار يومئذ ابن ثلاث وتسعين سنة وكان قد سماه رسول الله الطيب المطيب فقد روى الترمذي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال جاء عمار بن ياسر يستأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فقال «ائذنوا له مرحبا بالطيب المطيب» قال

الترمذي حديث حسن صحيح وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال أخبرني من هو خير مني أبو قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمار «تقتلك فئة باغية» وأخرجه مسلم أيضا من حديث أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمار «تقتلك الفئة الباغية» وفي الترمذي من حديث أبي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار «أبشر تقتلك الفئة الباغية» واستسقى يوم صفين فأتي بقعب فيه لبن فلما نظر اليه كبر ثم قال أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آخر رزقي من الدنيا ضياح لبن في مثل هذا القعب ثم حمل فلم يثن حتى قتل أخرج الترمذي المسند منه وقال حسن صحيح والباقي ذكره رزين وفي صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم جعل ينفض التراب عن عمار وهم يبنون المسجد النبوي و يقول «ويح عمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار» قال وجعل عمار يقول أعوذ بالله من الفتن وفي رواية «ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار» ولم يذكر البخاري هذه الزيادة يعني تقتله الفئة الباغية وهذه الزيادة صحيحة ثابتة وهي في صحيح مسلم وغيره وكذلك في بعض نسخ البخاري كما قاله شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ومن رضي بقتل عمار رضي الله عنه كان حكمه حكمها أي حكم الفئة الباغية التي قتلته ويروى ان معاوية تأول أن الذي قتله هو الذي جاء به الى مبون مقاتله فما قتله الا الذي أخرجه فألزمه علي رضى الله عنه بقوله فرسول الله صلى الله عليه وسلم اذن قتل حمزة حين أخرجه لقتال المشركين ولا يخفى ان حجة معاوية هذه أوهى من بيت العنكبوت ومن ثم قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ولا ريب ان قول علي رضي الله عنه هذا هو الصواب انتهى ولا يرتاب ذوو الالباب ان الحق والصواب مع أمير المؤمنين أبي السبطين وزوج سيدة نساء العالمين علي ابن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين

واما معاوية رضي الله عنه فهو مجتهد مخطئ وليس له يومئذ في الخلافة حق ومن ثم قال له أبو مسلم الخولاني أنت تنازع عليا في الخلافة وأنت مثله قال لا واني لاعلم

انه أفضل ولكن ألستم تعلمون ان عثمان قتل مظلوما وأنا ابن عمه ووليه أطلب بدمه فأتوا عليا فقولوا له يدفع لنا قتلة عثمان فأجاب معاوية أهل الشام فأرسل الى علي أبا مسلم يطلب بدم عثمان وانه وليه وابن عمه فقال أمير المؤمنين علي يدخل في البيعة كما فعل الناس ثم يحاكم المدعى عليهم عندي فاحكم بما أنزل الله فأبى معاوية حتى جرى ماجرى ولاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم وكان أهل الشام يسمون قتل عمار فتح الفتوح وفي قتله يقول الحجاج بن غزية الانصاري

قال النبي له تقتلك شرذمة | سيطت لحومهم بالبغي فجار
فاليوم يعلم أهل الشام أنهم | أصحاب ذاك ومنهم شبت النار

وقال ابن عبدون في عمار رضي الله عنه

ومارعت لابي اليقظان صحبته | ولم تزوده الا الضيح في العمر

قال في النهاية الضياح والضيح بالفتح اللبن الخاثر يصب فيه الماء ثم يخلط وهو بفتح الضاد المعجمة وسكون التحتية فحاء مهملة وفي القاموس اللبن الرقيق الممزوج وكذا الضياح بفتح الضاد المعجمة ولما رفع أهل الشام المصاحف يدعون الى مافيها قال علي رضي الله عنه نعم نحن أحق بالاجابة الى كتاب الله تعالى فقال القراء الذين صاروا بعد ذلك خوارج خوانا ياأمير المؤمنين ماننتظر الى هؤلاء ألا نمشي عليهم بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا فقال سهل بن حنيف يأيها الناس اتهموا رأيكم فآل الامر الى أن كتبوا بينهم كتابا ان يوافوا رأس الحول بأذرح كما تقدم فخرجت عن طاعة أمير المؤمنين الخوارج وهم القراء فقالوا كفر علي وكفر معاوية فاعتزلوا عليا رضي الله عنه ونزلوا حروراء وهم بضعة عشر ألفا فأرسل علي اليهم ابن عباس رضي الله عنهم فناشدهم الله ارجعوا الى خليفتكم فيم نقمتم عليه أفي قسمة أو قضاء قالوا نخاف ان ندخل في الفتنة قال فلا تعجلوا ضلالة العام مخافة فتنة العام القابل فرجع بعضهم الى الطاعة وقال آخرون نكون ناحية فان قبل القضية يعني التحكيم قاتلناه على ماقاتلناعليه أهل الشام بصفين وان نقضها قاتلنا معه فساروا حتى قطعوا النهر وافترقت منهم فرقة يقتلون الناس فقال أصحابهم ماعلى هذا فارقنا عليا فلما بلغ أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه صنعهم وكان متجهزا لقتال أهل

الشام بعد التحكيم فان الناس اجتمعوا بأذرح في شعبان من سنة ثمان وثلاثين وحضر في هذه القضية سعد بن أبي وقاص وابن عمر وغيرهما من الصحابة الذين اعتزلوا الفتنة رضي الله عنهم فتقدم عمرو بن العاص أبا موسى الاشعري مكيدة منه فتكلم فاتفقا على خلع الاثنين علي ومعاوية ويصير الامر شورى فمن رضيه أهل بدر من المهاجرين والانصار فهو الخليفة فتقدم أبو موسى فقال قد خلعت عليا فقام عمرو فقال إن أبا موسى قد خلع عليا واني نصبت معاوية فاختلف الناس وأخذ أبو موسى يسب عمرا ويقول انك غدرت فرجع علي الى الكوفة ومعاوية الى الشام وصار علي على خلاف من أصحابه حتى صار رضي الله عنه يعض على أصبعه ويقول أعصى ويطاع معاوية وربما قال ويطاع ابن آكلة الاكباد اشارة الى أكل هند بنت عتبة أم معاوية من كبد حمزة رضي الله عنه يوم أحد فلما تجهز علي رضي الله عنه لقتال أهل الشام شغله أمر الخوارج وما ارتكبوه من المفاسد فقال لاصحابه أتسيرون الى عدوكم أو ترجعون الى هؤلاء الذين خلفوكم في دياركم فقالوا بل نرجع اليهم فقال رضي الله عنه اسطوا عليهم فوالله لا يقتل منكم عشرة ولا يفر منهم عشرة فكان كذلك فقال اطلبوا في القتلى رجلا صفته كذا وكذا وذكر من نعته ان له ثديا كثدي المرأة فطلبوه فوجدوه على النعت الذي ذكره أمير المؤمنين لهم فقال رجل الحمد لله الذي أبادهم وأراحنا منهم فقال علي رضي الله عنه كلا والذي نفسي بيده ان منهم لمن في اصلاب الرجال لم تحمله النساء بعد وهؤلاء الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين فيقتلها أولى الطائفتين الى الحق» رواه مسلم في صحيحه فقتلهم علي رضي الله عنه وفرح على قتال الخوارج بخلاف وقعة الجمل وغيرها فانه كان يظهر منه الحزن والكآبة والاسف ومن بقايا الخوارج القرامطة وهم الباطنية والاسماعيلية والملاحدة واضرابهم

(غريبة عجيبة) ذكر الجلال السيوطي في لقط المرجان قال ذكر في كتاب نزهة المذاكرة من طريق الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال حضرت مع علي بن أبي طالب رضي الله

عنه قتل الحرورية بالنهراون فالتمس علي ذا الثدية فلم يجدوه فقال اطلبوه فوجدوه بعد ذلك فقال علي رضي الله عنه من يعرف هذا فقال رجل من القوم نحن نعرفه هذا قوص وأمه ههنا فأرسل علي الى أمه فقال لها من أبو هذا قالت ما أدري الا أني كنت أرعى غنما لاهلي في الجاهلية بالمدينة فغشيني شيء كهيئة الظلة فحبلت منه فولدت هذا انتهى تعني ان أباه من الجن وهذا غريب جدا والله أعلم

﴿ تنبيه ﴾

علم مما تقدم ان احق الناس بالخلافة بعد الثلاثة المتقدمة أعني أبا بكر وعمر وعثمان علي بن أبي طالب رضي الله عنهم باتفاق أهل الحل والعقد كطلحة والزبير وأبي موسى الاشعري وابن عباس وخزيمة بن ثابت وأبي الهيثم بن التيهان ومحمد بن مسلمة وعمار بن ياسر وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين قال بعض محققي علمائنا قد اتفق على بيعة علي رضي الله عنه عمار ومن حضر المدينة من البدريين والانصار كاجماع أهل السقيفة على بيعة أبي بكر رضي الله عنه قال الحسن البصري رضي الله عنه والله ما كانت بيعة علي رضي الله عنه الا كبيعة أبي بكر وعمر رضي الله عنهم وقال أبو عبد الله بن بطة من علمائنا كانت بيعة علي رضي الله عنه (بيعة) اجماع ورحمة لم يدع الى نفسه ولم يجبرهم على بيعته بسيفه ولم يغلبهم بعشيرته ولقد شرف الخلافة بنفسه وزانها بشرفه وكساها حلة البهاء بعدله ورفعها بعلو قدره ولقد أباها فأجبروه وتقاعس عنها فأكرهوه وقال سيدنا الامام أحمد رضي الله عنه ان عليا رضوان الله عليه لم تزنه الخلافة ولكن علي زانها وروى الشعبي قال دخل اعرابي على علي رضي الله عنه حين أفضت اليه الخلافة فقال والله يا أمير المؤمنين لقد زنت الخلافة وما زانتك ورفعتها وما رفعتك وهي كانت أحوج اليك منك اليها قال أبو عبد الله بن بطة رحمه الله تعالى قد أحسن الاعرابي وصدق في ما قال فان عليا ومن تقدمه من الخلفاء رضي الله عنهم زينوا الخلافة وجملوا أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأتموا الدين وأظهروه وأسسوا الاسلام وأشهروه وأنشد الامام الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في تبصرته في حق علي رضي الله عنه

ما زانه الملك اذ حواه ... بل كل شيء به يزان ... جرى ففات الملوك سبقا

فليس قدامه غيان نالت يداه ذرى معال يعجز عن مثلها العيان

وفي شرح المقاصد عن بعض المتكلمين انعقد على بيعة علي رضي الله عنه الاجماع ووجه انعقاده ما انحصر الامر فيه وفي عثمان زمن الشورى على انه له أو لعثمان وهذا اجماع على علي رضي الله عنه لولا عثمان فلما توفي عثمان رضي الله عنه بقيت لعلي اجماعا ومن ثم قال بعض محققي علماء الكلام لا أكترث بقول من قال لااجماع على امامة على رضي الله عنه وقد تقدم في كلام شيخ الاسلام مايفهم منه هذا المقام والله ولي الانعام

ولما قتل علي رضي الله عنه الخوارج بالنهروان واستأصل جمهورهم ولم ينج منهم الى القليل انتدب من بقاياهم عبد الرحمن بن ملجم المرادي والحجاج بن عبد الله الصريحي و يعرف بالبرك وداذوية مولى بني العنبر بن عمرو بن تميم فاجمعوا رأيهم على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص وان يكون قتلهم في ليلة واحدة وهي ليلة سبعة عشر من رمضان أو احدى عشر وقيل ليلة احدى وعشرين من شهر رمضان وكان تعاقدهم وتعاهدهم على ذلك بمكة المشرفة فضمن ابن ملجم قتل علي فقيل له وكيف لك بذلك قال أغتاله وضمن البرك قتل معاوية وضمن داذويه قتل عمرو بن العاص وزعموا ان هذه الثلاثة قد أفسدوا أمر هذه الأمة ولو قتلوا لعاد الامر الى مستحقيه كذا زعموا لعنهم الله تعالى فتوجه كل واحد منهم الى صاحبه فاما البرك الصريحي فقدم على معاوية بدمشق فضربه فجرح أليته وهو في الصلاة ويقال انه قطع عرق النسل منه فما أحبل النساء بعد تلك الضربة واما داذويه بن حذافة العنبري فقدم مصر لقتل عمرو بن العاص واتفق انه تلك الليلة استخلف على صلاة الفجر خارجة بن حذافة بن غانم بن عبدالله بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوي شهد فتح مصر وكان أمير ربع المدد الذين أمدهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمرو بن العاص في فتح مصر وكان على شرط مصر في أمرة عمرو بن العاص لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم قال في جامع الاصول كان خارجة بن حذافة هذا أحد فرسان قريش فيقال انه كان يعدل بألف

فارس قاله ابن عبد البر وكان كتب عمرو بن العاص الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يستمده بثلاثة آلاف فارس فأمده بخارجة بن حذافة والزبير بن العوام والمقداد بن الاسود رضي الله عنهم. فأراد الخارجي دادويه قتل عمرو بن العاص فقتل خارجة بن حذافة فلما قتله الخارجي أخذ وأدخل على عمرو فقال الخارجي من هذا الذي أدخلتموني عليه قالوا عمرو بن العاص قال ومن قتلت قالوا خارجة فقال:أردت عمرا وأراد الله خارجة:فذهبت مثلا والى هذا أشار أبو محمد عبد المجيد بن عبدون الاندلسي في قصيدته الرائية التي رثى بها بني الافطس ملوك بطليوس بقوله

وليتها اذ فدت عمرا بخارجة فدت عليا بمن شاءت من البشر

واما أشقى الآخر بن عبد الرحمن بن ملجم اللعين فقدم الكوفة ولقي بها من اخوانه الخوارج فسارّهم بما أراد فاشترى سيفا فيا زعموا بألف وسقاه السم حتى لفظه وكان في خلال ذلك يأتي عليا رضي الله عنه فيسأله فوقعت عينه على قطام بنت علقمة من تيم الرباب وكانت خارجية ترى رأي الخوارج وكانت جميلة رائعة في الجمال فأعجبته فخطبها فقالت آليت ان لا أتزوج الا على مهر لا أريد سواه فقال ماهو فقالت ثلاثة آلاف وعبد وجارية وقتل علي بن أبي طالب فقال والله ما أتيت الا لقتله به ولا أقدمني هذا المصر غير ذلك ولكن لما رأيتك أردت تزويجك فقالت ليس الا الذي قلت لك فقال ومايغنيني منك اذا أنا قتلت عليا اعلم اني لم أفلت فقالت ان قتلته ونجوت فهو الذي أردت تبلغ شفاء نفسك ويهنيك العيش معي وان قتلت فما عند الله خير من الدنيا فقال لها لك ما اشترطت ثم قال لعنه الله تعالى

ثلاثة آلاف وعبد وقينة وضرب علي بالحسام المسمم
فلا مهر أغلا من علي وان غلا ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم

فقالت له ورأيي من يشد ظهرك فبعثت الى ابن عم لها يدعى وردان بن مجالد فأجابها ولقي ابن ملجم شبيب بن شجرة الاشجعي فقال ياشبيب هل لك في شرف الدنيا والآخرة فقال ماهو فقال تساعدني على قتل علي بن أبي طالب فقال ثكلتك أمك لقد جئت شيئا إدًّا كيف تقدر على ذلك قاله انه رجل لا حرس له

ويخرج الى المسجد منفردا فتمكن منه وقد كمنا له في المسجد فقتله فان نجوا نجونا وان قتلنا فقد سعدنا بالذكر في الدنيا و بالجنة في الآخرة فقال ويلك ان عليا ذو سابقة في الاسلام مع النبي صلى الله عليه وسلم وماتنشرح نفسي لقتله قال ويلك انه حكم الرجال في دين الله وقتل اخواننا الصالحين فنقتله ببعض من قتل فلا تشكن في دينك فأجابه وأقبلا حتى دخلا على قطام وهي معتكفة في المسجد الأعظم في قبة ضربتها لنفسها فدعت لهما وأخذا سيفيهما وجلسا قبالة السدة التي يخرج منها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فخرج الى صلاة الصبح فبدره شبيب فضربه فأخطأه وضربه عبدالرحمن على رأسه وقال الحكم لله يا علي لا لك ولا لاصحابك فقال علي رضي الله عنه فزت ورب الكعبة لا يفوتنكم الكلب وشد الناس عليه من كل جانب فحمل عليهم ابن ملجم فأفرجوا له فتلقاه المغيرة ابن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب فرمى عليه قطيفة كانت عنده واحتمله وضرب به الارض وقعد على صدره واما شبيب فانتزع السيف من يده رجل من حضرموت وصرعه وقعد على صدره فجعل الناس يصيحون عليكم صاحب السيف فخاف الحضرمي على نفسه فرمى بالسيف وانسل شبيب من بين الناس. وأخذ ابن ملجم فدخل به على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فقال ان أعش فالامر لي وان أمت فالأمر لكم فالعفو أو القصاص واجتمع الاطباء عنده وكان أبصرهم بالطب أثير بن عمرو السكري وكان من أطباء كسرى فأخذ رئة شاة حارة فتتبع عرقا منها فأخرجه فأدخله في جراحة علي رضي الله عنه ثم نفخ العرق فاستخرجه فاذا عليه بياض دماغ واذا الضربة قد وصلت الى أم رأسه فقال يا أمير المؤمنين أعهد عهدك فأنت ميت وسمع ابن ملجم لعنه الله الرنة من الدار فقال له من حضره أي عدو الله انه لا بأس على أمير المؤمنين رضي الله عنه فقال ابن ملجم فعلى من تبكي أم كلثوم أعلي تبكي اما والله لقد اشتريت سيفي بألف ومازلت أعرضه فما يعيبه أحد الا أصلحت ذلك العيب ولقد سقيته السم حتى لفظه ولقد ضربته ضربة لوقسمت على من بالمشرق لأتت عليهم ثم مات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه ليلة الاحد لتسع عشرة مضت من رمضان سنة

أربعين وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم وصلى عليه الحسن ودفن بدار الامارة بالكوفة ثم أحضر ابن ملجم وجاء الناس بالنفط والبواري وقطعت يداه ورجلاه وكحلت عيناه بمسامير الحديد محماة ثم قطع لسانه ثم أحرق في قوصرة وقيل انه قطعت أطرافه لعنه الله ولم يتأوه بل (كان) يتلو القرآن فلما أرادوا قطع لسانه امتنع من اخراجه فتعبوا في ذلك فقيل له قطعت يداك ورجلاك فما تمانعت فما هذا التمانع عند قطع لسانك قال لئلا يفوتني من تلاوة القرآن شيء واناحي فشقوا شدقه وأخرجوا لسانه بكلاب فقطعوه وكان عمر أمير المؤمنين لما مات ثلاثا وستين سنة كأبي بكر وعمر كعمر رسول الله صلى الله عليه وسلم والله تعالى أعلم

ولما بلغ عائشة رضي الله عنها موت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قالت لتصنع العرب ماشاءت بعده فليس لها من ينهاها وكان عبد الرحمن بن ملجم قد قرأ القرآن على معاذ بن جبل رضي الله عنه وكان من العباد المعدودين قبل خروجه حتى يقال ان عمر بن الخطاب كتب الى بعض عماله ان يوسع دار عبد الرحمن بن ملجم ليعلم الناس الفقه والقرآن ثم كان من شيعة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وشهد معه صفين ثم فعل بعد هذا ما فعل فنسأل الله حسن الخاتمة في عافية وعند الخوارج ان ابن ملجم أفضل الأمة وكذلك النصيرية يعظمونه قال أبو محمد بن حزم يقولون انه أفضل أهل الارض لانه خلص روح اللاهوت من ظلمة الجسد وكدره وعند الروافض انه أشقى الخلق في الآخرة قلت ولا يخفى انه استحل قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بل عد قتله من أعظم القرب وهذا كفر بلا ريب حتى ان عمران بن حطان الخارجي قبحه الله تعالى قال يمدح ابن ملجم لعنه الله

ياضربة من تقي ما أراد بها الا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
اني لاذكره يوما فاحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا

وعارضه بعض أهل الحق بقوله

قل لابن ملجم والاقدار غالبة هدمت ويلك للاسلام أركانا

وقلت أفضل من يمشي على قدم ... وأول الناس اسلاما وايمانا
واعلم الناس بالايمان ثم بما ... سن الرسول لنا شرعا وتبيانا
صهر النبي ومولاه وناصره ... أضحت مناقبه نورا وبرهانا
وكان منه على رغم الحسود له ... مكان هارون من موسى بن عمرانا
وكان في الحرب سيفا ماضيا ذكرا ... ليثا اذا لقي الاقران اقرانا
ذكرت قاتله والدمع منحدر ... فقلت سبحان رب العرش سبحانا
اني لاحسبه ما كان من بشر ... يخشى المعاد ولكن كان شيطانا
أشقى مراد اذا عدت قبائلها ... وأخسر الناس عند الله ميزانا
كعاقر الناقة الاولى التي جلبت ... على ثمود بأرض الحجر خسرانا
قد كان يخبرهم ان سوف يخضبها ... قبل المنية ازمانا وازمانا
فلا عفا الله عنه ما تحمله ... ولاسقى قبر عمران بن حطانا
لقوله في شقي ظل مجترما ... ونال ما ناله ظلما وعدوانا
ياضربة من تقي ما أراد بها ... الاليبلغ من ذي العرش رضوانا
بل ضربة من غوي أورثته لظى ... فسوف يلقى بها الرحمن غضبانا
كأنه لم يرد قصدا بضربته ... الاليصلى عذاب الخلد نيرانا

وماأحسن ماقال عمارة اليمني في الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم

أردت عليا وعثمان بخلبها ... ولم يفتها أبو بكر ولا عمر
ومن أراد التأسي في مصيبته ... فالورى في رسول الله معتبر

واعلم ان مناقب علي رضوان الله تعالى عليه كثيرة ومآثره شهيرة ولقد ة
فيه ابن عباس رضي الله عنهم كان لعلي ضرس قاطع في العلم وكان له القدم
الاسلام والصهر برسول الله صلى الله عليه وسلم والفقه في السنة والنجدة في الحر
والجود في المال وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يتعوذ بالله من معضلة لي
لها أبو حسن يعني عليا رضي الله عنه وأخرج الامام الحافظ أبو الفرج عبد الر
ابن الجوزي في تبصرته بسنده عن أبي صالح قال قال معاوية بن أبي سف
لضرار بن ضمرة صف لي عليا قال أوتعفيني ياأمير المؤمنين قال بل تصفه

قال أوتعفيني قال لا أعفيك قال أما اذ لا بد فانه والله كان بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل وظلمته كان والله غزير الدمعة طويل الفكرة يقلب كفه ويخاطب نفسه يعجبه من اللباس ماخشن ومن الطعام ماجشب كان والله كأحدنا يجيبنا اذا سألناه ويبتدئنا اذا أتيناه ويأتينا اذا دعوناه ونحن والله مع تقربيه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة ولا نبتدئه لعظمته كان اذا تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم يعظم أهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله فأشهد بالله لرأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سجوفه وغارت نجومه وقد مثل في محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين فلكأني اسمعه وهو يقول يادنيا يادنيا أبي تعرضت أم لي تشرفت هيهات هيهات غري غيري قد بتتك ثلاثا لارجعة لي فيك ولا مثنوية فعمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كبير ويروى انه قال حلالك حساب وحرامك عذاب ثم انشد رضي الله عنه

دنيا تخادعني كأني	لست أعرف حالها
مدت الي عينها	فرددتها وشمالها
حظر الاله حرامها	وانا اجتنبت حلالها
وعلمتها خداعة	فتركت جملتها لها

آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق قال فذرفت دموع معاوية فما يملكها وهو ينشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكاء ثم قال معاوية رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه ياضرار قال حزن من ذبح ولدها في حجرها فلا ترقى عبرتها ولا تسكن حسرتها . وأنشد الحافظ ابن الجوزي في التبصرة من نظم الامام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ووصف نفسه

اذا المشكلات تصدين لي	كشفت حقائقها بالنظر
وان برقت في مخيل الصواب	عمياء لا يجتليها البصر
مقنعة بغيوب الأمور	وضعت عليها صحيح الفكر
لساني كشقشقة الارحبي	أوكالحسام اليماني الذكر

وفي الطيوريات قال قال رجل لعلي رضي الله عنه نسمعك تقول في الخطبة

اللهم أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين المهديين فمن هم فاغرورقت عيناه قال هم أحباي أبو بكر وعمر اماما الهدى وشيخا الاسلام ورجلا قريش والمقتدى بهما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتدى بهما عصم ومن اتبع آثارهما هدي الى الصراط المستقيم ومن تمسك بهما فهو من حزب الله

والامام علي أمير المؤمنين رضي الله عنه أول من وضع علم النحو قال أبو القاسم الزجاجي في أماليه عن أبي الأسود الدؤلي قال دخلت على أمير المؤمنين فرأيته مفكرا قلت فيم تفكر قال اني سمعت ببلدكم هذا لحنا فأردت أن أضع كتابا في أصول العربية فقلت ان فعلت هذا أحييتنا وبقيت فينا هذه اللغة ثم أتيته بعد ثلاث فألقى الي صحيفة فيها: بسم الله الرحمن الرحيم الكلام كله اسم وفعل وحرف فالاسم ما أنبأ عن المسمى والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل: ثم قال واعلم يا أبا الاسود أن الاشياء ثلاثة ظاهر ومضمر وشيء ليس بظاهر ولا مضمر: ثم قال تتبعه وانح نحوه وزد فيه: وهذا مشهور وما تحيط الدفاتر بالبحر الخضم والشيء الاعم والسواد الاعظم فكل ما ذكرناه بالنسبة لما تركناه كقطرة ماء من بحر لجي أو كرملة واحدة من رمال فجي وروي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة وستة وثلاثون حديثا منها في الصحيحين أربعة وأربعون حديثا اتفقا منها على عشرين وانفرد البخاري بتسعة ومسلم بخمسة عشر والله ولي التوفيق ثم قال في نظمه

﴿ نحبه كحبهم حتما وجب ومن تعدى أو قلا فقد كذب ﴾

(نحبه) أي حب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه (كحبهم) أي الخلفاء الراشدين خليفة رسول الله صلى الله وسلم أبي بكر الصديق الامام المبجل على التحقيق المسمى بعبد الله والملقب بعتيق فمن أحبه فهو مؤمن ومن بغضه فهو زنديق وكذلك عمر بن الخطاب الملقب بالفاروق وكذلك عثمان بن عفان الذي بكل مكرمة مرموق فان كنت مؤمنا فأحبهم جميعا وحتم ذلك على نفسك وعلى كل أبناء جنسك (حتما) أي خالصا محكم الامر (وجب) على جميع الامة باتفاق الأئمة لا بزوغ عن حبهم الا هالك ولا بروغ عن وجوب ذلك الا آفك ومن ثم قال (ومن) أي أي مكلف من هذه الأمة المحمدية (تعدى)

في حبه أو لم يقل بفضل الخلفاء الراشدين على ترتيب الخلافة ﴿ أو قلا ﴾ هم أو احدا منهم أي أبغضهم أو أحدا منهم يقال قلاه كرماه رفضه قلا وقلا اذا أبغضه وكرهه غاية الكراهة وتركه وهجره وقال الامام أبو المظفر عون الدين بن هبيرة القلى بغض بعد حب ﴿فقد﴾ الفاء في جواب من وقد حرف تحقيق ﴿ كذب ﴾ في كل واحدة من الخصلتين من تعديه في الحب أو بغضه لهم أو لأحد منهم رضى الله عنهم أجمعين .

﴿ تنبيهات ﴾

(الاول) اعلم ان الواجب اعتقاده ان أفضل هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم الخلفاء الراشدون الاربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم فهم الذين وليوا الخلافة التي هي النيابة عن النبي صلى الله عليه وسلم في عموم مصالح المؤمنين من اقامة الدين وصيانة المسلمين بحيث يجب على كافة الخلق الاتباع ويحرم عليهم المخالفة وقد بين صلى الله عليه وسلم مدة الخلافة بعده بأنها ثلاثون سنة ثم تصير ملكا عضوضا فكانت مدة خلافتهم فأخرج الامام أحمد من حديث سفينة رضي الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «الخلافة ثلاثون عاما ثم يكون من بعد ذلك الملك» ورواه أصحاب السنن وصححه ابن حبان وغيره ولم يكن في الثلاثين بعده صلى الله عليه وسلم الا الخلفاء الاربعة وأيام الحسن رضي الله عنهم وأخرج البزار بسند حسن من حديث أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان أول دينكم نبوة ورحمة ثم يكون خلافة ورحمة ثم يكون ملكا وجبرية» فثبت بالنص ان مدة الخلفاء الاربعة خلافة ورحمة وكذا مدة سيدنا الحسن رضي الله عنه وكانت ستة أشهر وأياما والله أعلم

(الثاني) ترتيبهم في الخلافة وهذا قول عامة أهل السنة من أهل الحديث والفقه والكلام من الاثرية والاشعرية والماتريدية وغيرهم قال الامام أحمد رضي الله عنه علي رضوان الله عليه رابعهم في الخلافة والتفضيل وقال من فضل عليا على أبي بكر وعمر أو قدمه عليهما في الفضيلة والامامة دون النسب فهو رافضي مبتدع

فاسق ذكره القاضي أبو يعلى قال ابن حمدان في نهاية المبتدئين فان فضله يعني عليا رضي الله عنه على عثمان رضي الله عنه فكذلك يعني انه يكون رافضيامبتدعا فاسقاوفي رواية أخرى لايكون رافضيامبتدعا بتفضيل علي على عثمان رضي الله عنهما وتبرأ الامام أحمدرضي الله عنه ممن ضللهم أو أحدامنهم اه

(الثالث) اعلم ان الذي أطبق عليه عظماء الملة وعلماء الامة ورؤساء الأئمة ان أفضل هذه الامة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم الصديق الاعظم أبو بكر ابن أبي قحافة ثم عمر الفاروق بن الخطاب رضي الله عنهما ثم اختلفوا فالاكثرون ومنهم الامام أحمد والامام الشافعي وهو المشهور عن الامام مالك رضي الله عنهم ان الافضل بعد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما عثمان بن عفان ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وجزم الكوفيون ومنهم سفيان الثوري بتفضيل علي على عثمان وقيل بالوقف عن التفضيل بينهما وهو رواية عن مالك فقد حكى أبو عبدالله المازري عن المدونة ان مالكا سئل أي الناس أفضل بعد نبيهم فقال أبو بكر ثم عمر ثم قال أوفي ذلك شك فقيل له وعلي وعثمان فقال ما أدركت أحدا ممن اقتدي به يفضل أحدهما على الآخرانتهى وقوله أوفي ذلك شك يريد ماسحرره ان تفضيل أبي بكر وعمر على بقية الأمة قطعي نعم حكى القاضي عياض عن الامام مالك أنه رجع عن التوقف الى تفضيل عثمان قال القرطبي وهو الاصح ان شاء الله تعالى وقد نقل التوقف ابن عبدالبر عن جماعة من السلف منهم الامام مالك ويحيى القطان وابن معين قال الامام يحيى بن معين ومن قال أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعرف لعلي سابقته وفضله فهو صاحب سنة ولاشك ان من اقتصر على عثمان ولم يعرف لعلي فضله فهو مذموم ومن ثم يعلم ان حكاية الاجماع على ان عثمان أفضل من علي رضي الله عنهما مدخول بل الخلاف معلوم نعم معتمد محققي أهل السنة ان الخلفاء الراشدين في ترتيب الافضلية على نسق ترتيب الخلافة وهذا منصوص الامام أحمد وغيره من أئمة الاسلام لكن التفضيل في طرف أبي بكر وعمر رضي الله عنهما قطعي على المعتمد وقيل ظني كما عند الباقلاني وغيره

(الرابع) سئل الامام أبو زرعة الولي العراقي عمن اعتقد في الخلفاء الاربعة

الافضلية على الترتيب المعلوم ولكن يحب أحدهم أكثر هل يأثم أولا فأجاب بأن المحبة قد تكون لامر ديني وقد تكون لامر دنيوي فالمحبة الدينية لازمة للأفضلية فمن كان أفضل كانت محبتنا الدينية له أكثر فمتى اعتقدنا في واحد منهم انه أفضل ثم أحببنا غيره من جهة الدين أكثر كان تناقضا نعم ان أحببنا غير الأفضل أكثر من محبة الافضل لامر دنيوي كقرابة واحسان ونحوه فلا تناقض في ذلك ولا امتناع فمن اعترف بأن أفضل هذه الامة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي لكنه أحب عليا أكثر من أبي بكر مثلا فان كانت المحبة المذكورة محبة دينية فلا معنى لذلك اذ المحبة الدينية لازمة للافضلية كما قررناه وهذا لم يعترف بأفضلية أبي بكر الا بلسانه واما بقلبه فهو مفضل لعلي لكونه أحبه محبة دينية زائدة على محبة أبي بكر وهذا لايجوز وان كانت المحبة المذكورة محبة دنيوية لكونه من ذرية علي أو لغير ذلك من المعاني فلا امتناع فيه انتهى وعلى كل حال المحبة الدينية لازمة للافضلية على حسب زيادتها ونقصها و بالله التوفيق

﴿ وبعد فالافضل باقي العشره فأهل بدر ثم أهل الشجره ﴾

﴿و بعد﴾ أي بعد الخلفاء الراشدين ﴿ فالافضل ﴾ من سائر الصحابة المكرمين ﴿باقي العشرة﴾ المشهود لهم بالجنة على لسان سيد العالمين وخاتم المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وهم الستة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض رضوان الله تعالى عليهم أجمعين

أحدهم أبو محمد طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي وأمه الصعبة بنت عبد الله بن عباد الحضرمي أخت العلاء الحضرمي أسلمت وأسلم طلحة قديما على يد أبي بكر الصديق وشهد المشاهد كلها غير بدر لان النبي صلى الله عليه وسلم كان أنفذه مع سعيد بن زيد يتعرفان خبر العير التي كانت لقريش مع أبي سفيان بن حرب فعادا يوم الالتقاء ببدر وثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ووقاه بيده فشلت أصبعه وجرح يومئذ أربعة وعشرين جراحة وقيل كانت فيه خمس وسبعون بين طعنة وضربة ورمية كما في

جامع الاصول وسماه النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد طلحة الخير وسماه يوم غزوه ذات المشيرة طلحة الفياض ويوم حنين طلحة الجود وكان آدم كثير الشعر ليس بالجعد القطط ولا بالسبط حسن الوجه دقيق العرنين لايغير شعره، قتل رضي الله عنه يوم وقعة الجمل يوم الخميس لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ويقال ان مروان بن الحكم قتله وقيل أصابه سهم في حلقه ودفن بالبصرة وله أربع وستون سنة وقيل اثنتان وستون يلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب وروي له عن النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية وثلاثون حديثا منها في الصحيحين سبعة المتفق عليه منها حديثان وانفرد البخاري بحديثين ومسلم بثلاثة وروى عنه السائب بن يزيد وعبد الرحمن بن عثمان ابن عبيد الله التيمي وأبو عثمان النهدي وقيس ابن أبي حازم وموسى بن طلحة وغيرهم

(الثاني) أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب القرشي الاسدي وأمه صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلمت وأسلم هو قديما على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنهم وهو ابن ست عشرة سنة فعذبه عمه بالدخان ليترك الاسلام فلم يفعل وهاجر الى أرض الحبشة الهجرتين وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها وهو أول من سل السيف في سبيل الله وثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكان أبيض طويلا ويقال لم يكن بالطويل ولا بالقصير يميل الى الخفة في اللحم ويقال كان أسمر خفيف العارضين قتله عمير بن جرموز بسفوان من أرض البصرة في وقعة الجمل سنة ست وثلاثين وله أربع وستون سنة ودفن بوادي السباع ثم حول الى البصرة وقبره بها مشهور يجتمع نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم في قصي روي له عن النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية وثلاثون حديثا منها في الصحيحين تسعة المتفق عليه منها حديثان وباقيها للبخاري روى عنه ابناه عبد الله وعروة وغيرهما وهو أحد الشجعان المشهورة وحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم

(الثالث) أبو اسحق سعد بن أبي وقاص واسم أبي وقاص مالك بن وهيب ويقال

أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب القرشي الزهري وأمه حمنة بنت سفيان وقيل بنت أبي سفيان بن عبد شمس بن عبد مناف أسلم قديما على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وهو ابن سبع عشرة سنة وقال كنت ثالثا في الاسلام وأنا أول من رمى بسهم في سبيل الله شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قصيرا غليظا ذا هامة شثن الاصابع آدم افطس أشعر الجسد وفداه النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد بأبويه أي قال له «ارم فداك أبي وأمي» مات رضي الله عنه في قصره بالعقيق قريبا من المدينة فحمل على رقاب الرجال الى المدينة وصلى عليه مروان بن الحكم وهو يومئذ والي المدينة من قبل معاوية ودفن بالبقيع وذلك سنة خمس وخمسين وقيل سبع وخمسين وله بضع وسبعون سنة وقيل اثنان وثمانون وهو آخر العشرة موتا وكان قد اعتزل الفتنة وكف بصره في آخر عمره رضي الله عنه روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتان وسبعون حديثا منها في الصحيحين ثمانية وثلاثون حديثا اتفقا منها على خمسة عشر وانفرد البخاري بخمسة ومسلم بثمانية عشر روى عنه عبد الله بن عمر وجابر بن سمرة وعامر ومحمد ومصعب بنوه وابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف وابن المسيب وأبو عثمان النهدي وقيس ابن أبي حاتم وغيرهم

(الرابع) أبو الاعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى وباقي نسبه معروف من نسب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب القرشي العدوي وأمه فاطمة بنت بعجة بفتح الموحدة وسكون العين المهملة وبالجيم ابن أمية بن خزاعة أسلم قديما قبل ان يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الارقم شهد المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم غير بدر فانه كان مع طلحة بن عبيد الله يطلبان خبر عير قريش كما تقدم آنفا وضرب لهما النبي صلى الله عليه وسلم بسهميهما في الغنيمة والاجر كان آدم طويلا اشعر مات بالعقيق قريبا من المدينة فحمل اليها ودفن بها سنة احدى وخمسين وقيل اثنين وخمسين وله بضع وسبعون سنة وقيل مات بالكوفة ودفن بها يجتمع مع نسب النبي صلى الله عليه وسلم في لؤي روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية وأربعون حديثا منها في الصحيحين

ثلاثة المتفق عليه منها اثنان والثالث للبخاري

(الخامس) أبو محمد عبد الرحمن بن عوف ابن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي الزهري كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن وأمه الشفاء بنت عوف بن عبد الحارث بن زهرة أسلمت وهاجرت وفي الزهر البسام اما صفية بنت عبد مناف بن زهرة ويقال الشفاء بكسر الشين المعجمة وبالفاء بنت عوف وأسلم هو قديما على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وهاجر الى الحبشة الهجرتين وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت معه يوم أحد وصلى النبي صلى الله عليه وسلم خلفه في غزوة تبوك وأتم مافاته . كان طويلا رقيق البشرة أبيض مشربا بحمرة ضخم الكفين أقنى وقيل كان ساقط الثنيتين أعرج أصيب يوم أحد وجرح عشرين جراحة أو أكثر فأصابه بعضها في رجله فعرج . ولد بعد الفيل بعشر سنين ومات سنة اثنتين وثلاثين ودفن في البقيع وله ثنتان وسبعون سنة وقيل خمس وسبعون سنة ويلتقي نسب النبي صلى الله عليه وسلم في كلاب بن مرة روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة وستون حديثا منها في الصحيحين سبعة أحاديث المتفق عليه منها حديثان وباقيها للبخاري روى عنه ابن عباس وابنه ابرهيم وبجالة بن عبد وغيرهم رضي الله عنهم

(السادس) أمين الامة أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي الفهري أسلم مع عثمان بن مظعون وهاجر الى الحبشة الهجرة الثانية وشهد المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم وثبت معه يوم أحد ونزع الحلقتين اللتين دخلتا في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد من حلق المغفر بفيه فوقعت ثنيتاه فكان أحسن الناس هتما كان رضي الله عنه طوالا معروق الوجه خفيف اللحية مات في طاعون عمواس بالاردن سنة ثماني عشرة ودفن هناك وقبره مشهور يزار ويتبرك به : روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة عشر حديثا ولم يخرج له البخاري في صحيحه شيئا ولا أخرج له مسلم الا في حديث العنبر من رواية أبي

الزبير عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهم وهو قوله يعني قول أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه نحن رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معنى تام فسموه حديثا فهؤلاء العشرة المذكورون في حديث عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعد بن أبي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة» رواه الترمذي وأخرج أبوداود والترمذي عن رباح بن الحارث قال كنت قاعداً عند فلان في الكوفة في المسجد وعنده أهل الكوفة فجاء سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فرحب به وحياه وأقعده على السرير فجاء رجل من أهل الكوفة يقال له قيس ابن علقمة فاستقبله فسب وسب فقال سعيد من يسب هذا الرجل فقال يسب عليا فقال لا أرى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يسبون عندك ثم لا تنكر ولا تغير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وأني لغني ان أقول عليه مالم يقل فيسألني عنه غداً اذا لقيته «أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وسعد في الجنة وعبدالرحمن بن عوف في الجنة وأبوعبيدة بن الجراح في الجنة» وسكت عن العاشرة لواومن هوالعاشر قال سعيد بن زيد يعني نفسه ثم قال يعني سعيد بن زيد رضي الله عنه: والله لمشهد رجل منهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يغبر فيه وجهه خير من عمل أحدكم ولو عمر عمر نوح: زاد رزين ثم قال لاجرم لما انقطعت أعمارهم أراد الله تعالى ان لا ينقطع الاجر عنهم الى يوم القيامة والشقي من أبغضهم والسعيد من أحبهم ولفظ الترمذي: أشهد على التسعة أنهم في الجنة ولو شهدت على العاشر لم آثم قال: عبدالله بن ظالم المازني قلت أي لسعيد ابن زيد رضي الله عنه من التسعة فذكرهم قلت ومن العاشر نتلكأ هنية ثم قال أنا وللترمذي في رواية أخرى عن سعيد بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «عشرة في الجنة» فعد التسعة وسكت عن العاشر فقال القوم ننشدك الله يا أبا الاعور من العاشر قال: نشدتموني بالله أبو الاعور في الجنة: أبو الاعور هو سعيد بن زيد والاحاديث في هذا المعنى كثيرة ويكفي ما أخرجه الترمذي عن عقبة بن علقمة

اليشكري قال سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول يعني بعد وقعة الجمل سمعت اذني من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول طلحة والزبير جارا ي في الجنة. و بعد العشرة أي الذين يلونهم في الافضلية

﴿ فأهل ﴾ غزوة ﴿بدر﴾ العظمى وهي البطشة الكبرى ويقال لها بدر القتال ويوم الفرقان كما رواه ابن جرير وابن المنذر وصححه الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لأن الله تعالى فرق فيه بين الحق والباطل وهي التي أعز الله بها الاسلام وقمع بها عبدة الاصنام وبدر قرية مشهورة ولم تزل من يومئذ بأهل الاسلام معمورة على نحو أربعة مراحل من المدينة النبوية قيل نسبت الى بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة وقيل الى بدر بن الحارث وقيل الى بدر بن كلدة وقيل بل بدر اسم للبئر التي بها سميت بذلك لاستدارتها أو لصفائها فكان البدر يرى فيها وقيل بل هو علم على البلد المذكورة كغيرها من أسماء البلاد قال البغوي وهو قول الاكثر وكانت وقعة بدر نهار الجمعة لسبع عشرة خلت من شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة وكان عدد المسلمين ثلاثمائة و بضعة عشر رجلا روى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نتحدث ان عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين عبروا معه النهر ولم يجاوزه معه الا مؤمن بضعة عشر وثلاثمائة وفي حديث أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه عند ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني والبيهقي قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نعتد ففعلنا فاذا نحن ثلاثمائة وثلاثة عشر فأخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدتنا فسر بذلك وحمد الله تعالى وقال عدة اصحاب طالوت وروى الامام أحمد وابن أبي شيبة ومسلم وأبو داود والترمذي وأبو عوانة وابن حبان من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أصحابه وهم ثلاثمائة و ضعة عشر ولفظ مسلم تسعة عشر رجلا ونظر الى المشركين فاذاهم الف وزيادة الحديث وروى البزار بسند حسن عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال كانت عدة أهل بدر عدة أصحاب طالوت يوم جالوت ثلاثمائة وسبعة عشر وفي الفتح ثلاثة عشر بدل سبعة عشر وفي

الصحيح عن موسى بن عقبة عن الزهري قال جميع من شهد بدرا من قريش من ضرب له سهمه أحد وثمانون مع أن البخاري واسحق بن راهويه اخرجا عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال كان المهاجرون يوم بدر نيفا على الستين والانصار نيفا وأربعين ومائتين قال الحافظ ابن حجر والجمع بين هذين الحديثين ان حديث البراء في من شهد بدرا حسا وقول الزهري في من شهدها بالعدد حكما ممن ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم له بسهمه وأجره او المراد بالعدد الاول الاحرار و بالثاني بانضمام مواليهم واتباعهم واذا تحرر هذا فجميع من شهد القتال ثلاثمائة وخمسة أو ستة فقد عد ثمانية أنفس من أهل بدر ولم يشهدوها وانما ضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم بسهامهم لكونهم تخلفوا لضرورات لهم وهم عثمان بن عفان وطلحة وسعيد والحارث بن حاطب والحارث بن الصمة وخوات بن جبير وعاصم بن عدي وأبو لبابة رضي الله عنهم واستشهد من المسلمين في وقعة بدر أربعة عشر نفسا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار رضي الله عنهم أجمعين وقتل من الكفار سبعون واسر سبعون وقد روى الطبراني بسند رجاله ثقات عن ابن مسعود رضي الله عنه قال إن الثمانية عشر الذين قتلوا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر جعل الله تعالى أرواحهم في الجنة في طير خضر تسرح في الجنة فبيناهم كذلك اذ اطلع عليهم ربهم اطلاعة فقال ياعبادي ماذا تشتهون فقالوا يار بنا هل فوق هذا من شيء قال فيقول عبادي ماذا تشتهون فيقولون في الرابعة ترد أرواحنا في أجسادنا فنقتل كما قتلنا وروى البخاري عن رفاعة بن رافع الزرقي رضي الله عنه وكان من أهل بدر قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ماتعدون أهل بدر فيكم قال من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها قال كذلك من شهد بدرا من الملائكة وروى نحوه الامام أحمد من حديث رافع بن خديج قال الحافظ ابن الجوزي في جامع المسانيد كذا وقع في مسند الامام أحمد والظاهر أنه غلط من بعض الرواة وانما هو حديث رافع بن رفاعة الزرقي لا ابن خديج و يحتمل أن يكون سمعه ابن خديج من رسول الله صلى عليه وسلم وأخرج الامام أحمد بسند صحيح على شرط مسلم عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل النار رجل شهد بدرا والحديبية

وروى ابو داود وابن ماجه والطبراني بسند جيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اطلع الله على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم قد غفرت لكم» وروى الامام احمد عن أم الامين حفصة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «اني لأرجو ان لايدخل النار ان شاء الله أحد شهد بدرا والحديبية» قالت قلت أليس الله تعالى يقول (وان منكم الاواردها) قالت فسمعته يقول (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) وأخرج مسلم والترمذي من حديث جابر رضي الله عنه ان عبدا لحاطب جاء يشكو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا فقال يارسول الله ليدخلن حاطب النار فقال «كذبت لايدخلها فانه قد شهد بدرا والحديبية» وفي الصحيح عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قصة كتاب حاطب وان عمر بن الخطاب قال يارسول الله دعني اضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أليس من أهل بدر ولعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم - أوقال - قدوجبت لكم الجنة وفي المعنى أحاديث غير ماذكرنا

﴿ تنبيه ﴾

قد استشكل جمع قوله «اعملوا ماشئتم» فان ظاهره انه للاباحة وهو خلاف عقد الشرع واجيب بانه إخبار عن الماضي أي كل عمل كان لكم فهو مغفور ويؤيده انه لوكان لما يستقبلونه من العمل لم يقع بلفظ الماضي ولقال فسأغفره لكم وتعقب بأنه لوكان للماضي لما حسن الاستدلال به في قصة حاطب لانه صلى الله عليه وسلم خاطب بذلك عمر رضي الله عنه منكرا عليه ماقال في أمر حاطب وهذه القصة كانت بعد بدر بست سنين فدل على ان المراد ما سيأتي وأورده بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه فان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه قال لحاطب قاتلك الله ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ بالانقاب وتكتب الى قريش تحذرهم دعني يارسول الله أضرب عنقه فان الرجل قد نافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ومايدريك ياعمر أن الله عز وجل اطلع على أصحاب بدر يوم بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم» فاغرورقت عينا عمر وقال الله ورسوله اعلم حين سمعه

يقول في أهــل بدر ماقال وأنزل الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء — الى قوله — والله بما تعملون بصير) وقيل ان صيغة الامر في قوله اعملوا للتشريف والتكريم فالمراد عدم المؤاخذة بما يصدر عنهم وانهم خصوا بذلك لما حصل لهم من الحال العظيمة التي اقتضت محو ذنوبهم السالفة وتأهلوا لان يغفر لهم الذنوب اللاحقة أي كلما عملتموه بعد هذه الوقعة من أي عمل كان فهو مغفور وقيل المراد ان ذنوبهم تقع اذا وقعت مغفورة وقيل هي شهادة بعدم وقوع الذنوب منهم وفيه نظر ظاهر لما ثبت في قصة قدامة بن مظعون حين شرب الخمر في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه متأولا لحده عمر ثم هاجره بسبب ذلك فرأى عمر في المنام من يأمره بمصالحته وكان قدامة بدريا والذي يفهم من سياق القصة الاحتمال الثاني واتفق العلماء على ان البشارة المذكورة فيما يتعلق باحكام الآخرة لا فيما يتعلق باحكام الدنيا من اقامة الحدود ونحوها والله أعلم على أنه زعم أناس ان قوله تعالى (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله) الآية وفيها (فأعقبهم نفاقا) الآية نزلت في ثعلبة ابن حاطب أو ابن أبي حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن عوف الانصاري الاوسي وقد ذكروه من البدريين وقد عده الحافظ ابن الجوزي في منتخب المنتخب من أهل بدر ثم عده في الكتاب المذكور من جملة المنافقين ثم قال قال ابن عباس رضي الله عنهما كان المنافقون من الرجال ثلاثمائة ومن النساء مائة وسبعين قال ابن الجوزي وقد كان فيهم من شهد بدرا فتغيرت حاله كثعلبة ومعتب بن قشير نعوذ بالله من الخذلان انتهى وقال ابن الكلبي ان ثعلبة البدري قتل باحد وقال الحافظ ابن حجر في الاصابة في ترجمة ثعلبة بن حاطب أو ابن أبي حاطب الانصاري ذكره ابن اسحق في من بنى مسجد الضرار قال الحافظ ابن حجر وفي كون صاحب القصة إن صح الخبر ولا أظنه يصح هو البدري المذكور قد تغير وقد تأكدت المغايرة بينهما بقول ابن الكلبي ان البدري استشهد باحد و يقوي ذلك أيضا ان ابن مردويه روى في تفسيره من طريق عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية المذكورة

يعني (ومنهم من عاهد الله) قال نزل ذلك في رجل يقال له ثعلبة بن أبي حاطب من الانصار أتى مجلسا فأشهدهم فقال لئن آتانا الله من فضله الآية فذكر القصة مطولة فقال إنه ثعلبة بن أبي حاطب والبدري اتفقوا على أنه ثعلبة بن حاطب وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية وحكى عن ربه تبارك وتعالى أنه قال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فمن يكون بهذه المثابة كيف يعقبه الله تعالى نفاقا في قلبه وينزل فيه ما نزل فالظاهر أنه غيره والله تعالى أعلم

﴿ ثم ﴾ بعد أهل بدر في الافضلية ﴿ أهل ﴾ بيعة الرضوان تحت ﴿ الشجرة ﴾ المعهودة وتسمى شجرة البيعة وشجرة الرضوان وهي شجرة خضراء سمرة بفتح المهملة وضم الميم من شجر الطلح وهو نوع من العضاه أو من سدر كما رواه مسلم عن جابر ولما كانت خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلغه ان ناسا يذهبون الى الشجرة فيصلون تحتها ويتبركون بها فأمر رضي الله عنه بها فقطعت وأخفي مكانها خشية الافتتان بها لما وقع تحتها من الخير فلو بقيت لما أمن من تعظيم أهل الجهل لها حتى ربما أفضى بهم جهلهم الى ان بها قوة نفع وضر كما هو مشاهد من شأن الناس في هذه الازمان ومذ أزمان من تعظيم ما هو دونها من الشجر والبقاع ومن ثم قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانت رحمة من الله يعني إخفاءها بعد ذلك أو كانت موضع رحمة من الله ومحل رضوانه لانزاله الرضى على المؤمنين عندها

وقيل أهل أحد المقدمه والأول أولى للنصوص المحكمه

وقوله ﴿ وقيل أهل ﴾ غزوة جبل ﴿ أحد المقدمة ﴾ أي في الزمن والافضلية إشارة الى ان الاصح الافضل أهل بدر فأهل أحد فأهل البيعة وقوله ﴿ والأول ﴾ وهو تقديم أهل البيعة في الافضلية على أهل غزوة أحد ﴿ أولى ﴾ وأحق وأحرى بذلك وذلك ﴿ ل ﴾ ورود ﴿ النصوص المحكمة ﴾ من الكتاب والسنة من أحاديث نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم وكانت غزوة أحد في نصف شوال سنة ثلاث أول نهار السبت وفي الفتح لاحدى عشرة خلت منه وقيل لتسع وقيل لثمان وقيل لسبع وأحد بضم الهمزة والحاء والدال

المهملتين هو جبل أحمر ليس بذي شناخب بينه وبين المدينة أقل من فرسخ وهو في شمالها الى الشرق روى الشيخان عن أنس رضي الله عنه وابن أبي شيبة والطبراني بسند جيد عن سويد بن عامر الانصاري والبخاري عن أبي حميد الساعدي والبخاري عن سهل بن سعد والطبراني عن أبي هريرة وغيرهم رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأحد لما بدا له «أحدا جبل يحبنا ونحبه» وتكرر منه صلى الله عليه وسلم هذا القول مرات وفي الطبراني عن سهل بن سعد مرفوعاً «أحد ركن من أركان الجنة» قال ياقوت احد اسم مرتجل لهذا الجبل وقال السهيلي سمي احدا لتوحده وانقطاعه عن جبال أخر هناك أولما وقع من اهله من نصرة التوحيد ولأحسن من اسم مشتق من الاحدية وأهله هم الانصار نصروا التوحيد والمبعوث بدين التوحيد عنده استقر حيا وميتا اذا علمت هذا فظاهر كلام متكلمي الأشاعرة ان أهل غزوة أحد يلون أهل بدر في الافضلية وكان عدة أهل غزوة أحد بعد انخزال ابن أبي سبعمائة وكان المشركون ثلاثة آلاف وعد من استشهد يومئذ من المسلمين سبعون رجلا منهم أربعة من المهاجرين وهم سيد الشهداء حمزة ومصعب وعبد بن جحش وشماس بن عثمان وسائرهم من الانصار وزاد بعضهم من المهاجرين سعد مولى حاطب بن أبي بلتعة وثقف بن عمرو الاسلمي حليف بني عبد شمس وهذا يوافق مارواه ابن حبان والحاكم عن أبي ابن كعب رضي الله عنه قال أصيب يوم أحد من الانصار أربعة وستون ومن المهاجرين ستة والذي يظهر لي والله أعلم أنه ان أريد شهداء أحد فنعم والا فيحتاج الى توقيف فتفطن له فقد وردت الاحاديث في فضل شهداء أحد كقوله صلى الله عليه وسلم في حق عبد الله والد جابر رضي الله عنهما «مازالت الملائكة تظله باجنحتها حتى رفعتموه» رواه البخاري وأخرج ابن المنذر عن أنس رضي الله عنه قال لما قتل حمزة واصحابه يوم احد قالوا ياليت لنا مخبرا يخبر اخواننا بالذى صرنا اليه من كرامة الله تعالى لنا فأوحى اليهم سبحانه وتعالى انا رسولكم الى اخوانكم فأنزل الله عز وجل (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا — الى قوله — لا يضيع أجر المؤمنين) وأخرج الامام أحمد ومسلم وأبو داود عن ابن عباس رضي الله

عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لما أصيب اخوانكم بأحد جعل الله تعالى أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مشربهم وحسن مقيلهم قالوا ياليت اخواننا يعلمون ما صنع الله تعالى لنا ـ وفي لفظ ـ قالوا من يبلغ اخواننا انا أحياء في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله عز وجل انا أبلغهم عنكم فانزل الله تعالى هؤلاء الآيات (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا) الى آخر الآيات وروى نحوه عبد الرزاق في المصنف وابن أبي شيبة والامام أحمد في المسند ومسلم في الصحيح من حديث ابن مسعود وكان صلى الله عليه وسلم يزور شهداء أحد فاذا بلغ فرضة الشعب يقول «السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار» ثم كان أبو بكر رضي الله عنه بعد النبي صلى الله عليه وسلم يفعله وكذا عمر وعثمان رضي الله عنهما ولما أجرى معاوية رضي الله عنه العين مرت على الشهداء فأخرجوهم طرايا تنثني أطرافهم وجدوا والد جابر ويده على جرحه فأميلت يده عن جرحه فانبعث الدم فردت الى مكانها فسكن الدم قال جابر رجل رأيت أبي في حضرته كأنه نائم والنمرة التي كفن فيها كما هي وكان ذلك بعد أحد بست وأربعين سنة وأصابت المسحاة رجل رجل منهم وهو حمزة فانبعث الدم فقال ابن سعيد الخدري رضي الله عنه لا ينكر بعد هذا منكر وكانوا كلما يحفرون يفيح عليهم من القبور ريح المسك وروى الحارث في مسنده عن سعد بن أبي وقاص والحاكم عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا ذكر أصحاب أحد يقول «أما والله لوددت أني غودرت مع أصحابي بنحص الجبل» (١) يعني شهداء أحد والاحاديث في ذلك كثيرة جدا

وأما أهل الشجرة يعني أهل البيعة وهم أصحاب الحديبية فقد وردت النصوص المحكمة في فضلهم كما سنذكر طرفا من ذلك والحديبية بحاء مضمومة فدال مهملتين

(١) في مجمع بحار الانوار عن نهاية ابن الاثير : انه ذكر قتلى احد فقال «ياليتني غودرت مع اصحاب نحص الجبل» هو بالضم اصل الجبل وسفحه تمنى ان يكون استشهد يوم أحد

والدال مفتوحة فموحدة مكسورة فتحتية مفتوحة بالتخفيف والتشديد قال النحاس سألت كل من لقيت ممن أثق به من أهل العلم عن الحديبية فلم يختلفوا في قراءتها مخففة ونص في البارع على التخفيف وحكي التشديد عن ابن سيده في المحكم ولم في تهذيب الطالع ولم أره لغيره وزعم بعضهم ان التشديد لم يسمع في فصيح وقال الامام النووي هما وجهان مشهوران قال البكري قرية من مكة أكثرها في الحرم وفي صحيح البخاري عن البراء رضي الله عنه والحديبية بئر قال الحافظ ابن حجر يشير الى ان المكان المسمى بالحديبية سمي ببئر كانت هنالك هذا اسمها ثم عرف المكان كله بذلك وبينها وبين مكة نحو مرحلة واحدة ومن المدينة تسع مراحل وكانت في ذي القعدة من السنة السادسة وكان عدة المسلمين الذين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم أربعة عشر مائة وأكثر من ذلك ولعل الزائد على الالف وأربع مائة من الخدام والاتباع وأما نفس المقاتلة فأربعة عشر مائة وأما قول ابن اسحق كانوا سبعمائة فغلط لم يوافق عليه وكان سبب البيعة ان قريشا لما صدت النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين عن المسجد الحرام فبعث عثمان بن عفان رضي الله عنه وقال له اذهب الى قريش وأخبرهم أنا لم نأت لقتال وانما جئنا عمارا وادعهم الى الاسلام ثم بلغه ان عثمان رضي الله عنه قد قتلته قريش فدعا الناس الى البيعة وقال «لا نبرح حتى نناجز القوم» روى ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سلمة بن الاكوع رضي الله عنه والبيهقي عن عروة وابن اسحاق عن الزهري ومحمد بن عمر عن شيوخه قال سلمة رضي الله عنه بينا نحن قائلون اذ نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس البيعة البيعة نزل روح القدس فاخرجوا على اسم الله قال سلمة فسرنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تحت شجرة سمر فبايعناه وفي صحيح مسلم عنه قال بايعته أول الناس ثم بايعته وسط الناس ثم بايعته آخر الناس والصحيح ان الذي بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الناس في تلك البيعة أبو سنان الاسدي فقال ابسط يدك ابايعك فقال صلى الله عليه وسلم علام تبايعني قال على ما في نفسك قال وما في نفسي قال النبي أضرب بسيفي بين يديك حتى يظهرك الله أو اقتل فبايعه وبايعه الناس على بيعة أبي سنان وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم باحدى يديه على الاخرى عن عثمان بن

عفان رضي الله عنه وقال اللهم ان عثمان في حاجتك وحاجة رسولك فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيراً من أيديهم لأنفسهم ثم تبين كذب الخبر بقتل عثمان رضي الله عنه فقدم على النبي صلى الله عليه وسلم هو ومن معه وكانوا عشرة وذلك بعد البيعة ثم كانت الهدنة بين النبي صلى الله عليه وسلم و بين قريش وقد روى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال كنا في الحديبية ألفا وأربعمائة فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم خير اهل الارض وروى الامام أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي عن جابر بن عبد الله أيضا رضى الله عنهما ومسلم عن ام بشر رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة» وأخرج الامام أحمد أيضا بسند رجاله ثقات عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لاهل الحديبية «لا يدرك قوم بعدكم صاعكم ولا مدكم» وسأل أبو الزبير جابرا كم كانوا يوم الحديبية قالوا كنا أربع عشرة مائة فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة فبايعناه غير جد بن قيس الانصاري اختفى تحت بطن بعير وقال بايعناه على ان لا نفر وعند ابن اسحاق قال جابر رضي الله عنه فكأني انظر اليه يعني الى الجد بن قيس لاصقا بابط ناقته قد ضبأ اليها وهو بفتح الضاد والموحدة مهموزا أي لختبأ بهـا يستتر بها من الناس فبايعناه عـلى ان لا نفر ولم نبايعه على الموت وهذا الجد بن قيس الذي لم يبايع كان يرمى بالنفاق وعده الحافظ ابن الجوزي في منتخب المنتخب من المنافقين وقد نزل في حقه في غزوة تبوك مايشعر بذلك وهو ابن عمـة البراء بن معرور وكان سـيد بني سلمة بكسر اللام في الجاهلية فسود النبي صلى الله عليه وسلم عليهم عمرو بن الجموح وقيل سود عليهم بشر بن البراء بن معرور ومال اليه ابن عبد البر وأخرج الترمـذي عن جابر رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم «ليدخلن الجنة من بايع تحت الشجرة الا صاحب الجمل الاحمر» ومن ثم قال ابن عبد البر ليس في غزواته صلى الله عليه وسلم ما يعدل بدرا أو يقرب منها الا غزوة الحديبية وقيل صاحب الجمل الاحمر غير الجد بن قيس يدل له ماقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «والذي نفسي

بيده لقد غفر للركب أجمعين الا رويكبا راحدا على جمل أحمر التفت عليه رجال القوم ليس منهم» وقال صلى الله عليه وسلم « كلكم مغفور له الا صاحب الجمل الاحمر » قال أبو سعيد رضي الله عنه فطلب في العسكر فاذا هو عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل والرجل من بني ضمرة من أهل سيف البحر يظن انه من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقيل لسعيد رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كذا وكذا فقال له سعيد ويحك اذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك وقال جابر فقلنا له تعال يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لأن أجد ضالتي أحب الي من أن يستغفر لي واذا هو قد أضل بعيرا له فانطلق يطلب بعيره بعد ان استبرأ العسكر وطلبه فيهم فبينا هو في جبال سراوغ اذ زلقت به نعله فتردى فمات فما علم به حتى اكلته السباع وقصة هذا قبل البيعة اذ هذا ليس من عسكر المسلمين بخلاف الجد بن قيس والله اعلم

﴿ تنبيهات ﴾

(الاول) ظاهر كلام علمائنا ان أفضل الصحابة بعد العشرة أهل بدر من المهاجرين ثم الانصار على قدر الهجرة اولا فأولا ثم سائر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهم رتب وهذا الذي قدمه ابن حمدان في نهاية المبتدئين ثم ذكر ان امة محمد خير الامم وأفضلهم القرن الذي صحبوه وشاهدوه وآمنوا به وصدقوه ونصروه وأفضل القرن الذي صحبوه اربع عشرة مائة الذين بايعوا بيعة الرضوان وافضلهم أهل بدر الذين نصروه وافضلهم أربعون في الدار كنفوه يعني السابقين الاولين وافضلهم عشرة عزروه ووقروه وشهد لهم بالجنة ومات وهو عنهم راض وافضل هؤلاء العشرة الخلفاء الاربعة وأفضلهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وهذا موافق لما حررنا من تقديم أهل البيعة على أهل غزوة أحد فالتحقيق ان أهل بيعة الرضوان يلون أهل بدر في الافضلية لما قدمنا من النصوص ولان الله تعالى قال في أهل بيعة الرضوان (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) وقال في أهل غزوة أحد (ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم) وفي

الآية الاخرى (ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم) فوصفهم في الموضعين بالعفو ووصف أهل البيعة بالرضى وهو أعلى وأسنى وأفضل من العفو وهذا ظاهر والله تعالى أعلم

(الثاني) المراد بالسابقين الاولين الذين أنفقوا قبل الفتح وقاتلوا والمراد بالفتح أمر الحديبية قال تعالى (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا) قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الفتاوى المصرية المراد بالفتح فتح الحديبية لما بايع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه تحت الشجرة وكان الذين بايعوه أكثر من الف وأربع مائة وهم الذين فتحوا خيبر وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة وسورة الفتح أنزلها الله تعالى قبل فتح مكة وكانت البيعة تحت الشجرة سنة ست من الهجرة كما تقدم وبذلك الصلح الذي كان بينه صلى الله عليه وسلم وبين المشركين في الحديبية حصل الفتح والخير الكثير الذي لا يعلمه الا الله تعالى مع كونه كان قد كرهه خلق من المسلمين ولم يعلموا ما فيه من حسن العاقبة ثم فتح الله تعالى على نبيه وعباده المسلمين مكة في شهر رمضان من العام الثامن وكان قد أنزل في سورة الفتح (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين ـ الى قوله ـ فجعل من دون ذلك فتحا قريبا)

(الثالث) المراد الافضلية من حيث الجملة ولا يلزم تفضيل كل فرد مثلا من المهاجرين على كل فرد من الانصار وانما نقول الصحبة أفضل من غيرها ولا أحد من غير الصحابة يساوي أحدا من الصحابة وكذلك الهجرة وكذلك كل ما امتازت به جملة على غيرها من غير هضم للمفضول من الفضائل والكمالات التي امتاز بها على غيره من غير تلك الحيثية التي فضله فيها غيره كما يأتي بيان ذلك وتحريره والله أعلم

﴿وعائشة في العلم مع خديجة   في السبق فافهم نكتة النتيجة﴾

﴿وعائشة﴾ الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما ام عبد الله أم المؤمنين وحبيبة رسول رب العالمين عقد عليها وهي بنت ست سنين قبل الهجرة بسنتين وقيل بثلاث وبني

بها بالمدينة أول مقدمه في السنة الاولى وهي بنت تسع ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة وتوفيت بالمدينة ودفنت بالبقيع وأوصت أن يصلي عليها أبو هريرة رضي الله عنه سنة ثمان عشرة وخمسين فهي رضي الله عنها وعن أبيها أفضل نسائه صلى الله عليه وسلم ﴿في العلم﴾ النافع والفقه الناصع فلها (من) الفضل في ذلك ماليس لغيرها من سائر أزواجه صلى الله عليه وسلم حتى كان الاكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم اذا أشكل عليهم أمر من الدين استفتوها فيجدون علمه عندها وقد وقع الخلاف بين علماء السلف في التفاضل بينها و بين أم المؤمنين خديجة فقدم البلباني من متأخري علمائنا تبعا لابن حمدان في نهاية المبتدئين ان عائشة أفضل النساء وقال الامام موفق الدين أفضل النساء خديجة وقال المحقق ابن القيم في كتابه جلاء الافهام وقد اختلف في تفضيل خديجة على عائشة على ثلاثة أقوال ثالثها الوقف قال وسألت شيخنا شيخ الاسلام ابن تيميه قدس روحه عنهما فقال اختص كل واحدة منهما بخاصة والى هذا أشرت بقولي ﴿ مع خديجة﴾ بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب أم المؤمنين وأول أزواج رسول رب العالمين تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس وعشرين سنة وبقيت معه الى أن أكرمه الله تعالى برسالته فآمنت به وصدقته ونصرته وكانت له وزير صدق وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين في الاصح وقيل باربع وقيل بخمس ولم يتزوج صلى الله عليه وسلم عليها غيرها وكل أولاده منها الذكور والاناث الا ابراهيم عليه السلام فانه من سريته مارية القبطية فخديجة المذكورة أفضل نساء النبي صلى الله عليه وسلم ﴿في السبق﴾ الى الاسلام وموازرة خير الانام قال شيخ الاسلام في جوابه للمحقق ابن القيم خديجة كان تأثيرها في أول الاسلام وكانت تسلي رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبته وتبذل دونه مالها فادركت غرة الاسلام واحتملت الاذى في الله وفي رسوله وكانت نصرتها للرسول صلى الله عليه وسلم في أعظم الحاجة فلها من النصرة والبذل ماليس لغيرها قال وعائشة رضي الله عنها تأثيرها في آخر أوقات الاسلام فلها من التفقه في الدين وتبليغه الى الامة وانتفاع بنيها بما أدت اليهم من العلم ماليس لغيرها فلعائشة رضي الله عنها في آخر الاسلام من حمل الدين وتبليغه الى الامة وادراكها من العلم ما لم تشركها فيه

خديجة ولا غيرها ما تميزت به عن غيرها وقال المحقق في كتابه بدائع الفوائد الخلاف في كون عائشة رضي الله عنها أفضل من فاطمة عليها السلام أو فاطمة أفضل اذا حرر محل التفضيل لا يستقيم أي الخلاف وان أريد بالفضل كثرة الثواب عند الله فذلك أمر لا يطلع عليه الا بالنص لانه يحسب تفاضل اعمال القلوب لا بمجرد اعمال الجوارح وكم من عاملين أحدهما أكثر عملا بجوارحه والآخر أرفع درجة منه في الجنة وان أريد بالتفضيل التفضيل بالعلم فلا ريب ان عائشة أعلم وأنفع للامة وأدت من العلم مالم يؤد غيرها ولحتاج الى علمها خواص الامة وعامتها وان أريد بالتفضيل شرف الاصل وجلالة النسب فلا ريب ان فاطمة أفضل فانها بضعة من النبي صلى الله عليه وسلم وذلك اختصاص لم يشركها فيه غير أخواتها وان أريد السيادة ففاطمة سيدة نساء الامة واذا تبينت وجوه التفضيل وموارد الفضل وأسبابه صار الكلام بعلم وعدل وأكثر الناس اذا تكلم في التفضيل لم يفصل جهات الفضل ولم يوازن بينها فيبخس الحق وان انضاف الى ذلك نوع تعصب وهوى لمن يفضله تكلم بالجهل والظلم قال وقد سئل شيخ الاسلام ابن تيمية عن مسائل عديدة من مسائل التفضيل فأجاب فيها بالتفصيل الشافي والى هذا التفصيل اشرنا بقولنا ﴿فافهم﴾ فهم تحقيق واذعان وتدقيق وايقان ﴿نكتة النتيجة﴾ أي ثمرة فائدة الخلاف فان النكتة أثر قليل كالنقطة شبه الاثر الذي يكون في المرآة والسيف ومنه حديث الجمعة وذا فيها نكتة سوداء أي أثر قليل كالنقطة شبه لوسخ وأصله من النكت بالحصى ونكت التراب والارض بالقضيب والنتيجة المراد بها هنا الحكم المتولد من القضيتين بالتفصيل في التفضيل وأصله من نتجت الناقة اذا ولدت فهي منتوجة وانتجت اذا حملت فهي نتوج ولا يقال منتج ونتجت الناقة انتجها اذا ولدتها والحكم الناتج مما نحن فيه ان خديجة أفضل بحسب السبق والموازرة وانفاقها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسليته وحمل المشاق بسببه ونحو ذلك وعائشة أفضل بحسب تحملها العلوم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم فانها أحد المكثرين ونشرها السنة صلى الله عليه وسلم ونفعها للامة فانها كانت عالمة فقيهة فصيحة فاضلة كثيرة الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم عارفة بأيام العرب وأشعارها وفضائلهم

ومناقبها كثيرة لا تحصى ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم اياها وتفضيلها على سائر زوجاته صلى الله عليه وسلم مما لا يخفى قال الامام المحقق ابن القيم في جلاء الافهام ومن خصائص خديجة رضي الله عنها ان الله سبحانه وتعالى بعث اليها السلام مع جبريل فبلغها رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله هذه خديجة قد أتت معها اناء فيه ادام أوطعام أوشراب فاذا هي أتتك فاقرأعليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب ورواه مسلم أيضا وهذه لعمر الله خاصة لم تكن لسواها وأما عائشة رضي الله عنها فان جبريل سلم عليها على لسان النبي صلى الله عليه وسلم فأخرج البخاري ومسلم و أبو داود والترمذي والنسائي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «يوما ياعائش هذا جبريل يقرئك السلام» فقلت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته قالت وهو يرى مالا أرى قال ابن القيم من خواص خديجة رضي الله عنها انها لم تسوءه قط ولم تغاضبه ولم ينلها منه ايلاء ولا عتب قط ولا هجر وكفى بهذه منقبة ومن خواصها أنها أول امرأة آمنت بالله من هذه الامة ومن خصائص عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرا غيرها وانها كانت ينزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في لحافها ولما نزلت آية التخيير بدا رسول الله صلى الله عليه وسلم بها فخيرها وقال لها «فلا عليك ان لا تعجلي حتى تستأمري أبويك فقالت أفي هذا أستأمر أبوي فاني أريد الله ورسوله والدار الآخرة فاستن بها بقية أزواجه صلى الله عليه وسلم وقلن كما قالت ومن أعظم خصائصها انها كانت أحب زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه كما ثبت عنه ذلك في الصحاح والمسانيد والسنن وقد قال صلى الله عليه وسلم «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» رواه البخاري ومسلم وغيرهما ومن أعظم خصائصها ان الله تعالى برأها مما رماها به أهل الافك وأنزل في براءتها وحيا يتلى في محاريب المسلمين وصلواتهم الى يوم القيامة وشهد لها بانها من الطيبات فلله من حصان عظمت فضائلها وجلت مناقبها ورسخت قدمها في الدين وعظم شانها عند سائر المسلمين واحتاج لعلمها أئمة الصحابة وشهد لها أهل

التحقيق بالقدم والاصابة فقد أخرج الترمذي عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال ما أشكل علينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث قط فسألنا عائشة الا وجدنا عندها منه علما قال الترمذي حديث حسن صحيح وأخرج الترمذي عن أنس رضي الله عنه وصححه ان رجلا نال من عائشة رضي الله عنها عند عمار بن ياسر رضي الله عنه فقال أعزب مقبوحا منبوحا أتؤذي حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج الترمذي عن عبد الله بن زياد الاسدي قال سمعت عمار بن ياسر رضي الله عنه يقول هي زوجته في الدنيا والآخرة يعني عائشة رضي الله عنها وقال حديث حسن صحيح ومناقبها كثيرة وفضائلها عزيزة رضي الله عنها وعن سائر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم

فصل

في ذكر الصحابة الكرام خلوا في الاحوال وبيان مزاياهم على غيرهم والتعريف بما يجب لهم من المحبة والتبجيل والترضي والتفضيل على سائر الامة وتسبيح ...
آدابهم وأشباههم والكف عما جرى بينهم مما لعله لم يصح عنهم وما صح فله تأويلات سائغة واذا كان لاحد منهم هفوات مع مكفرة مستلزمة في علم حسناتهم وحسن مجاهداتهم ثم النابعين لهم باحسان ولهذا قال

﴿ وليس في الامة كالصحابة في الفضل والمعروف والاصابة ﴾

(وليس في الامة) المحمدية المفضلة على سائر الامم بالفضائل والعمل بأفضلية ما جاء به من الذكر الحكيم والدين القويم والصراط المستقيم فيكون الصحابة أفضل خلق الله تعالى بعد أنبياء الله تعالى ورسله (كالصحابة) الكرام الذين فازوا بصحبة خير الانام عليه أفضل الصلاة وأتم السلام وتقدم في صدر الكتاب تعريف الصحابة وطريق ثبوت الصحبة وبيان عدالة الصحابة وبيان منازلهم ودرجاتهم والمعتمد المعول عند أئمة السنة ان الصحابة رضوان الله عليهم كلهم عدول بالكتاب والسنة واجماع أهل الحق المعتبر قال الله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) قيل اتفق المفسرون ان ذلك في الصحابة لكن الخلاف في الضمير مشهور ورجح

كثير عمومها في أمة محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك قوله تعالى (وكذلك جعلنا كم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) وهذا خطاب للموجودين حينئذ وقال تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) الآيات فليس في سائر الامة المحمدية مثل الصحابة الكرام «في الفضل» بشاهد ما في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو ان أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه» وهذا وان ورد على سبب وهو ما جرى بين عبد الرحمن ابن عوف وبين خالد بن الوليد رضي الله عنهما فالعبرة بعموم اللفظ ولا ينافي ذلك كون الخطاب لاصحابه فان المراد لا يسب غير أصحابي ولا يسب بعضهم بعضا فالمراد النهي عن حصول السب لهم مطلقا وقوله لو ان أحدكم بالخطاب يمكن حمله على ان المراد من جاء من غيرهم ينزل نفسه منزلتهم وقد يأتي الخطاب لقوم تعريضا لغيرهم كثيرا اعتمادا على القرائن وهذا الموضع منه والنصيف أحد اللغات الاربع في النصف فانه يقال نصف بكسر النون وفتحها وضمها ونصيف بفتح النون وزيادة الياء والمعنى لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ ثوابه في ذلك نفقة أصحابي مدا ولا نصف مد لان انفاقهم كان في نصرته صلى الله عليه وسلم وحمايته وذلك معدوم بعده فتضمن ذلك أفضليتهم على غيرهم مطلقاً وان فضيلة نفقتهم على نفقة غيرهم باعتبار ذواتهم وفي الصحيحين وغيرهما عن عمران بن حصين رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم - قال عمران فلا أدري اذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة ثم ان بعدهم قوماً يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن - زاد في رواية - ويحلفون ولا يستحلفون » ورواه أبو داود ولفظه «خير أمتي القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم » والله أعلم اذكر الثالث أم لا الحديث ورواه النسائي بنحوه ورواه الشيخان من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ورواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه وفيه والله أعلم أذكر الثالث أم لا. وأخرجه مسلم أيضاً من حديث عائشة رضي الله عنها وأخرج الترمذي من حديث عبد الله بن مغفل رضي

الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ليبلغ الحاضر الغائب الله الله في أصحابي لاتتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فحبي احبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك ان يأخذه ومن يأخذه الله فيوشك ان لايفلته» وأخرج الترمذي أيضا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اذا رأيتم الذين يسبون أصحابي فقولوا لعنة الله على شركم» وأخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعروة بن الزبير يا ابن أختي أمروا ان يستغفروا لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبوهم وأخرج الترمذي من حديث بريدة رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «مامن أحد من أصحابي يموت بأرض الابعث لهم نورا وقائدا يوم القيامة» وذكر سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « سألت ربي عن اختلاف أصحابي من بعدي فأوحى الي يا محمد ان أصحابك عندي بمنزلة النجوم في السماء بعضها أقوى من بعض ولكل نور فمن أخذ بشيء مما هم عليه من اختلافهم فهو عندي على هدى» قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» ذكره في جامع الاصول

﴿ و ﴾ ليس في الامة كالصحابة الكرام في ﴿المعروف﴾ وهو اسم جامع لكل ماعرف من طاعة الله والتقرب اليه والاحسان الى الناس وكلما ندب اليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات وهو من الصفات الغالبة أي أمر معروف بين الناس اذا رأوه لاينكرونه والمعروف النصفة وحسن الصحبة مع الاهل وغيرهم من الناس ضد المنكر في ذلك جميعه وفي حديث «اهل المعروف في الدنيا هم اهل المعروف في الآخرة» أي من بذل معروفه للناس في الدنيا آتاه الله جزاء معروفه في الآخرة وقيل اراد من بذل جاهه لاصحاب الجرائم التي لاتبلغ الحدود فيشفع فيهم شفعه الله في أهل التوحيد في الآخرة وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في معنى ذلك قال يأتي أصحاب المعروف في الدنيا يوم القيمة فيغفر لهم بمعروفهم وتبقى حسناتهم جامة فيعطونها لمن زادت سيآته على حسناته

فيغفر له و يدخل الجنة فيجتمع لهم الاحسان الى الناس في الدنيا والآخرة ولا يرتاب أحد من ذوي الالباب ان الصحابة الكرام هم الذين حازوا قصبات السبق واستولوا على معالي الامور من الفضل والمعروف والصدق فالسعيد من اتبع صراطهم المستقيم واقتفى منهجهم القويم والتعيس من عدل عن طريقهم ولم يتحقق بتحقيقهم فأي خطة رشد لم يستولوا عليها وأي خصلة خير لم يسبقوا اليها تالله لقد وردوا ينبوع الحياة عذبا صافيا زلالا واطدوا قواعد الدين والمعروف فلم يدعوا لاحد بعدهم مقالا فتحوا القلوب بالقرآن والذكر والايمان والقرى بالسيف والسنان وبذل النفوس النفيسة في مرضاة الرحيم الرحمن فلا معروف الا ماعنهم عرف ولا برهان الا ما بعلومهم كشف ولا سبيل نجاة الا ما سلكوه ولا خير وسعادة الا ما حققوه وحكوه فرضوان الله تعالى عليهم ما تحلت المجالس بنشر ذكرهم وما تنمقت الطروس بعرف مدحهم وتكرهم

﴿ و ﴾ ليس في الامة أيضا كالصحابة رضي الله عنهم فى ﴿ الاصابة ﴾ للحكم المشروع والهدى المتبوع فهم أحق الامة باصابة الحق والصواب واجدر الخلق بموافقة السنة والكتاب ويشهد لهذا مارواه الامام أحمد وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه قال من كان متأسيا فليتأس بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم أبر هذه الامة قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا وأقومها هديا وأحسنها حالا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه واقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوا آثارهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم: فأحق الامة باصابة الصواب أبرها قلوبا وأعمقها علوما وأقومها هديا من غير شك ولا ارتياب وروى أبو داود الطيالسي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ان الله نظر في قلوب العباد فنظر قلب محمد خير قلوب العباد فبعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد صلى الله عليه وسلم فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فاختارهم لصحبة نبيه ونصرة دينه فما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ومارآه المسلمون قبيحا فهو عند الله قبيح فخير قلوب العباد أحق الخلق باصابة الصواب فكل خير واصابة وحكمة وعلم ومعارف ومكارم انما عرفت لدينا ووصلت الينا من الرعيل الاول والسرب الذى عليه المعول فهم الذين نقلوا

العلوم والمعارف عن ينبوع الهدى ومنبع الاهتدا وفي حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له «وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فان كل بدعة ضلالة» رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه قال الترمذي حديث حسن صحيح وقال الحافظ أبو نعيم حديث جيد صحيح فدل الحديث على ان سنة الخلفاء الراشدين متبعة كاتباع سنته صلى الله عليه وسلم بخلاف غيرهم من ولاة الأمور وأخرج الامام أحمد والترمذي عن حذيفة رضي الله عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوسا فقال «اني لا أدري ما قدر بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي — وأشار الى أبي بكر وعمر — وتمسكوا بعهد عمار وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه» وفي رواية «وتمسكوا بعهد ابن أم عبد واهتدوا بهدي عمار» فنص صلى الله عليه وسلم في آخر عمره على من يقتدى به من بعده والخلفاء الراشدون الذين أمر بالاقتداء بهم هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم فان في حديث سفينة رضي الله عنه «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا» وصححه الامام أحمد وغيره وتقدم فكل ما اجتمع عليه الصحابة مما أجمعوا عليه أو جمعهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عليه فاجتمعوا فهو الحق لاشك فيه ولو خالف فيه بعد ذلك من خالف ومن ثم نحتج بقول الصحابي حيث لانص نبوي ان لم يخالف فيه مثله على معتمد المذهب وأخرج أبو يعلى الموصلي عن أنس رضي الله عنه «مثل أصحابي مثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام الا بالملح»

وعلى كل حال لا يرتاب ذوو الالباب الافضال ان الصحابة الكرام حازوا قصبات السبق بصحبة خير الانام واستولوا على الامر فلا مطمع لاحد فيما [illegible] الا لمن تقدم في اللحاق ولكن المبرز من اتبع صراطهم المستقيم واقتفى منهاجهم [illegible] والمتخلف من عدل عن طريقتهم ذات اليمين وذات الشمال فذاك المنقطع التائه في بيداء المهالك والضلال وقوله صلى الله عليه وسلم «مثل أصحابي كمثل الملح في الطعام» يعني كما ان الملح صلاح الطعام فأصحابي صلاح الانام [illegible] في

(إعلام الموقعين) كان الملح به صلاح الطعام فالصواب به صلاح الانام فلو أخطأ الصحابة فيما أفتوا به لاحتاج ذلك الى ملح يصلحه فاذا أفتى من بعدهم بالحق كان قد أصلح خطأهم فكان ملحا لهم انتهى أي والحال أنهم هم الملح المصلح فكيف يكون غيرهم مصلحا لهم فهذا خلاف وروى الطبراني وأبو نعيم وغيرهما عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما أنه قال يامعشر القراء خذوا طريق من كان قبلكم فوالله لئن استقمتم لقد سبقتم سبقا بعيدا ولئن تركتموه يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا: قال في أعلام الموقعين ومن المحال ان يكون الصواب في غير طريق من سبق الى كل خير على الاطلاق وقال فيه أيضا من تأمل المسائل الفقهية والحوادث الفرعية وتدرب بمسالكها وتصرف في مداركها وسلك سبلها ذللا وارتوى من موردها عللا ونهلا علم قطعاً ان كثيرا منها قد يشتبه فيها وجوه الرأي بحيث لا يوقف فيها بظاهر مراد أو قياس صحيح تنشرح له الصدور ويثلج له الفؤاد بل تتعارض فيها الظواهر والاقيسة على وجه يقف المجتهد في أكثر المواضع حتى لا يبقى للظن رجحان بين لاسيما اذا اختلف الفقهاء فان عقولهم من أكمل العقول وأوفرها فاذا تلددوا وتوقفوا ولم يتقدموا ولم يتأخروا لم يكن ذلك وفي المسئلة طريقة واضحة ولا حجة لائحة فاذا وجد فيها قولا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هم سادات الامة وقدوة الائمة وأعلم الناس بكتاب ربهم وسنة نبيهم وقد شاهدوا التنزيل وعرفوا التأويل ونسبة من بعدهم في العلم اليهم نسبتهم اليوم في الفضل والدين كان الظن والحالة هذه بأن الصواب في جهتهم والحق في جانبهم من أقوى الظنون وهو أقوى من الظن المستفاد من كثير من الاقيسة هذا مما لا يمتري فيه عاقل منصف وكان الرأي الذي يوافق رأيهم هو الرأي السديد الذي لا رأي سواه واذا كان المطلوب في الحادثة انما هو ظن راجح ولو استند الى استصحاب أو قياس علة أو دلالة أو شبه أو عموم أو خصوص أو محفوظ مطلق أو وارد على سبب فلا شك ان الظن الذي يحصل لنا بقول الصحابي الذي لم يخالف أرجح من كثير من الظنون المستندة الى هذه الأمور أو أكثرها فظهر بهذا ان الصحابة رضي الله عنهم أولى الامة بالاصابة

فيما ثبت عنهم فانهم رضي الله عنهم كانوا أبرّ قلوبا وأعمق علما وأقل تكلفا وأقرب الى ان يفتنوا لصواب من غيرهم لما خصهم الله به من توقد الاذهان وفصاحة اللسان وسعة العلم وسهولة الاخذ وحسن الادراك وسرعته وقلة المعارض أو عدمه وحسن القصد وتقوى الرب فالعربية طريقتهم وسليقتهم والمعاني الصحيحة مركوزة في فطرهم وعقولهم ولاحاجة بهم الى النظر في الاسناد وأحوال الرواة وعلل الحديث والجرح والتعديل ولا الى النظر في قواعد الاصول وأوضاع الاصوليين فقد أغنوا عن ذلك كله فليس في حقهم الا أمران أحدهما قال الله تعالى كذا وقال رسوله كذا والثاني معناه كذا وكذا وهم أسعد الناس بهاتين المقدمتين وأحظى الامة بهما فقواهم متوافرة مجتمعة عليهما و بالله التوفيق

ولهذا نقول في النظم

﴿ فانهم قد شاهدوا المختارا وعاينوا الاسرار والأنوارا ﴾

﴿ وجاهدوا في الله حتى بانا دين الهدى وقد سما الاديانا ﴾

﴿ وقد أتى في محكم التنزيل من فضلهم ما يشفي للغليل ﴾

﴿ وفي الاحاديث وفي الا ثار وفي كلام القوم والاشعار ﴾

﴿ ماقد ربا من ان يحيط نظمي عن بعضه فاقنع وخذ عن علم ﴾

﴿ فانهم ﴾ أي الصحابة الكرام عليهم الرضوان من الملك السلام ﴿ قد شاهدوا ﴾ وصحبوا ﴿ المختارا ﴾ ألف الاطلاق في المختار من سائر الانام عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ﴿ وعاينوا ﴾ في صحبتهم النبي المختار ﴿ الاسرار ﴾ القرآنية وتلقوها من الحضرة النبوية وعلموا التنزيل وأسبابه والتأويل وآدابه ﴿ و ﴾ عاينوا ﴿ الانوار ﴾ القرآنية والاشعة المصطفوية فهم أسعد الامة باصابة الصواب وأحدر الائمة بعلم فنه السنة والكتاب لفوزهم بصحبة النبي صلى الله عليه وسلم ومشاهدة نزول الوحي ومعرفة الاسباب فلا يجاروا في علومهم ولا يباروا في فهومهم فكل علم وفهم وخير عنهم وصل وكل سعادة وسيادة وفضل منهم وبسببهم حصل فرضوان الله عليهم مادر ذكرهم الدوائر وشرف نشرهم

الصابر ﴿ وجاهدوا في ﴾ سبيل ﴿ الله ﴾ لاعلاء كلمة الله وبذلوا نفوسهم النفيسة في مرضاة الله ﴿ حتى بانا ﴾ بألف الاطلاق أي ظهر ووضح واستعلن ﴿ دين الهدى ﴾ أسي دين الاسلام الذي به الهدى والدلالة الموصلة والفوز والفلاح وأشرق نور الاهتدا وشعاع الوصول فلاح ﴿ وقد سما ﴾ أي علا دين الاسلام ولله الحمد ﴿ الاديانا ﴾ أي سائر الاديان التي كانت قبله وتقدم تعريف الدين لغة واصطلاحاً فسائر الاديان غير دين الاسلام الذي جاء به سيدولد عدنان منسوخة وكل عبادة لم يأت بها فهي باطلة ممسوخة كما قال تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه) وقال (ان الدين عند الله الاسلام)

﴿وقد أتى في محكم التنزيل﴾ من الكتاب العظيم والذكر الحكيم ﴿من فضلهم﴾ أي الصحابة الكرام عليهم الرضوان والسلام ﴿ ما ﴾ أي الذي يعني من الآيات المحكمات والكلمات الباهرات ﴿ يشفي ﴾ من شفى يشفي أي يبري ﴿ للغليل ﴾ بالغين المعجمة كأمير العطش أو شدته أو حرارة الجوف كما في القاموس والمراد مايطفي حرارة الجهل بمقاماتهم الباذخة وينفي الوهم والغل عن أطواد علومهم الراسخة كقوله تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) الآيات وقوله تعالى (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) وكقوله (والسابقون الاولون) الآيات وكقوله تعالى (قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) وقوله (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والدليل عليه قوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) وقوله (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) وقوله تعالى (ياأيها الناس آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) قال غير واحد من السلف هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ولا ريب أنهم أئمة الصادقين وكل صادق بعدهم فبهم يأتم في صدقه بل حقيقة صدقه اتباعه لهم وكونه معهم وقوله (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) أي أمة خيارا عدولا فان هذا حقيقة الوسط فهم خير الامم وأعدلها في أقوالهم وأعمالهم وإراداتهم ونياتهم وبهذا استحقوا ان يكونوا شهداء

الرسل على أممهم يوم القيامة والله تعالى يقبل شهادتهم عليهم فهم شهداؤه ولهذا نوه بهم ورفع ذكرهم وأثنى عليهم وقول تعالى (وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس) الآية الى غير ذلك من الآيات القرآنية والكلمات الرحمانية

{و} قد أتى أيضاً {في الاحاديث} النبوية {وفي الآثار} السلفية {و} قد أتى {في كلام القوم} من المحدثين والفقهاء والصوفية وأهل المعارف والحقائق والحكم الوفية والعلوم الشرعية والافهام الذكية {و} في {الاشعار} المرضية من العرب والمولدين من مدحهم والثناء عليهم {ما} أي شيء {قد ربا} أي زاد وعلا ونما (من ان يحيط نظمي) في هذه الارجوزة وتحقيق {عن بعضه} فضلا عن عاله وكله {فاقنع} بما ذكرته لك من الآيات البانه والاحاديث الثابتة عن سيد بني آدم وصفوة جميع العالم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم {وخذ} ذلك واعتمد عليه وصيره اليك واعتصم به واستند اليه فانه {عن علم} ويقين وايضاح وتبيين ومعرفة وتمكين وقوله واقنع من القنوع وهو الرضا باليسير من العطاء وقد قنع يقنع قنوعاً وقناعة بالكسر اذا رضي وقنع بالفتح يقنع قنوعاً اذا سأل ومنه حديث «القناعة كنز لا يفنى» لان الانفاق منها لا ينقطع فكلما تعذر عليه شيء من أمور الدنيا قنع بما دونه ورضي وحديث «عز من قنع وذل من طمع» لان القانع لا يذله الطلب فلا يزال عزيزا وعلى كل حال فلا مقام يسعد مقام اسوة أعظم من مقام قوم ارتضاهم الله عز وجل لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونصرة دينه القويم وصراطه المستقيم قال تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) الآيات وقال (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه فمن تأمل في ما ذكرنا حق التأمل وأعطى المقام حقه نجا من قبيح ما انتحلت الرافضة وقبيح ما ذهبت اليه من الالحاد في آيات الله وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من الافك والمناقضة والحذر الحذر من أدنى شائبة تزري بتلك المناصب الشامخة

والعلوم الراسخة ولهذا نقول

﴿واحذر من الخوض الذي قد يزري بفضلهم مما جرى لو تدري﴾

﴿فانه عن اجتهاد قد صدر فاسلم أذلّ الله من لهم هجر﴾

﴿ واحذر ﴾ حذر اذعان وتسليم مع سلامة صدر وامتثال أمر النبي الكريم ﴿من الخوض﴾ المفضي الى التوسع والتنقيب والتبجح والتأنيب ﴿الذي قد يزري﴾ وينقص ويحط ﴿ بفضلهم ﴾ المعلوم من الكتاب والسنة عند ذوي العلوم مما ذكرنا في ماتقدم شذرة صالحة منه ﴿ مما ﴾ أي من الاختلاف والتخاصم والتشاجر الذي ﴿ جرى ﴾ بينهم ﴿ لو ﴾ كنت ﴿ تدري ﴾ غب ذلك الخوض المفضي الى توليد الاحن وحزازات القلوب والحقد على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك من أعظم الذنوب فانهم خير القرون وهم السابقون الاولون وذلك أنه جرى بين علي ومعاوية وقبلها وبعدها من المنازعات والمقاتلات مالو صدرت من سواهم أو كانت من غيرهم لم تقصر عن التفسيق فضلا عن غيره والجواب عن ذلك ما أشير اليه بقوله ﴿ فانه ﴾ أي التخاصم والنزاع والتقاتل والدفاع الذي جرى بينهم كان ﴿ عن اجتهاد قد صدر ﴾ من كل واحد من رأسا الفريقين ومقصد سائغ لكل فرقة من الطائفتين وان كان المصيب في ذلك للصواب واحدا وهو علي رضوان الله عليه ومن والاه والمخطي هو من نازعه وعاداه غير ان للمخطئ في الاجتهاد أجرا وثوابا خلافا لاهل الجفا والعناد فكل ماصح مما جرى بين الصحابة الكرام وجب حمله على وجه ينفي عنهم الذنوب والآثام فمقاولة علي مع العباس رضي الله عنهما لاتفضي الى شين وتقاعد علي رضوان الله عليه عن مبايعة الصديق الاعظم في بدء الامر كان لاحد أمرين اما لعدم مشورته كما عتب عليه بذلك واما وقوفا مع خاطر سيدة نساء العالم فاطمة البتول عليها السلام مما ظنت أنه لها وليس الامر كاهنالك ثم ان عليا بايع الصديق رضي الله عنهما على رؤس الاشهاد فاتحدت الكلمة ولله الحمد وحصل المراد وتوقف علي رضي الله عنه عن الاقتصاص من قتلة عثمان اما لعدم العلم بالقاتل واما خشية زايد

الفساد والطغيان وكانت عائشة وطلحة والزبير ومعاوية رضي الله عنهم و
اتبعهم ما بين مجتهد ومقلد في جواز محاربة أمير المؤمنين سيدنا أبي الحسنين
الأنزع البطين رضوان الله عليه وقد اتفق أهل الحق ان المصيب في تلك الحروب
والتنازع أمير المؤمنين علي رضوان الله عليه من غير شك ولا تدافع والحق الذي
ليس عنه نزول أنهم كلهم رضوان الله عليهم عدول لانهم متأولون في تلك
المخاصمات مجتهدون في هاتيك المقالات فانه وان كان الحق على المعتمد عند أهل
الحق واحد فالمخطئ مع بذل الوسع وعدم التقصير مأجور لا مأزور وسبب تلك
الحروب اشتباه القضايا فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام
قسم ظهر لهم باجتهاد ان الحق في هذا الطرف وان مخالفه باغ فوجب عليهم
نصرة المحق وقتال الباغي عليه فيما اعتقدوه ففعلوا ذلك ولم يكن لمن هذه
صفته التأخر عن مساعدة الامام العادل فى قتال البغاة في اعتقاده وقسم عكسه سواء
سواء وقسم ثالث اشتبهت عليهم القضية فلم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين
فاعتزلوا الفريقين وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم لانه لا يحل الاقدام
على قتال مسلم حتى يظهر ما يوجب ذلك وبالجملة فكلهم معذورون ومأجورون
لا مأزورون ولهذا اتفق أهل الحق ممن يعتد به في الاجماع على قبول شهاداتهم
ورواياتهم وثبوت عدالتهم ولهذا قال علماؤنا كغيرهم من أهل السنة ومنهم ابن
حمدان في نهاية المبتدئين يجب حب كل الصحابة والكف عما جرى بينهم كتابة
وقراءة واقراء وسماعا وتسميعا ويجب ذكر محاسنهم والترضي عنهم والمحبة لهم
وترك التحامل عليهم واعتقاد العذر لهم وأنهم انما فعلوا ما فعلوا باجتهاد سائغ لا
يوجب كفرا ولا فسقا بل ربما يثابون عليه لانه اجتهاد سائغ ثم قال وقيل
المصيب علي ومن قاتله فخطاؤه معفو عنه وانما نهي عن الخوض في النظر
لان الامام أحمد كان ينكر على من خاض ويسلم أحاديث الفضائل وقد تبرأ
رضي الله عنه ممن ضللهم أو كفرهم وقال السكوت عما جرى بينهم وقال بعض المحققين
البحث عن أحوال الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وعما جرى بينهم من الموافقة
والمخالفة ليس من العقائد الدينية ولا من القواعد الكلامية وليس هو مما ينتفع

به في الدين بل ربما أضر باليقين وانما ذكر العلما منها نتفا في كتبهم صونا للقاصرين عن التأويل عن اعتقاد ظواهر حكايات الرافضة ورواياتها ليتجنبها من لا يصل الى حقيقة علمها ولان الخوض فى ذلك انما يصلح للتعليم وللرد على المتعصبين أو لتدريس كتب تشتمل على تلك الآثار فيأول ذلك ويبينه للعوام لفرط جهلهم بالتأويل مع ان غالب أو كل مايحكيه الرافضة موضوع وأكثره باطل مصنوع فلاجرم السلامة في التسليم وكف اللسان عن هذا المدخل الضيق العظيم ولهذا قال ﴿فاسلم﴾ من الخوض في تلك البحور واحذر من المثار فى ذلك الغطش الديجور فان من قارف الفتنة افتتن ومن تعرض بدينه للشبهات والشهوات اختبن ثم ان الناظم دعا على طائفة الجفا والفجور وأهل الرفض والضلال ممن حاد عن الامر المأمور فقال ﴿اذل الله﴾ سبحانه وتعالى وقد فعل ﴿من﴾ كل مبتدع من الرافضة ومن وافقهم ﴿لهم﴾ أي للصحابة الكرام أو لبعضهم ﴿هجر﴾ وعادى ولم يوال ويحب وقد روى الديلمي عن أنس رضي الله تعالى عنه « اذا أراد الله تعالى برجل من أمتي خيرا ألقى حب أصحابي في قلبه» وأخرج الترمذي من حديث عبد الله بن مغفل رضي الله عنه مرفوعا «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فيبغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله تعالى ومن آذى الله يوشك أن يأخذه» والذي أجمع عليه أهل السنة والجماعة انه يجب على كل أحد تزكية جميع الصحابة باثبات العدالة لهم والكف عن الطعن فيهم والثناء عليهم فقد اثنى الله سبحانه عليهم فى عدة آيات من كتابه العزيز على انه لو لم يرد عن الله ولا عن رسوله فيهم شيء لاوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد ونصرة الدين وبذل المهج والاموال وقتل الآباء والاولاد والمناصحة في الدين وقوة الايمان واليقين والقطع (١) بتعديلهم والاعتقاد لنزاهتهم وانهم أفضل جميع الامة بعد نبيهم هذا مذهب كافة الامة ومن عليه المعول من الأئمة وأما من شذ من أهل الزيغ والابتداع ممن ضل وأضل

(١) انظر أين مفعول (لاوجبت) وماعطفت عليه كلمة (القطع) ولعله سقط قبلها (حبهم) أي لاوجبت الحال التي كانوا عليها من كذا وكذا حبهم والقطع بتعديلهم

فلا التفات اليهم ولا معول عليهم ولهذا قال الامام أبو زرعة العراقي من أجل شيوخ مسلم اذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق وذلك ان القرآن حق والرسول حق وما جاء به حق وما أدى الينا ذلك كله الا الصحابة فمن جرحهم انما أراد ابطال الكتاب والسنة فيكون الجرح به أليق والحكم عليه بالزندقة والضلال أقوم وأحق وقال ابن حزم الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعا قال تعالى (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) وقال تعالى (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) فثبت أن جميعهم من أهل الجنة والحاصل انه لا يهجر الصحابة ويعاديهم الا عدو لله مطرود من رحمة الله خبيث زنديق والله ولي التحقيق قال العلامة ابن حمدان في نهاية المبتدئين من سب أحدا من الصحابة مستحلا كفر وان لم يستحل فسق وعنه يكفر مطلقا وان فسقهم أو طعن في دينهم أو كفرهم كفر والله تعالى أعلم ولما أنهى الكلام على الصحابة الكرام حسبما يقتضيه المقام وان كان ما ذكر في جنب ماسكت عنه كقطرة من بحر طام وذبالة من نور عام ذكر التابعين لهم باحسان ثم تابعيهم كما له خير الانام فقال

﴿ وبعدهم فالتابعون أحرى بالفضل ثم تابعوهم طرا ﴾

﴿ وبعدهم ﴾ أي بعد الصحابة المخصوصين بالفضل والعدالة العامة والاصابة ﴿ فالتابعون ﴾ لهم باحسان ﴿ أحرى ﴾ أي أحق وأجدر ﴿ بالفضل ﴾ والاتقان والتقديم على غيرهم من سائر أهل الايمان وتعريف التابعي هو كل من صحب الصحابي ومطلقه مخصوص بالتابعي باحسان ويقال للواحد تابع وتابعي ولا بد في التابعي من زيادة على ماتعتبر به الصحبة في الصحابي كما تقدم لان للصحبة خصوصية كما بيناه ولهم طبقات بالنسبة الى من اجتمع بعشرة أو ثلاثة من الصحابة وبالعلم والزهد وغير ذلك وقد اختلف في أفضل التابعين قال سيدنا الامام أحمد وغيره من أهل العلم أفضل التابعين سعيد بن المسيب وقال قوم أفضل التابعين أويس بن عامر ويقال عمرو وكنيته أبو عمرو وهو القرني واستدلوا له بحديث «خير التابعين أويس» رواه الحاكم عن علي بن أبي طالب عن النبي صلى

الله عليه وسلم وفي صحيح مسلم «ان خير التابعين رجل يقال له أويس وله والدة وكان به بياض(١) فمروه فليستغفر لكم» قال النووي هو اويس بن عامر كذا رواه مسلم وهو المشهور وقال ابن ما كولا ويقال أويس بن عمرو وهو القرني بفتح القاف والواو هو بطن من مراد وهو قرن بن ردمان وغلطوا من نسبة الى قرن المنازل الجبل المعروف ميقات أهل نجد في الاحرام وفيه طلب الدعاء والاستغفار من أهل الصلاح وان كان الطالب أفضل منهم فان قيل كيف استجاز الامام أحمد ومن نحا نحوه تفضيل سعيد بن المسيب على سائر التابعين مع وجود النص الصريح بالنقل الصحيح في تفضيل اويس القرني فالجواب ان مراد سيدنا الامام أحمد واضرابه أفضلية سعيد في العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه ونفع الامة بذلك وبما بلغه عن الصحابة الكرام عن النبي عليه أفضل الصلاة والسلام فانه الامام الحافظ الثقة المأمون حتى قيل فيه أعلم أمة محمد بعد محمد بعد محمد سعيد بن المسيب رحمه الله ورضي الله عنه والدليل على أفضلية التابعين قول النبي صلى الله عليه وسلم «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم — قال عمران فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة — ثم ان بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن» زاد في رواية ويحلفون ولا يستحلفون رواه البخاري ومسلم والترمذي من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه ورواه أبو داود ولفظه «خير امتي القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم والله أعلم أذكر الثالث أم لا ورواه مسلم من حديث أبي هريرة وفيه والله أعلم أذكر الثالث أم لا وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تمس النار مسلما رآني أو رأى من رآني رواه الترمذي من حديث جابر قال طلحة فقد رأيت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وقال موسى قد رأيت طلحة وقال يحيى وقال لي موسى وقد رأيتني ونحن نرجو الله تعالى قال الامام المحقق ابن القيم في أول كتابه اعلام الموقعين ألقى الصحابة الكرام الى التابعين

(١) سقط من الحديث شيء وأصله «وله والدة هو بها بر لو أقسم الله على الله لأبره وكان به بياض فبرئ» الخ اه مصححه

ماتلقوه من مشكاة النبوة خالصا صافيا وكان سندهم عن نبيهم صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن رب العالمين سندا صحيحا عاليا وقالوا هذا عهد نبينا الينا وقد عهدناه اليكم وهذه وصية ربنا وفرضه علينا وهي وصيته وفرضه عليكم فجرى التابعون لهم باحسان على منهاجهم القويم واقتفوا آثار صراطهم المستقيم ولهذا قال ﴿ ثم ﴾ الافضل بعد التابعين ﴿ تابعوهم ﴾ أي اتباع التابعين لما تقدم من صحيح الاخبار وصريح الآثار ﴿ طرا ﴾ أي جميعا وهو منصوب على المصدر أو الحال لانهم سلكوا مسالكهم الرشيد (وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد) وكانوا بالنسبة الى من قبلهم كما قال أصدق القائلين (ثُلَّةٌ من الاولين وقليل من الآخرين) ثم جاء الائمة من القرن الرابع المفضل في احدى الروايتين كما ثبت في الصحيح من حديث أبي سعيد وابن مسعود وأبي هريرة وعائشة وعمران بن حصين رضي الله عنهم أجمعين من قوله صلى الله عليه وسلم خير الناس قرني الحديث والقرن أهل زمان واحد متقارب اشتركوا في أمر من الامور المقصودة والاصح انه لا ينضبط بمدة فقرنه صلى الله عليه وسلم هم أصحابه وكانت مدتهم من المبعث الى آخر من مات من أصحابه وهو أبو الطفيل مائة وعشرين سنة وقرن التابعين من نحو مائة الى سبعين سنة وقرن اتباع التابعين من ثم الى حدود العشرين ومائتين وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهورا فاشيا وأطلقت المعتزلة ألسنتها وأظهرت الجهمية نحلتها ورفعت الفلاسفة رؤسها وامتحنت أئمة الدين وعلماء المسلمين ليقولوا بخلق القرآن وكان المقصود الاعظم منهم اواهنا الامام أحمد فقام بأمر السنة أتم قيام وعاضده عليها ائمة اعلام وحفاظ للدين فخام شكر الله سعيهم وثبتنا على نهجهم آمين وظهر مصداق قوله صلى الله عليه وسلم كما في رواية ثم يفشو الكذب قال في النهاية خير الناس قرني يعني الصحابة ثم التابعين والقرن أهل كل زمان وهو مقدار التوسط في أعمار كل زمان مأخوذ من الاقران فكأنه المقدار الذي يقترن فيه أهل ذلك الزمان في أعمارهم وأحوالهم وقيل القرن أربعون سنة وقيل مائة وقيل هو مطلق من الزمان وهو مصدر قرن يقرن قرنا قال الحافظ جلال الدين السيوطي في الدر المنثور القرن أهل كل زمان وهو المقدار الذي يقترن فيه أهل ذلك الزمان في أعمارهم وأحوالهم

﴿ فصل ﴾

في ذكر كرامات الاولياء واثباتها

وهذا من العقائد السنية التي يجب اعتقادها ولا يجوز نفيها واهمالها ولهذا قال

﴿ وكل خارق اتى عن صالح من تابع لشرعنا وناصح ﴾

﴿ فانها من الكرامات التي بها نقول فاقف للادلة ﴾

﴿ ومن نفاها من ذوي الضلال فقد أتي في ذاك بالمحال ﴾

﴿ فانها شهيرة ولم تزل في كل عصر يا شقا أهل الزلل ﴾

﴿ وكل خارق ﴾ معادة من الخوارق وهي ستة انواع (الاول) المعجزة وتقدم الكلام عليها (الثاني) الارهاص وكل خارق تقدم النبوة فهو مقدمة لها فالمعجزة أمر خارق للعادة مقرون بدعوى النبوة والارهاص المقدمة لها قبلها كقصة أصحاب الفيل (الثالث) الكرامة وهي أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبي كاف شرعه مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح علم بها ذلك العبد الصالح أم لم يعلم (الرابع) الاستدراج والمكر (الخامس) المعونة كما يظهر بسبب بعض عوام المسلمين وضعفاء أهل الدين تخليصا لهم من المحن والمكاره (السادس) الاهانة والاحتقار كما فعل مسيلمة الكذاب من مسحه بيده على رأس غلام فانقرع ومن تفله في بئر عذبة ليزداد ماؤها حلاوة فصار ملحا أجاجا ومن الخوارق الفاسدة السحر والشعبذة ونحوها

والحاصل ان الكرامة لا بدأن تكون أمرا خارقا للعادة ﴿ اتى ﴾ ذلك الخارق ﴿ عن ﴾ أمرئ ﴿ صالح ﴾ وهو الولي العارف بالله وصفاته حسب ما يمكن المواظب على الطاعات المجتنب عن المعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات من ذكر وانثى ولا بد أن يكون صدور ذلك الخارق في زماننا و بعده وقبله منذ بعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ من ﴾ انسان ﴿ تابع لشرعنا ﴾ معشر المسلمين لان سائر الشرائع سواه قد نسخت وان يكون الخارق من قبل من ظهر على يديه غير مقارن لدعوى النبوة فما لا يكون مقرونا الايمان والعمل الصالح يكون استدراجا وما يكون مقرونا بدعوى النبوة يكون معجزة

كما تقدم آنفا ولاعتبار كون من صدرت عنه الخوارق عارفا مطيعا ظاهر الصلاح متابعا لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم أشار بقوله { وناصح } لله ولرسوله ولكتابه ولشريعة النبي صلى الله عليه وسلم التي أتى بها عن الله وناصح لأئمة المسلمين وخاصتهم عامتهم فان الدين النصيحة فما يصدر من الخوارق المؤكدة لكذب الكذابين وترهات المفترين من قبيل المكر والاستدراج والمحن والاعوجاج وأما اذا صدرت عمن ذكر من الصالح الناصح المتابع لشرعنا القويم وديننا المستقيم {فانها} تكون { من الكرامات التي بها } أي بجوازها ووقوعها { نقول } معشر أهل السنة من السلف والخلف قال ابن حمدان في نهاية المبتدئين وكرامة الاولياء حق وانكر الامام أحمد رضي الله عنه على من أنكرها وضلله قال وتوجد في زمن النبوة واشراط الساعة وغيرها ولا تدل على صدق من ظهرت على يده فيما يخبر به عن الله تعالى ولا على ولايته لجواز سلبها وان تكون استدراجا له يعني ان مجرد الخارق لا يدل على ذلك ولذلك قال ولا يساكنها ولا يقطع هو بكرامته بها ولا يدعيها وتظهر بلا طلبه تشريفا له ظاهرا ولا يعلم من ظهرت منه هو أو غيره انه ولي الله تعالى غالبا بذلك وقيل بلى ولا يلزم من صحة الكرامات ووجودها صدق من يدعيها بدون بينة أو قرائن حاليه تفيد الجزم بذلك وان مشى على الماء وفي الهواء أو سخرت له الجن والسباع حتى تنظر خاتمته وموافقته للشرع في الامر والنهي وان وجد الخارق من نحو جاهل فهو مخرقة ومكر من ابليس واغواء واضلال ولا شيء على من ظن الخير بمن يراه منه وان كان في الباطن شيطانا وحسن الظن بأهل الدين والصلاح حسن { فاقف } في اعتقادك الصالح ونهجك الناجح أي اتبع { للادلة } الشرعية والمشاهدات الحسية والقواطع العقلية فان كرامات الاولياء ثابتة بالبيان والبرهان أما أولا فان وجودها جائز عقلا واقع عيانا وشرعا فان حمل مريم بلا ذكر ووجود الرزق عندها بلا سبب من فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف من الخوارق وليستا معجزتين لعدم شرط المعجزة وهو دعوى النبوة والتحدي فتعين كون ذلك كرامة لها وأيضا قصة آصف بن برخيا فان احضاره عرش بلقيس في لحظة من مسيرة شهر خارق للعادة حتما وأيضا قصة

أصحاب الكهف فان بقاءهم ثلاثمائة سنين بلا آفة من أعظم الخوارق وثانيا ماتواتر معناه وان كانت تفاصيله آحادا من كرامات الصحابة والتابعين ومن بعدهم والى وقتنا هذا مما ذاع وشاع وملأ الآفاق والاسماع وضاقت عن احصائه الدفاتر وشهدت بوجوده الاكابر والاصاغر ولا ينكره الا معاند ومكابر فلا جرم فهو الحق الصراح الرادع لاهل الانكار والكفاح وهو مع كونه كرامة لمن ظهرت على يديه غالبا فهو دليل على صحة نبوة متبوع من ظهرت على يديه وحقيقة دينه واستقامة نهجه ومن ثم قلنا ﴿ ومن ﴾ أي أي انسان كائنا من كان ﴿ نفاها ﴾ أي كرامات الاولياء فلم يقل بجوازها فضلا عن وقوعها ﴿من ذوي﴾ أي أصحاب ﴿ الضلال ﴾ والزيغ عن نهج أهل السنة والاعتزال وكذا من نحا نحوهم من أهل السنة كالاستاذ أبي اسحق الاسفرايني وعبد الله الحليمي من الاشاعرة ﴿ فقد أتى في ذاك ﴾ النفي وعدم التجويز لها ﴿ بالمحال ﴾ المنابذ للبرهان والعيان وثبوتها في السنن المتواترة ومحكم القرآن فمع هذه الادلة المتواترة والوقائع المتكاثرة فالانكار لها مكابرة غير منظور اليه ولا معول عليه وزعمهم ان الخوارق لو جاز ظهورها من الاولياء لا لتبس النبي بغيره اذ الفرق ماينهما انما هو بالمعجزة و بأنها لو ظهرت لكثرت الاولياء وخرجت عن كونها خارقة للعادة والغرض كونها خارقا فاذا خرجت عن كونها خارقا لكثرتها نافت المقصود وخالفته ولانها لو ظهرت لا لغرض التصديق لانسد باب اثبات النبوة بالمعجزة لجواز أن يكون مايظهر من النبي لغرض آخر غير التصديق و بان مشاركة الاولياء للانبياء فى ظهور الخوارق يخل بعظيم قدر الانبياء ووقعهم فى النفوس باطل المأخذ غير صالح للتمسك به والتعويل عليه والالتفات له والمصير اليه حتى ولو لم تكن الادلة بكرامات الاولياء طافحة والعيان والبيان والبراهين بها واضحة فكيف والأدلة القرآنية والسنن النبوية والآثار السلفية والمشاهدات العيانية أكثر من ان تحصى وأجل وأعظم من أن تستقصى ولهذا قال معللا لما ارتكبوه في نفيها من المحال ﴿ لانها ﴾ أي كرامات الاولياء كثيرة ﴿شهيرة ﴾ للعيان ثابتة بالبرهان ﴿ولم تزل﴾ تظهر على يد الاولياء الصالحين وأهل التحقيق العارفين ﴿ فى كل عصر ﴾ من الاعصار الماضية والى الآن والعصر مثلثة

و بضمتين الدهر ويجمع على اعصار وعصور وأعصر وعصر ويطلق العصر على اليوم والليلة والعشى الى احمرار الشمس وذلك كما تقدم من حكاية قصة مريم وعرش بلقيس وقصة اصحاب الكهف والمشي على الماء كما نقل عن كثير من الاولياء من الصحابة وغيرهم كما في قصة العلاء بن الحضرمي من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين فانه لما ذهب الى البحرين سلكوا مفازة وعطشوا عطشا شديداحتى خافوا الهلاك فنزل فصلى ركعتين ثم قال ياحليم ياعليم ياعلي ياعظيم اسقنا فجاءت سحابة وأمطرت حتى ملأوا الآنية وسقوا الركاب ثم انطلقوا الى خليج من البحر ماخيض قبل ذلك اليوم فلم يجدوا سفنا فصلى ركعتين ثم قال ياحليم ياعليم ياعلي ياعظيم اجزنا ثم أخذ بعنان فرسه ثم قال جوزوا باسم الله قال أبوهريرة فمشينا على الماء والله ماابتل لنا قدم ولاخف ولاحافر وكان الجيش اربعة آلاف — والطيران في الهواء كما في قصة جعفر بن ابي طالب ذي الجناحين رضي الله عنه وكقصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورؤيته لجيش سارية وهو على المنبر بالمدينة بنهاوند فنادى وهو على المنبر لامير الجيش سارية فقال : ياسارية الجبل: محذرا له من العدو ومكرهم له من وراء الجبل وسماع سارية مع بعد المسافة وكشرب خالدبن الوليد رضي الله عنه السم من غير أن يحصل له تضرر به وكجريان النيل بكتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وامثال ذلك من كرامات الصحابة رضي الله عنهم مما لايحصى الا بكلفة وكذلك كرامات التابعين ومن بعدهم ماهو طافح مشهور لايمكن رده وانكاره لانه فى غاية البيان والظهور ولذا قال لمن انتحل المحال ﴿ ياأشقا أهل الزلل ﴾ بما ارتكبوا و باختيارتهم لما انتحلوا من رد المحسوس وتكذيبهم للبرهان بوساوس الهوس ومكابرتهم لانكار العيان بمجرد الوهم والهوس وقد قال علماؤنا ان كرامة الولي وظهور الخارق على يده من كونه من آحاد الامة معجزة للرسول الذي ظهرت هذه الكرامة لواحد من أمته لانه يظهر بتلك الكرامة انه ولي ولن يكون وليا الا وان يكون محقا في ديانته وديانته هي الاقرار بالقلب واللسان والانقياد بالجوارح والاركان لماجاء به نبيه المتبوع و رسوله الذي عليه المعول والى ماجاء به الرجوع والطاعة لاوامره والانتهاء عن زواجره

في السر والاعلان حتى لو ادعى هذا الذي ظهرت على يده الكرامة الاستقلال بنفسه وعدم المتابعة لم يكن وليا ولم يظهر الخارق على يده ولو فرض ظهوره فهو حينئذ من قبيل الاستدراج والحاصل ان الامر الخارق للعادة فهو بالنسبة الى النبي معجزة سواء ظهر من قبله أو من قبل آحاد أمته وهو بالنسبة للولي كرامة لخلوه عن دعوى نبوة من ظهر ذلك من قبله فالنبي لابد من علمه بكونه نبيا ومن قصده اظهار خوارق العادات وظهور المعجزات وأما الولي فلا يلزم أن يعلم بولايته ويستر كرامته ويسرها ويجتهد على اخفاء أمره كما تقدمت الاشارة الى ذلك كله

﴿ تنبيهات ﴾

(الاول) وافق أبو حسين البصري المعتزلي ومن نحا منحاه أهل السنة في جواز كرامات الاولياء ووقوعها (الثاني) يجوز في الكرامات أن تقع بسائر وجوه خوارق العادات على اختلاف أنواعها ولو كقلب العصا حية وكوجود ولد من غير أب لا بمثل مااختص به النبي صلى الله عليه وسلم مثل القرآن العظيم الذي هو أعظم المعجزات وأخص الآيات وقال قوم الكرامات تختص بمثل اجابة دعاء ونحوه قال الامام النووي وهذا غلط من قائله وانكار للحس بل الصواب جريانها حتى في قلب الاعيان (الثالث) الولاية موهبة من الله تعالى غير مكتسبة ولا يصل الولي مادام عاقلا بالغا الى مرتبة سقوط التكاليف عنه بالاوامر والنواهي ومن زعم ذلك فهو الحاد وزندقة ومن الزندقة مازعمه من زعمه من بعض الكرامية ومن نحا نحوهم من أن الولي قد يبلغ درجة النبي بل أعلا وقدمنا الكلام في تزييف هذا المقام بما يحصل به المرام والله ولي الانعام (الرابع) قال بعض المحققين للولي أربعة شروط (أحدها) أن يكون عارفا بأصول الدين حتى يفرق بين الخلق والخالق و بين النبي والمتنبي (الثاني) أن يكون عالما بأحكام الشريعة نقلا وفهما ليكتفي بنظره عن التقليد في الاحكام الشرعية كما اكتفى عن ذلك في أصول التوحيد فلو أذهب الله تعالى علماء أهل الارض لوجد عنده ما كان عندهم ولأقام قواعد الاسلام من أولها الى آخرها (قلت) وهذا غير معتبر ولا مشترط في مطلق الولي من غير تردد نعم يعتبر هذا في المجتهد المجدد دون مطلق الولي والله أعلم (الثالث) أن يتخلق بالاخلاق المحمودة

التي دل عليها الشرع والعقل من الورع عن المحرمات بل والمكروهات وامتثال المأمورات واخلاص العمل وحسن المتابعة والاقتداء (الرابع) أن يلازمه الخوف أبدا واحتقار النفس سرمدا وان ينظر الى الخلق بعين الرحمة والنصيحة وأن يكون جهده في مراقبة محاسن الشريعة ومطالعة عيوب النفس وآفاتها والخوف بملاحظة السابقة والخاتمة ويجمع ذلك كله ويزيد عليه قوله تعالى (ألا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لاتبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم والله تعالى أعلم

﴿ فصل ﴾

في المفاضلة بين البشر والملائكة وهي مسئلة عظيمة قد كثر فيها الاختلاف وتشعبت فيها الاقوال وعظمت فيها المحن والجدال ولكثرة الخلاف فيها وتباين أقوال الائمة من المتكلمين وغيرهم في تفاصيلها قلنا في النظم

﴿ وعندنا تفضيل أعيان البشر على ملاك ربنا كما اشتهر ﴾

﴿ قال ومن قال سوى هذا افترى وقد تعدى في المقال واجترى ﴾

(وعندنا) معشر أهل السنة خصوصا أهل الاثر وسلف الامة وكبار الائمة فانهم يقولون و يعتقدون (تفضيل أعيان البشر) محركة الانسان ذكرا أو انثى ويطلق البشر على الواحد والجمع وقد يثنى ويجمع ابشارا والمراد أعيانهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام والاولياء فالانبياء أفضل من الاولياء وهما أفضل من الملائكة وقيل كل صالح وأفضل من الملائكة قال الامام أبو الوفا ابن عقيل الصحيح تفضيل الانبياء الصالحين على الملائكة والملائكة أفضل من الفسقة وقال تارة الانبياء أفضل من الملائكة وجبريل واسرافيل وميكائيل أفضل من الاولياء وقال سيدنا الامام أحمد رضي الله عنه بنو آدم أفضل من الملائكة ولذا قلنا (على ملاك ربنا) تبارك وتعالى (كما اشتهر) ذلك من نصوص امامنا الامام أحمد رضي الله عنه والملاك هو الملك وجمعه ملائكة وحذفت همزة ملاك لكثرة الاستعمال وأصل وزنه مفعل فقيل ملك وقد تحذف الهاء من الجمع فيقال ملائك وأصله مالك بتقديم الهمزة من الالوكة وهي الرسالة ثم قدمت اللام على الهمزة في ا

كما في النهاية وغيرها ﴿ قال ﴾ امامنا الامام أحمد رضي الله عنه ﴿ ومن ﴾ أي انسان ﴿قال﴾ بلسانه أو اعتقد بجنانه ﴿ سوى هذا ﴾ أي غير القول بتفضيل بني آدم على الملائكة ﴿ افترى ﴾ أي أتى بكلام خطأ بشعر بالافترا ﴿ وقد تعدى ﴾ أي تجاوز الحد المنقول والثابت عن الرسول والسلف الفحول ﴿ في المقال ﴾ الذي اعتمده ﴿ واجترى ﴾ أي افتات على الشارع بالاعتقاد الذي اعتقده ولفظ النص بخطئ من فضل الملائكة وقيل كل مؤمن أفضل من الملائكة قال ابن حمدان في نهاية المبتدئين وقال الامام العلامة أبو بكر عبد العزيز ابن جعفر المشهور بغلام الخلال رحمه الله تعالى من كان خيره أكثر من شره فهو خير من الملائكة ومن كان شره أكثر من خيره فالبهائم خير منه وقيل من غلب عقله على شهوته فهو خير من الملائكة ومن غلبت شهوته على عقله فالبهائم خير منه هذا محصل قول جل أصحابنا وقال الامام المحقق ابن القيم في كتابه بدائع الفوائد سئل شيخنا شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه عن صالحي بني آدم والملائكة أيهما أفضل فأجاب بأن صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية والملائكة أفضل باعتبار البداية فان الملائكة الآن في الرفيق الاعلا منزهون عما يلابسه بنو آدم مستغرقون في عبادة الرب ولا ريب أن هذه الاحوال الآن أكمل من أحوال البشر وأما يوم القيامة بعد دخول الجنة فتصير حال صالحي البشر أكمل من حال الملائكة قال وبهذا التفصيل يتبين سر التفضيل وتتفق أدلة الفريقين ويصالح كل منهم على حقه قال ابن القيم فعلى المتكلم في هذا الباب يعني باب التفاضل بين الاشياء ان يعرف أسباب الفضل أولا ثم درجاتها ونسبة بعضها الى بعض والموازنة بينها ثانيا ثم نسبتها الى من قامت به ثالثا كثرة وقوة ثم اعتبار تفاوتها بتفاوت محلها رابعا فرب صفة هي كمال لشخص وليست كمالا لغيره بل كمال غيره بسواها فكمال خالد بن الوليد لشجاعته وحروبه وكمال ابن عباس بفقهه وعلمه وكمال أبي ذر بزهده وتجرده عن الدنيا قال فهذه أربع مقامات يضطر اليها المتكلم في درجات التفضيل وتفضيل الانواع على الانواع أسهل من تفضيل الاشخاص على الاشخاص وأبعد من الهوى والغرض انتهى ملخصا

تنبيهات

(الاول) قد علمت ان هنا ثلاث صور (الاولى) التفضيل بين الانبياء والملائكة وفي هذه ثلاثة أقوال (أحدها) الانبياء أفضل وعليه جمهور أهل الحق من أهل السنة وهو الصواب (الثاني) الملائكة أفضل وهو قول المعتزلة واختاره من الاشاعرة أبو اسحق الاسفرايني وأبو بكر الباقلاني والحاكم والحليمي وفخر الدين في المعالم وأبو شامة واختار فخر الدين (الاول) في الاربعين وفي المحصل (الثالث) الوقف عن القول بالتفضيل لاحد النوعين على الآخر ومحل الخلاف على هذا القول في غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أما هو فافضل الخلق بلا خلاف لا يفضل عليه ملك مقرب ولا غيره كما ذكره غير واحد ممن حكى الخلاف كالسيوطي في الحبائك والتاج السبكي في منع الموانع والسراج البلقيني في منهج الاصلين وبدر الدين الزركشي ونقل فخر الدين الرازي الاجماع على ذلك وكأنه أراد اجماع أهل السنة

(الصورة الثانية) التفاضل بين خواص الملائكة وأولياء البشر وهم من عدا الانبياء وهذه الصورة زعم بعضهم نفي الخلاف بان خواص الملائكة أفضل ونقل السعد التفتازاني في شرح عقائد النسفي الاجماع على ان خواص الملائكة أفضل من أولياء البشر بعد الرسل والانبياء وهذا مردود مدخول فقد قدمنا ان معتمد القول عند علمائنا ومن وافقهم ان الاولياء أفضل من خواص الملائكة نعم ابن عقيل خالفهم في ذلك فقال خواص الملائكة من جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ملك الموت أفضل من الاولياء وقال في القول بخلاف هذا شناعة عظيمة على قائله كذا قال مع أنه هو نفسه صرح بان الانبياء والاولياء أفضل من الملائكة وصحح ذلك

(الصورة الثالثة) التفضيل بين أولياء البشر وغير الخواص الملائكة وفي هذه قولان (أحدهما) تفضيل جميع الملائكة على أولياء البشر وجزم به ابن السبكي في جمع الجوامع وذكر البلقيني في منهجه انه قول أكثر العلماء والثاني تفضيل اولياء البشر على الملائكة وجزم به الصفار من الحنفية وهو المختار عندهم ومال البلقيني الى بعضه وهو انه قد يوجد من اولياء البشر من هو أفضل من غير الخواص من الملائكة وقال قوم من أهل السنة

ان الرسل من البشر افضل من الرسل من الملائكة والاولياء من البشر افضل من الاولياء من الملائكة وذهب آخرون الى ان الملأ الاعلا مفضلون على سكان الارض وفصل جماعة من محققي الماتريدية ومن وافقهم فقالو رسل البشر كموسى عليه أفضل الصلاة والسلام أفضل من رسل الملائكة كجبريل عليه السلام ورسل الملائكة كاسرافيل عليه السلام أفضل من عامة البشر وهم اولياؤهم غير الانبياء كابي بكر وعمر رضي الله عنهما وعامة البشر كاوليائهم غير الانبياء أفضل من عامة الملائكة وهم غير الرسل منهم كحملة العرش والكروبيين وهذا نحو ماحكينا عن ابن عقيل واحتج أهل هذا التفضيل بالاجماع وقد علمت انه مدخول بل ادعوا فيه الضرورة واحتجوا على تفضيل رسل البشر على رسل الملائكة وعامة البشر على عامة الملائكة بوجوه سنذكرها ونقل البلقيني في منهج الاصلين ان المختار عند الحنفية ان خواص البشر وهم الرسل أفضل من جملة الملائكة والملائكة الخواص أفضل من الانبياء غير المرسلين والانبياء أفضل من غير الخواص من الملائكة قال ومنهم من وقف في التفضيل بين صالحي البشر والملائكة كذا قال والحق المعتمد عندهم أن خواص البشر كالانبياء أفضل من خواص الملائكة كرسلهم وخواص الملائكة كرسلهم أفضل من عوام البشر كالاولياء وعوام البشر أفضل من عوام الملائكة وهم غير الرسل منهم والله أعلم

(التنبيه الثاني) في بعض أدلة مذهب أهل الحق من تفضيل صالحي البشر على الملائكة خلافا للمعتزلة والفلاسفة ومن نحا نحوهم منها قوله تعالى (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) فالمسجود له أفضل من الساجد فان قيل لم لا يجوز ان يكون السجود لله تعالى وآدم كالقبلة فالجواب انه لو لم يكن السجود دالا على منصب المسجود على الساجد لما قال ابليس (أرأيتك هذا الذي كرمت علي) اذ لم يوجد ما يصرف هذا الكلام اليه سوى هذا السجود فدل ذلك السجود على ترجيح منصب المسجود له على الساجد (ومنها) ان آدم عليه السلام كان أعلم من الملائكة والاعلم أفضل لقوله تعالى (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وقد قال تعالى (وعلم آدم الاسماء كلها — الى قوله — قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم) (ومنها) ان طاعة البشر أشق

والاشق أفضل فان البشر مجبولون على الشهوة والحرص والغضب والهوى ونحوها وهذه من أكبر الموانع وهي مفقودة في الملك (ومنها) قوله تعالى (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين) والعالم عبارة عما سوى الله تعالى والآل يراد به الرجل نفسه ويراد به اقاربه الادنون ويراد به اتباعه فان قيل يشكل هذا في قوله تعالى في بني اسرائيل (واني فضلتكم على العالمين) اذ يلزم على ظاهره هذا تفضيل انبياء بني اسرائيل على محمد صلى الله عليه وسلم فالجواب أولا الآية تحتمل التخصيص وثانيا من شرط العالم المفضل عليه أن يكون موجودا (١) حال وجود أنبياء بني اسرائيل اما الملائكة فهم موجودون حال وجود محمد صلى الله عليه وسلم (ومنها) ان الملائكة لهم عقول بلا شهوة والبهائم لها شهوة بلا عقل والآدمي له عقل وشهوة ثم ان الآدمي ان رجحت شهوته على عقله كان أخس من البهائم كما قال تعالى (أولئك كالانعام بل هم أضل سبيلا (٢)) واذا رجح عقله على شهوته كان أفضل من الملائكة فمن يطع الله وأوامره وطينته معجونة بالشهوة والهوى ويقمع شهوته ويخالف هواه تكون عبادته أفضل ألا ترى من ابتلى من الملائكة بالشهوة كيف وقع في المعصية على ماقيل وذكر نحو هذا البيهقي وقال كما وقع لهاروت ماروت وساقها من ثلاثة طرق ثم أخرج البيهقي عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه انه قال ان أكرم خليقة الله على الله أبو القاسم صلى الله عليه وسلم قيل رحمك الله وأين الملائكة قال الملائكة خلق كخلق الارض وخلق السحاب وخلق الجبال وخلق الرياح وسائر الخلائق وان أكرم الخلق على الله أبو القاسم صلى الله عليه وسلم وأخرج البيهقي أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان الله تعالى فضل محمدا على أهل السماء وعلى الانبياء قيل وما فضله على اهل السماء قال ان الله قال لاهل السماء (ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم) وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم (انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك

(١) لعل هاهنا حذفا وهو «ولم يكن محمد (ص) موجودا» اه مصححه

(٢) قوله تعالى (سبيلا) ليس من هذه الآية بل تتمتها «أولئك هم الغافلون» وفي آية أخرى «ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا» اه مصححه

الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) وأخرج أيضا عن ابن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما شيء أكرم على الله من بني آدم قيل يارسول الله ولا الملائكة قال الملائكة مجبورون بمنزلة الشمس والقمر» قال البيهقي تفرد به عبيد الله بن عانم السلمي عن خالد الحذاء وعبيد الله قال البخاري عنده عجائب قال ورواه غيره عن خالد الحذاء موقوفا على ابن عمرو وهو الصحيح قال البيهقي ومن قال بالقول الآخر هو تفضيل الملأ الاعلا على سكان الارض أشبه ان يقول اذا كان التوفيق للطاعة من الله تعالى وجب ان يكون الافضل من يكون توفيقه له وعصمته اياه أكثر ووجدنا الطاعة التي وجودها بتوفيقه وعصمته من الملائكة أكثر فوجب ان يكونوا بذلك أفضل وأخرج البيهقي أيضا حديث «لما خلق الله تعالى آدم وذريته قالت الملائكة رب خلقتهم يأكلون و يشربون و ينكحون و يركبون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال الله تبارك وتعالى لا أجعل من خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له كن فكان» قال وفي ثبوته نظر انتهى وقال العز بن عبد السلام في أثناء كلام له في أنواع التفاضل بين الحوادث من الجواهر والاجسام لايفضل الملائكة على الانبياء الاهجام بنى التفضيل على خيالات توهموها وأوهام فاسدة تعمدها ولم ينفوا الخيالات والتوهمات في امور يعلم أنه خلافها انتهى وقال الامام بن عقيل من علمائنا في كتابه الارشاد مؤمنو اولاد آدم من الاولياء والزهاد والانبياء من طريق الاولى اشرف من الملائكة على قول أصحابنا قال وعندي ان فيه تفصيلا وذلك ان في الملائكة من لايجوز أن يفضل عليه الاولياء مثل جبريل وميكائيل وملك الموت والمقربين ولكني افضل عليهم الانبياء ومنهم من يفضل عليه أولياء بني آدم وهم من عدا المقربين من الملائكة السياحة وغير ذلك قال والدلالة على ان خواص الملائكة المرسلين والمقربين خير من الاولياء خلافا لاصحابنا ان هؤلاء ساووهم في العبادة وفضلوا بالقرب والرسالة وسماع الكلام من الله تعالى الذي شرف بسماعه موسى عليه السلام على غيره وهذه الرتبة عظيمة لمن عقلها وفارق الانبياء لأنهم فضلوهم بالرسالة والنبوة ومعاناة الامم والتعليم وجعل الملائكة خدما لهم ولان في قولنا بان صالحا من بني

آدم خير من جبريل شناعة عظيمة علينا من حيث سوينا بينه و بين رتبة الانبيا مع جلالة جبريل وعظمته وشرفه عند الله فان جبريل سفير الرحمن وحامل وحي الى الانبياء ثم قال واستدل من قال بالعموم بما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان قال «اوسعوا لمن خلفكم فقالوا ولمن نوسع يارسول الله قال للملائكة انهم اذا كانوا معكم لم يكونوا من بين أيديكم ولا من خلفكم وانما يكونون عن ايمانكم وشمائلكم» قالوا لمن فضلنا عليهم أو من فضلهم علينا قال «انتم افضل منهم» وأيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم «مؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده» وأيضا اللفظ المشهور «ان الله تعالى يباهي ملائكته بأهل عرفات» ولا يباهي الا بالافضل وأيضا فان جبريل فتخر بأن يسمى من أهل البيت وسأل النبي صلى الله عليه وسلم ان يدخله تحت الكساء وكان تحته فاطمة والحسن والحسين انتهى والجواب عن هذا اما حديث أبي هريرة الاول فموضوع لاتحل روايته فضلا عن الاحتجاج به وممن حكم بوضعه الحافظ ابن حجر في المطالب العالية وأورده الحافظ ابن الجوزي في الموضوعات باختصار فلم يذكر قوله قالوا من فضلنا عليه الخ وحكم بوضعه وأما حديث «المؤمن اكرم على الله من الملائكة الذين عنده» فالمعروف من لفظ الحديث «المؤمن اكرم على الله من بعض ملائكته» كذا رواه ابن ماجه وهذا اللفظ لايدل على تفضيل الاولياء على جميع الملائكة بل على بعضهم وحديث المباهاة لايدل على الافضلية وأما حديث ان جبريل عليه السلام افتخر بأن يسمى من أهل البيت وسؤاله النبي صلى الله عليه وسلم ان يدخله تحت الكساء فلا أصل له قال الحافظ السيوطي لم أقف له على أصل في شيء من كتب الحديث وكيف يجسر أحد على تفضيل غير الانبياء من البشر على جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل مع ما في صحيح البخاري عن ابن أبي مليكة قال أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم أحد يقول انه على ايمان جبريل وميكائيل وقال سراج الدين البلقيني الاكثر من الاشاعرة على تفضيل الانبياء على الملائكة وذهب القاضي أبو بكر الباقلاني والحليمي الى ان الملائكة العلوية أفضل وينبغي أن يكون محل الخلاف في غير النبي صلى الله عليه وسلم

أفضل خلق الله أجمعين قال وأما الصالحون من البشر غير الانبياء فأكثر العلماء على تفضيل الملائكة عليهم وعندنا ان من كان منهم تقيا نقيا موافيا الموت على ذلك فقد يفضل على الملك باعتبار المشقات فى عباداته مع ما فيه من الدواعي الى الشهوة وغيرها لاسيما من كان خليفة سيد الاولين والآخرين عليه أفضل الصلاة والسلام وقال الشيخ بدر الدين الزركشي في شرح جمع الجوامع أما تفضيل الانبياء على الملائكة فهو عقيدة الاشعري وجمهور أصحابه وهو آخر أقوال أبي حنيفة فيما ذكره شمس الائمة لاجتماع العصمة مع التركيب المعرض للنوائب التي يجب الصبر عليها والشهوات التي يجب الصبر عنها ومن أحسن الادلة قوله تعالى بعد ذكره جماعة من الانبياء (وكلا فضلنا على العالمين) والملائكة من العالمين فدل على أنهم أفضل منهم وقوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن) وأراد بني آدم لان الملائكة لا يجازون بل هم خدم أهل الجنة ولان الانبياء قامت حجة الله على خلقه بخلاف الملائكة حتى قال تعالى (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) ولان آدم سجدله الملائكة والمسجود له أفضل من الساجد كما تقدم ثم في الانبياء من هو أفضل من آدم ولان الناس في الموقف انما يتشفعون بالانبياء لا بالملائكة وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام لاشك ان للبشر طاعات لم يثبت مثلها (للملائكة) كالجهاد والغزو ومخالفة الهوى والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على البلايا والمحن والرزايا وقد ثبت أنهم يرون ربهم ويبشرهم باحلال رضوانه عليهم ولم يثبت مثل هذا للملائكة وقال بعض المحققين اتفقوا على ان العصاة من المؤمنين دون الانبياء والملائكة فاما المطيعون فاختلفوا في المفاضلة بينهم وبين الملائكة على قولين وقال ابن يونس من الشافعية في مختصره في الاصول بعد ذكر القولين وقال الاكثرون منا المؤمن الطائع أفضل من الملائكة وقال ابن المنير مذهب أهل السنة ان الرسول أفضل من الملك باعتبار الرسالة لا باعتبار عموم الاوصاف البشرية ولو كانت البشرية بمجردها أفضل من الملائكة ومعاذ الله والله أعلم

(التنبيه الثالث) قد أشرنا فيما تقدم ان المعتزلة ذهبت الى تفضيل الملائكة

على البشر حتى على الرسل والانبياء واختاره من الاشاعرة القاضي أبو بكر الباقلاني و أبو اسحق الاسفرايني والحافظ أبو عبد الله الحاكم والحليمي والفخر الرازي في المعالم دون الاربعين وأبو شامة ومن تما نحوهم واحتجوا بحجج منها قوله تعالى (لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون) قالوا فهذا يقتضي كون الملائكة أفضل من المسيح ألا ترى أنه يقال ان فلاناً لا يستنكف الوزير من خدمته ولا السلطان ولا يقال إنه لا يستنكف السلطان من خدمته ولا الوزير فلما ذكر المسيح أولا والملائكة ثانيا علمنا ان الملائكة أفضل من المسيح والجواب عنه من وجوه (الاول) ان محمدا صلى الله عليه وسلم وكذا ابراهيم الخليل أفضل من المسيح عليه السلام فلا يلزم من كون الملائكة أفضل من المسيح كونهم أفضل من محمد ولا من ابراهيم عليهما الصلاة والسلام (الثاني) ان قوله ولا الملائكة المقربون صيغة أجمع تتناول الكل فهذا يقتضي كون مجموع الملائكة أفضل من المسيح فلم قلتم أنه يقتضي كون كل واحد من الملائكة أفضل من المسيح (الثالث) ان الواو في قوله ولا الملائكة المقربون حرف عطف وهو انما يفيد الجمع المطلق لا الترتيب والمثال الذى ذكروه ليس بحجة لان الحكم الكلي لا يثبت بالمثال الجزئي ثم أنه معارض نحو قولك ماأعانني على هذا الامر لاعمرو ولا زيد فهذا لايفيد كون المأخر في الذكر أفضل من المتقدم ومنه قوله تعالى (ولا الهدي القلائد ولا آمين البيت) ولما اختلفت الامة امتنع التعويل عليها ثم في التحقيق فى المسئلة أنه اذا قيل هذا العالم لايستنكف من خدمة الوزير ولا السلطان فنحن نعلم بعقولنا ان السلطان أعظم درجة من الوزير فعرفنا ان الغرض من ذكر الثاني هو المبالغة فهذه المبالغة انما عرفناها بهذا الطريق لا بمجرد الترتيب في الذكر فلا يمكن ان نعرف ان المراد من قوله ولا الملائكة المقربون بيان المبالغة الا اذا عرفنا قبل ذلك ان الملائكة المقربين أفضل من المسيح وحينئذ يتوقف صحة الدليل على صحة المطلوب وذلك دور (الرابع) هب ان الآية الكريمة دالة على ان منصب الملك أعلى وأزيد من منصب المسيح لكن لاتدل على الزيادة من جميع الوجوه فالملك أزيد من جهة القوة والقدرة والبطش فان جبريل عليه السلام

قلع مدائن قوم لوط والبشر لا يقدرون على مثل ذلك ثم قلتم ان الملك أفضل من البشر في كثرة الثواب الحاصل بسبب مزيد الخشوع والعبودية وتمام التحقيق ان المفضل المختلف فيه في هذه المسئلة هو كثرة الثواب ثم ان كثرة الثواب لاتحصل الا بنهاية التواضع والخضوع وكون العبد موصوفا بنهاية التواضع لله تعالى لايلائم ضرورته مستنكفا من عبودية الله تعالى بل يناقضها وينافيها فامتنع ان يكون المراد من الآية هذا المعنى وأما اتصاف الشخص بالقدرة الشديدة والقوة الكاملة فانه مناسب للتمرد وترك العبودية فالنصارى لما شاهدوا من المسيح إحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص أخرجوه بسبب هذا القدر من القدرة عن عبودية الله تعالى فقال تعالى ان عيسى لايستنكف بسبب هذا القدر عن عبوديتي ولا الملائكة المقربون الذين هم فوقه في القدرة والبطش والاستيلاء على عالم السموات والارضين وعلى هذا الوجه تنتظم دلالة الآية على ان الملك أفضل من البشر في الشدة والقوة والبطش لكنها لاتدل البتة على ان الملك أفضل من البشر في كثرة الثواب ويقال أيضا لما ادعت النصارى إلآهية عيسى لانه وجد لامن أب فقيل لهم الملك حصل ووجد لامن أب ولا من أم فكيف يستنكف المسيح عن العبودية لكونه وجد من أم لا من أب والملك الذي وجد لا من أب ولا من أم لايستنكف عنها فالملائكة أعجب في هذا من المسيح في هذا الباب مع أنهم لايستنكفون عن عبودية الله تعالى

ومنها قوله تعالى (ومن عنده لايستكبرون عن عبادته) والاستدلال بهذه الآية الكريمة من وجهين (الاول) أنه تعالى احتج بعدم استكبار الملائكة عن عبادته على ان البشر يجب ان لا يستكبر عنها ولو كان البشر أفضل من الملائكة لما تم هذا الاستدلال فان السلطان اذا أراد ان يقرر على رعيته وجوب طاعتهم له فانه يقول الملوك لا يستكبرون عن طاعتي فمن هؤلاء المساكين وبالجملة فظاهر ان هذا الاستدلال لا يتم الا بالاقوى على الاضعف (الثاني) أنه قال ومن عنده وهذه عندية الفضيلة والقربة والجواب عن هذا فهم مما قبله وهو ان الملائكة مع تمام قوتهم وشدة بطشهم لا يتمردون عن طاعة الله تعالى ولا يستكبرون فما بال البشر يتمردون عن طاعة الله مع غاية ضعفهم وهلما

يوجب كون الملك أقوى من البشر لا كونه أفضل منه بمعنى كثرة الثواب ويجاب عن الثاني أنه معارض بقوله تعالى في صفة البشر (في مقعد صدق عند مليك مقتدر) وقوله عليه السلام حكاية عن الله تعالى « أنا عند المنكسرة قلوبهم » وهذا أفضل لانه قال في الملائكة أنهم عند ربهم وقال في وصف المنكسرة قلوبهم ان ربهم عندهم

ومنها ان عبادات الملائكة أدوم وأشق فوجب ان تكون أفضل بيانه قوله تعالى (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) وعلى هذا التقدير لو كانت أعمارهم مساوية لاعمار البشر لكانت طاعتهم أدوم وأكثر فكيف ولا نسبة لعمر كل البشر الى عمر الملائكة واما تفضيل الادوم لانه أشق فكان أفضل وفي الحديث « خيركم من طال عمره وحسن عمله » والجواب عن هذه بأن لا حجة لهم في شيء من ذلك أما كون عبادتهم أشق بل عبادة البشر أشق لما فيهم من دواعي الخلاف والتقاعد والفتور وانما يدل جميع ذلك على قوة الملائكة وهذا مسلم ولا حجة لهم أيضا في الحديث لانه خطاب للبشر خاصة ولا يلزم من تفاضل أحد الانواع بشيء التفضيل به في غيره كما لا يخفى وأنت اذا تأملت ما نقلوا حق التأمل وجدته غير دال على مطلوبهم وقد قامت الادلة من الطرف الآخر على تفضيل الانبياء وكذلك من ألحقناهم بهم في التفضيل في الجملة ولا يذهب عليك أنه لا خلاف في فضيلة الملائكة وانما الخلاف في أفضليتهم على خواص بني آدم هذا وقد قال بعض العلماء مسئلة تفضيل البشر على الملك أو الملك على البشر ليست مما يضر اعتقاده ويضر الجهل به ولو لقي العبد ربه ساذجا من المسئلة بالكلية لم يكن عليه اثم فما هي مما كلف الناس بمعرفته

وقال القاضي تاج الدين السبكي الناس ثلاثة رجل عرف ان الانبياء أفضل من الملائكة واعتقده بالدليل وآخر جهل هذه المسئلة ولم يشتغل بها بالكلية وهذان لا ضرر عليهما قال وثالث قضى أن الملك أفضل وهذا على خطر وهل ينال من قضى بتفضيل الانبياء على خطر بكون الساذج أسلم منه أولا نه ناج لاصابة الحق من الخطر هذا موضع نظر قال والذي أفهمه عن الوالد السلامة في السكوت عن هذه المسئلة وان الدخول في

التفضيل بين هذين الصنفين الكريمين على الله تعالى من غير ورود دليل قاطع دخول في خطر عظيم وحكم في مكان لسنا أهلا للحكم فيه وقد جاءت أحاديث تحسم اشارتها مادة الدخول في ذلك فان قوله صلى الله عليه وسلم «لا تفضلوني على يونس بن متى» ونحوه ونحن على قطع بأنه صلى الله عليه وسلم أفضل من يونس عليه السلام ولم يختلف في ذلك أحد انما اشارة الى أنكم لا تدخلون في أمر لا يعنيكم وما للسوقة والدخول بين الملوك وأعني بالسوقة في هذا أمثالنا و بالملوك الانبياء والملائكة عليهم السلام وقد علمت مذاهب الناس مما أسلفنا والله أعلم

(التنبيه الرابع) اختلف في تكليف الملائكة عليهم السلام وعدمه قال العلامة شمس الدين بن مفلح في كتابه الفروع ما نصه قال ابن حامد في كتابه الجن كالانس في التكليف والعبادات قال ومذاهب العلماء اخراج الملائكة من التكليف والوعد والوعيد انتهى وتقدم الكلام على الجن وكذا قال في الفروع قبيل باب الامامة في كلام أبي المعالي ان كشف العورة خاليا هي مسئلة سترها عن الملائكة والجن قال وكلام صاحب المحرر وظاهر كلامهم يجب عن الجن لانهم مكلفون أجانب وكذا عن الملائكة مع عدم تكليفهم لان الآدمي مكلف وقد أمر الشارع في خبر بهز بن حكيم بحفظها عن كل أحد الا من زوجته وأمته وهذا مع العلم بحضورهم انتهى ملخصا ولعل مراده اخراجهم عن التكليف بما كلفنا به لا مطلقا والا فهم مكلفون قطعا قال ابن جماعة في شرح بدء الامالي المكلفون على ثلاثة أقسام قسم كلف من أول الفطرة قطعا وهم الملائكة وآدم وحواء عليهم السلام وقسم لم يكلف من أول الفطرة وهم أولاد آدم وقسم فيهم نزاع والظاهر أنهم مكلفون من أول الفطرة وهم الجان انتهى قلت الكتاب والسنة ظاهرهما تكليف الملائكة اذ فيهما لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير يسبحون الليل والنهار لا يفترون يخافون ربهم من فوقهم) وقال (وهم من خشيته مشفقون اذ اوحيت الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا) وهذا كله تكليف وناشئ عن التكليف والاحاديث طافحة بمعنى ذلك والله أعلم

(الخامس) في ذكر بعض التفضيل بين المعلومات قال العز بن عبد السلام الجواهر

والاجسام كلها متساوية من جهة ذواتها وانما يفضل بعضها على بعض بصفة تعاوار عليها وانتسابها الى الاوصاف الشريفة في التفاضل النفيسة وأوصلها تلميذه القرافي في كتابه أنوار البروق الى عشرين قاعدة أولها تفضيل المعلوم على غيره بذاته دون سبب يعرض له يوجب التفضيل له على غيره وله مثل أحدها الواجب لذاته المستغني في وجوده عن غيره كذات الله تعالى وصفاته الثاني العلم حسن لذاته وهو أفضل من الظن لانعدام الجهل معه وتجويز الجهل مع الظن وذلك لذات العلم لا لصفة قامت به كما ان الجهل نقيصة لذاته لا لصفة قامت به أوجبت نقصه بخلاف الجاهل والعالم نقص الجاهل لصفة قامت به وهي الجهل وفضل العالم بصفة قامت به وهي العلم الثالث الحياة أفضل من الموت لذاتها لا لمعنى أوجب لها ذلك وسبب تفضيلها كونها تأتى معها العلوم والقدر والارادات وغير ذلك من التصرفات وصفات الكمال كالنبوة والرسالة والولاية وغيرها وتعذر جميع ذلك مع الموت يعني ابتداء ذلك وان لم تنقطع هذه الاشياء بالموت ولا تنفى ولا تضمحل بل تدوم وتستمر وذلك الحياة لذاتها لا لمعنى أوجب لها ذلك الثانية التفضيل بالصفات الحقيقة القائمة بالمفضل كتفضيل العالم على الجاهل والفاعل المختار على الموجب بالذات بسبب الارادة والاختيار القائم به وتفضيل القادر على العاجز بسبب القدرة الوجود به القائمة به فهذا كله تفضيل بالصفات القائمة بالمفضل لذاته و به خالف القاعدة الاولى الثالثة التفضيل بطاعة الله تعالى كتفضيل المؤمن على الكافر وتفضيل أهل الكتاب على عبدة الاوثان فأحل تعالى ذبائحهم وأباح تزويجنا من نسائهم دون عبدة الاوثان فانه جعل ما ذبحوه كالميتة وتصرفهم فيه بالذكاة كتصرف الحيوان البهيم من السباع والكواسر في الانعام لا أثر لذلك وجعل نساءهم كالاخوات والحمير محرمات الوطء كل ذلك اهتضام لهم لجحدهم الرسالة والرسل وكتفضيل الولي على آحاد المؤمنين المقصرين في الطاعة وقيل لاقتصارهم على أصل الدين الواجب وكثرة طاعة الولي و بذلك سمي وليا أي تولى الله بطاعته وقيل لان الله تعالى تولاه بلطفه ولذلك أيضا تفاضل الاولياء بينهم بكثرة الطاعة فمن كان أكثر تقربا الى الله تعالى كانت رتبته في الولاية أعظم وكتفضيل الشهيد على غيره من حيث الجملة

لأنه أطاع الله تعالى ببذل نفسه وماله في نصرة دينه وأعظم بذلك طاعة وكتفضيل العلماء على الشهداء كما جاء في الحديث «ما جميع الأعمال في الجهاد الا كنقطة في بحر وما الجهاد وجميع الأعمال في طلب العلم الا كنقطة في بحر» وفي حديث آخر «لو وزن مداد العلماء ودم الشهداء لرجح (١) بسبب طاعة العلماء لله تعالى بضبط شرائعه وتعظيم شعائره التي من جملتها الجهاد وهداية العباد الى الملك الجواد وتوصل معالم الاديان الى يوم الدين ولولا سعيهم في ذلك من فضل الله تعالى لانقطع الجهاد وغيره ولم يبق على وجه الارض من يقول الله وكل ذلك من نعم الله عليهم قلت هذا انتصار للقول بأفضلية العلم على الجهاد وهو مذهب أبي حنيفة ومالك رضي الله عنهما فعندهما العلم تعلمه وتعليمه أفضل من الجهاد وهي رواية عن الامام أحمد أيضا لان العلم هو الدليل المرشد وقد قال الامام أبو الوفا بن عقيل ومما أنعم الله علي ان حبب الي العلم فهو أسنى الاعمال وأشرفها قال ابن مفلح في فروعه واختاره أي القول بأن العلم أفضل الاعمال غيره من علمائنا ولفظ الرواية العلم أفضل الاعمال لمن صحت نيته قيل فأي شيء تصحيح النية قال ينوي ٧ يتواضع فيه وينفي عنه الجهل نقله مهنا

الرابعة التفضيل بكثرة الثواب الواقع في العمل وله مثالات منها الايمان أفضل من جميع الاعمال بكثرة ثوابه فان ثوابه الخلود في الجنان والخلوص من النيران ومن غضب الديان ومنها صلاة الجماعة فانها أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين صلاة ومنها الصلاة في أحد المساجد الثلاثة ومنها صلاة القصر أفضل للمسافر من الاتمام وان كان الاتمام أكثر عملا

الخامسة التفضيل لشرف الموصوف منها صفات الله تعالى من علمه وكلامه وقدرته وارادته وسائر الصفات المنسوبة الى الله تعالى أفضل من غيرها لوجوه منها شرف الموصوف ومنها صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم كعلمه وكرمه وشجاعته وحلمه

(١) لعله سقط من الاصل شيء ولفظ المروي «يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء» ذكره في الاحياء وقال العراقي أخرجه ابن عبد البر بسند ضعيف وذكر له شارح الاحياء تخاريج أخرى ضعيفة وفيها زيادة «فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء» اه مصححه

وجميع ما هو صفة لنفسه الكريمة له الشرف والفضل على صفاتنا من وجوه أحدها شرف الموصوف

السادسة التفضيل بشرف المدلول وله أمثلة منها تفضيل الاذكار الدالة على ذات الباري وصفاته العلى وأسمائه الحسنى ومنها تفضيل الآيات المتعلقة بالله كقل هو الله أحد على الآيات المتعلقة في أبي لهب كتبت يدا أبي لهب ومنها الآيات الدالة على الوجوب والتحريم أفضل من الآيات الدالة على الاباحة والكراهة والندب لاشتمالها على الحث على أعلا رتب المصالح والزجر عن أعظم المفاسد

السابعة التفضيل بشرف الدلالة لا بشرف المدلول كشرف الحروف الدالة على الاوصاف الدالة على كلام الله تعالى فان ذلك أوجب شرفها على جميع الحروف لهذه الدلالة وأمر الشرع بتعظيمها فلا تمسك الاعلى طهارة ويكفر من أهانها بالقاذورات وله وقع عظيم في الدين فلا يجوز اخراجها عن بلاد المسلمين الى بلاد الكافرين خشية ان ينالها أيديهم قلت وهذا على حسب اعتقاده من أنها مخلوقة وليست هي من كلام رب العالمين والحق ان ما بين دفتي المصحف كلام رب العالمين وحبله المتين والله أعلم

الثامنة التفضيل بشرف المتعلق كتفضيل العلم على الحياة فان الحياة لا تتعلق بشيء بل لها موصوف فقط والعلم له موصوف ومتعلق فله مزية شرف بذلك وكذلك القدرة والارادة والسمع بالاصوات والبصر بجميع الموجودات المبصرات

التاسعة التفضيل بشرف المتعلق كتفضيل المتعلق بذات الله وصفاته على غيره من العلوم وكتفضيل الفقه على الطب لتعلقه بأحكام الله تعالى وهذا القسم غير المدلول فكل مدلول متعلق وليس كل متعلق مدلولا لان الدلالة والمدلول من باب الالفاظ والحقائق الدالة كالصنعة على الصانع فانها تدل عليه وأما العلم ونحوه فلا يقال له دال بل هو مدلول في نفسه وليس بدليل على غيره بل له متعلق خاصة وهو معلومه وكذلك الارادة المتعلقة بالخير أفضل من الارادة المتعلقة بالشرور والنية في الصلاة أفضل من النية في الطهارة لأنها متعلقة بالمقاصد والثاني بالوسائل والمقاصد أفضل من الوسائل والمتعلق بالافضل أفضل

العاشرة التفضيل بكثرة التعلق كتفضيل علم الله تعالى على قدرته وارادته وسمعه و بصره لتعلقه بجميع الواجبات والممكنات والمستحيلات واختصاص الارادة بالممكنات وجودا وعدما والقدرة بوجود الممكنات خاصة واختصاص السمع بالمسموعات على ماتقدم

الحادية عشر ٧ التفضيل بالمجاورة كتفضيل جلد المصحف على سائر الجلود

الثانية عشر التفضيل بالحلول كتفضيل قبره صلى الله عليه وسلم على جميع بقاع الارض وحكاه القاضي عياض اجماعاً والمراد والاعضاء الشريفة فيه وفي بدائع الفوائد للمحقق ابن القيم قال ابن عقيل سألني سائل أيما أفضل حجرة النبي صلى الله عليه وسلم أو الكعبة فقلت ان أردت مجرد الحجرة فالكعبة أفضل وان أردت وهو صلى الله عليه وسلم فيها فلا والله ولا العرش وحملته ولا جنة عدن ولا الافلاك الدائرة لان بالحجرة جسداً لو وزن بالكونين لرجح انتهى

الثالثة عشر التفضيل بسبب الاضافة كقوله تعالى (أولئك حزب الله) أضافهم اليه تعالى ليشرفهم بالاضافة اليه واضافة البيت اليه تعالى وكذا الناقة ونحوها

الرابعة عشر التفضيل بالانساب والاسباب كتفضيل ذريته عليه السلام على جميع الذراري بسبب نسبهم المتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم وكتفضيل نسائه على جميع النساء وان تفاوتت في ذلك

الخامسة عشر التفضيل بالثمرة والجدوى كتفضيل العالم على العابد لان العلم يثمر صلاح الخلق وهدايتهم الى الحق بالتعليم والارشاد وأما العبادة فقاصرة على محلها ومن هذا الوجه تفضيل الرسالة على النبوة

السادسة عشر التفضيل باكثرية الثمرة بأن تكون الحقيقتان لكل واحد منهما ثمرة لكن ثمرة أحدهما(٧)أعظم وجدواها أكثر كثمرة علم الفقه وعلم الهندسة فان كلاهما مثمر أحكاما شرعية لان الهندسة يستعان بها في الحساب والمساحات والحساب يدخل في المواريث وغيرها والمساحات تدخل في الاجارات ونحوها من نوادر المسائل الفقهية الا أنها بالنسبة الى مسائل الفقه قليلة فثمرة الفقه أعظم وعلم النحو أنفع من علم المنطق وعلم الاصول أنفع من علم النحو وكل علم بحسب ثمرته والله أعلم

السابعة عشر التفضيل بالتأثير كقدرة الله تعالى على العلم والكلام بالنسبة للتأثير فانها مؤثرة في تحصيل وجود الممكنات والعلم تابع فمن حيث سعة المتعلق والعموم فالعلم أفضل ومن حيث التأثير فالقدرة والله أعلم وكذلك الارادة بالنسبة الى الحياة فان الارادة مؤثرة للتخصيص في الممكنات بزمانها وصفاتها الجائزة عليها والحياة لا تؤثر ايجادا ولا تخصيصا وليس في صفات الله السبعة التي تثبتها الصفاتية الا القدرة والارادة فقط.

الثامنة عشر التفضيل بجودة البنية والتركيب كتفضيل الملائكة الكرام عليهم السلام على الجان بسبب جودة أبنيتهم وحسن تركيبهم فانهم خلقوا من نور فجبريل يسير من العرش الى العرش مسيرة سبعة آلاف سنة لحظة واحدة ويحمل مدائن قوم لوط الخمسة من تحت الارض على جناحه ولا يضطرب منها شيء بل يقتلها من تحتها ويصعد بها الى الجو ثم يقلبها وهذا عظيم والملك الواحد من الملائكة يقهر الجمع العظيم من الجان ولهذا سأل سليمان عليه السلام ربه ان يولي على الجان الملائكة ففعل له ذلك فهم الزاجرون لهم عند العزايم وغيرها التي يتعاطاها أهل هذا العلم فيقسمون على الملائكة بتلك الاقسام التي تعظمها الملائكة فتفعل في الجان ما يريده المقسم عليهم بتلك الاسماء العظيمة كذا زعم القرافي (١) قال وكانوا قبل زمن سليمان عليه السلام يخالطون الناس في الاسواق ويعبثون بهم عبثا شديدا فلما رتب سليمان عليه السلام هذا الترتيب وسأله من ربه انحازوا الى الفلوات والخراب من الارض فقلت أذيتهم والملائكة عليهم السلام تراقبهم في ذلك فمن عبث منهم وعثا ردوه أو قتلوه كما يفعل ولاة بني آدم مع سفهائهم قال وما سبب اقتدار الملائكة على الجان إلا فضل أبنيتهم ووفور قوتهم فهم مفضلون على الجان من هذا الوجه مضافا لبقية الوجوه ومن هذه الحيثية فضلت الملائكة على البشر قال القرافي فان الصحيح أن البشر أفضل على تفصيل فيه فاذا ورد نص في تفضيل الملك حمل ذلك التفضيل والثناء على الابنية

---

(١) أشار المؤلف الى البراءة من هذا القول وله الحق فهو من الخرافات والقول في عالم الغيب بغير برهان ومثله عامة ماقاله القرافي في هذا الباب اهـ مصححه.

وجودة التركيب اذا كان النص يحتمل ذلك فتندفع أكثر الاسئلة والنقوض عن المستدل على افضلية الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه ولا نزاع أن الملائكة في أبنيتهم ٧ وأبنية بني آدم ضعيفة بالنسبة الى أبنية الملائكة فتحمل نصوص التفضيل على ذلك وكذلك تفضيل الجان في الابنية وجودة التركيب على بني آدم ومن ثم الجان يعيشون الآلاف من السنين ولا تعرض لهم الامراض والاسقام التي تعرض لبني آدم بسبب ان أجسادهم ليست مشتملة على الرطوبات وأجرام الاغذية فلا يحصل لهم التعفن والآفات الناشئة عن الرطوبات ومن حيث جودة العنصر وحسن التركيب فضل الذهب على الفضة

التاسعة عشر التفضيل باختيار الله تعالى لمن يشاء على من يشاء ولما يشاء على مايشاء فيفضل أحد المتساويين على الآخر من كل وجه كتفضيل شاة الزكاة على شاة التطوع وكتفضيل فاتحة الكتاب داخل صلاة الفرض على الفاتحة خارج الصلاة وقال ابن عبد السلام الفضائل ضربان أحدهما فضل الجمادات كفضل الجوهر على الذهب وفضل الذهب على الفضة وفضل الفضة على الحديد وفضل الانوار على الظلمات وفضل الشفاف على غير الشفاف وفضل اللطيف على الكثيف والنير على المظلم والحسن على القبيح والضرب الثاني فضائل الحيوان وهي اقسام أحدها حسن الصور (الثاني) قوة الاجسام كالقوى الجاذبة والممسكة والدافعة والغاذية والقوى على الجهاد والقتال وحمل الاعباء والاثقال (والثالث) الصفات الداعية الى الخير والوازعة عن الشر كالغيرة والنخوة والحياء والشجاعة والسخاء والحكم (الرابع) العقول (الخامس) الحواس (السادس) العلوم المكتسبة وهي أقسام كمعرفة وجود الاله وصفاته الذاتية والسلبية والفعلية ومعرفة ارسال الرسل وانزال الكتب وتنبئة الانبياء ومعرفة ماشرع الله من الاحكام الخمسة وأسبابها وشرطها وموانعها ومعرفة الأحوال الناشئة مماذكر من المعارف كالخوف والرجاء والمحبة والتوكل والتعظيم والاجلال والقيام بطاعة الله تعالى في كل ماأمر به ونهى عنه ومارتبه الله تعالى على هذه المعارف والاحوال والطاعات من لذات الآخرة وافراحها بالنعيم الجسماني والروحاني كلذة الامن من عذاب

الله والانس بقربه وجواره وسماع كلامه وسلامه مصحوبة بالرضا الدائم والنعيم المقيم والنظر الى وجهه الكريم مع الخلاص من العذاب الاليم فهذه فضائل بعضها أفضل من بعض فمن اتصف بأفضلها كان أفضل البرية ولا شك ان معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته ولذات رضاه والنظر الى وجهه الكريم أفضل مما عداهن وأفضل الملائكة من قام به أفضل هذه الصفات وان تساوى اثنان من الملائكة في ذلك لم يفضل أحدهما على الآخر وكذا ان تساوى الملك والبشر في ذلك لم يفضل أحدهما على الآخر فان فضل الملك على البشر بشيء من ذلك كان أفضل منه وان فضل البشر على الملك بشيء من ذلك كان أفضل منه والفضل منحصر في أوصاف الكمال والكمال إما بالمعارف والطاعات والاحوال وإما بالافراح والذات فاذا أحسن الله تعالى الى أجساد الانبياء بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وأحسن الى أرواحهم بالمعارف الكاملة والاحوال المتوالية وأذاقهم لذة النظر اليه وسرور رضاه عنهم وكرامة تسليمه عليهم فاين للملك مثل هذا واعلم ان الاجساد مساكن الارواح وللساكن والمسكن أحوال أحدها ان يكون الساكن أشرف من المسكن الثانية ان يكون المسكن أشرف من الساكن الثالثة ان يستويا في الشرف فلا يفضل أحدهما على الآخر واذا كان الشرف للساكن فلا مبالاة بخساسة المسكن واذا كان الشرف للمسكن فلا يتشرف به الساكن والاجساد مساكن الارواح ثم ذكر اختلاف الناس في التفضيل الواقع بين البشر والملك فقال ان فاضل بينهما من جهة تفاوت الاجساد التي هي مساكن الارواح فاجساد الملائكة أشرف وأفضل من أجساد البشر المركبة من الاخلاط وان فاضل بين أرواح البشر وأرواح الملائكة مع قطع النظر عن الاجساد التي هي مساكن الارواح فارواح الانبياء أفضل من أرواح الملائكة لانهم فضلوا عليهم بالارسال ورسل الملائكة قليل لأن رسول الملائكة يأتي الى نبي واحد ورسول البشر يأتي الى الامم والى أمة واحدة فيهديهم الله تعالى على يديه فيكون له أجر تبليغه ومثل أجر من اهتدى على يديه وليس مثل هذا للملائكة و بالجهاد في سبيل الله و بالصبر على مصائب الدنيا ومحنها والله تعالى يحب الصابرين ولا عبرة بفضل أجساد الملائكة على أجساد الانبياء لان الاجسا

مساكن ولاشرف بالمساكن وانما الشرف بالاوصاف القائمة بالساكن فالاعتبار بالساكنين دون المساكن فان الانبياء قد سكنوا في بطون أمهاتهم مع القطع بأنهم أفضل من أمهاتهم فروح المسيح أفضل من جسد مريم وكذلك روح ابراهيم أفضل من جسد أمه وروح نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أفضل من جسد أمه

فاذا تقرر هذا في أسباب التفضيل فاعلم ان هذه الاسباب الموجبة للتفضيل قد تتعارض فيكون الافضل من حاز أكثرها وأفضلها وقد يختص المفضول ببعض الصفات الفاضلة ولا يقدح ذلك في التفضيل عليه كقوله صلى الله عليه وسلم أقضاكم علي وأفرضكم زيد وأقرؤكم أبي وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأزهدكم أبو ذر رضي الله عنهم مع ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه أفضل من الجميع وكذلك الانبياء فخص سليمان بالملك العظيم ونوح بالانذار المبين من السنين ٧ وآدم أبا البشر مع تفضيل محمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين فلولا جواز تخصيص المفضول بما ليس للفاضل للزم التناقض فلا جرم علمنا ان التفاضل ما بين الملائكة والانبياء عليهم السلام انما هو بالطاعات وكثرة المثوبات والاحوال السنيات وشرف النبوات والرسالات والدرجات العليات فكل من كان فيها أتم فهو أفضل وفيما ذكر من تعداد أسباب التفضيل الرد على المأمون بن هرون الرشيد الخليفة في زعمه ان أسباب التفضيل أربعة وكلها في علي رضي الله عنه أكمل منها في غيره فزعم أنه أفضل الصحابة وهي العلم والشجاعة والكرم وشرف النسب وأخذ يرد على الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ويرد على أهل السنة فبطل بما ذكر دعوى هذا الحصر وكان المأمون هذا رافضيا معتزليا قدريا ومسائل التفضيل كثيرة بين الانبياء والصحابة والملائكة والله تعالى أعلم وقد بسطنا العبارة وذكرنا ما لعله يفيد المطلوب غير ان الاعراض عن كثير مما ذكر كان أليق بشرح هذه الارجوزة وبالله التوفيق

الباب السادس

﴿ في ذكر الامامة ومتعلقاتها ﴾

﴿ ولا غنى لامة الاسلام　　في كل عصر كان عن امام ﴾
﴿ يذب عنها كل ذي جحود　　ويعتني بالغزو والحدود ﴾
﴿ وفعل معروف وترك نكر　　ونصر مظلوم وقمع كفر ﴾
﴿ وأخذ مال الفيء والخراج　　ونحوه والصرف في منهاج ﴾

قال علماؤنا كغيرهم نصب الامام الاعظم فرض كفاية لان الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على ان نصبه واجب بعد انقراض زمن النبوة بل جعلوه أهم الواجبات حيث اشتغلوا به عن دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلافهم في تعيينه لايقدح في الاجماع المذكور ولتلك الاهمية لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قام أبو بكر رضي الله عنه خطيبا فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لايموت فلا بد لهذا الامر ممن يقوم به فانظروا وهاتوا آراءكم قالوا صدقت ننظر فيه فلهذا قلنا (ولا غنى) ولا مندوحة ولابد (لامة) دين (الاسلام) وهي بالضم الجماعة أرسل اليهم رسول والجيل من كل حي ومن هو على الحق مخالف لسائر الاديان والرجل الجامع للخير وفي نسخة لملة بدل أمة وهي بكسر الميم الشريعة أو الدين (في كل عصر) من الاعصار وزمن من الازمان (كان) أي وجد وحصل واستمر (عن امام) متعلق بقوله لا غنى بل هو فرض لازم وواجب جازم ووجوبه عند أهل السنة وأكثر المعتزلة بالسمع يعني التواتر والاجماع وزعم جمهور المعتزلة أن وجوبه بالعقل ووجوبه شرعا لمسيس الحاجة اليه فانه صلى الله عليه وسلم أمر باقامة الحدود وسد الثغور وتجهيز الجيوش للجهاد وحماية البيضة والذب عن الحوزة ولذا قال (يذب) بفتح المثناة التحتية وضم الذال المعجمة وتشديد الموحدة أي يدفع ويمنع (عنها) اي عن الاسلام وبيضة الدين (كل) ملك جبار وملحد مغوار ومعتد مهذار

وظالوم كفار ﴿ ذي ﴾ اي صاحب ﴿ جحود ﴾ اي انكار يقال جحده حقه وبحقه كنعه جحدا وجحود انكره مع علمه والمراد به هنا الجاحد للدين القويم والضال عن الصراط المستقيم واضرابه ﴿ ويعتني ﴾ ذلك الامام المنصوب يقال عناه الامر يعنيه ويعنوه عناثة وعناية وعنيا اهمه واعتنى به اهتم ﴿ بالغزو ﴾ اسيء غزو الكفار وقهر اهل البغي والفجار يقال غزاه غزوا اراده وطلبه وقصده كاغتزاه وغزا العدو سار الى قتالهم وانتهابهم غزوا وغزوانا وغزاوة فهو غاز فيقاتل من عاند الاسلام بعد الدعوة حتى يسلم او يدخل في الذمة ﴿ و ﴾ يعتني الامام المنصوب ايضا باقامة ﴿ الحدود ﴾ جمع حد وهو لغة المنع والفصل بين شيئين وحدود الله تعالى محارمه كقوله تعالى (تلك حدود الله فلا تقربوها) وحدود الله ايضا ماحده وقدره والحدود العقوبات المقدرة سميت بذلك لأنها تمنع من الوقوع في مثل الذنب الذي رتبت تلك العقوبة عليه أو لكونها زواجر عن أي المحارم التي حرمها الله تعالى فيقيم الحدود لتصان محارم الله تعالى عن الانتهاك وتحفظ حقوق العباد من الاتلاف والاستهلاك ﴿ و ﴾ يعتني أيضا بالامر : ﴿ فعل معروف ﴾ وقد تكرر ذكره في الاحاديث النبوية والنصوص السماوية وهو اسم جامع لكل ماعرف من طاعة الله والتقرب اليه والاحسان الى الناس وكلما ندب اليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات وهو من الصفات الغالبة أي أمر معروف بين الناس اذا رأوه لاينكرونه ﴿ وترك نكر ﴾ معطوف على ماقبله أي ويعتني أيضا بالنهي عن كل منكر وهو ضد معروف فكل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه فهو منكر ﴿ و ﴾ يعتني المنصوب : ﴿ نصر مظلوم ﴾ من ظالمه بتخليصه من نحو سجنه ورد ظلامته عليه من ظالمه وأخذ حقه ممن هو عليه ونحو ذلك ﴿ وقمع ﴾ أهل ﴿ كفر ﴾ أي قهرهم وذلهم يقال قمعه كمنعه واقمعه والمقموع المقهور لان ذلك من أجل المقاصد الشرعية والمصالح الاسلامية ﴿ و ﴾ يعتني أيضا : ﴿ أخذ مال الفيء ﴾ اصل الفيء مصدر فاء يفيء فيه اذا رجع ثم أطلق على المال الحاصل من جهاته المذكورة في كتب الفقه سمي فيئا لانه راجع منها الى أهل الاسلام كأنه في الاصل لهم ثم رجع اليهم قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه في السياسة الشرعية سمي فيئا لان الله

تعالى أفاءه على المسلمين أي رده عليهم من الكفار فان الاصل ان الله تعالى انما خلق الاموال اعانة على عبادته لانه تعالى انما خلق الخلق لعبادته فالكافرون به أباح أنفسهم التي لم يعبدوه بها وأموالهم التي لم يستعينوا بها على عبادته لعباده المؤمنين الذين يعبدونه فأفاء اليهم مايستحقونه كما يعاد على الرجل ماغصب من ميراثه وإن لم يكن قبضه قبل ذلك وهو ماأخذ من مال كافر بحق الكفر بلا قتال كالجزية (والخراج) وزكاة تغلبي وعشر مال تجارة حربي ونصفه من ذمي (ونحوه) أي نحو ماذكر كالمال الذي تركه الكفار فزعا وهربوا وبذلوه فزعا مالنا في المتدنة وغيرها وخمس الخمس من الغنيمة ومال من مات من الكفار ولا وارث له ومال المرتد اذا مات على ردته بقتل أو غيره أو لحق بدار حرب (و) يعتني أيضا (المصرف) لذلك المال المذكور (في منهاج) أي طريق وجهة مصرفه المبينة له شرعاً فيصرف في مصالح أهل الاسلام و يبدأ من ذلك بالاهم فالاهم من المصالح العامة لاهل الدار التي بها حفظ المسلمين من وطائف جند الاسلام وعمارة الثغور وكفاية أهلها ومايحتاج اليه من يدفع عن المسلمين من السلاح والكراع وسد البثوق وكرى الانهار وعمل القناطر على الطرق والمساجد وارزاق القضاة والأئمة والمؤذنين والفقهاء ومن يحتاج اليه المسلمون وكلما يعود نفعه على المسلمين فان فضل منه شيء قسم بين المسلمين غنيهم وفقيرهم نعم لا يفرد العبد بالعطاء بل يزاد سيده واختار شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه أنه لاحظ لرافضة فيه ذكره المحقق ابن القيم في كتابه زاد المعاد في هدي خير العباد عن الامامين مالك وأحمد رضي الله عنهما

وكل ماذكر من اقامة الحدود وسد الثغور وحفظ بيضة الاسلام واجب وما لا يتم الواجب المطلق الا به فهو واجب فلهذا قلنا ولاغنا لملة الاسلام عن اقامة امام فنصبه فرض كفاية اذ في نصبه جلب منافع لا تحصى ودفع مضار لاتستقصى وكل ما كان كذلك فهو واجب فان جلب المنافع ودفع المضار المترتبة على نصب الامام تكاد تلحق بالضروريات بل بالمشاهدات بشهادة ماتراه من الفتن والفساد وانفصام أمور العباد بمجرد موت الامام وان لم يكن على ماينبغي من الصلاح والسداد فاقامة الامام فرض كفاية عند أهل السنة ومن وافقهم بالاجماع

وعند من قال بالوجوب عقلا من المعتزلة كأبي الحسن والجاحظ والخياط والكعبي فبالضرورة وأما مخالفة الخوارج ونحوهم في الوجوب فلا اعتداد بها لان مخالفتهم كسائر المبتدعة غير قادح في الاجماع ولا يخل بما يفيده من القطع بالحكم المجمع عليه ودعوى ان في نصبه ضررا من حيث ان إلزام من هو مثله بامتثال أو أمره فيه اضرار به فيؤدي الى الفتنة ومن حيث أنه غير معصوم من نحو الكفر والفسوق فان لم يعزل أضر بالناس وان عزل أدى الى محاربة وفيها ضرر أي ضرر باطلة لا ينظر اليها لان الاضرار اللازم من ترك نصبه أعظم وأقبح بل لا نسبة بينهما واذا اجتمع ضرران دفع أعظمها باخفهما وجوبا وفرض انتظام الناس بدون امام محال عادة كما هو مشاهد

﴿ ونصبه بالنص والاجماع ... وقهره فحل عن الخداع ﴾

﴿ وشرطه الاسلام والحرية ... عدالة سمع مع الدرية ﴾

﴿ وان يكون من قريش عالما ... مكلفا ذا خبرة وحاكما ﴾

﴿ و ﴾ يثبت ﴿ نصبه ﴾ أي الامام الاعظم ﴿ بالنص ﴾ من الامام على استخلاف واحد من أهلها بان يعهد الامام بالامامة الى انسان ينص عليه بعده ولا يحتاج في ذلك الى موافقة أهل الحل والعقد (١) كما عهد أبو بكر الصديق بالخلافة الى عمر الفاروق رضي الله عنهما ﴿ و ﴾ يثبت نصبه أيضا بـ ﴿ الاجماع ﴾ من أهل الحل والعقد من المسلمين كامامة الصديق الاعظم أبي بكر رضي الله عنه وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا بايعه أهل الحل والعقد من العلماء ووجوه الناس الذين هم بصفة الشهود من العدالة وغيرها ثبتت امامته وكذا بجعل الامر شورى في عدد محصور ليتفق أهل البيعة على أحدهم فاتفقوا على واحد منهم صار اماما كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث جعل أمر الامامة بين ستة أنفار حتى وقع اتفاقهم على عثمان بن عفان رضي الله عنه وعنهم أجمعين ﴿ و ﴾ يثبت نصبه أيضا بـ ﴿ قهره ﴾ الناس بسيفه حتى يذعنوا له ويدعوه اماما فتثبت له الامامة

(١) ان أهل الحل والعقد رضوا بعمر فقوله هذا الادليل عليه

قال الامام أحمد رضي الله عنه في رواية عبدوس بن مالك العطار ومن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين فلا يحل لاحد يؤمن بالله يبيت ولا يراه اماما برا كان أو فاجرا انتهى لان عبد الملك بن مروان خرج على ابن الزبير رضي الله عنهما فقتله واستولى على البلاد وأهلها حتى بايعوه طوعا وكرها ودعوه اماما ولما في الخروج عليه من شق عصا المسلمين واراقة دمائهم وذهاب أموالهم ولهذا قال { فحل } أمر ارشاد أي ابعد وزل وعنه (لا ينون عنهم احولا) { عن الخداع } متعلق بحل من خدعه كمنعه خدعا وبكسر ختله وأراد به المكروه من حيث لا يعلم كاختدعه فانخدع والاسم الخديعة يعني اترك مخادعة أهل البدع وترويق مايظهرون من جواز الخروج على الامام وعن طاعته وزعمهم عدم وجوب نصبه فانهم ضالون ومن وافقهم صار منهم ثم أخذ في ذكر شروط الامام المنصوب وما يعتبر ان يكون فيه ومتصفا به على سبيل الوجوب { وشرطه } أي يشترط فيه { الاسلام } لان غير المسلم لا يكون له على المسلمين سبيل { والحرية } لان الرقيق بجميع أنواعه عليه الولاية فلا يكون واليا على غيره فضلا عن عامة المسلمين وخاصتهم وأما حديث «اسمعوا له وأطيعوا ولو ولي عليكم عبد اسود كان رأسه زبيبة» محمول على نحو أمير سرية ۰ وشرطه أي يشترط فيه أيضا { عدالة } لاشتراط ذلك في ولاية القضاء وهي دون الامامة العظمى نعم ان قهر الناس غير عدل فهو امام كما تقدم نص الامام أحمد رضي الله عنه في مثل ذلك ۰ و يعتبر فيه أيضا { سمع } أي ان يكون سميعا بصيرا ناطقا لان غير المتصف بهذه الصفات لا يصلح لسياسة الخلق { مع الدرية } بفتح الدال المهملة وكسر الراء وتشديد التحتية بهاء تأنيث من الدراية وهي العلم والخبرة يقال دريت الشيء ودريت به دريا ودرياناً بالكسر ودريا كحبلي علمته أو بضرب من الحيلة كما في القاموس وأريد به اعتبار كونه عالما بالاحكام المتعلقة بالسياسة والحروب ذا بصيرة قد علم بأحوال الناس ومكرهم وختلهم وخبر أحوالهم لاحتياج الامام الى جميع ذلك بخلاف المغفل فلا يصلح للامامة العظمى { و } يعتبر أيضا { أن يكون } الامام { من قريش } وهو من كان من نسل فهر بكسر الفاء وسكون

الماء بن مالك بن النضر واسمه قيس بن كنانة بن خزيمة بن مدركة واسمه عمرو بن الياس واسمه حبيب بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ففهر جماع قريش في قول الكلبي وغيره من العلماء في أنساب العرب وسموا قريشا لانهم كانوا يترشون عن خلة الناس بفتح الخاء المعجمة أي حاجتهم وفقرهم ومعناه ينقبون عنها ويستعلمونها ليغنوهم ويسدوا خلتهم وكان ذلك من قولهم تقارشت الرماح اذا تداخلت في الحرب لان المستعلم المستخبر يداخل أحوال الذي يطلب علم حاله ليحصل له مقصوده وقيل أنه مأخوذ من التقريش وهو التفتيش لانهم كانوا يفتشون الحاج فيطعمون الجائع ويكسون العاري ويحملون المنقطع قال الجوهري القرش الكسب والجمع وقد قرش يقرش بالكسر قال الفراء وبه سميت قريش وقيل سموا بدابة عظيمة تأكل الدواب في البحر وقيل غير ذلك وانما اشترط كونه من قريش لقوله صلى الله عليه وسلم «الائمة من قريش» رواه الامام أحمد وأبو يعلى في مسنديهما والطبراني من حديث أبي برزة رضى الله عنه وروى الترمذي نحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا ولفظه «الملك في قريش» وسنده صحيح وروى الامام أحمد أنه صلى الله عليه وسلم قال «الخلافة في قريش» ورواه الطبراني أيضا وروى البزار من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الامراء من قريش أبرارها أمراء أبرارها وفجارها أمراء فجارها» وفي الحديث «قدموا قريشا ولا تقدموها» وقول الصديق والمهاجرين للانصار ان العرب لا تدين الا لهذا الحي من قريش ورووا لهم في ذلك الاخبار ويعتبر ان يكون ﴿ عالما ﴾ بالاحكام الشرعية لاحتياجه الى مراعاتها في أمره ونهيه وان يكون ﴿ مكلفا ﴾ أي بالغا عاقلا لان غير البالغ العاقل يحتاج لمن يلي أمره فلا يكون واليا على أمر المسلمين وان يكون ﴿ ذا خبرة ﴾ بتدبير الامور المذكورة في البلاد والعباد ﴿ و ﴾ ان يكون ﴿ حاكما ﴾ أي قادرا على ايصال الحق الى مستحقه وكف ظلم المعتدي وقمع أهل الافتراء والاعتداء وقادرا على اقامة الحدود وقمع أهل الضلال والجحود لا تأخذه رأفة في اقامة الحدود والذب عن الامة فان عقدت لا كثر من واحد فهي للاول فان فسق الامام بعد العدالة

المقارنة للعدل لم ينعزل على الاصح الاشهر ولا تشترط عصمته في حال من الاحوال ولا كونه أفضل الامة ولا كونه هاشميا أو اظهار معجزة على يده يعلم بها صدقه خلافا للرافضة وهذا من خرافاتهم وجهالاتهم ومن جهالاتهم أيضا زعمهم ان غير المعصوم يسمى ظالما فيتناوله قوله تعالى (لا ينال عهدي الظالمين) اذ الظالم لغة من يضع الشيء في غير محله وشرعا العاصي ولا يلزم من كونه غير معصوم ان يكون عاصيا ولا ظالما لجواز كونه محفوظا فلا يصدر عنه ذنب أو اذا صدر منه ذنب تاب منه توبة نصوحا

﴿ وكن مطيعا أمره فيما امر ... مالم يكن بمنكر فيحتذر ﴾

(و) اذا عقدت له الامامة فصار اماما للمسلمين ف(كن مطيعا) أنت وسائر رعيته (أمره فيما) أي في الشيء الذي (أمر) به ان كان طاعة والحاصل ان طاعته تجب في الطاعة وتسن في المسنون وتكره في المكروه فاذا أمر بمعروف وجب امتثال أمره (مالم يكن) أمره (ب) شيء (منكر) ضد المعروف (ف) لا يطاع في ذلك بل (يحتذر) ويجتنب فلا تجب طاعته في المعصية بل تحرم اذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق قال شيخ الاسلام ابن تيمية في صدر كتابه السياسة الشرعية ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه انه قال «ان الله يرضى لكم ثلاثا ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وان تناصحوا من ولاه أمركم» قال وآية الامراء في كتاب الله تعالى هي قوله (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا، يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا) قال نزلت الآية الاولى في ولاة الامور عليهم أن يؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل ونزلت الآية الثانية في الرعية من الجيوش وغيرهم أن يطيعوا أولي الامر الفاعلين لذلك في قسمهم وحكمهم ومغازيهم وغير ذلك الا أن يأمروا بمعصية الله تعالى واذا أمروا بمعصية الله تعالى فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فان تنازعوا في شيء ردوه الى كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله

عليه وسلم وان لم يفعل ولاة الامور ذلك أطيعوا في ما يأمرون به من طاعة الله لان ذلك من طاعة الله ورسوله وأديت حقوقهم اليهم كما أمر الله ورسوله وأعينوا على البر والتقوى ولا يعاونون على الاثم والعدوان فعلى ولي الامران يولي على كل عمل من أعمال المسلمين أصلح من يجده لذلك العمل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «من ولي من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا وهو يجد أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين» رواه الحاكم في صحيحه وفي رواية «من قلد رجلا عملا على عصابة وهو يجد في تلك العصابة من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين» وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه «من ولي من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا لمودة أوقرابة بينهما فقد خان الله ورسوله والمسلمين» والله تعالى الموفق

﴿ فصل في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴾

ولما كان صلاح العباد في المعاش والمعاد لايتم ولا يصلح ولا يستقيم لهم حال الا بذلك قال

﴿ واعلم بأن الامر والنهي معا ... فرضا كفاية على من قدوعا ﴾
﴿ وان يكن ذا واحدا تعينا ... عليه لكن شرطه ان يأمنا ﴾
﴿ فاصبر وزل باليد واللسان ... لمنكر واحذر من النقصان ﴾

﴿واعلم﴾ أيها المتبحر في علم أصول الدين المحرر لدعائم الدين وقواعد الحق المبين ﴿ بأن الامر ﴾ أي بالمعروف وتقدم انه اسم جامع لكل ماعرف من طاعة الله والتقرب اليه والاحسان الى الناس كما تقدم قريبا ﴿والنهي﴾ عن المنكر وهو ضد المعروف ﴿معا﴾ أي كل واحد منهما منفردا وكلاهما ﴿ فرضا كفاية ﴾ على جماعة المسلمين يخاطب به الجميع ويسقط بمن يقوم به بخلاف فرض العين فانه يجب على كل واحد ولا يسقط عنه بفعل غيره ﴿ على من ﴾ أي انسان أو الذي ﴿ قد وعا ﴾ أي حفظ حكمه وعلمه وذلك لان اصلاح المعاش والمعاد انما هو بطاعة الله ورسوله وامتثال أوامره والانتهاء عن زواجره ولا يتم ذلك الا

بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وبه صارت هذه الامة خير أمة أخرجت للناس قال تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) وقال تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) وقال تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) وقال عن بني اسرائيل (كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) وفي الحديث الثابت عن أمير المؤمنين أبي بكر الصديق رضي الله عنه انه خطب الناس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أيها الناس انكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها على غير موضعها (ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم) واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ان الناس اذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه» وفي لفظ من عنده رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وابن ماجه والنسائي ولفظه اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ان القوم اذا رأوا المنكر فلم يغيروه عمهم الله بعقاب» وفي رواية لابي داود سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «مامن قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون على ان يغيروا ثم لايغيروا الا يوشك ان يعمهم الله منه بعقاب» وفي رواية ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك ان يعمهم الله بعقاب من عنده

﴿وان يكن ذا﴾ أي الذي علم بالمنكر وتحققه وشاهده وهو عارف بما ينكر ﴿واحداً﴾ أو كانوا عدداً لكن لايحصل المقصود الابهم جميعا ﴿تعينا﴾ أي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وصارا فرض عين ﴿عليه﴾ أو عليهم للزومه عليهم ﴿لكن شرطه﴾ أي شرط افتراضه على الجماعة أو الواحد سواء كانا فرض كفاية أو عين ﴿ان يأمنا﴾ بألف الاطلاق على نفسه وأهله وماله ولم يخف سوطا ولا عصاولا أذى ولا فتنة تزيد على المنكر وقيل ان زادت وجب الكف وان تساويا سقط الانكار قال الامام أحمد رضي الله عنه يأمر بالرفق والخضوع فان اسمعوه مايكره لايغضب فيكون يريد ان ينتصر لنفسه ولهذا قال ﴿فاصبر﴾ على الاذى ممن تأمره وتنهاه ولا تغضب لنفسك بل لله ﴿وزل﴾ المنكر وغيره من زاله عن مكانه

يزيله زيلا وأزاله إزالة وازالا ﴿ باليد﴾ وهو أعلا درجات الانكار وازالة المنكر كاراقة الخمر وكسر أواني الذهب والفضة والحيلولة بين الضارب والمضروب ونحوه ورد المغصوب الى مالكه ﴿ و﴾ غير المنكر ﴿ باللسان﴾ حيث لم تستطع تغييره باليد بان تعظه وتذكره بالله وأليم عقابه وتوبخه وتعنفه مع لين واغلاظ بحسب مايقتضيه الحال وقد يحصل المقصود في بعض الحال بالرفق والسياسة بازيد واتم مما يحصل بالعنف والرياسة كأن يقول لمن رآه متكشفا في نحو حمام استرسترك الله ونحو ذلك ﴿ لمنكر ﴾ متعلق بزل وفي نسخة بدل زل «ذد» اي اطرد وامنع للمنكر باليد واللسان ﴿ واحذر ﴾ من النزول عن أعلا المراتب حيث قدرت على ان تغير المنكر بيدك الى أوسطها وهو الانكار باللسان الامع العجز عن ذلك ثم انه لايسوغ لك العدول عن التغيير للمنكر باللسان وانت تقدر عليه الى الانكار بالقلب فان لم تستطع تغيير المنكر لا بيدك ولا بلسانك فاعدل الى الانكار بقلبك وهو اضعف الايمان فلذا احذر ﴿ من النقصان ﴾ واشار بذلك الى حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان» رواه مسلم والترمذي وابن ماجه والنسائي ولفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من رأى منكم منكرا فغيره بيده فقد برئ ومن لم يستطع ان يغيره بيده فغيره بلسانه فقد برئ ومن لم يستطع ان يغيره بلسانه فغيره بقلبه فقد برئ وذلك أضعف الايمان» وفي صحيح مسلم أيضا من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «مامن نبي بعثه الله في أمة قبلي الا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل» وفي هذا الباب عدة أحاديث وقد دلت كلها على انكار المنكر بحسب القدرة عليه وان انكاره بالقلب لابد منه فمن لم ينكر قلبه المنكر دل على ذهاب الايمان من قلبه وقد روي عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال قال علي رضي الله عنه

ان أول ماتغلبون عليـه من الجهاد الجهاد بايديكم ثم الجهاد بألسنتكم ثم الجه
بقلوبكم فمن لم يعرف قلبه المعروف و ينكر قلبه المنكر عكس فجعل أعلاه أسـ
وقال ابن مسعود رضي الله عنه هلك من لم يعرف المعروف وينكر المنكر بق
يشير الى أن معرفة المعروف والمنكر بالقلب فرض لا يسقط عن أحد فمن لم يعر
هلك وأما الانكار باليد واللسان فانما يجب بحسب الطاقة وفي سنن أبي داو
عن العرس بن عميرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اذا عمل
الخطيئة في الارض كان من شهدها فكرهها كمن غاب عنها ومن غاب عنها ورضيـ
كان كمن شهدها » وخرج ابن أبي الدنيا نحوه عن أبي هريرة مرفوعا واعلم ا
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع كون ذلك واجبا تارة يحمل عليه رجاء الثوا
وتارة خوف العقاب في تركه وتارة الغضب لله على انتهاك محارمه وتارة النصيحـ
للمؤمنين والرحمة لهم ورجاء انقاذهم مما أوقعوا أنفسهم فيه من التعرض لغضـ
الله وعقوبته في الدنيا والآخرة وتارة يحمل عليه اجلال الله واعظامه ومحبته وأ
أهل أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر وان يفتدى مـ
انتهاك محارمه بالنفوس والاموال كما قال بعض السلف وددت ان الخلق كلهم أطاعو
الله وان لحمي قرض بالمقاريض فمن لحظ ماذكرناه هان عليه ما يلقاه من الاذى
في الله عزوجل قال سفيان الثوري قدس الله روحه لا يأمر بالمعروف وينهى عن
المنكر الا من كانت فيه خصال ثلاث رفيق بما يأمر رفيق بما ينهى عدل بما يأمر
عدل بما ينهى عالم بما يأمر عالم بما ينهى وقال الامام أحمد رضي الله عنه الناس
يحتاجون الى مداراة ورفق الامر بالمعروف بلا غلظة الا رجل معلن بالفسق فلا حرمة له
ولاعتبار كون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر عدلا بما ينهى أشار بقوله

﴿ ومن نهى عما له قد ارتكب فقد أتى مما به يقضى العجب ﴾

﴿ فلو بدا بنفسه فذادها عن غيها لكان قد أفادها ﴾

﴿ومن﴾ أي أي انسان أو الذي ﴿نهى﴾ الخلق ﴿عما﴾ أي الشيء الذي ﴿له﴾ أي لذلك
الشيء الذي نهى الناس عنه ﴿قد ارتكب﴾ وفعله وخالف قوله عمله من فعل المحظو

وترك المأمور ﴿فقد﴾ والله ﴿أتى﴾ من قاله وحاله ﴿من ما﴾ أي من العمل الذي ﴿به﴾ أي منه ﴿يقضى﴾ بالبنائه لما لم يسم فاعله و ﴿العجب﴾ نائب الفاعل أي يقضي العقلاء وأهل العلم والحزم من مخالفة قوله لعمله العجب. أي يحكمون و يقطعون بالعجب وهو انكار مايرد عليك ويخفى سببه والمراد انه يعظم عليهم ذلك و يكبر لديهم ان ينهى عن القبيح و يأتيه و يأمر بالحسن ولا يأتيه وقد ورد التحذير عن مثل ذلك كما في حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتاب بطنه أي امعاؤه ومعنى تندلق أي تخرج فيدور فيها كما يدور الحمار في الرحا فيجتمع اليه أهل النار فيقولون يا فلان مالك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه» رواه البخاري ومسلم وفي صحيح مسلم عنه رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول «مررت ليلة أسري بي بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء ياجبرائيل قال خطباء أمتك الذين يقولون مالا يفعلون» وروى نحوه ابن أبي الدنيا من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعا وفيه فقال الخطباء من أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون ورواه بن حبان في صحيحه والبيهقي وروى الطبراني باسناد حسن عن جندب بن عبد الله الازدي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه» وروى الاصبهاني عن أنس رضي الله عنه مرفوعا «ان الرجل لا يكون مؤمنا حتى يكون قلبه مع لسانه سواء و يكون لسانه مع قلبه سواء ولا يخالف قوله عمله و يأمن جاره بوائقه» كان الحسن البصري رحمه الله اذا خرج الى الناس فكأنه رجل عاين الآخرة ثم جاء يخبر عنها فكانوا اذا خرجوا من عنده خرجوا وهم لا يعدون الدنيا شيئا وكان الامام أحمد لاتذكر الدنيا في مجلسه ولا تذكر عنده أنما يصلح التأديب بالسوط من صحيح البدن ثابت القلب قوي الذراعين فيؤلم ضربه فيردع فاما من هو سقيم البدن لاقوة له فماذا ينفع تأديبه بالضرب والنفوس مجبولة على عدم الانتفاع بكلام من لا يعمل بعلمه ولا ينتفع به وهذا

بمنزلة من يصف له الطبيب دواء لمرض به مثله والطبيب معرض عنه غير ملتفت اليه بل الطبيب أحسن حالا من هذا الآمر المخالف لما أمر به لانه قد يقوم عند الطبيب دواء آخر مقام هذا الدواء وقد يرى ان به قوة على ترك التداوي بخلاف الواعظ فان مايعظ به طريق النجاة لايقوم غيرها مقامها فلا بد منها ولهذه النفرة قال شعيب عليه السلام لقومه (وما أريد ان أخالفكم الى ما أنهاكم عنه) وقال بعض السلف اذا أردت ان يقبل منك الامر والنهي واذا أمرت بشيء فكن أول الفاعلين له المؤتمرين به واذا نهيت عن شيء فكن أول المنتهين عنه ولهذا قال { فلو بدا } الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر قبل أمره ونهيه لغيره { بنفسه } متعلق بدا { فذادها } أي منعها وردها { عن غيها } متعلق بذادها أي عن ضلالها والغي الضلال والانهماك في الباطل ومنه حديث الاسراء «لو أخذت الخمر غوت أمتك» أي ضلت { لكان } بدايته بارشاد نفسه وردها عما هي فيه من ارتكاب مهاوي الهوى والضلال والعمى والوبال { قد أفادها } النجاة والسلامة والرشد والاستقامة فان الناصح الشفيق والمرشد الرفيق يبدأ في ارشاده من الاهم بالاهم فالاهم والاقرب فالاقرب من ذوي الرحم ولا أهم ولا أقرب اليه من نفسه التي بين جنبيه وقد قال من أفصح في المقال ونصح لمن كان له قلب أو ألقى البال وترك الوبال

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام من الضنا ... كي يشتفى منه وانت سقيم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك اذا فعلت عظيم
فابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فاذا انتهت عنه فانت حكيم
فهناك يقبل ماتقول ويقتدى ... بالقول منك وينفع التعليم

ولما جلس عبد الواحد بن زيد الواعظ أتته امرأة من الصالحات فانشدته

ياواعظا قام لاحتساب ... يزجر قوما عن الذنوب
تنهى وانت المريب حقا ... هذا من المنكر العجيب
لو كنت أصلحت قبل هذا ... عيبك أو تبت من قريب

كان لما قلت ياحبيني موقع صدق من القلوب
تنهى عن الغي والتمادي وأنت في النهي كالمريب

وقال آخر

وغير تقي بأمر النـاس بالتقى طبيب يداوي النـاس وهو سقيم

وجاء رجل لابن عباس رضي الله عنهما فقال أريد ان آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر فقال ان لم تخش ان تفضحك هذه الآيات الثلاث فافعل والا فابدأ بنفسك ثم تلا(أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) وقوله تعالى (لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عندالله ان تقولوا مالا تفعلون) وقوله تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام (وما أريد ان أخالفكم الى ما أنهاكم عنه)

﴿ تنبيهات ﴾

(الاول) ما قدمنا من اعتبار كون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر مستقيم الحال هو عين الكمال والمؤثر أمره ونهيه في القلوب والذي قاله وحاله ترياق الذنوب في ظهور الانجاح وادراك الفلاح وأما الوجوب فلا يسقط عن المكلف وان كان بغير تلك الاوصاف بل من غير أهل العدالة والعفاف فعلى مرتكب الذنب النهي عن مثل ما ارتكب لان تركه للمنكر ونهيه فرضان متميزان ليس لمن يترك أحدهما ان يترك الآخر فيجب على متعاطي الكاس ان ينكر على الجلاس لان النهي عن المنكر واجب والانكفاف عن المحرم واجب والاخلال باحد الواجبين لا يمنع وجوب فعل الآخر وقد روى ابن أبي الدنيا باسناد فيه ضعف عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا «مروا الناس بالمعروف وان لم تعملوا به وانهوا عن المنكر وان لم تتناهوا عنه كله» وقيل للحسن ان فلانا لا يعظ ويقول اخاف ان أقول مالا أفعل فقال الحسن وأينا يفعل مايقول ود الشيطان أنه قد ظفر بهذا فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر وقال الامام مالك عن ربيعة قال سعيد بن جبير لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لايكون فيه شيء ماأمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر قال الامام مالك ومن ذا الذي ليس فيه شيء

(الثاني) متعلق وجوب الانكار الرؤية للمنكر وتحققه فلو كان مستورا فلم يره

ولكن علم به فالمذهب يجب عليه الانكار لتحققه والمنصوص عن الامام أحمد في أكثر الروايات أنه لايتعرض له ولا يفتش على ما استراب وقد روي عنه انه يكسر المغطى اذا تحققه وهذا المعتمد وأما اذا سمع صوت ملهاة ولم يعلم مكانه فلا شيء عليه وأما ستور الجدران على من علم اجتماعهم على منكر فقد أنكره الائمة مثل سفيان الثوري وغيره وهو داخل في التجسس المنهي عنه ثم قال القاضي أبو يعلى في كتابه الاحكام السلطانية ان كان في المنكر الذي غلب على ظنه الاستسرار به باخبار ثقة عنه انتهاك حرمة يفوت استدراكها كالزنا والقتل جاز التجسس والاقدام على الكشف والبحث حذرا من فوات استدراك انتهاك المحارم وان كان دون ذلك في الرتبة لم يجز التجسيس عليه ولا الكشف عنه انتهى وحكمة عدم وجوب التفتيش مع وجود النصوص على التجسيس ان المعاصي اذا أخفيت انما تضر من يعملها واذا أعلنت ضرت العامة فأخرج الامام أحمد من حديث عدي بن عميرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكرونه فاذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة» وخرج الامام أحمد أيضا وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ان الله تعالى ليسأل العبد يوم القيامة حتى يقول ما منعك اذا رأيت المنكر أن تنكره فاذا لقن الله عبدا حجته قال يارب رجوتك وفرقت الناس» وأخرجا من حديثه أيضا مرفوعا «لا يحقر أحدكم نفسه قالوا يارسول الله كيف يحقر أحدنا نفسه قال يرى أمر الله عليه فيه مقال ثم لايقول فيه فيقول الله له يوم القيامة ما منعك ان تقول في كذا وكذا فيقول خشية الناس فيقول اياي كنت أحق ان تخشى» فهذا محمول على ان المانع له من الانكار مجرد الهيبة دون الخوف المسقط للانكار فان خاف على نفسه السيف أو السوط أو الحبس أو القيد أو النفي أو أخذ المال أو نحو ذلك من الاذى أو خاف مثل ذلك على أهله أو جيرانه سقط وجوب الانكار وقد نص على ذلك الائمة منهم مالك بن أنس وأحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وغيرهم قال الامام أحمد لا يتعرض للسلطان فان سيفه مسلول وقال ابن شبرمة الامر بالمعروف والنهي

عن المنكر كالجهاد يجب على الواحد ان يصابر فيه الاثنين ويحرم عليه الفرار منهما ولا يجب عليه مصابرة أكثر من ذلك وأما مجرد خوف السب أو سماع الكلام السيء فلا يسقط الانكار نص عليه الامام أحمد وان احتمل الاذى وقوي عليه فهو أفضل نص عليه وقال «أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر» وهذا رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي من حديث أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعا وخرج ابن ماجه معناه من حديث أبي امامة وفي مسند البزار عن أمين الامة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال قلت يارسول الله أي الشهداء أكرم على الله قال «رجل قام الى امام جائر فأمره بمعروف ونهاه عن منكر فقتله وحديث «لا ينبغي للمؤمن ان يذل نفسه» يدل على انه اذا علم انه لا يطيق الاذى ولا يصبر عليه فلا يتعرض حينئذ للامر والنهي وهذا حق وانما الكلام في من علم من نفسه الصبر كذلك قاله الامام أحمد وسفيان والفضيل بن عياض وغيرهم

(الثالث) اذا علم انه لا يقبل منه فهل يسقط وجوب الامر والنهي حكى القاضي أبو يعلى عن الامام أحمد رضي الله عنه في ذلك روايتين وصحح القول بوجوبه قال الحافظ ابن رجب وهو قول أكثر العلماء . وقد قيل لبعض السلف في هذا فقال تكون معذرة وهذا كما أخبر الله عن الذين أنكروا على المعتدين في السبت أنهم قالوا لمن قال لهم (أتعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون) وقد ورد ما يستدل به على سقوط الامر والنهي عند عدم القبول والانتفاع في سنن أبي داود وابن ماجه والترمذي عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قيل له كيف تقول في هذه الآية (عليكم أنفسكم) فقال أما والله لقد سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «بل ائتمروا بالمعروف وانتهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك ودع عنك أمر العوام» وقد روى معنى هذا من عدة وجوه وقال العلامة ابن حمدان في نهاية المبتدئين ويجوز الانكار فيما لا يرجى زواله وان خاف أذى وقيل لا وقيل يجب ولا يجب الانكار فيما فات ومضى الا في العقائد والآراء

(الرابع) الذي يجب انكاره من المنكر هو ما كان مجمعا عليه فأما المختلف فيه فمن

علمائنا من قال لا يجب انكاره على من فعله مجتهدا فيه أو مقلدا لمجتهد تقليدا سائغا واستثنى القاضي في الاحكام السلطانية ما ضعف فيه الخلاف وكان ذريعة الى محظور متفق عليه كنكاح المتعة فانه ذريعة الى الزنا المجمع على تحريمه وذكر عن أبي اسحق بن شاقلا انه ذكر ان المتعة هي الزنا صراحا وقال ابن بطة لا يفسخ نكاح حكم به قاض اذا كان قد تأول فيه الا ان يكون قضى لرجل بعقد متعة والمنصوص عن الامام أحمد رضي الله عنه الانكار على اللاعب بالشطرنج وتأوله القاضي على من لعب بها بغير اجتهاد أو تقليد سائغ ونظر فيه الحافظ ابن رجب بأن المنصوص عنه أيضا ان يحد شارب النبيذ المختلف فيه واقامة الحد ابلغ مراتب الانكار فدل على انه ينكر كل مختلف فيه ضعف الخلاف فيه لدلالة السنة على تحريمه وان لم يخرج فاعله المتأول من العدالة بذلك والله أعلم وكذا نص الامام أحمد رضي الله عنه على الانكار على من لا يتم صلاته ولا يقيم صلبه من الركوع والسجود مع وجود الاختلاف في وجوب ذلك لضعف مثل هذا الاختلاف لمصادمته للنصوص عن صاحب الشريعة والله أعلم

(الخامس) وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بالشرع لا بالعقل خلافا للمعتزلة ودليله بالكتاب والسنة والاجماع أما الكتاب فكقوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير و يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) وتقدم في أول الفصل وأما السنة فقد ذكرنا منها ما يحصل به المقصود وأما الاجماع فلان المسلمين كانوا في الصدر الاول ومن بعدهم يتواصون بذلك ويوبخون تاركه مع القدرة فعلى الناس اعانة الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ونصره على ذلك وما يختص علمه بالعلماء يختص انكاره بهم وبمن يأمرونه به من الولاة والعوام ومن التزم مذهبا أنكر عليه مخالفته بلا دليل ظاهر ولا تقليد سائغ أو عذر ظاهر والله تعالى الموفق

الخاتمة

(نسأل الله تعالى حسن الخاتمة)

في فوائد جليلة وفرائد جزيلة لا يسع من خاض في مثل هذه العلوم الجهل بها وهي في الادلة وما يتعلق بها وهي قسمان مفردات ومركبات كما قال الامام الموفق ولذا قال

﴿ مدارك العلوم في العيان   محصورة في الحد والبرهان ﴾

﴿ وقال قوم عند أصحاب النظر   حس وإخبار صحيح والنظر ﴾

﴿ مدارك العلوم ﴾ المدارك جمع مدرك من أدرك الشيء بالشيء واستدركه حاول ادراكه به وأدرك الشيء أحاط به و بلغ وقته وانتهى الى العلم به والاحاطة بحكمه والمراد المدرك بالعقول لأنا نشاهد قطعا آثار العقول في الآراء والحكم والحيل وغيرها متفاوتة وذلك يدل على تفاوت العقول في نفسها والعقول جمع عقل وهو لغة المنع سمي به لمنعه صاحبه عن الرذائل والقبائح ولذا لا يطلق عليه تعالى العاقل واصطلاحا ما يحصل به الميز بين المعلومات وعن الامام الشافعي انه قال العقل آلة التمييز والادراك وهو غريزة قاله الامام أحمد رضي الله عنه وقاله الحارث المحاسبي ليس مكتسبا بل خلقه الله تعالى يفارق به الانسان البهيمة ويستعد به لقبول العلم وتدبير الصنائع الفكرية فكأنه نور يقذف في القلب كالعلم الضروري والصبا ونحوه حجاب له قال القاضي وغيره انه غير مكتسب كالضروري وقال البربهاري من أصحابنا ليس العقل بجوهر ولا عرض ولا اكتساب وانما هو فضل من الله تعالى قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه هـذا يقتضي أنه القوة المدركة كما دل عليه كلام الامام أحمد لا الادراك وهو بعض العلوم الضرورية عند أصحابنا والاكثر يستعد بها لفهم دقائق العلوم وتدبير الصنائع الفكرية وقاله أبو بكر الباقلاني وابن الصباغ وغيرهما فخرجت العلوم الكسبية لان العاقل يتصف بكونه عاقلا مع انتفاء العلوم النظرية وانما قالوا بعض

العلوم الضرورية لانه لو كان جميعها لوجب أن يكون الفاقد للعلم بالمدركات غير عاقل لعدم الادراك المعلق عليها والمشاهد خلافه ومحل العقل القلب عندنا وعند الشافعية والاطباء وله اتصال بالدماغ وروي عن الامام أحمد أن محله الدماغ وهو قول أبي حنيفة والطوفي من أصحابنا وقيل في الدماغ ان قلنا انه جوهر والا ففي القلب والصحيح أن العقل يختلف كالمدرك به وقال الامام ابن عقيل من علمائنا والاشاعرة والمعتزلة العقل لا يختلف لانه حجة عامة يرجع اليه الناس عند اختلافهم ولو تفاوتت العقول لما كان كذلك وقال غير واحد العقل عقلان غريزي وتجريبي مكتسب فالعقل الغريزي لا يختلف وأما الكسبي فيختلف وحمل العلامة الطوفي الخلاف على ذلك وقوله ﴿ في العيان ﴾ أي المشاهدة و بادىء النظر لذوي العرفان ﴿ محصورة ﴾ في شيئين لا ثالث لهما أى محبوسة وممنوعة فيهما ومقصورة عليهما لا تتجاوزهما ﴿ في الحد ﴾ ويأتي الكلام عليه قريباً ﴿ و ﴾ في ﴿ البرهان ﴾ هو الحجة والدليل وفي الحديث الصدقة برهان أي أنها حجة لطالب الاجر من أنها فرض يجازي الله به وعليه وقيل بل هي دليل على صحة ايمان صاحبها لطيب نفسه باخراجها وذلك لعلاقة ما بين النفس والمال والبرهان عند أهل الميزان قياس مؤلف من مقدمات يقينية لانتاج يقينيات واليقين اعتقاد أن الشيء كذا مع اعتقاد أنه لا يكون الا كذا مع مطابقته للواقع وامتناع تغيره

﴿ وقال قوم ﴾ بل مدارك العلم ﴿ عند أصحاب النظر ﴾ الفكر والتدقيق والبحث والتحقيق أعني علماء النظر وهم النظار من المتكلمة والمنطقيين وعلماء الاصول ثلاثة أحدها ﴿ حس ﴾ أي ما يدرك بأحد الحواس الخمس وهي جمع حاسة بمعنى القوة الحاسة السمع والبصر والشم والذوق واللمس فخلق الله تعالى كلا من تلك الحواس لادراك أشياء مخصوصة فالسمع للاصوات والذوق للطعوم والشم للروائح والبصر للمرئيات واللمس للملموسات وهي القوة المثبتة ٧ في جميع البدن يدرك بها الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ونحو ذلك عند التماس والاتصال فلا يدرك بواحدة ما يدرك بالحاسة الاخرى والمدرك بشيء منها يقال له محسوس

﴿ و ﴾ الثاني ﴿ أخبار صحيح ﴾ ثابت رجيح مطابق للواقع فان الخبر كلام يحتمل

الصدق والكذب احتمالا متساويا بقطع النظر عن قائله وله نسبة خارجية فان طابقته فصادق والا فكاذب وهذا الخبر الذي يفيد العلم على نوعين (أحدهما) المتواتر الثابت على ألسنة قوم لا يتصور تواطؤهم على الكذب ومصداقه وقوع العلم من غير شبهة وهو موجب للعلم الضروري كالعلم بالملوك الماضية في الأزمنة الخالية والبلدان النائية كوجود مكة و بغداد فان من لم يحسن الاكتساب ولا ترتيب المقدمات من النساء والصبيان يدرك ذلك فلو لم يكن العلم بذلك ضروريا لما أحسنوا ذلك وأما خبر النصارى بقتل عيسى عليه السلام واليهود بتأبيد دين موسى عليه السلام فتواتره ممنوع لأن مستنده مجرد الوهم والهوى فان قيل خبر كل واحد لا يفيد الا الظن وضم الظن الى الظن لا يوجب اليقين وأيضا جواز كذب كل واحد يوجب جواز كذب المجموع لأنه نفس الآحاد فالجواب الهيئة الاجتماعية أوجبت له من القوة ما لم تكن لأفراده كقوة الحبل المؤلف من الشعر مع الشعرات فان قيل الضروريات لا يقع فيها تفاوت ولا اختلاف ونحن نجد العلم بكون الواحد نصف الاثنين أقوى من العلم بوجود اسكندر والمتواتر قد أنكر افادته العلم جماعة من العقلاء كالسمنية والبراهمة فالجواب هذا ممنوع بل قد يتفاوت أنواع الضروري بواسطة التفاوت بالالف والعادة والممارسة والاخطار بالبال وتصورات أطراف الاحكام وقد يختلف فيه مكابرة وعناداً كالسوفسطائية في جميع الضروريات كاسننبه عليه قريبا (النوع الثاني) من نوعي الخبر المفيد للعلم خبر الرسول المؤيد بالمعجزة الخارقة المقرونة بالتحدي كما مر فيوجب العلم الاستدلالي للقطع بأن من أظهر الله تعالى المعجزة على يده تصديقا له في دعوى الرسالة لا يكون الا صادقا فيما أتى به من الاحكام واذا كان صادقا يقع العلم بمضمونها قطعا وانما كان استدلاليا لتوقفه على الاستدلال واستحضار أنه خبر من ثبتت رسالته بالمعجزات وكل خبر هذا شأنه فهو صادق ومضمونه واقع والعلم الثابت بخبر الرسول يشابه العلم الثابت بالضرورة كالمحسوسات والمتواترات في التيقن والثبات

﴿ و ﴾ الثالث من مدارك العلم ﴿النظر﴾ أي الفكر الذي يطلب به علم أو ظن قال العلامة شهاب الدين أحمد ابن قاضي الجبل من محققي علمائنا النظر لغة الانتظار والرؤية والرأفة

والتفكر وعرفنا الفكر المطلوب به علم أو ظن فينتقل من أمور حاصلة ذهنا الى أمور مستحصلة وقد يطلق على حركة النفس التي يليها البطن الأوسط من الدماغ المسمى بالدودة أي حركة كانت في المعقولات وفي المحسوسات تسمى تخيلا لا فكرا و قال الامام ابن عقيل في الواضح النظر هو الاصل في تحصيل هذا الامر والطريق اليه وهو اسم مشترك يقع على الرؤية بالبصر كما قال تعالى (وجوه يومئذ نضرة إلى ربها ناظرة) وعلى الانتظار للمنتظر والتوقع له (فناظرة بم يرجع المرسلون) وهو ههنا أي في عرف الاصوليين التأمل والتفكر والاعتبار بمعرفة الحق من الباطل والفصل بين الحجة والشبهة وهو فكرة القلب وتأمله ونظره المطلوب به علم هذه الامور وغلبة الظن لبعضها وقد يصيب الناظر فيها وقد يخطئ وكلاهما نظر منه وقد ينظر في شبهة وفي دليل وقد يصل بنظره الى العلم تارة اذا سلك فيه المسلك الصحيح ورتبه على واجبه ومقتضاه وقد لا يصل اليه اذا قصر وغلط وخلط فيه أو نظر فيما هو شبهة وليس بدليل وللنظر آلة وغرض فالآلة هو المطلوب من أجل غيره والغرض هو المطلوب من أجله في نفسه فالغرض كمعرفة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم انتهى

والحاصل أن اسباب العلم ثلاثة الحواس السليمة والخبر الصادق والعقل ووجه الحصر أن السبب ان كان من خارج فالخبر الصادق والا فان كان آلة غير المدرك فالحواس والا فالعقل وان كان المؤثر في العلوم كلها في الحقيقة هو الله تعالى لأنها بخلقه وإيجاده والله اعلم

﴿ فالحد وهو اصل كل علم — وصف محيط كاشف فافتهم ﴾
﴿ وشرطه طرد وعكس وهو ان — أنبا عن الذوات فالتام استبن ﴾
﴿ وان يكن بالجنس ثم الخاصه — فذاك رسم فافهم المحاصه ﴾

(ف) اذا عرفت ما ذكرناه لك من التمهيد وطلبت تعريف الحد المذكور ف (الحد) في اللغة المنع ومنه سمي البواب حدادا لانه يمنع من يدخل الدار والحدود حدودا لأنها تمنع من العود الى المعصية وسمي التعريف حدا لمنعه الداخل

فيه من الخروج عنه والخارج عنه من الدخول فيه وقوله ﴿ وهو ﴾ اسيے الحد ﴿ أصل كل علم ﴾ جملة معترضة بين المبتدا الذي هو الحد وخبره الذي هووصف الخ وانما كان اصلا للعلوم لأن من لايحيط به علما لا ينتفع بما عنده قال الفخر أبومحمد اسماعيل البغدادي من علمائنا الحد على الحقيقه أصل كل علم فمن لايحيط به علما لا نفع له بما عنده وقاله غيره وهو صحيح كما في شرح مختصر التحرير ﴿و﴾ الحد في الاصطلاح ﴿ وصف محيط ﴾ بموصوفه قال الامام القاضي أبو يعلى من أئمة علمائنا معنى الحد هو الجامع لجنس ما فرقه التفصيل المانع من دخول ماليس من جملته فيه وفي التحرير المحيط بمعناه أسيے بمعنى المحدود فكأنه قال حد الشيئ الوصف المحيط بمعناه ﴿ كاشف ﴾ بالرفع عطف على محيط. الذي هو نعت لوصف أي مميز للمحدود عن غيره ولذا قال الغزالي قيل حد الشيئ نفسه وذاته وقيل هو اللفظ المفسر لمعناه على وجه يجمع و يمنع وقال العلامة ابن حمدان في نهاية المبتدئين انه قول يكشف حقيقة المحدود وذكر فيه ثمانية أقوال ﴿ فافهم ﴾ أمر بالانفعال لقبول الفهم بالتفهم والفهم ادراك معنى الكلام بسرعة كما في واضح ابن عقيل واستظهروا عدم تقييده بسرعة كما قاله الطوفي في شرح مختصره وتبعه العلامة ابو بكر الجراعي في حواشي أصول ابن اللحام قال الطوفي لان من سمع كلاما ولم يدرك معناه الا بعد شهر أو أكثر قيل فهمه و بذلك يقال الفهم اما بطيئ أو سريع فينقسم اليهما ومورد القسمة مشترك بين الاقسام نعم السرعة قيد في الفهم الجيد انتهى وقيل الفهم جودة الذهن من جهة تهيئه لاقتباس ما يرد عليه من المطالب والذهن قوة النفس المستعدة لاكتساب الحدود والاراء

(وشرطه) أي شرط كون الحد صحيحا والشرط في اللغة العلامة وفي العرف ما يعتبر للحكم وهو مايلزم من انتفائه انتفاء الحكم فلا يوجد المشروط مع عدم شرطه ولا يلزم من وجود الشرط وجود المشروط وهو عقلي ولغوي وشرعي فالعقلي كالحياة للعلم واللغوي كقوله ان دخلت الدار فأنت طالق والشرعي كالطهارة للصلاة ﴿ طرد ﴾ خبر المبتدا الذي هو شرطه وهو المانع الذي كلما وجد الحد وجد المحدود ﴿ وعكس ﴾ وهو الجامع الذي كلما وجد المحدود وجد الحد فهذا عكس الاطراد و يلزم من

ذلك أنه كلما انتفى الحد انتفى المحدود وقال الجراعي في الحواشي المطرد هو الذي اذا وجد الحد وجد المحدود وهو المانع قال والمنعكس هو الذي اذا عدم الحد عدم المحدود وهو الجامع قال وهذا قول الجمهور منهم الغزالي وابن الحاجب وابن مفلح قال وعكس القرافي والطوفي فقالا المطرد هو الجامع والمنعكس هو المانع وذكر أبو علي التميمي في كتاب التذكرة في أصول الدين ان هذا التعريف للحد قول المتكلمين وأما المناطقة فقالوا انه القول الدال على ماهية الشيء وهو ما يحصل من جنس التعريف وفصله قال ولا يحتاج فيه الى ذكر الطرد والعكس لأن ذلك يتبع الماهية واعلم أن الحد من حيث هو تام ورسمي ولفظي ولذا قال ﴿ وهو ﴾ أي الحد ﴿ ان أنبا ﴾ أي دل وكشف ﴿ عن الذوات ﴾ أي ذاتيات المحدود الكلية المركبة كما اذا قيل ما الانسان فيقال حيوان ناطق ﴿ ذ ﴾ هو أسمى الحد الذي أنبأ عن ذاتيات المحدود الحقيقي ﴿ التام ﴾ وهو الأصل وله حد واحد لأن ذاتيات الشيء لا يكون له حدان مثاله حيوان ناطق فانه حد للانسان فان قيل جميع ذات الشيء عين الشيء والشيء لا يفسر نفسه فالجواب أن دلالة المحدود من حيث الاجمال ودلالة الحد من حيث التفصيل فليس عينه من كل وجه فصح تعريفه به ولذلك لم يجعل اللفظان مترادفين الا اذا كان الحد لفظيا فلذا قال : ﴿ استبن ﴾ أي اطلب البيان والكشف عن حقيقة الحد فان هذا هو الحد الحقيقي التام المنبي عن ذاتيات المحدود وان كان بفصل قريب فقط من غير ذكر جنس فحد حقيقي ناقص كما اذا قيل ما الانسان فقلت ناطق وكذا ان كان بفصل وجنس بعيد كجسم ناطق بالنسبة الى الانسان ﴿ وان يكن ﴾ الحد مركبا ﴿ بالجنس ﴾ أي من الجنس القريب ﴿ ثم الخاصه ﴾ مثال ذلك حيوان ضاحك بالنسبة الى الانسان ﴿ فذاك ﴾ المركب من جنس قريب وخاصة نحو الضاحك ﴿ رسم ﴾ تام فان الضاحك عرض في فبالفعل مفارق لا بالقوة وسمي خاصة لاختصاصه بحقيقة واحدة بالقوة أو الفعل بالنسبة الى الانسان لأن الضحك بالقوة لازم لماهية الانسان مختص بها و بالفعل مفارق لما تختص بها وتعريف الخاصة هي كلية تقال على ما تحت حقيقة واحدة فقط قولا عرضيا وان كان الحد

بها أي الخاصة فقط كقولك الانسان ضاحك سمي رسما ناقصا وكذا ان كانت الخاصة مع جنس بعيد كقولك الانسان جسم ضاحك ﴿ فافهم المحاصه ﴾ بضم الميم فحاء مهملة مفتوحة فألف فصاد مهملة مدغمة في مثلها فهاء تأنيث أي المقاسمة يقال حصص الشيء تحصيصا وحصحص بان وظهر وتحاصوا وحاصوا اقتسموا حصصا كما في القاموس قال والحصة بالكسر النصيب والمراد افهم التقسيم ما بين الحد الحقيقي التام كالحيوان الناطق بالنسبة الى الانسان والحقيقي الناقص وله صورتان الأولى أن يكون بفصل قريب فقط كالناطق بالنسبة الى الانسان أو بالفصل مع جنس بعيد كالجسم الناطق بالنسبة الى الانسان أيضاً وكذا افهم الرسم الحقيقي التام والرسم الناقص على ما ذكرنا والجنس كلي مقول على كثيرين مختلفين بالحقائق في جواب ما هو كالحيوان بالنسبة الى أنواعه نحو الانسان والفرس والنوع كلي مقول على كثيرين مختلفين بالعدد دون الحقيقة في جواب ما هو كالانسان بالنسبة الى زيد وعمرو ونحوهما من أفراده والفصل غير مقول في جواب ما هو بل في جواب أي شيء هو في ذاته وهو الذي يميز الشيء عما يشاركه في الجنس كالناطق بالنسبة الى الانسان والحد اللفظي ما كان بلفظ مرادف أظهر عند السائل من المسئول عنه كما لو قال قائل ما الخندريس فيقال له هو الخمر والله أعلم

﴿ وكل معلوم بحس وحجى　　فنكره جهل قبيح في الهجا ﴾

﴿ فان يقم بنفسه فجوهر　　أولا فذاك عرض مفتقر ﴾

﴿ الجسم ما الف من جزئين　　فصاعداً فاترك حديث المين ﴾

﴿ وكل معلوم بحس ﴾ من الحواس الخمس الظاهرة التي لاشك فيها ولا آفة تعتريها فانكاره قبيح جدا اذ هو مجرد مكابره قال في شرح الجواهر وينسب انكار الحواس الى بطليموس وأفلاطون وارسطو وجالينوس قال ويجب أن يكون مرادهم بذلك أن جزم العقل ليس بمجرد الحس بل بتوسط ضميمة لا أن حكم الحس غير معتد به أصلا والا يلزم انتفاء علومهم المبنية على الأحكام الحسية واستدل من قال بالانكار بأن الحس كثير الغلط فلا يعتبر وبيانه أنه يرى العنبة

في الماء كالاجاصة أو القطرة النازلة كالخط المستقيم ومنها أن الحس حاكم ببياض الثلج وهو مركب من أجزاء شفافة ليس في الواقع له بياض وأن النائم يجزم بما رأى في النوم جزمه في اليقظة وكذا صاحب البرسام ونحوه فيمكن مثل ذلك في غيرهم وذلك كاف في رفع الثقة وأيضاً الأمثال متواردة أعم من أن تكون جواهرا كالاجسام عند النظام أو عرضاً كالألوان عند متكلمي الأشعرية ومن واقهم والحس حاكم باستمرارها فيقوم الاحتمال في الشكل ولا جزم مع قيام الاحتمال وجواب شبههم عما أوردوه بأنه غير دال على عدم الوثوق بجزم العقل في المحسوسات بعدم الجزم بل على عدم جزم العقل بمجرد الحس وهو غير منكور فالحاكم في هذه الصور العقل بتوسط الحس لا الحس فقط كذا قيل والحق أن انكار الوثوق بالمدرك بالحواس مكابرة (و) كذا مايدرك بـ(حجى) كالى هو العقل (فكره) أي انكاره ورده بعدم الوثوق به (حمل قبيح) متناه في القبح (في الهجا) أي في الشكل والمثل يقال هذا على هجاهذا أي على شكله أي قبيح في العادة المستمرة ومردود عند ذوي الهجا الجيدين في التبحر والكشف عن حقائق الاشياء يقال هجي البيت كرضي هجيا انكشف قال العلامة نجم الدين بن حمدان في نهاية المبتدئين كل مؤد الى حقيقة ثابته تعلم عقلا أوحسا فانكاره سفسطة انتهى والسوفسطائية انكروا كلا من الحسيات والبديهيات فقالوا بعدم الجزم في كل منها فأوردوا عليهم جزمهم بالشك فالتزموا عدم الجزم فيه أيضا فقالوا نحن شاكون وشاكون في أنا شاكون وهؤلاء ثلاث فرق عندية وعنادية ولا أدرية فالعندية قالت مذهب قوم حق بالقياس اليهم باطل بالنسبة الى خصومهم ولا حق في نفس الامر والعنادية مامن قضية بديهية كانت أونظرية الاولها معارض يساويها في القوة والقبول وأما اللاأدرية وهم أمثالهم فقالوا نحن شاكون وشاكون في أنا شاكون وتمسكوا بان دليل كل من منكري الحسيات والبديهيات دال على انتفائهما والنظر متفرع عليهما منتف بانتفائهما ولا طريق الى الجزم غير الحس والبديهة والنظر فلم يكن الجزم تحقق أصلا واذا كان الامر كذلك لم يكن للمناظرة معهم فائده لانها لافادة المجهول بالمعلوم وليس عندهم معلوم فتنجر المناظرة الى التزام مذهبهم ولذا منع المحققون منها معهم ولكن يقال لهم هل ميزتم بين الالم

واللذة أو بين مذهبكم وما يناقضه فان ابوا الا الاصرارا أوجعوا ضربا وعذبوا بالنار ليعترفوا أو يهلكوا وسوفسطا اسم للحكمة المموهة والعلم المزخرف لان سوفا معناه العلم والحكمة واسطا معناه المزخرف والغلط ومنه اشتقت السفسطة كما اشتقت الفلسفة من فيلاسوف أي محب الحكمة

﴿ تنبيهان ﴾

(الاول) اعلم ان العلم منه ماهو ضروري ومنه ماهو كسبي فالضروري مايلزم نفس المخلوق لزوما لايجد الى الانفكاك عنه سبيلا كالتصديق بأن الكل أعظم من الجزء وان الواحد نصف الاثنين وان العلم البديهي أخص من الضروري لان البديهي هو ما يثبته مجرد العقل من غير احتياج الى شيء آخر ويمكن الاحتياج في الضروريات الى شيء آخر غير العقل كوجدان أو تجربة أو غيرهما وأما الكسبي فهو مقابل للضروري وهو النظري والاستدلالي وهو ما يتضمنه النظر الصحيح وعرفه غير واحد بما يحصل بالذات عقيب النظر وفي مختصر التحرير وشرحه الدال الناصب للدليل وهو لغة المرشد وشرعا ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه الى مطلوب خبري ويدخل في المطلوب الخبري ما يفيد القطع والظن وهو مذهب أصحابنا وأكثر الفقهاء والاصوليين وقيل ان ماأفاد القطع يسمى دليلا وما أفاد الظن يسمى امارة وقال ويحصل المطلوب المكتسب بالنظر الصحيح في الدليل عقيبه عادة وعلى هذا أكثر العلماء لانه قد جرت العادة بأن يفيض على نفس المستدل بعد النظر الصحيح مادة مطلوبه وصورة مطلوبه الذي توجه بالنظر الى تحصيله وقيل يحصل عقب النظر ضرورة لانه لا يمكنه تركه . ثم ان الادراك لماهية الشيء بلا حكم عليها بنفي أو اثبات تصور لانه لم يحصل به سوى صورة ذلك الشيء في الذهن وتصور ماهية الشيء مع الحكم عليها بايجاب أو سلب تصديق فالتصور ادراك الحقائق مجردة عن الاحكام والتصديق نسبة حكمية بين الحقائق بالايجاب أو السلب والعلم الحاصل بالضرورة والكسب هو صفة يميز المتصف بها بين الجواهر والاعراض والواجب والممكن

والممتنع تميزا جازما مطابقا للواقع بحيث لا يحتمل النقيض والحق انه يتفاوت كالعلوم وكما يتفاوت الايمان قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه الصواب ان جميع الصفات المشروطة بالحياة تقبل التزايد وروي عن الامام احمد رضي الله عنه في المعرفة الحاصلة في القلب في الايمان أهل تقبل التزايد والنقص روايتان قال والصحيح من مذهبنا ومذهب جمهور أهل السنة امكان الزيادة في جميع ذلك انتهى وتقدم وجوب اعتقاد قبول الايمان للزيادة والنقصان أو دليل ذلك بالعقل والقرآن والله أعلم

(الثاني) اعلم ان العلم يطلق لغة وعرفا على اربعة أمور (احدها) ما لا يحتمل النقيض كما تقدم (الثاني) يطلق ويراد به مجرد الادراك سواء كان جازما أو مع احتمال راجح أو مرجوح أو مساو (الثالث) انه يطلق ويراد به التصديق قطعيا كان أوظنيا (الرابع) يطلق ويراد به معنى المعرفة ويراد بها العلم ومنه قوله تعالى (مما عرفوا من الحق) اي علموا وقد يطلق الظن ويراد به العلم كقوله تعالى (الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم) اي يعلمون والمعرفة من حيث انها علم مستحدث او انكشاف من بعد لبس اخص من العلم لشموله غير المستحدث وهو علم الله تعالى والمستحدث وهو علم العباد ومن حيث انها يقين وظن اعم من العلم لاختصاصه حقيقة باليقين وتقدم الكلام عليها في صدر الكتاب والله اعلم

ثم ان كل شيء لا يخلو اما ان يقوم بنفسه اولا { فان يقم } ذلك الشيء { بنفسه } اي بذاته ومعنى قيامه بذاته عند المتكلمين ان يتحيز بنفسه غير تابع تحيزه لتحيز شيء آخر وعند الفلاسفة معنى قيام الشيء بذاته استغناؤه عن محل يقومه ولا يخلو القائم بنفسه من أحد أمرين اما أن يكون مركبا من جزئين فصاعدا وهو الجسم كما يأتي الكلام عليه أو غير مركب فان قام بنفسه وكان غير مركب من جزئين فصاعدا { ف } هو { جوهر } والجوهر هو العين الذي لا يقبل الانقسام لا فعلا ولا وهما ولا فرضا وهو الجزء الذى لا يتجزأ وعند الفلاسفة لا وجود للجوهر الفرد أعني الجزء الذى لا يتجزأ وزعموا ان تركب الجسم انما هو من الهيولى والصورة وأقوى الادلة على اثبات الجزء الذي لا يتجزأ عند القائلين به

انه لو وضع كرة حقيقة على سطح حقيقي لم تماسه الا بجزء غير منقسم اذ لو ماسته بجزئين لكان فيها خط بالفعل فلم تكن كرة حقيقة وأشهرها عند محققي المتكلمة وجهان (الاول) ان لو كان كل عين منقسما لا الى نهاية لم تكن الخردلة أصغر من الجبل لان كلا منهما غير متناهي الاجزاء والعظم والصغر انما هو بكثرة الاجزاء وقلتها وذلك انما يتصور في المتناهي (الثاني) قالوا ان اجتماع الجسم ليس لذاته والا لما قبل الافتراق فالله تعالى قادر على أن يخلق فيه الافتراق الى الجزء الذي لا يتجزأ لان الجزء الذي تنازعوا فيه ان أمكن افتراقه لزم قدرة الله تعالى عليه دفعا للعجز وان لم يمكن ثبت المدعى الذي هو وجود الجزء الذي لا يتجزأ واضعف هذه المدارك لم يثبته شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه وان كان في اثباته نجاة من كثير من ظلمات الفلاسفة مثل اثبات الهيولى والصورة المؤدي الى قدم العالم ونفي حشر الاجساد وامتناع الخرق والالتئام مما هو معلوم الفساد من دين الاسلام بالضرورة والله أعلم ﴿ أولا ﴾ يقوم بنفسه ﴿ فذاك ﴾ الذي لا يقوم بنفسه بل لابد أن يكون قائما بغيره تابعا له في التحيز أو مختصا به اختصاص الناعت بالمنعوت فهو ﴿ عرض مفتقر ﴾ الى محل يقومه فوجود العرض في الموضوع هو ان وجوده في نفسه هو وجوده في الموضوع فيمتنع الانتقال عنه فالعرض مفتقر الى محل يقوم به ويحمله وقيل هو الموجود في شيء غير متقوم به لا كجزء منه ولا يصح قوامه دون ما هو منه وقيل ما يطرأ على جوهر من كون ولون لا انه بمعنى انه لا يمكن تعلقه بدون المحل كما قد توهم ذلك بعضهم نعم يوجد ذلك في بعض الاعراض كالابوة مثلا

﴿ والجسم ما ﴾ أي شيء أو الذي ﴿ ألف ﴾ أي ركب ﴿ من جزئين فصاعدا ﴾ أي أكثر يعني ذاهبا الى جهة الصعود والارتفاع عن اثنين فيكون أقل ما يتركب من جزئين ولا حد للكثرة ﴿ فاترك حديث ﴾ أي كلام ﴿ المين ﴾ أي الكذب يعني الكلام الكذب وأراد بهذا الرد على من زعم انه لا يتركب من أقل من ثلاثة أجزاء لتحقق الابعاد الثلاثة أعني الطول والعرض والعمق وعلى من زعم انه لا يتركب من أقل من ثمانية أجزاء لتحقق تقاطع الابعاد على زوايا قائمة وقيل

الجسم ما يقبل الزيادة بالوصف بجوهر الجسم منه وقد قدمنا الكلام على الجوهر والجسم والعرض عند قولنا في الباب الاول

وليس ربنا بجوهر ولا عرض ولا جسم تعالى ذو العلا

فراجعه ان شئت وانما أعاده هنا تبعا للاصحاب في الحاقهم أواخر العقائد كلمات يكثر دورانها في هذا العلم ومن هذا القبيل قوله

﴿ ومستحيل الذات غير ممكن وضده ما جاز فاسمع زكي ﴾

﴿ والضد والخلاف والنقيض والمثل والغيران مستفيض ﴾

﴿ وكل هذا علمه محقق فلم نطل به ولم نتمق ﴾

﴿ ومستحيل الذات غير ممكن ﴾ أي المستحيل لذاته غير ممكن ولا مقدور اذ لو تعلقت به القدرة لصار ممكنا لانها لا تتعلق الا بالممكنات كما مر وضده أي ضد المستحيل ﴿ ما ﴾ أي الذي ﴿ جاز ﴾ وجوده وعدمه والحاصل ان الواجب ما لا يتصور في العقل عدمه والمستحيل ما لا يتصور في العقل وجوده والممكن ما جاز وجوده وعدمه يعني قبل ايجاده وتقدم الكلام عليه في الباب الاول ﴿ فاسمع زكي ﴾ أي علمي وفهمي وتفرسي في اختصار الكلام مع تمام الاحكام يقال زكن كفرح وأزكنه علمه وفهمه وتفرسه وظنه او الزكن ظن بمنزلة اليقين عندك او طرف من الظن وازكنه اعلمه وافهمه والازكان ان تزكن شيئا بالظن فيصيب ثم اشار الى بعض ما ذكره النجم ابن حمدان في آخر نهاية المبتدئين فقال ﴿ والضد ﴾ يعني مع ضده فالضدان هما ما امتنع اجتماعهما في محل واحد في زمن واحد كالسواد والبياض والحركة والسكون والاجتماع والافتراق اذا الشيء الواحد لا يكون اسود ابيض في زمن واحد ولا يكون ساكنا متحركا في زمن واحد ويمكن ارتفاع الضدين مع بقاء المحل لا أسود ولا أبيض قال في نهاية المبتدئين وقيل الضدان الوصفان الوجوديان اللذان يمتنع اجتماعهما لذاتهما كالسواد والبياض وقيل كل ذاتين يتعاقبان على موضع واحد يستحيل اجتماعهما فيه بينهما غاية الخلاف والبعد انتهى وهي عبارات متقاربة المعنى

في الجملة ﴿ والخلاف ﴾ أي الخلافان يجتمعان و يرتفعان كالحركة والبياض في الجسم الواحد ﴿ والنقيض ﴾ ان لا يجتمعان ولا يرتفعان كالوجود والعدم المضافين الى معين واحد ﴿ والمثل ﴾ ان ماقام احدهما ،قام الآخر وسدمسده وعمل عمله والجواهر متماثلة وقيل هما اللذان يشتركان في الصفة اللازمة فهما لا يجتمعان و يرتفعان لتساوي الحقيقة كبياض و بياض واما المتشابهان فهما اللذان يتقاربان اما في الصورة واما في استحقاق المعنى المجوز عليهما او في السبب الذي تعلق به وجودهما ونحو ذلك مما تقع به المشابهة والمتشابهان من وجه قد يختلفان من آخر والمثلان لا يختلفان من وجه والمختلفان قد يختلفان من وجه و يشتبهان من وجه آخر ﴿ والغيران ﴾ هما المختلفان وقيل هما الموجودان اللذان يمكن ان يفارق احدهما الآخر بوجه فالمتفقان يقربان من المثلين وهما في التقارب على العكس من المختلفين وفيهما زيادة على أصح حد المتشابهين لانه قد يكون التفاوت بالوصف كما في المتشابهين لانه وقد يكون التفاوت بالزمان والمكان وليس ذلك في المتشابهين وقد يكون في المتماثلين تفاضل من وجه مثل الحركتين تكون احداهما أشد من الاخرى ولذلك يتفاوت السوادان شدة وضعفا وكل علم ذلك معلوم عند أهل هذا الفن وعند المناطقة ﴿ مستفيض ﴾ استفاضة ظاهرة لا تخفى على احد له اعتناء بتحصيل هذه العلوم العقلية

(تنبيه) قد يتعذر ارتفاع الخلافين لخصوص حقيقة كونهما خلافين كذات واجب الوجود تعالى وتقدس مع صفاته وقد يتعذر افتراقهما والخمسة مع الفردية والجوهر مع الالوان ونحو هذا وهو كثير لكن لا تنافي بين امكان الافتراق والارتفاع بالنسبة الى الذات وتعذر الارتفاع بالنسبة الى امر خارجي عنها وهذا الذي ذكرناه كله بالنسبة الى ممكن الوجود اما الله تعالى وصفاته فلا يقال بامكان رفع شيء منها لتعذر رفعه بسبب وجوب وجوده وقد قدمنا في بحث الصفات ما يرشد لهذا

﴿ وكل هذا ﴾ المذكور واضعافه مما لم يذكر ﴿ علمه ﴾ مشهور عند أرباب الفن ﴿ محقق ﴾ وحيث كان كذلك فلنقتصر على هذا المقدار الذي ذكرناه ﴿ فلم نطل به ﴾ أي بذكره ﴿ ولم نمق ﴾ من التنميق وهو التحسين والتزيين قال في القاموس نمق الكتاب كتبه ونمقه تنميقا حسنه و زينه بالكتابة و يقال للشيء المروج فيه نمقه

محركة اذا المقصود انما هو ذكر امهات مسائل العقائد السلفية ونظم فرائد الاصول الأثرية وقد ذكرنا منها ما لعله يكفي المبتدي ويشفي المنتهي ويكمد المعتدي وبالله التوفيق ثم حمدنا الله تعالى عودا على بدء فقلنا

﴿ والحمد لله على التوفيق لمنهج الحق على التحقيق ﴾
﴿ مسلما لمقتضى الحديث والنص في القديم والحديث ﴾
﴿ لا أعتني بغير قول السلف موافقا أئمتي وسلفي ﴾

﴿ والحمد لله على التوفيق ﴾ وهذا حمد في مقابلة نعمة التأهيل لهذا الفضل الجزيل والمشرب الصافي من ينبوع التنزيل من غير الحاد ولا تأويل ولا تشبيه ولا تعطيل والتوفيق تسهيل سبيل الخير والطاعة قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه شرح منازل السائرين قد اجمع العارفون بالله ان التوفيق ان لا يكلك الله تعالى الى نفسك والخذلان ضده وهو ان يخلي بينك وبينها فالعبيد متقلبون بين توفيقه وخذلانه بل العبد في الساعة الواحدة ينال نصيبه من هذا وهذا فيطيع مولاه ويرضيه ويذكره ويشكره بتوفيقه ثم يعصيه ويخالفه ويسخطه ويغفل عنه بخذلانه له فهو دائر بين توفيقه وخذلانه فان وفقه فبفضله ورحمته وان خذله فبعدله وحكمته وهو سبحانه المحمود في هذا وهذا له أتم حمد وأكمله لم يمنع العبد شيئاً هو له وانما منعه ما هو مجرد فضله وعطائه وهو أعلم حيث يضعه وأين يجعله قال فمتى شهد العبد هذا المشهد وأعطاه حقه علم ضرورته وفاقته الى التوفيق في كل نفس ولحظة وطرفة عين وان توحيده وايمانه ممسك بيد غيره لو تخلى عنه طرفة عين لثل عرشه وخرت سماء ايمانه على الارض وان الممسك له من يمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه فدأبه بقلبه ولسانه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك يا مصرف القلوب صرف قلبي على طاعتك ودعواه يا حي يا قيوم يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام لا اله الا أنت برحمتك أستغيث اصلح لي شأني كله ولا تكلني الى نفسي طرفة عين ولا الى أحد من خلقك ثم قال والتوفيق هو ارادة الله من نفسه أن يفعل بعبده ما يصلح به العبد بأن يجعله قادراً على فعل ما يرضيه مريداً له

محباً له مؤثراً له على غيره و يبغض اليه ما يسخطه و يكرهه وهذا مجرد فعله تعالى والعبد محل له قال تعالى(ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون. فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم) فهو سبحانه عليم بمن يصلح لهذا الفضل ومن لا يصلح له حكيم يضعه في مواضعه وعند أهله ولا يمنعه أهله ولا يضعه عند غير أهله وذكر هذا عند عقيب قوله(واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم) ثم جاء بحرف الاستدراك فقال(ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه) قال وقد فسرت الجبرية وغيرهم التوفيق بأنه خلق الطاعة والخذلان خلق المعصية و بنوا ذلك علي أصولهم الفاسدة من انكار الاسباب والحكم وردوا الامر الى محض المشيئة من غير سبب ولا حكمة قال وقابلهم القدرية ففسروا التوفيق بالبيان العام والهدى العام والتمكن من الطاعة والاقتدار عليها وتهيئة أسبابها قال وهذا حاصل لكل كافر ومشرك بلغته الحجة وتمكن من الايمان وقد قدمنا في الكلام على القدر ما لعله يكفي و يشفي و بالله التوفيق وقوله ﴿ لمنهج الحق على التحقيق ﴾ متعلق بالتوفيق والمنهج الطريق الواضح كالنهج والمنهاج والحق هو الحكم المطابق للواقع و يطلق على الاقوال والعقائد والاديان والمذاهب باعتبار اشتمالها على ذلك و يقابله الباطل وأما الصدق فشاع في الاقوال خاصة و يقابله الكذب وقد يفرق بين الحق والصدق بأن المطابقة تعتبر في الحق من جانب الواقع وفي الصدق من جانب الحكم فمعنى صدق الحكم مطابقته الواقع ومعنى حقيته مطابقة الواقع اياه والتحقيق ايقاع الاشياء في محالها وردها الى حقائقها يقال حقق الطريق ركب حاقته وحقق الامر تيقنه وقوله ﴿ مسلماً ﴾ حال من معمول التوفيق أي الحمد لله على توفيقي لمنهج الحق حال كوني مسلما ﴿ لمقتضى الحديث ﴾ أي لما يقتضيه الحديث الصحيح النبوي ﴿والنص﴾ الصريح القرآني وقدم الحديث لمراعاة القافية ولشدة الاعتناء بالتمسك بالسنة النبوية والاحاديث المرضية كالنص كما هو في نسخة وهي أولى وأحري وحينئذ فالنص هو المقدم وسواء أدركنا معناه بعقولنا أم لم ندركه وهذا هو الحق الواجب على كل مسلم يوضحه ان وجوب تصديق كل مسلم بما أخبر به الله ورسوله

من صفاته وغيرها ليس موقوفا على أن يقوم دليل عقلي على ذلك فانه انما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام ان الرسول عليه السلام اذا أخبرنا بشيء من صفات الله تعالى وجب علينا التصديق به وان لم نعلم ثبوته بعقولنا ومن لم يقر بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يعلمه بعقله فقد أشبه الذين قال الله تعالى عنهم (وقالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله) ومن سلك هذا السبيل فهو في الحقيقة ليس مؤمنا بالرسول ولا متلقيا عنه الاخبار بشأن الربوبية ولا فرق عنده بين أن يخبر الرسول بشيء من ذلك أو لم يخبر به اذا كان الذي لم يعلمه بعقله لا يصدق به بل يتأوله وما لم يخبر به ان علمه بعقله آمن به ومن سلك هذا السبيل فوجود الرسول واخباره وعدمهما عنده سواء وما يذكر من القرآن والحديث والاجماع لا أثر له عند هؤلاء وقد صرح بذلك جماعة من أئمة المتكلمة وتقدم هذا في الباب الاول عند قولنا

فكل ما قد جاء في الدليل فثابت من غير تمثيل

وقوله ﴿ في القديم والحديث ﴾ يحتمل معنيين كلاهما مراد (أحدهما) راجع الى الناظم وهو أن هذا عقيدتي واعتمادي ومبنى عصمتي واعتقادي التسليم والانقياد والمسئول والاعتماد على مقتضى النصوص القرآنية والأحاديث النبوية سواء أدركنا معانيها بعقولنا أو قصرت عن ادراك حقائقها ألبابنا وآراؤنا وهذا في أول زمان وجود ادراك فهمي ولم ينفك عن هذا عقد لبي ودليل علمي فقديم زمني وحديثه على ذلك وهو منهجه القويم وان تباينت المسالك (الثاني) أن مبنى علمي وحقيقة حجتي وفهمي وعصمتي وسندي انما هو النص القرآني والخبر الصحيح السوي وما أجمع عليه السلف سواء في ذلك الأحكام المتعلقة بالعبادات ونحوها من المعاملات والأنكحة والجنايات والحدود والكفارات أو الأخبار عن البرزخ والمعاد وما للعالم من شقوة أو اسعاد هذا وهذا ونحوه مما يتعلق بالحادث والحوادث أو كان مما يتعلق بالقديم الديان من الذات والصفات والقرآن حسبما برهنا على ذلك في شرحنا هذا على قدر الامكان مما يعلمه الناظر فيه بالبراهين الساطعة والحجج القاطعة والأدلة النافعة والالزامات القامعة ﴿ لاأعتني ﴾ في أصل نظم عقيدتي

هذه بقول قائل وان جل أمره وشاع ذكره ﴿ بغير قول السلف ﴾ أي لا أعول ولا يهمني ولا يعنيني في نظم عقد توحيدي الا قول السلف الصالح والرعيل الأول الفالح وفي نسخة «لا أعتني الا بقول السلف» ولست في ذلك منفردا ولا ناهجاً نهجا منتقدا بل في نهجي المذكور وسيري المشكور حال كوني ﴿ موافقا أئمتي ﴾ من أئمة أهل الأثر ﴿ وساني ﴾ في ذلك من كل همام معتبر قد سبروا الأخبار ودونوا الآثار وعرفوا ما كان عليه النبي المختار وما اقتفاه عليه أصحابه الأبرار وأصهاره الأخيار وأنصاره الأطهار صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ما تعاقب الليل والنهار وقد قال «ستفترق أمتي الى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا فرقة واحدة وهي ما أنا عليه وأصحابي» وتقدم ذلك في المقدمة

﴿ ولست في قولي بذا مقلداً الا النبي المصطفى مبدي الهدى ﴾

﴿ صلى عليه الله ما قطر نزل وما تعانى ذكره من الازل ﴾

﴿ وما انجلى بهديه الديجور وراقت الاوقات والدهور ﴾

﴿ ولست في قولي بذا ﴾ أي بما أشرت اليه من اقتفاء الأئمة والسلف الصالح ﴿ مقلدا ﴾ لهم في اعتقادي ، وان الذي نحوه بمجرده عمدتي واعتمادي ، من غير نظر في الدليل وبحث عن الكثير والقليل ، بل نظرت كما نظروا ، وسبرت كما سبروا ، وخضت في علوم النظر والكلام ، والحكمة والأحكام ، فرأيتها لا تشفي من سقام ، ولا تروي من أوام ، ولا تهدي من ضلال ، ولا تجدي من نوال ، هــذا والاب عاكف على الآثار ، عارف بثمرات الاخبار ، كارف من نشرها ما يزيل نتن الاراء ، غارف من بحرها ما يطفي حرارات الاهواء ، مقتبسا من أنوارها ما يقشع ظلمات الافكار الفلسفية ، ملتمسا من أسرارها ما يقمع شبهات الانظار الكلامية ، مقيداً منها بمـا يزيل الخيالات المعتزلية ، معتمدا منها على ما يغسل الزبالات الرافضية ، فليس لي في كل سيري مقلداً ، ولا في اعتقادي قدوة ومعتمداً ﴿ الا النبي المصطفى ﴾ من سائر العالم المختار من سائر بني آدم ﴿ مبدي ﴾ أي مظهر ومبين وكاشف ﴿ الهدى ﴾ بالدلائل الواضحة ، ومرشد العالم الى سلوك المسالك الناجحة ، وتقدم

الكلام على الهداية ، بما فيه كفاية ، فقد بذلت وسعي في اقتفاء آثاره ، وابتغاء أخباره ، وسبر أحواله ، ونشر أقواله ، وتهذيب سيرته الشريفة ، وثبوت شريعته المحكمة المنيفة ، فكرعت منها عللا بعدنهل ، وشربت عذبا زلالا صافيا بريا من زبالات الآراء والزلل ، فذاك معتمدي مدى العمر ، لا زيد ولا بكر ، ولا خالد ولا عمرو { صلى عليه الله } تقدم الكلام على معنى الصلاة والسلام { ماقطر نزل } أي مدة دوام نزول الأمطار وتداول الاعصار ، والقطر هو الماء والنزول وكنه من الملو اذا هطل { و } صلى الله وسلم عليه { ماتعاني } المعتنون { ذكره من الازل } في الاعصار الخالية والاطوار البالية والقرون الفانية والامم الماضية فانه لم يخل زمان من ذكره ولاأوان من التنويه بشرعه ومبعثه ونهيه وأمره الى أن جاءابان رسالته زمان بعثته وظهور مقالته فظهرت شمس نبوته على سائر كواكب النبوات فانخنست وبهرت رسالته سائر المقالات فانطمست { و } صلى الله وسلم عليه { ماانجلى } أي تفرق وزال وانكشف { بهديه } الناصع ونور شرعه المشرق اللامع { الديجور } أي الظلام قال في القاموس الديجور التراب والظلام والاغبر الضارب الى السواد أي مدة دوام انجلاء ظلام الشرك وسواد الافك وغبار البدع والانكار بمارهديه ونور شرعه الذي أزال كل ظلام وأطفأ كل نار { و } ما بهديه صلى الله عليه وسلم { راقت } أي صفت قال في القاموس الترويق التصفية والراووق المصفاة والريق تردد الماء على وجه الارض من الضحضاح والرائق الخالص و { الاوقات } جمع وقت وهو المقدار من الدهر وأكثر مايستعمل في الماضي والميقات يطلق على الزمان والمكان المضروب للفعل وفي نسخة ما راقت الايام بدل الاوقات جمع يوم والمراد ما خلصت وصفت الاحوال جمع حال الواقعة في الاوقات والحاصلة في الايام والساعات والحال كنه الانسان وما هو عليه كالحالة و يراد بالحال الهيئة ومنه تغير من حال الى حال { و } ماراقت { الدهور } جمع دهر وهو الزمان الطويل والامد الممدود وقد يعد في الاسماء الحسنى والمراد على حذف مضاف والذي عده في الاسماء الحسنى نظر الى ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم « لا تسبوا الدهر فان الله هو

الدهر» الى ظاهر الحديث القدسي قال الله تعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري وقال الخطابي معناه انا صاحب الدهر ومدبر الامور التي ينسبونها الى الدهر فمن سب الدهر من اجل انه هذه الامور عاد بسبه الى ربه الذى هو فاعلها وانما الدهر زمان جعل ظرفا لمواقع الامور وكانت عادة الجاهلية أنهم اذا اصابهم مكروه أضافوه للدهر فقالوا بؤسا للدهر وتبا للدهر قال المحققون من نسب شيئا من الافعال الى الدهر حقيقة كفر ومن جرى هذا اللفظ على لسانه غير معتقد لذلك فليس بكافر لكن يكره له ذلك وقد شن الغارة الحافظ ابن الجوزي على من نسب شيئا من ذلك الى الدهر ولو لم يعتقد ظاهره في عدة مواضع من كتبه منها صيد الخاطر وغلط القاضي عياض من زعم ان الدهر من أسماء الله تعالى فان الدهر مدة زمان الدنيا وعرفه بعضهم بأنه أمد مفعولات الله في الدنيا أو فعله لما قبل الموت وقد تمسك الجهلة من الدهرية والمعطلة بظاهر هذا الحديث واحتجوا به على من لا رسوخ له في العلم لان الدهر عندهم حركات الفلك وأمد العالم ولا شئ عندهم ولا صانع سواه وكفى في الرد عليهم قوله في بقية الحديث « أنا الدهر أقلب ليله ونهاره » فكيف يقلب الشئ نفسه تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وقال محمد ابن أبي جمرة لا يخفى ان من سب الصنعة فقد سب صانعها فمن سب نفس الليل والنهار أقدم على أمر عظيم بغير معنى وذكر نحو ما قدمنا من أن ليس للدهر ولا لليل والنهار فعل ولا تأثير فمن سب شيئا من ذلك يؤول من حيث المعنى أنه سب خالق ذلك انتهى ملخصا

﴿ وآله وصحبه أهـل الوفا معادن التقوى وينبوع الصفا ﴾

﴿ وتابع وتابع للتابع خير الورى حقا بنص الشارع ﴾

﴿ و ﴾ صلى الله على ﴿ آله ﴾ أي أتباعه على دينه وقيل أقاربه الادنون من بني هاشم و بني المطلب والاول اختيار الامام احمد في مقام الدعاء والثاني اختيار الامام الشافعي وقيل آله اهله والصواب جواز اضافته الى الضمير خلافا لمن انكر

ذلك ثم هو قليل ﴿ وصحبه ﴾ وهم كل من اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا ومات على الايمان وتقدم الكلام عليهم في اول الكتاب وفي قوله ﴿ اهل الوفا ﴾ اشارة الى انهم فعلوا ما امروا ووفوا بما عاهدوا الله ورسوله عليه من بذل نفوسهم النفيسه وكل نفيس في نصرة الدين القويم والتمسك بهديه المستقيم وقوله ﴿ معادن التقوى ﴾ يصح جره على التبعية لما قبله ونصبه بفعل محذوف تقديره أمدح ونحوه ورفعه خبر لمبتدا محذوف تقديره هم والمعادن جمع معدن بكسر الدال قال الازهري سمي المعدن معدنا لمدون ما أنبته الله فيه أي لاقامته فيه يقال عدن بالمكان يعدن عدونا والمعدن المكان الذى عدن فيه الجوهر من جواهر الارض أي ذلك كان. وأحرى خلق الله تعالى وأجدر باقامة التقوى فيهم وعدونهم لديهم بعد أنبياء الله تعالى ورسله أصحاب نبيه المصطفى رضوان الله تعالى عليهم. والتقوى التحرز بطاعة الله تعالى عن مخالفته وامتثال امره واجتناب نهيه وحقيقتها ان يجعل المرء بينه وبين معاصي الله وقاية تمنعه من انتهاكها والوقوع فيها فلابد أن يجعل بينها وبينه حاجزا وفي سنن الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن يزيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به بأس » وقال ابو الدرداء رضي الله عنه التقوى تمام التقوى ان يتقي الله العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة وحتى يترك بعض مايرى انه حلال خشية ان يكون حراما حجابا بينه وبين الحرام وتقدم الكلام عليها في صدر الكتاب ﴿ و ينبوع الصفا ﴾ معطوف على معادن والينبوع بفتح التحتية وسكون النون وضم الموحدة وبعدها واو ساكنة فعين مهملة عين الماء أو الجدول الكثير الماء كما في القاموس والصفاضد الكدر كالصفو والصفوة وصفوة الشيء مثلثة ماصفي منه ومنه صفا الجو اذا لم يكن فيه لطمة غيم فالصحابة الكرام ينبوع كل خالص من الكدر نقي من غبار البدع وقذى الفكر فمن ورد موردهم كرع صافيا زلالا ومن زل عن نهجهم شرب أجاجا قذرا و بالا ﴿ و ﴾ على ﴿ تابع ﴾ لهم باحسان ﴿ وتابع للتابع ﴾ على نهج الاستقامة والاتقان وهؤلاء القرون الثلاثة ﴿ خير الورى ﴾ كفى الخلق أي من هذه الامة وأفضلهم

أحق ذلك ﴿ حقابنص الشارع﴾ للشرائع يعني النبي صلى الله عليه وسلم وتقدم انه صلى الله عليه وسلم قال« خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» قال عمران ابن حصين رضي الله عنهما فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين او ثلاثة رواه البخاري ومسلم وغيرهما وكذا في حديث ابي هريرة عند مسلم ولفظ حديث ابي هريرة« خير أمتي القرن الذي بعثت فيه» ولهذا المعنى قال

﴿ ورحمة الله مع الرضوان والبر والتكريم والاحسان ﴾
﴿ تهدى مع التبجيل والانعام مني لمثوى عصمة الاسلام ﴾
﴿ أئمة الدين هداة الامة أهل التقى من سائر الائمة ﴾
﴿ لاسيما احمد والنعمان ومالك محمد الصنوان ﴾

﴿ ورحمة الله ﴾ تعالى ﴿ مع الرضوان﴾ من الله تعالى ﴿والبر﴾ بالكسر الاحسان والشفقة ﴿ والتكريم ﴾ لهم من فضله العميم وكرمه الكريم ﴿ والاحسان ﴾ اليهم من الله لانهم أحسنوا عملا واخلصوا قولا وفعلا فيجازيهم بالاحسان لقوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان

﴿تهدى ﴾ بضم المثناة الفوقية على صيغة مالم يسم فاعله أي هذه الامور التي هي الرحمة والرضوان والبر والتكريم والاحسان ﴿مع التبجيل﴾ أي التعظيم وفي حديث أنه عليه السلام أتى القبور فقال «السلام عليكم أصبتم خيرا بجيلا» أي واسعا كثيرا من التبجيل يعني التعظيم كما في النهاية وقال في القاموس بجله تبجيلا عظمه ﴿ والانعام ﴾ من الملك المنعم المهيمن السلام ﴿مني﴾ أي بأن أسأل الله تبارك وتعالى ان يفعل جميع ذلك بمنه وكرمه وطوله وحلمه ﴿لمثوى﴾ أي منزل ومقام قال في النهاية المثوى المنزل من ثوى بالمكان اذا اقام فيه وفي القاموس المثوى المنزل وجمعه مثاوى وهو مجاز لان المراد الثاوين فأطلق المحل واراد الحال ﴿ عصمة ﴾ اهل ﴿الاسلام ﴾ من البدع المضلة والآراء المخلة وأهل الزيغ والالحاد والافك والعناد والعصمة المنعة والعاصم المانع الحامي والاعتصام الامتساك بالشيء افتعال منه وفي شعر أبي طالب في حق النبي صلى الله عليه وسلم * ثمال اليتامى عصمة للارامل * أي يمنعهم

من الضياع والحاجة وعلى كل حال انما عصمة هذا الدين بعد الصحابة والتابعين كان بهؤلاء الائمة المجتهدين ومن ثم قال ﴿أئمة﴾ أهل هذا ﴿الدين﴾ المتين ونور الله المبين الذي جاء به النبي الامين من عند رب العالمين ﴿هداة الامة﴾ أي الدالين الامة على نهج الرسول والكاشفين لهم عن معاني الكتاب المنزل والاحاديث التي عليها المعول والدافعين ريغ الزائغين وبدع المبتدعين وضلال المضلين والحاد الملحدين فقد شيدوا مبانيها وسددوا معانيها واصلوا أصولها وفصلوا فصولها فأصبحت الشريعة بهذا الترتيب مضبوطة وأحكامها بهذا الوصف والتبويب مربوطة فمن رام اختلاس حكم من أحكامها نكص على عقبيه وهو خائب ومن دنا من سماء أحكامها رمته كواكب حرسها بشهاب ثاقب ولست أخص بهذا الوصف والدعاء أحداً دون احد بل أسأل الله تعالى لهم جميعاً انهم هم ﴿أهل التقى من سائر﴾ أي جميع ﴿الائمة﴾ من المقتدى بأقوالهم وأفعالهم من كل عالم همام وحبر قمقام ومقدم مقدام كالائمة المتبوعة الآتي ذكرهم والسفيانين والحمادين واسحاق بن راهويه وأبي ثور ويحيى بن معين وابن أبي ذئب والبخاري ومسلم وعبد الله بن المبارك والليث ابن سعد وربيعة بن عبد الرحمن وعبد الملك بن جريج وداود وغيرهم فانهم وان تباينت أقوالهم واختلفت أراؤهم من جهة الفروع الفقهية فالجميع سلفية أثرية ولهم في السنة التصانيف النافعة والتآليف الناصعة كابن سعيد الدارمي وأبي بكر بن خزيمة وأشباههم ثم بعد أن عم جميع الائمة بالدعاء والثناء خص الائمة الاربعة الذين مدار الشريعة الآن على ما أصلوه واحكامها ضمن ما فصلوه فقال ﴿لاسيا﴾ هذه الكلمة مبنية على دخول ما بعدها في ما قبلها بالأولى فكل ما نسب لمن قبلها من الثناء والدعاء فمن بعدها كذلك وأولى بذلك ويجوز في الاسم الذى بعدها الجر والرفع مطلقاً وكذلك النصب أيضاً اذا كان نكرة وقد روي بالأوجه الثلاثة قول امريء القيس ٭ ولاسيما يوم بدارة جلجل ٭ وأوجهها الجر وهو على الاضافة وما زائدة بين المضاف والمضاف اليه مثلها في أيما رجلين والرفع على أنه خبر لمضمر محذوف وما موصولة أو نكرة موصوفة بالجملة والتقدير ولا مثل الذي هو يوم أو ولا مثل شيء هو يوم وعلى الوجهين فتحة

سي اعراب لأنه مضاف والنصب على التمييز كما يقع التمييز بعد مثل في مثل (ولو جئنا بمثله مددا) وما كافة عن الاضافة وفتحة سي فتحة بناء مثلها في لا رجل وأما انتصاب المعرفة نحو ولا سيما زيدا فمنعه الجمهور وتشديد سيما ودخول لا عليها ودخول الواو على لا واجب عند قوم حتى قال ثعلب من استعمل لا سيما على خلاف ماجاء في قوله : ولا سيما يوم : فهو مخطيء وذكر غيره أنها قد تخفف وقد تحذف الواو كقوله

فه بالعقود و بالايمان لا سيما عقد وفاء به من أعظم القرب

وهي عند الفارسي منصوبة على الحال وعند غيره اسم للا التبرئة واختاره بعضهم الامام ﴿ احمد ﴾ ابن محمد بن حنبل الشيباني سيدنا وامامنا وقدوتنا ومتبوعنا والواسطة بيننا و بين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الامام الشهير والامة العلم المنير صاحب المسند والتفسير والزهد وغيرها رضي الله عنه وتقدمت ترجمته في صدر الكتاب والله اعلم ﴿ و ﴾ الامام الاعظم والحبر المعظم أبي حنيفة ﴿ النعمان ﴾ بالجر عطف على ما قبله على المختار الاكثر و يصح الرفع فيهما كما أشرنا أولا على الاشهر وأبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي امام أهل العراق وفقيهم بالاتفاق وامام اصحاب الرأي قال الحافظ جلال الدين السيوطي في طبقات الحفاظ قيل انه من أبناء فارس وهو من التابعين فانه رأى أنس ابن مالك وأبا الطفيل رضي الله عنهما وروى عن حماد بن ابي سليمان وعطاء وعاصم بن ابي النجود والزهري وقتادة وخلق وعنه ابنه حماد ووكيع وعبد الرزاق وابو يوسف القاضي ومحمد بن الحسن وهما الصاحبان اذا أطلقا عند الحنفية قال الامام يحيى بن معين كان أبو حنيفة ثقة لا يحدث بما لا يحفظ وقال الامام عبد الله بن المبارك مارأيت في الفقه مثله وقال مكي بن ابراهيم كان أعلم أهل زمانه ومارأيت في الكوفيين أورع منه وقال الامام الشافعي الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة وسئل يزيد بن هارون أيهما أفقه أبو حنيفة أو سفيان فقال سفيان أحفظ للحديث وابو حنيفة أفقه أكره أبو حنيفة رضي الله عنه على القضاء فأبى أن يكون قاضيا وكان يحيي الليل صلاة ودعاء وتضرعا ولد رضي الله عنه سنة ثمانين ومات سنة مائة وخمسين وقيل سنة احدى وقيل ثلاث

وخمسين والاول أصح

﴿و﴾ الامام ابي عبد الله ﴿ مالك ﴾ بالجر والتنوين هو الامام الكبير والحبر المسير والعلم الشهير أبو عبد الله مالك بن انس بن مالك بن أبي عامر ابن عمرو بن الحارث الاصبحي الحميري المدني شيخ الأئمة وامام دار الهجرة روى عن جماعة من التابعين نافع ومحمد بن المنكدر وجعفر الصادق وحميد الطويل وغيرهم وعنه الامام الشافعي وخلق جمعهم الحطيب في مجلد قال الامام علي بن المديني لمالك نحو الف حديث وقال الامام ابن الامام عبد الله بن الامام أحمد رضي الله عنه قلت لأبي من أثبت اصحاب الزهري قال مالك أثبت في كل شيء وقال الامام البخاري رضي الله عنه اصح الاسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما وقال الامام الشافعي رضي الله عنه اذا جاء الأثر فمالك النجم وعند الامام احمد سالم بن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما اصح الاسانيد (١) قال ابن خلكان أخذ عن الامام مالك الاوزاعي ويحيى بن سعيد وغيرهما ونودي في المدينة ألا لا يفتي الناس الا مالك بن انس وابن ابي ذئب مات في المدينة سنة تسع وسبعين ومائة وهو ابن تسعين سنة رضي الله عنه ودفن في البقيع وكان شديد البياض الى الشقرة طويلا عظيم الهامة اصلع يلبس الثياب العدنية الجياد ويكره حلق الشارب ويعيبه ويراه من المثلة رحمه الله ورضي عنه

والامام ابي عبدالله ﴿ محمد ﴾ معطوف على من قبله سقط حرف العطف لاقامة الوزن فهو محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف المطلبي الشافعي رضي الله عنه يجتمع نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد مناف المذكور وقوله ﴿ الصنوان ﴾ اي القرابة للنبي صلى الله عليه وسلم يقال للنخلتين اذا زاد في الاصل الواحد كل واحد منهما صنو ويضم وركيتان صنوان متجاورتان او ينبعان من عين واحدة وفي حديث العباس رضي الله عنه « وان عم الرجل صنو ابيه » وفي رواية « العباس صنو ابي » وفي رواية « صنوي » يريد صلى الله عليه وسلم ان اصل العباس واصلي واحد وفي نسخة بدل

(١) كذا في الاصل والمأثور عن أحمد : أصح الطرق الزهري عن سالم عن أبيه

الصنوان المتقان من الاتقان لاتقانه للعلوم واحكامه للمنطوق منها والمفهوم فهو امام الأمة وقدوة الامة ولد بغزة هاشم سنة خمسين ومائة وحمل الى مكة المشرفة وهو ابن سنتين وقيل ولد بعسقلان وقيل باليمن سنة أربع وخمسين وقيل سنة اثنتين كذا في طبقات الحفاظ للجلال السيوطي وشرح ألفية الحديث للمصنف وفي طبقات الحفاظ أيضاً ولد ببلاد غزة سنة خمسين ومائة وحمل الى مكة وهو ابن سنتين فنشأ بها وكان رضي الله عنه جم المفاخر منقطع النظير اجتمعت فيه من العلوم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله وكلام الصحابة رضي الله عنهم وآثارهم واختلاف أقاويل العلماء وغير ذلك من معرفة كلام العرب واللغة العربية والشعر حتى قرأ عليه الأصمعي مع اشتهاره بهذا الشأن اشعار الهذليين ما لم يجتمع في غيره حتى قال الامام أحمد رضي الله عنه عرفنا ناسخ الحديث ومنسوخه لما جالسنا الشافعي وقال عبد الله بن الامام أحمد قلت لأبي أي رجل كان الشافعي فاني سمعتك تكثر من الدعاء له فقال يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للبدن هل لذين من خلف أو عنهما من عوض كذا في وفيات الأعيان لابن خلكان قال السيوطي في طبقات الحفاظ روى الشافعي عن محمد ابن علي وابن أسامة وسعيد بن سالم وسفيان بن عيينة والامام مالك واسماعيل بن علية وابن أبي فديك وخلق وعنه ابنه أبو عثمان محمد والامام أحمد وأبو ثور وأبو عبيد القاسم بن سلام وأبو طاهر بن البرخ وحرملة بن يحيى والحسن بن محمد الزعفراني والربيع بن سليمان الجيزي وأبو الوليد المكي وأبو يعقوب البويطي ويونس بن عبد الأعلى وخلق كثير قال ابن عبد الحكم لما حملت أم الشافعي به رأت كأن المشتري خرج من فرجها حتى انقض بمصر ثم وقع في كل بلد منه شظية فتأوله أصحاب الرؤيا أنه يخرج عالم يخص علمه أهل مصر ثم ينتشر في سائر البلدان وقال الامام أحمد ان الله تعالى يقيض للناس في رأس كل مائة سنة من يعلمهم السنة وينفي عن رسول الله الكذب فنظرنا فاذا في رأس المائة عمر ابن عبد العزيز وفي رأس المائتين الشافعي رضي الله عنه قال الشافعي رضي الله عنه حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر وقال

الربيع ابن سليمان كان الشافعي يفتي وله خمسة عشر سنة وكان يحيي الليل الى أن مات وقال أبو ثور كتب عبد الرحمن بن مهدي الى الشافعي وهو شاب أن يضع له كتابا فيه معاني القرآن ويجمع قبول للأخبار فيه وحجة الاجماع وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة فوضع له كتاب الرسالة قال ابن مهدي ما أصلي صلاة الا وأنا أدعو للشافعي فيها وقال هرون بن سعيد الديلمي لو أن الشافعي ناظر على هذا العمود الذي من حجارة أنه من خشب لغلب لاقتداره على المناظرة وكان الحميدي يقول حدثنا سيد الفقهاء الشافعي توفي رحمه الله ورضي عنه في شهر رجب سنة أربع ومائتين وقال ابن خلكان أنه توفي آخر يوم من رجب ودفن بعد العصر من يومه بالقرافة الصغرى وقبره مشهور يزار ويتبرك به وأجمع العلماء قاطبة على ثقته وامامته وعدالته وزهده وورعه ونزاهة عرضه وعفة نفسه وحسن سيرته وعلو قدره وسخائه رضي الله عنه وكان الشافعي قد قدم بغداد سنة خمس وتسعين ومائة فأقام بها شهرا ثم خرج الى مصر وكان وصوله اليها سنة تسع وتسعين ومائة قاله ابن خلكان والله أعلم. ثم أشار الى أنه يجب على كل واحد من هذه الملة ممن له عمل وتقوى أن يقلد واحدا من هؤلاء الاربعة على الاصح الاقوى فقال

﴿ من لازم لكل ارباب العمل تقليد حبر منهم فاسمع تخل ﴾

(من) أي الذين هم فهو مبتدا خبره فرض (لازم) لا انفكاك عنه ولا مندوحة منه (لكل) واحد مكلف من (أرباب) أصحاب (العمل) الصالح والكد الناجح ممن ليس فيه أهلية الاجتهاد المطلق (تقليد حبر منهم) أي من الائمة الاربعة المعلومة مذاهبهم المضبوطة أقوالهم المحفوظة رواياتهم المدونة مذاهبهم في كل مصر وعصر الواصلة بالتواتر بشروطها وأركانها وموانعها واتقانها بحيث لا يتأتى لاحد أن ينسب لمذهب منها ما ليس منه بل آحاد طلبة العلم يرد عليه ويبينه ويقول هذا ليس في هذا المذهب حتى أنهم يعرفون المشهور من أقوال المذهب والمهجور وان كان الدليل المأثور مع القول المهجور والحبر بفتح الحاء المهملة وكسرها وسكون الموحدة العالم المتقن وكان يقال لابن عباس رضي الله

عنها الحبر والبحر لعلمه وسعته وتسمى سورة المائدة سورة الاحبار لقوله تعالى (يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار) والتقليد لغة وضع الشيء في العنق محيطا به وذلك الشيء يسمى قلادة وجمعها قلائد وعرفا أخذ مذهب الغير مع اعتقاد صحته واتباعه عليه بلا معرفة دليله فالرجوع الى قول النبي صلى الله عليه وسلم والى المفتي والى الاجماع ورجوع القاضي الى العدول ليس بتقليد ولو سمي ذلك تقليدا لساغ وفي المقنع المشهور أن أخذه بقول المفتي تقليد وهو أظهر وقدمه النجم بن حمدان في آداب المفتي وقال شيخ الاسلام في المسودة والتقليد قبول القول بغير دليل فليس المصير الى الاجماع تقليداً لأن الاجماع دليل ولذلك يقبل قول النبي صلى الله عليه وسلم ولا يقال تقليد بخلاف فتيا الفقيه وذكر في ضمن مسئلة التقليد أن الرجوع الى قول الصحابي ليس بتقليد لأنه حجة وقد قال الامام أحمد في رواية أبي الحارث من قلد الخبر رجوت أن يسلم ان شاء الله تعالى فأطلق اسم التقليد على من صار الى الخبر وان كان حجة في نفسه (تنبيه) انما قال لكل أرباب العمل ليحترز به عن التقليد في عقائد التوحيد من معرفة الله تعالى ونعوت ذاته وصفاته والرسالة وكذا في أركان الاسلام الخمس ونحوها مما تواتر واشتهر ذكره علماؤنا ونقل الاجماع في ذلك غير واحد منهم أبو الخطاب الكلوذاني وأبو الوفاء بن عقيل لتساوي الناس فيما لا يسوغ فيه اجتهاد وتقدم الكلام عليه في آخر الباب الاول مطولا والله أعلم قال الامام موفق الدين في الروضة وأما التقليد في الفروع فهو جائز اجماعاً قال وذهب بعض القدرية الى أن العامة يلزمهم النظر في الدليل واستدل لجواز التقليد بقوله تعالى (فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) وهو عام لتكرره بتكرر الشرط وعلة الامر بالسؤال الجهل وأيضا الاجماع فان العوام يقلدون العلماء من غير ابتداء مستند من غير نكير وأيضا عدم القول بذلك يؤدي الى خراب الدنيا بترك المعاش والصنائع ولا يلزم مثله في التوحيد والرسالة لتيسره وقلته ودليل العقل والنقل ولذا قال الامام مالك يجب على العوام تقليد المجتهدين في الاحكام كما يجب على المجتهدين الاجتهاد في أعيان الادلة خلافا للمعتزلة البغدادية فانهم وافقوا القدرية في ايجابهم علي العوام الاجتهاد واحتجوا بقوله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم)

ومن الاستطاعة ترك التقليد ولأن العامي متمكن من كثير من وجوه النظر فوجب أن لا يجوز له تركها قياسا على المجتهد ولنا أن الخطأ متعين و بلوغ الصواب متعسر بل متعذر في حق العوام اذا انفردوا بمعرفة الاحكام لأنهم لا يعرفون الناسخ والمنسوخ ولا المخصص ولا المقيد ولا كثيراً مما يتوقف عليه دلالة الالفاظ ولا يضبطونه ولا يسوغ لهم مخالفته لفرط الغرر فيه فهم لا يستطيعون الوصول اليه وقد توسط أبو علي الجبائي أحد أئمة المعتزلة فقال شعائر الاسلام الظاهرة لا تحتاج لنصب الاجتهاد ولاحاجة الى التقليد فيها كالصلوات الخمس وصوم رمضان ونحو ذلك وأما الامور الخفية من المجتهد فيه فيتعين التقليد فيها بالضرورة ولا نزاع في ذلك لان تحصيل الحاصل محال ولا سيما والتقليد انما يفيد الظن وهو دون الضرورة بكثير وما لم ينته الى حد الضرورة يتعين التقليد فيه لحاجة النظر الى آلات مفقودة في العامي

(تنبيهات)

(أحدها) منع قوم وجوب لزوم مذهب معين قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الفتاوى المصرية تنازع المتأخرون من أصحاب الامام أحمد والامام الشافعي وغيرهما هل على العامي ان يلتزم مذهبا واحداً بعينه من مذاهب الائمة المشهورين بحيث يأخذ بعزائمه ورخصه على قولين قال والمشهور انه لا يجب كما انه ليس له أن يقلد في كل مسألة من يوافق غرضه وليس له ان يقلد في المسألة الواحدة اذا كان الحق له من لا يقلده اذا كان الحق عليه بل عليه باتفاق الأئمة ان يعدل بين نفسه وبين وغيره في الاقوال فاذا اعتقد وجوب شيء أو تحريمه اعتقد ذلك عليه وعلى من يماثله كشفعة الجوار فليس له ثبوت الشفعة اذا كان هو الطالب وانتفاؤها اذا كان هو المطلوب كما يفعله أهل الهوى متابعة للهوى لا مراعاة للتقوى وقال في مواضع أخرى التمذهب بمذهب بحيث يأخذ برخصه وعزائمه طاعة غير النبي صلى الله عليه وسلم في كل أمره ونهيه وهو خلاف الاجماع وتوقف أيضا في جواز ذلك فضلا عن وجوبه وقال ان خالفه لقوة الدليل أو زيادة علم أو تقوى فقد أحسن ولم يقدح ذلك في عدالته بلا نزاع وقال بل يجب في هذا الحال وأنه نص الامام وكذا قال القدوري الحنفي ما ظنه أقوى فعليه تقليده فيه وله الافتاء به حاكيا مذهب من قلده وقال صدر الوزراء عون

الدين ابو المظفر ابن هبيرة انه من مكايد الشيطان أن يقيم أوثانا في المعنى تعبد من دون الله مثل أن يتبين له الحق فيقول هذا ليس بمذهبنا تقليدا لمعظم عنده قد قدمه على الحق وقال ابو محمد بن حزم أجمعوا على أنه لا يحل للحاكم ولا المفتي تقليد رجل فلا يحكم ولا يفتي الا بقوله انتهى والاشهر الآن عليه أن يتمذهب بمذهب قال ابن حمدان في الرعاية هذا الاشهر فلا يقلد غير أهله وقال في آداب المفتي يجتهد في أصح المذاهب فيتعبد وقطع الكبار بلزوم التمذهب بمذهب قال الامام النووي هذا كلام الاصحاب والذي يقتضيه الدليل أنه لا يلزمه انتهى

(الثاني) اذا قلنا يلزمه ان يتمذهب بمذهب يجوز له الانتقال عن المذهب الذي تمذهب به وعمل به عند الاكثر فيتخير في الصورتين واختار الآمدي منع الانتقال فيما عمل به وتقدم كلام شيخ الاسلام أنه اذا خالفه لقوة دليل أو زيادة علم أو تقوى فقد أحسن ولم يقدح في عدالته بلا نزاع والحاصل أن للعلماء في ذلك ثلاثة أقوال الاول امتناع الانتقال عنه مطلقا لالتزامه أياه الثاني له الانتقال عنه مطلقا والتزام مالا يلزم غير لازم والثالث التفصيل وهو ان كان عمل بمقتضى ذلك المذهب الذي تمذهب به وصلى وصام وزكى ونحو ذلك على حسبه غير ملتفت لغيره لزمه الوقوف عليه وامتنع عليه الانتقال عنه وصوب ذلك بعض العلماء وجزم به غير واحد

(الثالث) يحرم على العامي الذي ليس بمجتهد تتبع الرخص في التقليد ولو قلنا بجواز الانتقال وهو أنه كلما وجد رخصة في مذهب عمل بها ولا يعمل بغيرها في ذلك المذهب قال علماؤنا و يفسق بذلك لأنه لا يقول باباحة جميع الرخص أحد من علماء المسلمين فان من قال بالرخص في مذهب لا يقول بالرخصة الاخرى في غيره قال الامام ابن عبد البر لا يجوز للعامي تتبع الرخص اجماعا وقال الامام احمد رضي الله عنه لو ان رجلا عمل بكل رخصة يعمل بمذهب أهل الكوفة في النبيذ وأهل المدينة في السماع واهل مكة في المتعة لكان فاسقا وقال عمر لو ان رجلا أخذ بقول أهل المدينة في السماع يعني الغناء واتيان النساء في أدبارهن و بقول أهل مكة في المتعة والصرف و بقول اهل الكوفة في المسكر كان أشر عباد الله تعالى وقال سليمان التيمي لو اخذت برخصة كل عالم

اوقال زلة كل عالم اجتمع فيك الشر كله لكن قال القاضي ابو يعلى بن الفرا أمام المذهب بعد ذكر كلام الامام احمد رضي الله عنه المتقدم آنفا هذا محمول على أحد الوجهين اما أن يكون من أهل الاجتهاد ولم يؤده اجتهاده الى الرخص فهذا فاسق لانه ترك ماهو الحق عنده واتبع الباطل أو يكون عاميا فأقدم على الرخص من غير تقليد فهذا أيضا فاسق لانه أخل بواجب وهو التقليد قال واما ان كان عاميا وقلد في ذلك لم يفسق لانه قلد من يسوغ اجتهاده ونظر فيه الجراعي في حواشيه على اصول ابن اللحام قلت وهو الحق وقد نقل جمع محققون أن مايجوز تقليد في النوازل والانتقال من مذهب الى مذهب في بعض المسائل بثلاثة شروط (الاول) ان لا يجمع بين المذهبين مثلا على صفة تخالف الاجماع كمن تزوج بغير صداق ولا ولي ولا شهود فان هذه الصورة لم يقل بها احد قلت أي تزوج بلا ولي مقلدا لابي حنيفة وبلا شهود مقلدا لمالك فهذا لم يقل به احدهما ولا غيرهما وهو ذريعة للزنا فهذا لا نزاع في رده (الثاني) ان يعتقد فيمن يقلده الفضل ولو بوصول خبره اليه (الثالث) ان لا يتتبع رخص المذاهب

(الرابع) للعاقل ان يقلد المفضول مع وجود الفاضل من المجتهدين عند أكثر علمائنا منهم القاضي وابو الخطاب والامام الموفق في روضته وقاله الحنفية والمالكية وأكثر الشافعية وقيل يصح ان اعتقده فاضلا أو مساويا لا ان اعتقده مفضولا لانه ليس من القواعد أن يعدل عن الراجح الى المرجوح وقال الامام ابن عقيل وابن سريج والقفال والسمعاني يلزمه الاجتهاد فيقدم الارجح و(في) معناه قول أبي القاسم الخرقي والامام الموفق في المقنع وللامام أحمد رضي الله عنه روايتان واستدل للاول بأن المفضول من أصحابه صلى الله عليه وسلم ومن السلف كان يفتي مع وجود الفاضل مع الاشتهار والتكرار ولم ينكر ذلك احد فكان اجماعا على جواز استفتائه مع القدرة على استفتاء الافاضل ونظاهر قوله تعالى (فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) وأيضا العامي لا يمكنه الترجيح لقصوره ولو كلف بذلك لكان تكليفه نضرب من الاجتهاد وان زيف ابن الحاجب ذلك زاعما أن الترجيح يظهر بالتسامع ورجوع العلماء اليه وغيره لكثرة المستفتين وتقديم العلماء له انتهى لكثرة جهات التفضيل كما سبق وايجاد أشياء في المفضول يعضها ما يفضل الفاضل

ـها والله أعلم قوله ﴿ فاسمع تخل ﴾ أي فاسمع نظامي وما أشرت اليه من لزوم
مكلف لم يبلغ رتبة استخراج الاحكام من معادنها ولا استنباط الادلة من مكامنها التقليد
اقتداء بأحد أئمة الهدى ومصابيح الدجا وقوله تخل أي تظن وتعلم ذلك لان
نسان قبل سماعه يكون خالي الذهن فاذا سمع الكلام وتأمل مافيه من الاحكام
أو ظن لزوم ذلك على ذوي الافهام وأصله مثل يقوله الرجل اذا بلغه شيء
رجل فاتهمه وقيل معناه انه من يسمع أخبار الناس ومناقبهم ومثالبهم يقع في نفسه
ذلك من خير أو شر ولفظ المثل « من يسمع يخل » أي من يسمع له خبر يحدث
ظن فحذف المفعولين اقتصاراً لافادة تجدد الفعل أو حدوثه

﴿ ومن نحا لسبلهم من الورى ماادارت الافلاك اونجم سرى ﴾

و ﴾ رحمة الله تعالى مع البر والاحسان والعفو والغفران تهدى لـ ﴿من﴾ أي انسان
الذي ﴿نحا﴾ أي قصد متبعا ﴿ لسبلهم﴾ ككتب جمع سبيل وهو الطريق الواضح
أنه خص الأئمة الاربعة بعد عموم الأئمة دعا لمن اتبعهم أو اتبع واحداً منهم
ن﴾ سائر ﴿ الورى﴾ كفتى الخلق ﴿ ما دارت ﴾ أي مدة دوران ﴿الافلاك ﴾
م فلك بفتح الفاء واللام جدار النجوم وتجمع ايضا على فلك بضمتين ومن كل شيء
ستداره ومعظمه والمراد الاول ﴿ أو نجم سرى ﴾ أي وتهدى لهم ولمتبوعيهم الرحمة
رضوان والبر والاحسان والانعام مدة دوام سرى النجوم على الدوام وسرى
هدى سار عامة الليل والنجم الكوكب وجمعه أنجم وأنجام ونجوم ونجم والنجم من النبات
نجم على غير ساق والثريا والوقت المضروب والمراد الاول

﴿هدية مني لأرباب السلف مجانبا للخوض من اهل الخلف﴾

﴿خذها هديت واقتفي نظامي تفز بما أملت والسلام﴾

ـا كان نظم هذه العقيدة بسؤال بعض أصحابنا النجديين وأنها على ما نحاه
لف من الاثريين قال عند تمام انجاح السؤال هذه العقيدة الاثرية المفيدة
لدية ﴾ مهداة وعطية مؤداة ﴿ مني ﴾ بعون الله وتوفيق من لا ينبغي الرشد من
ـ ﴿ لارباب ﴾ جمع رب بمعنى صاحب طريقة ﴿السلف﴾ وعقيدة أهل الاثر من

نوبح على الحق وسلف خال كوني (مجانبا) في أصل تقلين البالانضميني الها أقوال السنة وعقائد أهل الاثار (الخوض) في التأويل والحمق في صرف آيات التنزيل متشابهات بت وصماها الظاهر المؤيد بالسنة السلية والاحاديث النبوية والاخبار السا والآثار الاثرية الى غير محاملها من غير دليل ذوي ولا اذن شرعي تماهو دأب المتفل (من أهل) مذهب (الخلف خذها) أي هذه العقيدة (هديت) بضم الهاء وك الدال المهملة على صيغة مالم يسم فاعله أي هداك الله أيها الأثري والمتبع في اعتقا أثري (واقتفي) أي اتبع (نظامي) في هذه العقيدة السلفية التي هي بأمهات مـ عقائد السلف وفية فانك ان فعلت (تفز) أي تظفر (بما) أي بالذي (أملت) نيل الاملي ومن درك النجاح قال في القاموس الفوز النجاح والظفر بالخير والامل الرجاء يقال أملته أمليتها ملا ورجاء (و) تظفر أيضاً بـ (السلام) أي الامان من التخليط الجدلي والتـ الكلامي وما ينشأ عن ذلك من حزازات الصدور ووساوس الافكار وتعصب الا ومعنى الكلام لغة الامان قال العلماء السلام من أسماء الله تعالى فمعنى السلام عليك الله عليك وسلم الله عليك وقال العلامة أبو بكر بن أبي داود في التحفة في معنى اسمه السلام قيل معناه ذو السلامة من كل عيب ونقيصة فيكون من أسماء التنزيه وقيل تسليم العباد من المهالك فيرجع الى القدرة وقيل ذو السلام على المؤمنين في ا فيرجع الى الكلام القديم الازلي قال تعالى (سلام قولا من رب رحيم) قال البد من هذا الاسم أن يسلم من الغش والحقد والحسد ومن كل رذيلة

وهذا آخر ما قصدت ايراده على منطوق المنظومة بالدرة المضية في عقد أهل المرضية وأنا أتوسل اليه تعالى بلسان الافتقار وأتذلل اليه بجنان الذل والا وأتضرع بجوارح العجز والانكسار وأتشفع بحرمة النبي المختار وآله الأطهار وأ الاخيار وأصهاره الابرار وسائر المهاجرين والانصار وبجميع الانبياء والمر وبالملائكة المقربين وبالعلماء العاملين وأهل المعرفة والمتقين أن يجعل هذا الشرح لوجهه الكريم وسببا للفوز لديه في جنات النعيم وأن ينظر الي والى من كتبه وقرأه بعين العناية وأن يحفظني وأهل بيتي واخواني من كل ضلالة وغواية وا به من كتبه وقرأه وفهمه ووعاه انه جواد كريم رؤوف رحيم وصلى الله على سيدنا سيد المرسلين وآله وصحبه وأمته الغر المحجلين وكافة من دعانا بخير يارب